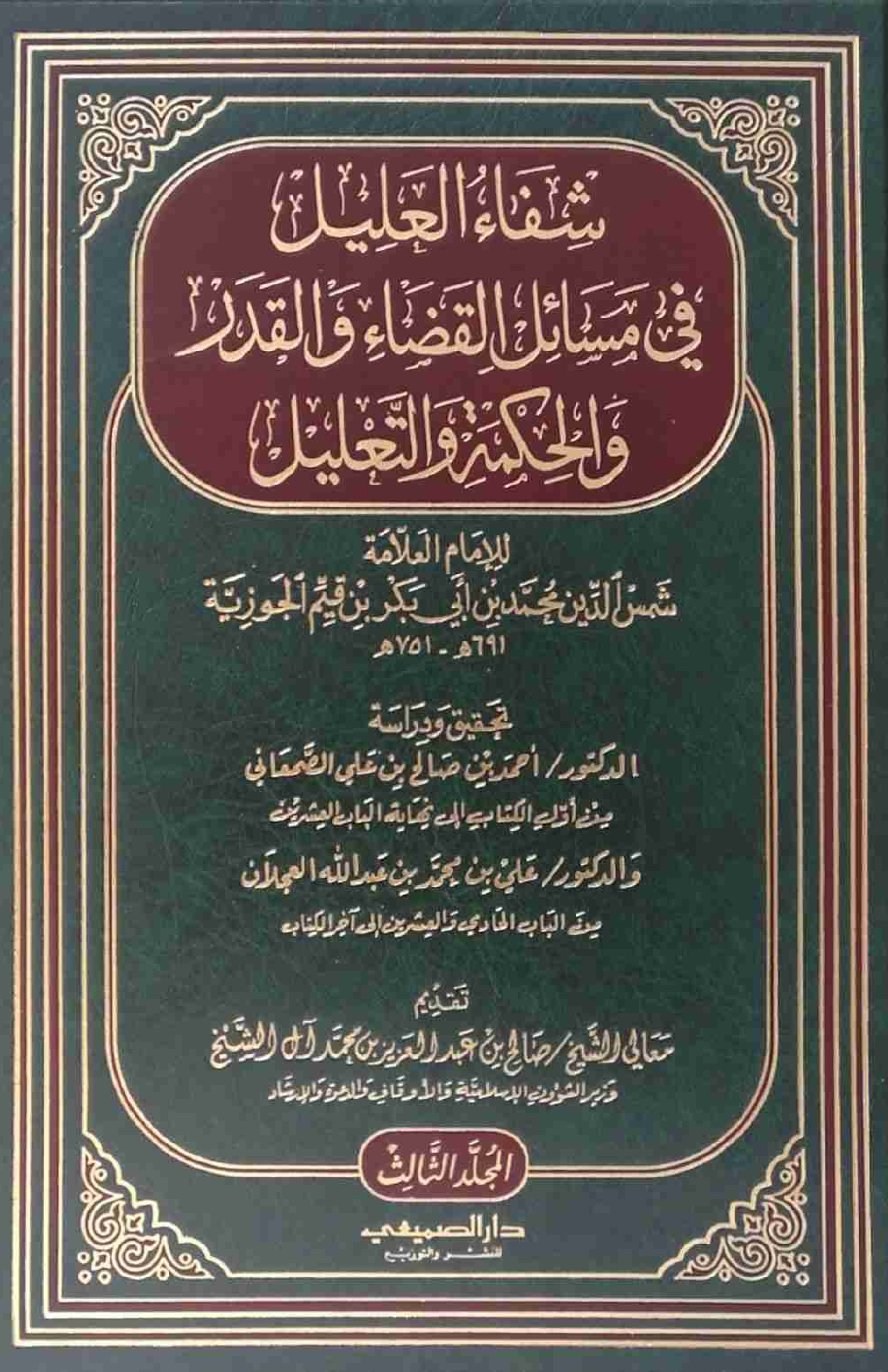

شفاء العليل
في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل
للإمام العلامة
شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
٦٩١هـ - ٧٥١هـ
تحقيق ودراسة
الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني
من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين
والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان
من الباب الحادي والعشرين إلى آخر الكتاب
تقديم
معالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المجلد الثالث
دار الصميعي
للنشر والتوزيع

شِفَاءُ العَلِيلِ فِي مَسَائِلِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ وَالحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ

للإمام العَلّامَة
شَمسُ الدِّين مُحَمَّد بن أَبِي بَكر بن قَيِّم الجوزِيَّة
٦٩١هـ - ٧٥١هـ

من الباب الحادي والعشرين إلى آخر الكتاب - تحقيقاً ودراسة

تحقيق ودراسة
الدكتور/ علي بن محمد بن عبدالله العجلان

المجلد الثالث

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

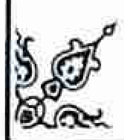
دار الصميعي للنشر والتوزيع

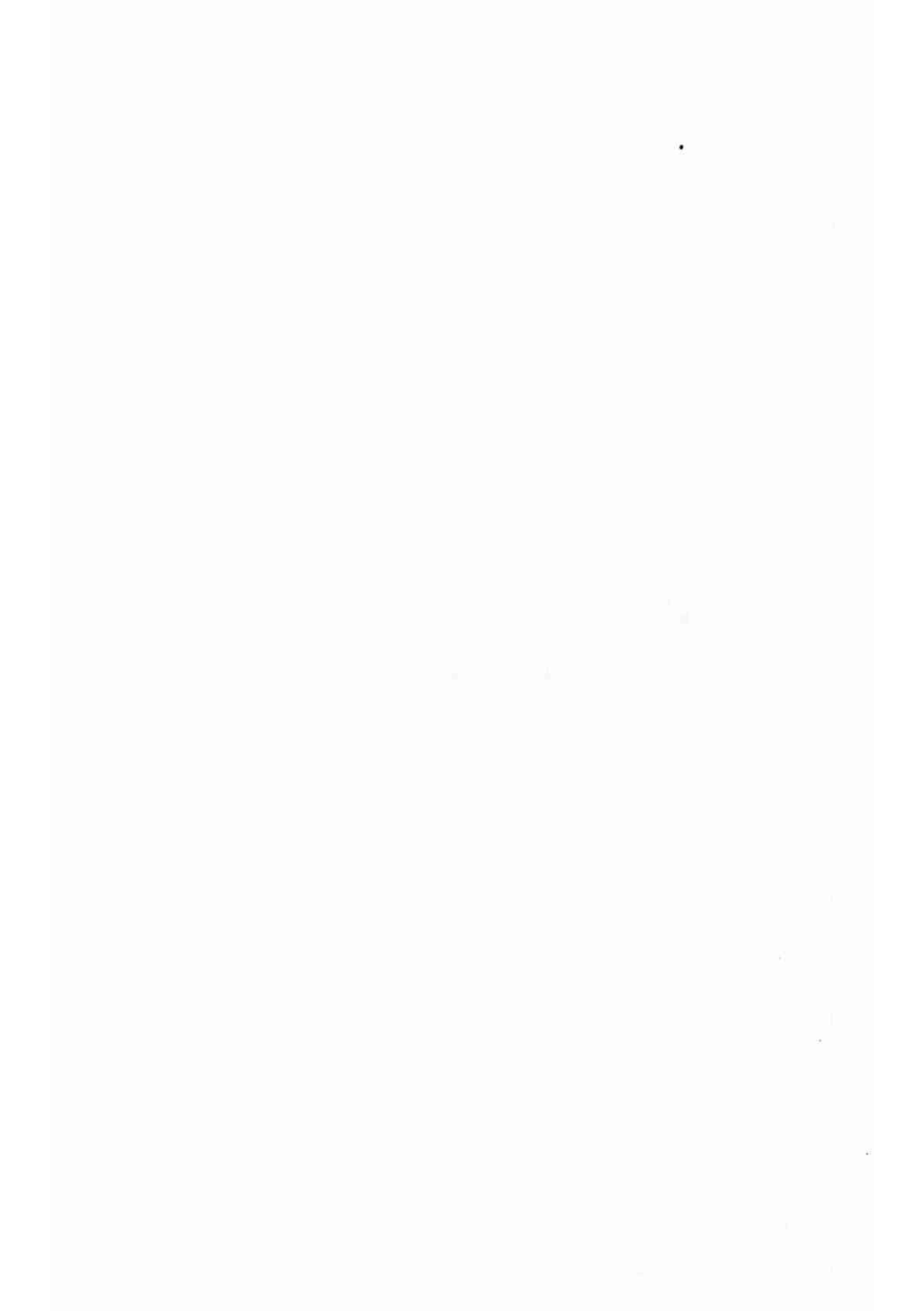
هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيس ، الرياض - شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم ، عنيزة ، أمام جامع الشيخ (بن عثيمين) يرحمه الله
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨




الباب الحادي والعشرون

في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي



الباب الحادي والعشرون
في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر (ودخوله في المقضي)[١]

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران/ ٢٦] .

(فصدر سبحانه الآية)[٢] بتفرده بالملك كله، وأنه هو سبحانه[٣] الذي يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء لا غيره، فالأول تفرده [بالملك][٤] والثاني تفرده بالتصرف فيه، وأنه سبحانه هو الذي يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه. وأن الخير كله (بيديه)[٥]، ليس لأحد معه منه شيء .

ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فتناولت الآية ملكه وحده، وتصرفه، وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه الصفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة، لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب، ويثنى عليه به، كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه، كما ثبت في

---

(١) ما بينهما ساقط من ع ، ط .

(٢) في ع ، ط (فصدر الآية سبحانه) .

(٣) في ع، ط (هو الذي) .

(٤) في الأصل، م (بالمملكة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في م ، (بيده) .

صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله: «لبيك وسعديك، والخير في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت»[١]، فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير. والشر إنما صار شراً لانقطاع (نسبته)[٢] وإضافته إليه (وإلا)[٣] فلو أضيف إليه، لم يكن شراً كما سيأتي بيانه[٤] وهو سبحانه خالق الخير والشر. فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله. وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله .

ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم، الذي حقيقته: وضع الشيء في غير موضعه[٥] كما تقدم[٦]، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله. والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً .

فعلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك، فإن منها القدوس، السلام، العزيز، الجبار، المتكبر[٧] .

---

(١) شطر من حديث رواه مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (الدعاء في صلاة الليل وقيامه) ح (٧٧١) .

(٢) في م: نشبيه .

(٣) زيادة من (ع) .

(٤) انظر: صفحات ص (١٨٢) وما بعدها .

(٥) انظر: تفسير الطبري ٠١/ ٥٢٣)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١/ ١٣٩) ، الصحاح للجوهري، مادة ظلم (٥/ ١٩٧٧) .

(٦) انظر: مثلاً الباب السادس عشر من الكتاب .

(٧) وردت هذه الأسماء في الكتاب والسنة: قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر/ ٢٣] . ومن السنة :

- القدوس: ورد في صحيح مسلم في كاب (الصلاة) باب (ما يقال في الركوع والسجود) ح(٤٨٧)(١/ ٣٥٣).

فالقدوس المنزه [عن كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب، المنزّه][1] عما لا يليق به[2]. وهذا قول أهل اللغة.

= - السلام: ورد في صحيح البخاري في كتاب (الأذان) باب (التشهد الأخير) ح(١٤٨) ١/ ٢٠٢ .

- العزيز: ورد في صحيح مسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب ١٠ ح(٢٦٩٦) ٢٠٧٢ .

- الجبار: ورد في صحيح البخاري في كتاب (التوحيد) باب (قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ح(٢٤) ٨/ ١٧٩ .

- المتكبر: ورد في مسند الإمام أحمد (٢/ ٧٢،٨٨) من حديث ابن عمر، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

انظر الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد (٩/ ٣٠٤-٣٠٥) والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (باختلاف يسير) في كتاب (صفات المنافقين) ح(٢٧٨٨) ٣/ ٢١٤٨ .

- وقد وردت هذه الأسماء في حديث التسعة والتسعين اسماً، وهو: (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل لجنة)... إلخ ثم ذكر الأسماء.

والحديث من دون ذكر الأسماء قد أخرجه البخاري في كتاب (التوحيد) باب (١٣) (٨/ ١٦٩) ، ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) ح(٢٦٧٧) ٣/ ٢٠٦٢ .

والحديث مع ذكر الأسماء ضعيف؛ أخرجه الترمذي في كتاب (الدعوات) باب (٨٣) ح(٣٥٠٧) ، ٥/ ٥٣٠ وقال: (قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صال،ح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث) ، وابن ماجة في كتاب (الدعاء) باب (١٠) ح(٣٨٦١) ٢/ ١٢٦٩) كما ضعَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦-٩٧، ٢٢/ ٤٨٢) ، وابن القيم في (شفاء العليل) ص٢٥٦، والألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ح(١٩٤٣) ٢/ ١٧٩ .

(١) زيادة من باقي النسخ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥)، زاد المسير (٨/ ٢٥٥)، تفسير البغوي (٨/ ٨٧).

وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة[١]، ومنه بيت المقدس؛ لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب[٢]، ومن أمَّه لا يريد إلا الصلاة فيه، رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه[٣]، ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا[٤]. ومنه سمي جبريل روح الله القدس[٥] لأنه طاهر من كل

---

(١) انظر القاموس المحيط مادة (قدس) (٢/ ٢٣٩) ، الصحاح (قدس) (٣/ ٩٦٠) ، زاد المسير (١/ ٦١، ١١٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٧) ، زاد المسير (٨/ ٢٥٥) .

(٣) رواه أحمد بنحوه (٢/ ١٧٦) والنسائي في سننه في كتاب (المساجد)، باب (فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه) ح(٢/ ٣٤) ، وابن ماجة في كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) باب (ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس) ح(١٤٠٨)(١/ ٤٥١) ، والحاكم في مستدركه في كتاب (الإيمان) (١/ ٣١) . وقال: هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته، ثم لم يخرجـاه ولا أعلم له علة . وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائـد) (٤/ ٨) وقال: وفيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي، وهم متهم بالوضع . وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٠٨٦) .

(٤) وردت تسمية الجنة بحظيرة القدس في حديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٧) في شارب الخمر بلفظ (لا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا أسقيتها إياه من حظيرة القدس) وانظر: الصحاح (٣/ ٩٦٠) ، زاد المسير (٨/ ٢٢٥) .

(٥) وردت تسمية جبريل عليه السلام (بروح القدس) في الكتاب والسنة؛ قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة / ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل/ ١٠٢] وورد تسميته (روح القدس) في حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وفيه (اللهم أيده بروح القدس) رواه البخاري في كتاب(الأدب) باب(٩١) ٧/ ١٠٩) وفي حديث البراء، وفيه: (قال لحسان: اهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك) رواه البخاري في كتاب (فضائل الصحابة) باب(فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه) برقم(٢/ ٢٤٨٥)، ومن حديث البراء برقم (٢/ ٢٤٨٦). وانظر: الصحاح (٣/ ٩٦٠) .

عيب[١]. ومنه قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة/ ٣٠].

فقيل: المعنى: ونقدس أنفسنا لك، فعُدِّيَ باللام. وهذا ليس بشيء. والصواب أن المعنى: نقدسك وننزهك عما لا يليق بك، هذا قول جمهور أهل التفسير[٢].

قال ابن جرير[٣]: ونقدس لك: ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، (ومما)[٤] أضاف إليك أهل الكفر بك[٥]. [قال][٦]: وقال بعضهم: نعظمك ونمجدك. قاله أبو صالح[٧][٨].

وقال مجاهد[٩]: نعظمك ونكبرك. انتهى[١٠].

---

(١) انظر: زاد المسير (١/ ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٧).

(٣) سبقت ترجمته ص (٤٩٤).

(٤) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته من ع، ط.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١١٠).

(٦) زيادة من باقي النسخ.

(٧) هو: أبو صالح السمان، الحافظ القدوة، ذكوان بن عبد الله، مولى أم المؤمنين جويرية الغطفانية. كان من كبار العلماء بالمدينة ولد في خلافة عمر وسمع من سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبي هريرة، وخلق كثير. حدَّث عنه ابنه سهيل بن أبي صالح، والأعمش، وزيد بن أسلم، وغيرهم كثير، وثقه جمع من أهل العلم. وهو من الثالثة. مات سنة إحدى ومائة. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٢٣٨)، طبقات ابن سعد (٥/ ٣٠١)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، زاد المسير (١/ ٤٧٥).

(٩) سبقت ترجمته ص(١٩٠).

(١٠) انظر تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، زاد المسير (١).

وقال بعضهم: ننزهك عن السوء، فلا ننسبه إليك[١]. واللام فيه على (حدها)[٢][٣] في قوله ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ [النمل/ ٧٣] ، (لأن)[٤] المعنى تنزيه الله لا تنزيه نفوسهم لأجله .

قلت: ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم: ﴿ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ فإن التسبيح تنزيه الله سبحانه [عن][٥] كل سوء. قال ميمون بن مهران[٦]: سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء[٧] .

وقال ابن عباس[٨]: هي تنزيه

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٧٩)

(٢) في (م) (ضدها) .

(٣) قيل: اللام صلة: انظر تفسير البغوي (١/ ٧٩) وقيل: زائدة، أي نقدسك. وقيل: لام العلة متعلقة بنقدس. قيل: أو بنسبح. قيل معدية للفعل مثلها في « سجدت لله » وقيل للبيان كاللام بعد سقياً لك. فتعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: تقديسنا لك. والأحسن أن تكون معدية للفعل، كهي في قوله ﴿سبح لله﴾ و﴿وسبح لله﴾. انظر البحر المحيط (١/ ١٩١-٢٩٢) .

(٤) في (م) (لن) .

(٥) في الأصل (على) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) أبو أيوب ميمون بن مهران الرقي، إمام أهل الجزيرة. ولد سنة (٤٠هـ) ، روى عن عائشة وأبي هريرة وطائفة. وثقه علماء الجرح والتعديل، ولي خراج بيت المال في عهد عمر بن عبد العزيز . توفي سنة (١١٧هـ) . انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٧٧) ، حلية الأولياء (٤/ ٨٢-٩٧) ، العبر (١/ ١١٢) .

(٧) انظر: الضوء المنير على التفسير ص (١٩٤) .

(٨) هو: حبر الأمة وترجمان القرآن. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الصحابي الجليل. لازم الرسول ﷺ وروى عنه الأحاديث الكثيرة، له في الصحيحين =

(الله)[١] من كل سوء[٢].

وأصل اللفظة من المباعدة، من قولهم: سبحت في الأرض، إذا تباعدت فيها[٣]، ومن: ﴿ (كُلٌّ)[٤] فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٣٣] فمن أثنى على الله ونزهه عن السوء فقد سبحه، ويقال: سبح الله وسبح له، وقدسه وقدس له.

وكذلك اسمه (السلام)[٥]، فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص[٦]. ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم. ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم[٧]، فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر، ومن التسمية به، ومن فعله، ومن نسبته إليه. فهو السالم من صفات النقص وأفعال النقص (وأسماء النقص)[٨] المسلم لخلقه من لظلم، ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها سلام[٩] والجنة بأنها دار السلام[١٠]، وتحية أهلها السلام[١١]،

= وغيرهما (١٦٦٠) حديثاً، وهو من أوعية العلم والفقه . توفي سنة (٦٨هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٣٠-٣٣٤) .

(١) في (ع) (الرب) .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦) .

(٣)انظر: تفسير الطبري (٢٨/ ٣٦) .

(٤) في الأصل (فكل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) انظر هامش رقم (٧) ص (٩٧٦) .

(٦)انظر: تفسير البغوي (٨/ ٨٧) ، زاد المسير (٨/ ٢٢٥) .

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٨/ ٣٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦) .

(٨) ساقطة من (م) .

(٩) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر/ ٥].

(١٠) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام ١٢٧] وإلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس/ ٢٥] .

(١١) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [يونس :١٠] ، وقوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم/ ٢٣] .

وأثنى على أوليائه بالقول السلام[١]، كل ذلك السالم من العيوب. وكذلك الكبير[٢] من أسمائه والمتكبر[٣]. قال قتادة[٤] وغيره: هو الذي تكبر عن السوء[٥]. وقال أيضاً: الذي تكبر عن السيئات[٦]. وقال مقاتل[٧]: المتعظم عن كل سوء[٨]. وقال أبو إسحاق[٩]: الذي تكبر عن ظلم عباده[١٠].

(١) هذا كثير في القرآن من ذلك قوله سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات/ ٧٩]. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات/ ١٠٩]، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات/ ١٨١].

(٢) ورد في القرآن في أكثر من آية من ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان/ ٣٠]. وقد ورد اسم الكبير في حديث التسعة والتسعين اسماً، انظر ص (٩٧٦) هامش(٧).

(٣) ورد ذلك في الكتاب والسنة. انظر: ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٤) سبقت ترجمته ص (٣٢٦).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٦).

(٦) انظر: زد المسير (٨/ ٢٢٧).

(٧) هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني البلخي صاحب التفسير، نزيل مرو، يروي على ضعفه البين عن الضحاك بن مزاحم ومجاهد وابن بريدة وعطاء وغيرهم. وروى عنه سعد بن الصلت، وبقية، وعبد الرزاق، وغيرهم. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال البخاري: مقاتل لا شيء البتة. مات سنة خمس ومائة. وكان يرمى بالتجسيم. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٣)، التقريب (٢/ ٢٧٢)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٠-٢٠٢).

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٦).

(٩) أبو إسحاق هو العلامة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني الفقيه الأصولي الشافعي، أحد المجتهدين في عصره، سمع الحديث من أبي بكر الإسماعيلي ودعلج السجزي وغيرهما، وأخذ عنه البيهقي وأبوالطيب الطبري والحاكم النيسابوري، وأثنى عليه. من تصانيفه كتاب (الحلي في أصول الدين والرد على الملحدين) توفي بنيسابور سنة ثماني عشرة وأربع مائة، انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٣-٣٥٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١١١).

(١٠) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٨٨)، زاد المسير (٨/ ٢٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧).

وكذلك اسمه « العزيز »[١] الذي له العزة التامة. ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب، فإن ذلك ينافي العزة التامة[٢].

وكذلك اسمه « العلي »[٣] الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص[٤]. ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء.

وكذلك اسمه « الحميد »[٥]، وهو الذي له الحمد كله، فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص، لا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في صفاته.

فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب تعالى هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فجعله فاعلاً خير، والمفعول شر وقبيح. وهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه[٦]

---

(١) انظر: (٩٧٦) هامش (٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣١)، زاد المسير (١/ ١٤٧).

(٣) ورد اسم (العلي) في كتاب الله في مواضع كثيرة، قال سبحانه: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. وورد في السنة في حديث التسعة والتسعين اسماً – انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٠٥)، تفسير البغوي (١/ ٣١٣)، زاد المسير (١/ ٣٠٤).

(٥) ورد اسم (الحميد) في القرآن كثيراً، من ذلك قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة/ ٢٦٧]. كما ورد ذلك في السنة في حديث التسعة والتسعين اسماً. انظر: ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٦) في م، (في موضعه).

لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشراً .

وهذا أمر معقول في الشاهد، فإن الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة، فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه، كان ذلك منه عدلاً وصواباً يمدح به، وإن [كان][1] في المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل .

ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها، كان ذلك حكمة وعللاً وصواباً، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها، فمن وضع العمامة على الرأس، والنعل في الرجل، والكحل في العين. والزبالة في الكناسة، فقد (وضع)[2] الشيء موضعه، ولم يظلم النعل والزبالة؛ إذ هذا محلها .

ومن أسمائه سبحانه: العدل[3] [الحكيم][4][5] الذي لا يضع الشيء إلا في موضعه[6]، فهو المحسن الجواد الحكيم [الحكم][7][8] العدل في كل ما خلقه

---

(١) زيادة من ع، ط .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) ورد اسم (العدل) في حديث التسعة والتسعين اسماً انظر ص (٩٧٦) هامش (٧) .

(٤) ورد في آيات كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢] . وورد في حديث التسعة والتسعين اسماً ص(٩٧٦) هامش (٧) .

(٥) في الأصل (الحليم) والصواب ما أثبته .

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨٧)، تفسير البغوي (١/ ٨٠)، زاد المسير (١/ ٦٣).

(٧) ساقطة من ع، ط .

(٨) قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد/ ٤١]. وورد تسميته في حديث أبي شريح « أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال: له النبي ﷺ: إن الله هو الحكم، وإليه الحكم » الحديث ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب (احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك) .

وفي كل ما وضعه في محله وهيأه له، وهو سبحانه له الخلق والأمر .

فكما أنه في أمره لا يأمر إلا بأرجح الأمرين، يأمر بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا تعارض أمران رجح أحسنهما وأصلحهما، وليس في الشريعة أمر يفعل إلا ووجوده للمأمور خير من عدمه، ولا نهي عن فعل إلا وعدمه خير من وجوده .

فإن قلت: فإذا كان وجوده خيراً من عدمه، فكيف لا يشاء وجوده؟ وإذا كان عدمه خيراً من وجوده فكيف (يشاء)[١] وجوده؟ فالمشيئة العامة تنقض عليك هذه القاعدة الكلية .

قلت: لا تنقضها؛ لأن وجوده، وإن كان خيراً من عدمه، فقد يستلزم وجوده فوات محبوب له هو أحب إليه من وقوع هذا المأمور من هذا المعنى، وعدم المنهي وإن كان خيراً من وجوده، فقد يكون وسيلة وسبباً إلى ما هو أحب إليه من عدمه، وسيأتي تمام تقرير ذلك في باب اجتماع القدر والشرع وافتراقهما إن شاء الله .

والرب سبحانه إذا أمر بشيء، فقد أحبه ورضيه وأراده إرادةً (دينية)[٢] وهو لا يحب شيئاً إلا ووجوده خير من عدمه. وما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه، وهو لا يبغض شيئاً إلا وعدمه خير من وجوده، هذا بالنظر إلى ذات هذا وهذا، وأما باعتبار إفضائه إلى ما يحب ويكره فله حكم آخر، ولهذا أمر سبحانه عباده أن يأخذوا بأحسن ما أنزل إليهم، فالأحسن هو المأمور به، وهو خير من المنهي عنه .

---

(١) في الأصل (لا يشاء) والصواب من م ، ع .

(٢) في ع، ط، (بينه) .

و(إذا)[١] كانت هذه سنته في أمره (ونهيه)[٢] وشرعه، فهكذا سنته في خلقه وقضائه وقدره. فما أراد أن يخلقه أو يفعله كان أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ولا يفعله، وبالعكس، وما كان عدمه خيراً من[٣] وجوده شر وهو لا يفعله، بل هو منزه عنه، والشر ليس إليه .

فإن قلت: فلم خلقه وهو شر ؟ قلت: خلقه له وفعله خير لا شر، فإن الخلق والفعل [قائم به سبحانه، والشر يستحيل قيامه به واتصافه به، وما كان في المخلوق من شر فلعدم إضافته ونسبته إليه، والفعل والخلق][٤] (مضاف)[٥] إليه، فكان خيراً. والذي شاءه كله خير، والذي لم يشأ وجوده بقي على العدم الأصلي وهو الشر، فإن الشر كله عدم، فإن سببه جهل، وهو عدم العلم، أو ظلم وهو عدم العدل، وما يترتب على ذلك من الآلام (فهي)[٦] من عدم استعداد المحل وقبوله لأسباب الخيرات واللذات .

فإن قلت: كثير من الناس يطلق القول بأن الخير كله من الوجود ولوازمه، والشرُّ كله من العدم ولوازمه، والوجود خير، والشر المحض لا يكون إلا عدماً .

قلت: هذا اللفظ فيه إجمال؛ فإن أريد به أن كل ما خلقه الله وأوجده، ففيه الخير ووجوده خير من عدمه، وما لم يخلقه ولم يشأه فهو (المعدوم)[٧] الباقي

(١) في م (وإن) .

(٢) زيادة من (م) .

(٣) زاد في (م) (من لا يخلقه ولا يفعله) .

(٤) زيادة من باقي النسخ .

(٥) في باقي النسخ (يضاف) .

(٦) في (ط) (فهو) .

(٧) في (م) (العدم) .

على عدم (هو)[١] ، لا خير فيه، إذ لو كان فيه خير لفعله. فإنه (سبحانه)[٢] بيده الخير، فهذا صحيح، فالشر العدمي هو عدم الخير .

وإن أريد أنَّ كل ما يلزم الوجود فهو خير، وكل ما يلزم العدم فهو شر، فليس بصحيح، فإن الوجود قد يلزمه شر مرجوح، والعدم قد يلزمه خير راجح. مثل الأول: النار والمطر والحر والبرد والثلج ووجود الحيوانات، فإن هذا موجود، ويلزمه شر جزئي مغمور بالنسبة إلى ما في وجود ذلك (من)[٣] الخير، وكذلك المأمور به قد يلزمه من الألم والمشقة ما هو شر جزئي مغمور بالنسبة إلى ما فيه من الخير .

فصل

وتحقيق الأمر أن الشر نوعان: شر محض حقيقي من كل وجه، وشر نسبي إضافي من وجه دون وجه؛ فالأول لا يدخل في الوجود؛ (إذا)[٤] لو دخل في (الوجود)[٥] لم يكن شراً محضاً. والثاني هو الذي يدخل في الوجود. فالأمور التي يقال : هي شرور؛ إما أن تكون أموراً عدمية، أو أموراً وجودية. فإن كانت عدمية، فإنها إما أن تكون عدماً لأمور ضرورية للشيء في وجوده، أو ضرورية له في دوام وجوده وبقائه، أو ضرورية له في كماله، وإما أن تكون غير ضرورية له في وجوده ولا بقائه ولا كماله، وإن كان وجودها خيراً من

---

(١) ساقطة من ع ، ط .

(٢) ساقطة من ع ، ط .

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) ساقطة من (م) .

عدمها، فهذه أربعة أقسام :

فالأول: كالإحساس والحركة (والتنفس)[١] للحيوان .

والثاني: كقوة الاغتذاء والنمو للحيوان (المغتذي)[٢] النامي .

والثالث: (كصحته)[٣] وسمعه وبصره وقوته .

والرابع: كالعلم بدقائق المعلومات التي العلم بها خير من الجهل، ليست ضرورية (له)[٤] .

وأما الأمور الوجودية، فوجود كل ما يضاد (الحياة)[٥] والبقاء والكمال، كالأمراض وأسببها، والآلام وأسبابها، والموانع الوجودية التي تمنع حصول الخير ووصوله إلى المحل القابل له المستعد لحصوله، كالمواد الرديئة المانعة من وصول الغذاء إلى أعضاء البدن وانتفاعها (به)[٦] كالعقائد الباطلة والإرادات الفاسدة المانعة لحصول أضدادها للقلب .

إذا عرف هذا، فالشر بالذات هو عدم ما هو ضروري للشيء في وجوده أو بقائه أو كماله. ولهذا العدم لوازم (هي)[٧] شر أيضاً، فإن عدم العلم

---

(١) في الأصل ، ط (النفس) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في الأصل (المتعدي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (لصحته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في (ع) (الحيوة) .

(٦) ساقطة من (م) .

(٧) في ع، ط (من) .

والعدل يلزمهما من الجهل والظلم ما هو شرور وجودية. وعدم الصحة والاعتدال يلزمهما من الألم (والضرر)[١] ما هو شر وجودي .

وأما عدم الأمور المستغنى عنها؛ كعدم الغنى المفرط، والعلوم التي لا يضر الجهل بها، فليس بشرٍّ في الحقيقة، ولا وجودها سبباً [للشر][٢]. فإن العلم من حيث هو علم؛ والغنى من حيث هو غنى لم يوضع سبباً للشر، وإنما يترتب الشر من عدم صفة تقتضي الخير، كعدم العفة والصبر والعدل في حق (الغني)[٣] فيحصل الشر كله في غناه بعدم هذه الصفات.

وكذلك عدم الحكمة ووضع الشيء موضعه . وعدم إرادة (الخير)[٤] في حق صاحب العلم، يوجب ترتب الشر له على ذلك (في علمه)[٥] فظهر أن الشر لم يترتب إلا على عدم، وإلا فالموجود من حيث وجوده لا يكون شراً ولا سبباً للشر.

فالأمور الوجودية ليست شروراً بالذات، بل بالعرض من حيث إنها تتضمن عدم أمور ضرورية أو [نافعة][٦] فإنك لا تجد شيئاً من الأفعال التي هي شر إلا (وهي)[٧] كمال بالنسبة إلى (الفاعل)[٨] وجهة الشر فيه بالنسبة إلى أمور أخر . مثال بالنسبة إلى (الفاعل)[٩] وجهة الظلم يصدر عن قوة

---

(١) في الأصل (الضرر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) زيادة من باقي النسخ .

(٣) في (م) (المعنى) .

(٤) في ع، ط، (الحكمة) .

(٥) ساقطة من ع، ط .

(٦) في الأصل ، م (مانعة) .

(٧) في الأصل ، م ،ع (وهو) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٨) ساقطة من ع ، ط .

(٩) في الأصل (أثرلها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

تطلب الغلبة والقهر، وهي القوة الغضبية التي كمالها بالغلبة، ولهذا خلقت، وليس في ترتب أثرها عليها شر من حيث وجوده، بل الشر عدم ترتب (أثرها)[١] عليها البتة، فتكون ضعيفة عاجزة مقهورة، وإنما الشر الوجودي الحاصل شر إضافي بالنسبة إلى المظلوم؛ لفوات (ماله أو نفسه)[٢] أو تصرفه، وبالنسبة إلى الظالم لا من حيث الغلبة والاستيلاء، ولكن من حيث وضع الغلبة والقهر والاستيلاء في غير موضعه. فعدل به (عن)[٣] محله إلى غير محله. فلو (نفذ)[٤] قوة الغضب في قهر المؤذي الباغي من الحيوانات الناطقة والبهيمية، لكان ذلك خيراً، ولكن عدل به إلى غير محله، فوضع القهر موضع العدل والنَّصَفَة، ووضع الغلظة موضع الرحمة، فلم يكن الشر في وجود هذه لقوة ولا في ترتب أثرها (عليها)[٥] من حيث هما كذلك، بل في إجرائها في غير مجراها. ومثال ذلك: ماءٌ جارٍ في نهر إلى أرض يسقيها وينفعها، فكماله في جريانه حتى يصل إليها، فإذا عدل به عن مجراه وطريقه إلى أرض يضرها ويخرب دورها [كان][٦] الشر في العدول به عما أعد له وعدم وصوله إليه. فهكذا الإرادة والغضب أعين بهما العبد ليتوصل بهما إلى حصول ما ينفعه، وقهر ما يؤذيه ويهلكه، فإذا استعملا في ذلك فهو (كمالها)[٧] وهو خير. وإذا صرفا عن ذلك إلى استعمال هذه القوة في غير محلها، وهذه في غير محلها،

---

(١) في ع، ط (نفسه أو ماله)

(٢) في ط (من) .

(٣) في ط (من) .

(٤) في ع، ط ، (استعمل) .

(٥) في ع (عليه) .

(٦) زيادة من باقي النسخ .

(٧) في ع، ط، (كمالها) .

صار ذلك شراً إضافياً نسبياً .

وكذلك النار كمالها في إحراقها، فإذا أحرقت ما ينبغي إحراقه فهو خير، وإن صادفت ما لا ينبغي إحراقه فأفسدته، فهو شر إضافي بالنسبة إلى المحل المعين .

وكذلك القتل مثلاً : هو استعمال الآلة (القاطعة)[١] في تفريق اتصال البدن، فقوة الإنسان على استعمال الآلة خير، وكون الآلة قابلة للتأثير خير، وكون المحل قابلاً لذلك خير، وإنما الشر نسبي إضافي، وهو وضع هذا التأثير في غير موضعه، والعدول به عن المحل المؤذي[٢] إلى غيره، وهذا بالنسبة إلى الفاعل، وأما بالنسبة إلى المفعول، فهو شر إضافي أيضاً، وهو ما حصل له من التألم وفاته من الحياة، وقد يكون ذلك خيراً له من جهة أخرى وخيراً لغيره .

وكذلك الوطء فإن قوة الفاعل وقبول المحل كمال، ولكن الشر في العدول به عن المحل الذي يليق به إلى محل لا يحسن ولا يليق، وهكذا حركة اللسان، وحركات الجوارح كلها جارية هذا[٣] المجرى .

فظهر أن دخول الشر في الأمور الوجودية إنما هو بالنسبة والإضافة، لا أنها من حيث ذاته ووجوده. فإذا أضيف إلى غير الله ، كان شراً بهذه النسبة والإضافة، وكذلك كل ما وجده كفر وشرك إنما كان شراً بإضافته إلى ما جعله كذلك، كتعظيم الأصنام، فالتعظيم من (حيث)[٤] هو تعظيم (لا

---

(١) في باقي النسخ (القطاعة) .

(٢) في ع (المؤذي به) .

(٣) في ع، ط (على هذا) .

(٤) ساقطة من (م) .

يمدح)[١] ولا يزم إلا باعتبار متعلقه، فإذا كان تعظيماً لله وكتابه ودينه ورسوله كان خيراً محضاً، وإن كان تعظيماً للصنم والشيطان[٢] فإضافته إلى هذا المحل جعلته شراً ، كما أن إضافة السجود إلى غير الله جعلته كذلك .

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أن الأشياء المكونة من موادها شيئاً فشيئاً ـ كالنبات والحيوان ـ إما أن يعرض لها النقص الذي هو شر في ابتدائها أو بعد (تكوينها)[٣]:

فالأول: هو بأن يعرض لمادتها من الأسباب ما يجعلها رديئة المزاج، ناقصة الاستعداد، فيقع الشر فيها والنقص في (خلقتها)[٤] بذلك السبب، وليس ذلك بأن الفاعل حرمه وأذهب عنه أمراً وجودياً به كماله، بل لأن المنفعل لم يقبل الكمال والتمام، وعدم قبوله أمر عَدَمِيٌّ ليس بالفاعل (وإما)[٥] الذي بالفاعل فهو الخير الوجودي الذي (يقبل)[٦] به كماله وتمامه فنقصه، والشر الذي حصل فيه هو من عدم إمداده بسبب الكمال، فبقي على العدم الأصلي.

وبهذا يفهم سر قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك/ ٣] فإن ما خلقه فهو أمر وجودي به كمال المخلوق وتمامه.

---

(١) مكررة في (م) .

(٢) في باقي النسخ (للشيطان) .

(٣) في (م): (كونها) .

(٤) في باقي النسخ (خلقها) .

(٥) في (ط) (أما) .

(٦) في ع ، ط (يتقبل) .

وأما عيبه ونقصه، فمن عدم قبوله، وعدم القبول ليس أمراً مخلوقاً يتعلق بفعل الفاعل، فالخلق الوجودي ليس فيه تفاوت، والتفاوت إنما حصل بسبب (فقد)[1] الخلق، فإن الخالق سبحانه لم يخلق له استعداداً، فحصل التفاوت فيه من عدم الخلق، لا من نفس الخلق، فتأمله. والذي إلى الرب سبحانه هو الخلق، وأما العدم فليس هو بفاعل[2] . فإذا لم تكمل[3] مادة الجنين في الرحم (بما)[4] يقتضي كماله وسلامة أعضائه واعتدالها حصل فيه التفاوت، وكذلك النبات .

فصل

وأما الثاني ـ وهو الشر الحاصل بعد (تكوينه)[5] وإيجاده ـ: فهو نوعان أيضاً:

أحدهما: أن يقطع عنه الإمداد الذي به كماله بعد وجوده، كما يقطع عن النبات إمداده بالسقي، وعن الحيوان إمداده بالغذاء، (فهذا)[6] شر مضاف إلى العدم أيضاً، وهو عدم ما يكمل به.

الثاني: حصول مضاد مناف، وهو نوعان:

أحدهما: قيام مانع في المحل يمنع تأثير الأسباب الصالحة فيه، كما تقوم

---

(١) في م ، ط (هذا) .

(٢) في (ط) (بفاعل له) .

(٣) في (ط) (يكمل في) .

(٤) في ع ، ط، (ما) .

(٥) في م (كونه) .

(٦) في ع، ط (فهو) .

بالبدن أخلاط رديئة تمنع تأثير الغذاء فيه وانتفاعه[١] به، وكما يقوم بالقلب إرادات واعتقادات فاسدة تمنع انتفاعه بالهدى والعلم.

فهذا الشر، وإن كان وجودياً وأسبابه وجودية، فهو أيضاً من عدم القوة أو الإرادة التي يدفع بها ذلك المانع. فلو وجدت (قوة)[٢] إرادة تدفعه لم يتأثر المحل به. (مثال ذلك)[٣]: أن غلبة الأخلاط واستيلاءها من عدم القوة المنضجة لها (أو)[٤] القوة الدافعة لما يحتاج إلى خروج، وكذلك استيلاء الإرادات الفاسدة (هو)[٥] لضعف قوة العفة (والشجاعة)[٦] والصبر واستيلاء الاعتقادات الباطلة لعدم العلم المطابق لمعلومه. فكل شر ونقص فإنما حصل لعدم سبب ضده، وعدم سبب ضده ليس فاعلاً له، بل يكفي فيه بقاؤه على العدم الأصلي.

الثاني: مانع من خارج كالبرد الشديد (والحريق)[٧] والغرق، ونحو ذلك مما يصيب الحيوان والنبات، فيحدث فيه الفساد، فهذا لا ريب أنه شر وجودي، ولكنه شر نسبي إضافي. [وهو خير من وجه آخر، فإن وجود ذلك الحر والبرد والماء يترتب عليه مصالح][٨] وخيرات كلية، هذا الشر بالنسبة إليها جزئي .

---

(١) في (ع) (ولانتفاعه) .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) في ع، ط (مثاله) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) ساقطة من ع، ط .

(٦) ساقطة من (ط) .

(٧) في ع، ط (الحرق) .

(٨) زيادة من باقي النسخ .

فتعطيل تلك الأسباب لتفويت هذا الشر الجزئي يتضمن شراً أكثر منه، وهو فوات تلك الخيرات الحاصلة بها، فإن ما يحصل بالشمس والريح والمطر والثلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضعاف أضعاف ما يحصل بذلك من مفاسد جزئية، هي في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر [لجي][1] هذا لو كان شرها حقيقياً، (فكيف)[2] وهي خير من وجه وشر من وجه، وإن لم يعلم الخير كثير من الناس، فما قدَّرها الرب تعالى سدى، ولا خلقها باطلاً.

وعند هذا، فيقال: الوجود إما أن يكون خيراً من كل وجه، أو شراً من كل وجه، أو خيراً من وجه [وشراً من وجه][3].

وهذا على ثلاثة أقسام: قسم خيره راجح على شره، وعكسه، وقسم مستو خيره وشره، وإما أن لا يكون فيه خير ولا شر.

فهذه ستة أقسام. لا مزيد عليها، فبعضها واقع، وبعضها غير واقع. فأما القسم الأول: هو الخير (المحض)[4] من كل وجه، الذي لا شر فيه بوجه ما، فهو أشرف الموجودات على الإطلاق وأكملها (وأجلها)[5]، وكل (خير وكمال)[6] فيها، فهو مستفاد من خيره وكماله في نفسه، وهي تستمد منه، وهو لا يستمد منها، وهي فقيرة إليه، وهو غني عنها، كل منها يسأله كماله.

---

(١) زيادة من (م).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) زيادة من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في م (وأجملها).

(٦) في ع، ط (كمال وخير)

فالملائكة تسأله ما لا حياة لها إلا به، (من)[١] (إعانته)[٢] على ذكره وشكره وحسن عبادته، وتنفيذ أوامره، والقيام بما جعل إليهم من مصالح العالم العلوي والسفلي، وتسأله أن يغفر لبني آدم .

والرسل تسأله أن يعينهم على أداء (رسالاته)[٣] وتبليغها، وأن ينصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومعادهم. وبنو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها. والحيوان كله يسأله رزقه وغذاءه وقوته وما يقيمه، ويسأله الدفع عنه. والشجر والنبات يسأله غذاءه وما يكمل به .

والكون كله يسأله إمداده بقاءه وحياته: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[الرحمن/ ٢٩] .

فأكف جميع العالم ممتدة إليه بالطلب والسؤال، ويده مبسوطة لهم بالعطاء والنوال. يمينه ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء[٤] الليل والنهار[٥]، وعطاؤه

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) في (ع) (إعانة) .

(٣) في (م) الرسالة .

(٤) في (ط) (أناء) .

(٥) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار» ، وقال: « أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده (قال) وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض، ويرفع». أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (١٩) (٨/ ١٧٣) . ومسلم في كتاب الزكاة باب الزكاة باب (١١) ح(٩٩٣) ١/ ٦٩٠ .

وخيره مبذول للأبرار والفجار[١]، له كل كمال، ومنه كل خير، له الحمد كله، (وله الملك كله)[٢]، وله الثناء كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، تبارك اسمه، وتباركت أوصافه، وتباركت أفعاله، وتباركت ذاته، فالبركة كلها له ومنه، لا يتعاظمه خير سُئِلَه، ولا تنقص خزائنه على كثرة عطائه وبذله، فلو صور كل كمال في العالم صورة واحدة، ثم كان العالم كله على تلك الصورة، لكان (نسبة)[٣] ذلك إلى كماله[٤] وجلاله وجماله دون نسبة سراج [ضعيف][٥] إلى عين الشمس[٦] .

فصل

وأما الأقسام الخمسة الباقية، فلا يدخل منها في الوجود إلا ما

---

(١) روى عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج » . ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام/ ٤٤]. أخرجه أحمد (٤/ ١٤٥) . وأخرجه الترمذي عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال في الحديث: « ويرث دنياكم شراركم » . قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث عمر بن أبي عمر). سنن الترمذي ، كتاب الفتن باب (٩) ح(٢١٧٠-٤/ ٤٦٨) .

(٢) ساقطة من ع، ط .

(٣) في م (منه) .

(٤) مكررة في الأصل ، م .

(٥) زيادة من ع، ط .

(٦) عن أبي هريرة ﷺ أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» . قالوا: لا يا رسول الله قال: « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ » قالوا: لا . قال: « فإنكم ترونه كذلك ...» الحديث أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (١٢٩) ١/ ١٩٥ .

(كانت)[١] المصلحة والحكمة والخير في إيجاده أكثر من المفسدة.

والأقسام الأربعة لا تدخل في الوجود. أما الشر المحض الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة، بل هو العدم المحض .

فإن قيل: فإبليس شر محض، والكفر والشرك كذلك، وقد (دخلوا)[٢] في الوجود، فأي خير في إبليس وفي وجود الكفر؟ قيل: في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، كما سننبه على بعضه، فالله سبحانه لم يخلقه عبثاً ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة، وحجة قاهرة، وآية ظاهره، ونعمة سابغة ، وهو إن كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها .

وأما الذي لا خير فيه ولا شر، فلا يدخل أيضاً في الوجود فإنه عبث، فتعالى الله عنه. وإذا امتنع (دخول)[٣] هذا القسم في الوجود، فدخول ما الشر (في)[٤] إيجاده أغلب من الخير أولى بالامتناع .

ومن تأمل هذا الوجود، علم أن الخير فيه غالب، فإن الأمراض ـ وإن كثرت ـ فالصحة أكثر منها، واللذات أكثر من الآلام، والعافية أعظم من البلاء، والغرق (والحرق)[٥] والهدم ونحوها ـ وإن كثرت ـ فالسلامة أكثر . ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب، وفوات الخير الغالب شر غالب؛ ومثال ذلك النار، فإن

---

(١) في م (ما كان) .

(٢) في الأصل ، م (دخل) .

(٣) في ط (وجود) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في ع (والحق) .

في وجودها منافع كثيرة، وفيها مفاسد، ولكن إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها، وكذلك المطر والرياح والحر والبرد .

وبالجملة فعناصر هذا العالم السفلي خيرها ممتزج بشرها، ولكن خيرها غالب، وأما العالم العلوي فبريء من ذلك.

فإن قيل: فهلا خلق الخلائق الحكيم هذه خالية من الشر، بحيث تكون خيرات محضة؟

فإن قلتم: اقتضت الحكمة خلق هذا العالم ممتزجاً فيه اللذة بالألم والخير بالشر، فقد كان يمكن خلقه على حالة لا يكون فيه شراً كالعالم العلوي ـ سلمنا أن وجود رأس الشر كله ومنبعه وقدوة أهله فيه إبليس؟ وأي خير في إبقائه إلى آخر الدهر؟ وأي خير يغلب في نشأة يكون (منها)[1] تسعة وتسعون (في)[2] النار (وواحدة)[3] في الجنة[4]؟ وأي خير غالب حصل بإخراج الأبوين من الجنة حتى جرى على الأولاد ما جرى، ولو داما في الجنة لارتفع الشر بالكلية؟ وإذا كان قد خلقهم لعبادته، فكيف اقتضت حكمته (أن)[5] صرف [أكثرهم][6]

---

(١) في ع ، ط (فيها) .

(٢) في ع ، ط (إلى).

(٣) في باقي النسخ (واحد) .

(٤) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يقول الله تعالى يا آدم . فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار. قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد...» الحديث أخرجه البخاري في كتاب (الأنبياء) باب (٧) ٤/ ١٠٩ . ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (٩٦) ح(٣٧٩)١/ ٢٠١) .

(٥) ساقطة من م .

(٦) زيادة من م ، ع .

(عنها)[1] ووفق لها الأقل من الناس؟ وأي خير يغلب في خلق الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغي؟ وأي خير في إيلام غير المكلفين كالأطفال والمجانين .

فإن قلتم: فائدته التعويض، انتقض عليكم إيلام البهائم، ثم وأي خير في خلق الدجال وتمكينه من الظهور والافتتان به؟ وإذ قد اقتضت الحكمة ذلك، فأي خير حصل في تمكينه من إظهار تلك الخوارق والعجائب؟ وأي خير في السحر وما يترتب عليه من المفاسد والمضار؟ وأي خير في إلباس الخلق شيعاً، وإذاقة بعضهم بأس بعض؟ وأي خير في خلق السموم وذوات[2] السموم والحيوانات العادية المؤذية بطبعها؟ وأي (خير في)[3] خراب هذه البنية بعد خلقها في أحسن تقويم، وردها إلى أرذل العمر بعد استقامتها وصلاحها؟ وكذلك خراب هذه الدار ومحو أثرها .

فإن كان وجود ذلك خيراً غالباً، فإبطاله إبطال للخير الغالب . دع هذا كله، فأي خير راجح أو مرجوح في النار، وهي دار الشر الأعظم والبلاء (الأكبر)؟.

ولا خلاص لكم عن هذه الأسئلة إلا بسد باب الحكمة[4] والتعليل، وإسناد الكون إلى محض المشيئة، أو القول بالإيجاب الذاتي، وأن الرب لا يفعل باختياره ومشيئته .

وهذه الأسئلة إنما ترد على من يقول بالفاعل المختار، فلهذا (ألجأ)[5]

---

(١) في ط (عنا) .

(٢) في ع، ط (وذات)

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) في باقي النسخ (الحكم).

(٥) في ع، ط، (لجأ) .

القائلون (به)[1] إلى إنكار التعليل جملةً، فاختاروا أحد المذهبين، وتحيزوا إلى (إحدى)[2] الفئتين، وإلا فكيف تجمعون بين القول بالحكمة والتعليل، وبين هذه الأمور؟

فالجواب بعد أن نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر: بل في تحقيق هذه الكلمات الجواب (الشافي)[3]: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ [فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ][4]﴾ [آل عمران/ ١٩١] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الدخان/ ٣٨-٣٩].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص :٢٧] . ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون ١١٥-١١٦] . ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق١٢].

﴿[جَعَلَ][5] اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة ٩٧] . ﴿ صُنْعَ[6] اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ﴾ [النمل/ ٨٨] .

---

(١) ساقطة من ع، ط .

(٢) في ع، (أحد).

(٣) ساقطة من م .

(٤) زيادة من ع، ط .

(٥) مكررة في الأصل .

(٦) في م (ذلك صنع) .

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السجدة/ ٧]. (فما في خلقه سبحانه من تفاوت)[١]. [﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾][٢] [الملك/ ٣] . بل هو في غاية التناسب، واقع على [أكمل][٣] الوجوه وأقربها إلى حصول الغايات المحمودة والحكم المطلوبة. فلم تكن تحصل تلك الحكم والغايات التي انفرد الله سبحانه بعلمها على التفصيل ، وأطلع من شاء من عباده على أيسر اليسير منها إلا بهذه الأسباب (والبدايات)[٤] . وقد سأله الملائكة المقربون عن جنس هذه الأسئلة وأصلها، فقال: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٠] فأقروا له بكمال العلم والحكمة، وأنه في جميع أفعاله على صراط مستقيم. وقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢] .

ولما ظهر (لهم)[٥] بعض حكمته فيما (سألوه عنه)[٦] (وأنهم)[٧] لم يكونوا يعلمون قال: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٣] .

فصل

ونحن نذكر [إن شاء الله تعالى][٨] أصولاً مهمة (يتبيَّن)[٩] بها جواب هذه

---

(١) ما بينهما ساقط من ع، ط .

(٢) زيادة من ع، ط .

(٣) في الأصل (اجمل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في (م) (والهدايات) .

(٥) ساقطة من (ع) .

(٦) في (م) سألوه).

(٧) مكررة في الأصل .

(٨) زيادة (ع) .

(٩) في باقي النسخ (نبين) .

الأسئلة. وقد اعترف كثير من المتكلمين ممن له نظر في (الفلسفة)[١][٢] والكلام أنه لا يمكن الجواب عنها إلا بالتزام (القول)[٣] بالموجب بالذات[٤]، أو القول بإبطال الحكمة، والتعليل، وأنه سبحانه لا يفعل شيئاً لشيء، ولا يأمر بشيء لحكمة ولا جعل شيئاً من الأشياء سبباً لغيره، وما ثم إلا مشيئة محضة وقدرة ترجح مثلاً على مثل بلا سبب (ولا علة)[٥]، وأنه لا يقال في فعله: لم، ولا كيف، ولا لأي سبب وحكمة، ولا هو (معلل)[٦] بالمصالح[٧] .

قال الرازي[٨] في مباحثه: « (فإن قيل)[٩]: فلم لم يخلق الخالق هذه الأشياء عرية عن كل الشرور؟

---

(١) في الأصل (الفلقسة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فليوس) أي محب (سوفيا) أي الحكمة، فمعناها: محب للحكمة. ومباحث الفلسفة تشمل الإلهيات، والطبيعيات، والمنطق، والفلك، والرياضيات. انظر: دائرة المعارف (٧/ ٤٠-٤٨١) .

(٣) ساقطة من م .

(٤) وهو قول أكثر الفلاسفة الذين نفوا الاختيار عن الله، وقالوا: إنه تعالى موجب بالذات. معنى (موجب بالذات) أي تصدر عنه الأفعال على سبيل الإيجاب، من دون قصد لا اختيار. وهؤلاء ينكرون أن يفعل لحكمة أو غرض؛ لأنهم ينكرون أن يكون مختاراً، والحكمة لا تكون إلا من فاعل بالاختيار .

(٥) في (م) (لا علمه) .

(٦) في الأصل (تعليل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٧) يقول بهذا القول كثير ممن يثبت القدر، وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم. وقد قال بهذا طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول الأشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة « القياس » كابن حزم وأمثاله .

(٨) سبقت ترجمته ص(٨٣٥) .

(٩) ساقطة من م .

فنقول: لأنه لو جعلها كذلك، لكان هذا هو القسم الأول، وذلك مما (فرغ)[١] عنه [٢]. يعني: كان [ذلك][٣] هو القسم الذي يكون خيره غالباً على شره. وقد بينا أن (الأولى)[٤] بهذا القسم أن يكون موجوداً. قال: وهذا الجواب لا يعجبني، لأن لقائل أن يقول: إن جميع هذه الخيرات والشرور إنما توجد باختيار الله تعالى وإرادته، فالاحتراق الحاصل عقيب النار ليس موجباً عن النار، بل الله تعالى اختار خلقه عقيب مماسة النار. وإذا كان حصول الاحتراق عقيب مماسة النار باختيار الله وإرادته، فكان يمكنه أن يختار الاحتراق عندما يكون خيراً، ولا يختار خلقه عندما يكون شراً . ولا خلاص من هذه المطالبة إلا ببيان كونه سبحانه فاعلاً بالذات، لا بالقصد والاختيار. ويرجع حاصل الكلام في هذه المسألة إلى مسألة (القدم)[٥] والحدوث)[٦] .

فانظر كيف اعترف بأنه لا خلاص عن هذه الأسئلة إلا بتكذيب جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وإبطال جميع الكتب المنزلة من عند الله، ومخالفة صريح العقل في (أن)[٧] خالق العالم سبحانه مريد مختار، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (لعدم)[٨] مشيئته، وأنه ليس في الكون شيء حاصل بدون

---

(١) في ع، ط، (خرج) .

(٢) المباحث المشرقية (٢/ ٥٥٠) .

(٣) زيادة من باقي النسخ .

(٤) في م: (الأول) .

(٥) في ع: (القدوم) .

(٦) المباحث المشرقية (٢/ ٥٥٠-٥٥١) .

(٧) ساقطة من (م) .

(٨) في م: (لعدم الفعل).

مشيئته البتة. فأقرَّ على نفسه أنه لا خلاص له (عن)[1] تلك الأسئلة إلا بالتزام طريقة أعداء الرسل والملل، القائلين بأن الله لم يخلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولا أوجد العالم بعد عدمه، ولا يفنيه بعد إيجاده، وصدور ما صدر عنه بغير اختياره ومشيئته، فلم يكون مختاراً مريداً للعالم[2] .

وليس عنده إلا هذا القول، أو قول الجبرية[3] منكري الأسباب والحكم والتعليل، أو قول المعتزلة[4] الذين أثبتوا حكمة لا ترجع إلى الفاعل، وأوجبوا رعاية مصالح شبهوا فيها الخالق بالمخلوق، وجعلوا له بعقولهم شريعة أوجبوا عليه فيها، وحرموا وحجروا عليه[5]، فالأقوال الثلاثة تتردد في صدره، وتتقاذف به أمواجها تقاذُفَ السفينة إذا لعبت بها الرياح الشديدة. والعاقل لا يرضى لنفسه بواحد من هذه الأقوال لمنافاتها للعقل والنقل والفطرة .

والقول الحق في هذه الأقوال كيوم الجمعة في الأيام، أضلَّ الله عنه أهل الكتابين قبل هذه الأمة، وهداهم إليه كما قال النبي ﷺ في الجمعة: « أضل الله عنها من كان قبلنا، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى »[6] .

ونحن هكذا نقول بحمد الله ومَـنِّه، القول الوسط والصواب لنا، وإنكار

---

(١) في (ت) (في) .

(٢) هذا قول الفلاسفة .

(٣) سبق تعريفهم .

(٤) سبق تعريفهم .

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين ص (٢٤٦-٢٤٧) ، دار السعادة (٢/ ٤٥٦) .

(٦) شطر من حديث رواه البخاري بنحوه في (كتاب الجمعة) باب (١)(١/ ٢١١) ، ومسلم بنحوه في كتاب الجمعة باب (٦) ح(٨٥٥)(١/ ٥٨٥) من حديث أبي هريرة .

الفاعل بالمشيئة والاختيار لأعداء الرسل، وإنكار الحكمة والمصلحة والتعليل والأسباب للجهمية[١] والجبرية[٢]، وإنكار عموم القدرة والمشيئة (والحكمة)[٣] العائدة إلى الرب تعالى من محبته وكراهته، وموجب حمده، ومقتضى أسمائه وصفاته ومعانيها وآثارها للقدرية المجوسية[٤]، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من هذه الأقوال وقائلها، إلا من حق يتضمنه مقالة كل فرقة منهم، فنحن به قائلون، وإليه منقادون، وله (مذعنون)[٥] .

فصل

الأصل الأول: إثبات علمه سبحانه، وإحاطته بكل معلوم، وأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات (ولا في)[٦] الأرض، بل قد أحاط بكل شيء علماً؛ وأحصى كل شيء عدداً . والخلاف في هذا

---

(١) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، وهي فرقة معطلة، تنكر أسماء الله وصفاته. وتزعم أن الإنسان مجبور على أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وغير ذلك من الضلالات . انظر: الملل والنحل ، بهامش الفصل -١ (١٠٩-١١٢) .

(٢) سبق تعريفها .

(٣) ساقطة من ع، ط .

(٤) القدرية المجوسية: هم الذين يجعلون لله شركاء في خلقه فيقولون: خالق الخير غير خالق الشر. ويقولون إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا: لا يعلمها أيضاً . ويقولون: إن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته ولا صفة فيجحدون مشيئته النافذة وقدرتــه الشاملــة . انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٥٨) ، الصفدية (٢/ ١٠٦-١٠٩) .

(٥) في ع، ط: (ذاهبون) .

(٦) ساقطة من ع، ط .

الأصل مع فرقتين :

إحداهما أعداء الرسل كلهم: وهم الفلاسفة الذين ينفون علمه بالجزئيات .

وحاصل قولهم: إنه لا يعلم موجوداً البتة، فإن كل موجود جزئي معين، فإذا لم يعلم الجزئيات لم يكن عالماً بشيء من العالم العلوي والسفلي[١] .

والفرقة الثانية: غلاة القدرية[٢]: الذين اتفق السلف على كفرهم، وحكموا بقتلهم، الذين يقولون: (لا يعلم أعمال العباد حتى (يعملوها)[٣]، ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها، ولا قدرها، فضلاً عن أن يكون (قد)[٤] (شاءها)[٥] وكونها .

---

(١) هم الفلاسفة ، انظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٩٧) والصفدية (١/ ٧) .

(٢) غلاة القدرية فريقان:

فريق: أقروا بالأمر والنهي ، والثواب والعقاب، وأنكروا أن يتقدم بذلك قضاء وقدر وكتاب. وهؤلاء نبغوا في أواخر عصر الصحابة . فلما سمع الصحابة بدعهم تبرؤوا منهم كما تبرأ منهم، ورد عليهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله، وواثلة بن الأسقع رضي الله عنهم، وغيرهم. وقد نص الأئمة ـ كمالك والشافعي وأحمد ـ على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم .

والفريق الثاني: من يقر بتقدم علم الله وكتابه لكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قضي له بالسعادة دخل الجنة، بلا عمل أصلاً، ومن قضي عليه بالشقاوة شقي بلا عمل . فهؤلاء ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات وإنما يقوله كثير من جهال الناس، وهؤلاء أكفر من أولئك وأضل سبيلاً. ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بكثير . انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٨٨) .

(٣) في الأصل (لا نعلم أعمال عباده حتى يعلموها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من ع ، ط .

(٥) في الأصل (نشاءها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

وقول هؤلاء معلوم البطلان بالضرورة من (أديان)[١] جميع المرسلين، وكتب الله المنزلة[٢]. وكلام الرسول ﷺ مملوء بتكذيبهم وإبطال قولهم، وإثبات عموم علمه الذي لا يشاركه فيه خلقه، ولا يحيطون بشيء منه إلا بما شاء أن يطلعهم عليه ويعلمهم به.

وما أخفاه عنهم ولم يطلعهم عليه لا نسبة لما عرفوه إليه إلا دون نسبة قطرة واحدة إلى البحار كلها . كما قال الخضر لموسى ـ عليهما السلام ـ وهما أعلم أهل الأرض [حينئذ][٣]: « ما نقص علمي وعلمك من علم الله [إلا][٤] (كما نقص)[٥] هذا العصفور من هذا[٦] البحر »[٧] .

ويكفي أن ما يتكلم به (من علمه)[٨] لو قدر أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مداداً، وأشجار الأرض كلها من أول الدهر إلى آخره أقلام يكتب به ما يتكلم به مما يعلمه، لنفدت البحار وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلماته[٩] .

---

(١) في الأصل (أرباب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٥٨-٢٨٨) .

(٣) في الأصل، م ، ع (إذا) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٤) زيادة من باقي النسخ .

(٥) في الأصل (كما لا نقص) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) ساقطة من ع، ط .

(٧) جزء من حديث أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء) باب (٢٧) (٤/ ١٢٦-١٢٩) وكتاب (تفسير القرآن) تفسير سورة الكهف (١٨) باب (٢) ٥/ ٢٣٠-٢٣١) . ومسلم في كتاب (الفضائل) باب (٤٦) ح(٢٣٨٠) ٢/ ١٨٤٧-١٨٥٣) (من حديث ابن عباس) .

(٨) في م (علم الله) .

(٩) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان/ ٢٧] .

فنسبة علوم الخلائق إلى عمله سبحانه كنسبة قدرتهم إلى قدرته، وغناهم إلى غناه، وحكمتهم إلى حكمته. وإذا كان أعلم (خلقه)[١] على الإطلاق يقول: « لا أحصي ثناءً عليك، أنت كم أثنيت على نفسك »[٢].

ويقول في دعاء الاستخارة: « فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب »[٣].

ويقول سبحانه للملائكة: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٠]، ويقول سبحانه لأعلم الأمم وهم أمة محمد ﷺ: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة/ ٢١٦] ، ويقول لأهل الكتاب: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء/ ٨٥] وتقول رسله يوم القيامة حين يسألهم ماذا أجبتم: ﴿قَالُواْ[٤] لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة/ ١٠٩] .

---

(١) في ع، ط (الخلق به) .

(٢) ورد في حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: « اللهم أعوذ برضاك من سخطك . وبمعافاتك من عقوبتك. وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . أخرجه مسلم (سبق تخريجه ص١٣١).

وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره ... نحو حديث عائشة . أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (١١٣) ح(٣٥٦٦) ٥/ ٥٦١. وقال (هذا حديث حسن غريب من حديث علي لا نعرفه إلا من هذا الوجه). وابن ماجة في كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) باب (١١٧) ح (١١٧٩)١/ ٣٧٣).

(٣) من حديث الاستخارة رواه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (٤٨) ٧/ ١٦٢) وفي كتاب (التهجد) باب (٢٥)٢/ ٥١ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٤) ساقطة من (م) .

وهذا هو الأدب المطابق للحق في نفس الأمر، فإن علومهم وعلوم الخلائق تضمحل وتتلاشى في علمه سبحانه، كما يضمحل ضوء السراج الضعيف في عين الشمس، فمن أظلم الظلم وأبين الجهل وأقبح القبيح وأعظم القِحَةِ (والجرأة)[١] أن يعترض من لا نسبة لعلمه إلى علوم الناس، التي لا نسبة لها [إلى][٢] علوم الرسل، التي لا نسبة لها إلى علم رب العالمين عليه، ويقدح في حكمته، ويظن أن الصواب والأولى أن يكون غير ما جرى به قلمه وسبق به علمه، وأن يكون الأمر بخلاف ذلك. فسبحان الله رب العالمين، تنزيهاً لربوبيته وإلهيته وعظمته جلاله عما لا يليق به من كل ما نسبه إليه الجاهلون الظالمون .

فسبحان الله كلمة يحاشى الله بها عن كل ما يخالف كماله من سوء ونقص وعيب، فهو المنزه (التنزيه)[٣] التام من كلٍّ وجه، وبكل اعتبار عن كل نقص متوهم[٤]. وإثبات عموم حمده وكماله وتمامه ينفي ذلك، واتصافه بصفات الإلهية التي لا تكون لغيره، وكونه أكبر من كل شيء في ذواته وأوصافه وأفعاله تنفي ذلك، فمن رسخت معرفته في معنى سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر، وسافر قلبه في منازلها، وتلقى معانيها من مشكاة النبوة، لا من مشكاة (الفلسفة)[٥] والكلام الباطل وآراء المتكلمين .

فهذا أصل يجب التمسك به (في)[٦] هذا المقام. وأن (يعرف)[٧] أن عقول

---

(١) في (ط) (الجراءة) .
(٢) زيادة من باقي النسخ .
(٣) في الأصل (التنزيه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .
(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٤) .
(٥) سبق تعريفها ص (١٠٠٣) .
(٦) في م (من) .
(٧) في ع ، ط (يعلم) .

العالمين ومعارفهم وعلومهم وحكمهم تقصر عن الإحاطة بتفاصيل حكمة الرب تعالى في أصغر مخلوقاته .

الأصل الثاني: أنه سبحانه (حي)[١] حقيقة، وحياته أكمل الحياة وأتمها، وهي حياة تستلزم الفعل الاختياري، فإن كل حي فعال، وصدور الفعل عن الحي بحسب كمال حياته ونقصها، وكل من كانت حياته أكمل من غيره (كان)[٢] فعله أقوى وأكمل، وكذلك قدرته. (ولهذا)[٣] كان الرب تعالى على كل شيء قدير، وهو (فعال)[٤] لما يريد .

وقد ذكر (البخاري)[٥] في كتاب خلق الأفعال عن (نعيم بن حماد)[٦] أنه

---

(١) قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

(٢) في الأصل (فإن) والأولى ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في ع، ط (ولذلك) .

(٤) في ع ، (وهو الفعال).

(٥) هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبوعبدالله الجعفي البخاري ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ وغيرهما من التصانيف، روى عن عبيدالله بن موسى، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومكي بن إبراهيم، وخلق كثير غيرهم. روى عنه الترمذي، ومسلم ، والنسائي ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم، وغيرهم خلق كثير. ولد سنة (١٩٤هـ) وتوفي (٢٥٦هـ) خدم سنة المصطفى ﷺ فرحمه الله رحمة واسعة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٤)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٧١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١) .

(٦) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي أبوعبدالله. أول من جمع (المسند) في الحديث، أحد الأئمة الأعلام. خرج له البخاري مقروناً بغيره، وروى عنه يحيى بن معين والدارمي، وأبو زرعة، وحمزة الكاتب وخلق. رد على الجهمية، مات سنة (٢٢٨هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٦)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٦٧)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٨) .

قال: « الحي: هو الفعال، وكل حي فعال»[١] فلا فرق بين الحي والميت إلا بالفعل والشعور .

وإذا كانت الحياة مستلزمة للفعل، وهو **الأصل الثالث**، فالفعل الذي لا يعقل الناس سواه هو الفعل الاختياري الإرادي الحاصل بقدرة (الفاعل)[٢] وإرادته ومشيئته . وما يصدر عن الذات من (غير قدرة)[٣] منها ولا إرادة لا يسميه أحد من العقلاء فعلاً، وإن كان أثراً من آثارها ومتولداً عنها، كتأثير النار في الإحراق، والماء في الإغراق، والشمس في الحرارة، فهذه آثار صادرة عن هذه الأجسام، وليست أفعالاً لها، وإن (كانت)[٤] بقوى وطبائع جعلها الله فيها .

فالفعل والعمل من الحي العالم لا يقع إلا بمشيئته وقدرته، وكون الرب تعالى حياً فاعلاً مختار مريداً مما اتفقت عليه الرسل والكتب، ودل عليه العقل والفطرة، وشهدت به (الموجودات)[٥] ناطقها وصامتها، جمادها وحيوانها، (علويها وسفليها)[٦]. فمن أنكر فعل الرب الواقع بمشيئته واختياره [وفعله][٧] فقد جحد ربه وفاطره، وأنكر أن يكون للعالم رب .

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص (٧١) باختلاف يسير .

(٢) في الأصل (الفاعلين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في ع (عن سفير قدره) وفي (ط) (غير سفير قدره) .

(٤) في ع (كان) .

(٥) في الأصل (الموجدات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في الأصل ، م (علوها وسفلها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٧) زيادة من ع، ط .

الأصل الرابع: أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني الشرعي، (وأمره الكوني القدري)[1]، ومحل ملكه وتصرفه. فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء، فقد جعل الله تعالى مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، والثواب والعقاب، والحدود والكفارات، والأوامر والنواهي، والحل والحرمة، كل ذلك مرتبطاً بالأسباب قائماً بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها، متصرف فيها؛ فالأسباب محل الشرع، والقدر والقرآن مملوء من إثبات الأسباب؛ كقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان/ ١٥]. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[آل عمران/ ٣٩] . ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج/ ١٠] ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[الشورى/ ٣٠] . ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا (هَنِيئًا)[2] بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة/ ٢٤] . ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ/ ٢٦] . ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء ١٦٠/ ١٦١] . ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ إلى قوله: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ (عِيسَى)[3] ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء

(١) في (م) (الديني الكوني القدري) .

(٢) ساقطة من ع، ط .

(٣) لم ترد في م ، ع .

١٥٥-١٥٧]. وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .
وقوله :﴿ذَٰلِكَ (بِأَنَّهُمْ)(١) كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [غافر/ ٢٢] ، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة/ ٢٧٥] ، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد/ ٣] ، وقوله :﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة/ ١٠] ، وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون/ ٤٨] ، ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [المزمل/ ١٦] ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس/ ١٤]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف/ ٥٥-٥٦] ، وقوله: ﴿(وَنَزَّلْنَا)(٢) مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [ق/ ٩] ، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف/ ٥٧]، وقوله: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ (سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ)(٣)﴾[المائدة/ ١٦]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ (وَيُخْزِهِمْ)(٤) [التوبة/ ١٤]، وقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ [النبأ/ ١٤-١٦] .

---

(١) في الأصل ، م (بانه) .

(٢) في الأصل ، م، ع (وأنزلنا) .

(٣) لم ترد في (م) .

(٤) ساقطة من الأصل م .

وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف أفاد كونه سبباً له، كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة/ ٣٨] ، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور/ ٢] ، وقوله :﴿ وَٱلَّذِينَ (يُمَسِّكُونَ)[1] بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٠]، وقوله :﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل/ ٨٨] . وهذا أكثر من أن يستوعب .

وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببه الشرط والجزاء، وهو أكثر من أن يستوعب، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال/ ٢٩] ، وقوله: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧] .

وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف (الفاء)[2] أفاد التسبيب وقد تقدم، وكل (موضع رتب فيه الحكم على ما قبله)[3] وذكرت فيه الباءُ تعليلاً لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب، وكل موضع صرح فيه بأن كذا لكذا أفاد التسبيب، (وكل موضع ذكرت فيه حكمة الحكم وعلته الغائية فيها أفادت التسبب)[4]، فإن العلة الغائية علة للعلة الفاعلية[5] .

---

(١) في (م) (يمكسون) .

(٢) ساقطة من ع ، ط .

(٣) ما بينهما ساقط من باقي النسخ .

(٤) ما بينهما ساقط من ع ، ط .

(٥) انظر: أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ص (٦٦٧-٦٦٨) .

ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة، لزاد على عشرة آلاف موضع . ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة، ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر، ولهذا قال من قال من أهل العلم: تكلم قوم في إنكار الأسباب، فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم[١]، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد، فشابهوا المعطلة، الذين أنكروا صفات الرب، ونعوت كماله، وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لملائكته وعباده، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد، فما أفادهم إلا تكذيب الله ورسوله، وتنزيهه عن كل كمال، ووصفه بصفات (المعدوم)[٢] والمستحيل .

ونظير من نزه الله عن أفعاله، وأن يقوم به فعل البتة، وظن أنه ينصر بذلك حدوث العالم، وكونه مخلوقاً بعد أن لم يكن، وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة.

ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب، فإذا رأى العقلاء أنه لا يمكن إثبات توحيد الرب سبحانه إلا بإبطال الأسباب (ساءت)[٣] ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به .

وأنت لا تجد كتاباً من الكتب أعظم إثباتاً من القرآن، ويا لله ! العجب إذا كان الله خالق السبب والمسبب، وهو الذي جعل هذا سبباً لهذا، والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته، ومنقادة لحكمه، إن شاء الله أن يبطل سببية الشيء أبطلها، كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم[٤]، وإغراق الماء

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية باختلاف يسير (٨/ ١٣٧) .

(٢) في م (العدم) .

(٣) في الأصل (ساتظنون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) قال سبحانه: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .

على كليمه وقومه[١]، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا.

فأي قدح يوجب (ذلك)[٢] في التوحيد؟ وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه؟ ولكن ضعفاء العقول إذا سمعوا أن النار لا تحرق، والماء لا يغرق، والخبز لا يشبع، والسيف لا يقطع، ولا تأثير لشيء من ذلك البتة، ولا هو سبب لهذا الأثر، وليس فيه قوة، وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا، (قال)[٣]: هذا هو التوحيد وإفراد الرب بالخلق والتأثير. ولم يدر هذا القائل[٤] أن هذا إساءة ظن بالتوحيد، وتسليط لأعداء الرسل على ما جاؤوا به كما تراه عياناً في كتبهم، ينفرون به الناس عن الإيمان.

ولا ريب أن الصديق الجاهل قد يضر ما لا يضره العدو العاقل، (وقد)[٥] قال تعالى عن ذي القرنين: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف/ ٨٤] .

---

(١) قال سبحانه: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء ٦٣-٦٦]

(٢) في الأصل (دليل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في ع ، ط (قالت) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) من الذين يرون أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب .

(٥) ساقطة من ع، ط .

قال: علي بن أبي طلحة[١] عن ابن عباس: علماً[٢]، قال قتادة[٣] وابن زيد[٤] وابن جريج[٥] والضحاك[٦]، علماً يتسبب به إلى ما يريد[٧]، وكذلك قال (أبو)[٨] (إسحاق)[٩][١٠]: علماً يوصله إلى

---

(١) علي بن أبي طلحة، واسمه سالم بن المخارمة الهاشمي الوابلي، أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص. روى عن ابن عباس ولم يسمع منه، بينهما مجاهد وغيره، وثقه بعض العلماء، وضعفه آخرون. توفي سنة ١٤٣هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٤)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩)، التقريب (٢/ ٣٩)، كشف النون (١/ ٤٦٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٨- تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٦٤).

(٣) سبقت ترجمته ص (٣٢٦).

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم. ضعيف من الثامنة حدث عن أبيه وابن المنكدر وغيرهم، وروى عنه مالك بن مغول ويونس بن عبيد وزهير التميمي وغيرهم. كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة (١٨٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٦٤)، التهذيب (٦/ ١٧٧).

(٥) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي – مولاهم – الإمام العلامة الحافظ أصله رومي، ولد سنة (٨٠هـ) صاحب التصانيف حدث عن عطاء بن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر وطاوس وصفية بنت شيبة ومجاهد وغيرهم، وحدث عنه ثور بن يزيد والأوزاعي والليث وابن وهب ووكيع وغيرهم. توفي سنة (١٥٠هـ)، انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥-٣٣٦)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٥٩)، التهذيب (٦/ ٤٠٢-٤٠٦).

(٦) سبقت ترجمته ص (١٩٩).

(٧) ورد عن ابن عباس: انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨) – زاد المسير (٥/ ١٨٥).

(٨) ساقطة من ع، ط.

(٩) في جميع النسخ (اسحق).

(١٠) هو الزجّاج، سبقت ترجمته انظر ص (٣٣١).

حيث يريد[١]. وقال المبرد[٢]: وكل ما وصل شيئاً بشيء فهو سبب[٣].

وقال كثير من المفسرين: آتيناه من كل ما بالخلق إليه حاجة علماً ومعونة له[٤].

وقد سمى [الله][٥] سبحانه الطريق سبباً في قوله ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف/ ٨٥] قال مجاهد[٦]: طريقاً[٧].

وقيل: السبب الثاني: هو الأول أي أتبع سبباً من تلك الأسباب التي أوتيها[٨] مما يوصله إلى مقصوده. وسمَّى سبحانه أبواب السماء أسباباً؛ إذ

---

(١) الأقوال عند الطبري وقتادة والضحاك (علماً). وابن زيد (من كل شيء علماً) وابن جريج (علم كل شيء). انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٨)، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨)، زاد المسير (٥/ ١٨٥)، تفسير البغوي (٥/ ١٩٨).

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد، شيخ أهل النحو، وحافظ علم العربية، روى عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني وغيرهما من الأدباء، وكان عالماً فاضلاً موثوقاً به في الرواية، حدث عنه نفطويه النحوي، ومحمد ابن أبي الأزهر، وأبو بكر الصولي وغيرهم، له مصنفات منها (الكامل) و(المذكر والمؤنث) و(إعراب القرآن) وغيرها. ولد سنة (٢١٠هـ) وتوفي (٢٨٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠)، الأعلام (٧/ ١٤٤).

(٣) قال في المعجم الوسيط ص (٤١١) السبب: الحبل، وكل شيء يتوصل به.

(٤) انظر: تفسير البغوي (٥/ ١٩٨)، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٦٤).

(٥) زيادة من ع، ط.

(٦) سبقت ترجمته انظر ص (١٩٠).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٩).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨).

منها يدخل إلى السماء. قال تعالى عن فرعون: ﴿ لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [غافر/٣٦-٣٧] أي أبوابها التي أدخل منها إليها[١]، وقال زهير[٢]:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه (ولو رام)[٣] أسباب السماء بسلم[٤]

وسمى الحبل سبباً لإيصاله إلى المقصود[٥]، قال تعالى: ﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج/ ١٥].

قال بعض أهل اللغة[٦]: السبب من الحبال: القوي الطويل. قال: ولا يدعى الحبل سبباً حتى يصعد به وينزل.

ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها: سبب. يقال: ما بيني وبين فلان سبب، أي آصرة رحم، أو عاطفة مودة.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣١٤)، زاد المسير (٧/ ٢٢٣).

(٢) هو: زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني من مضر، من فحول شعراء الجاهلية ومن أصحاب المعلقات السبع، قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره. كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته شاعرة وابناه شاعرين وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد مزينة قرب المدينة .انظر الشعر والشعراء ص(٥١-٥٨) والأغاني (١٠/ ٢٨٨-٣١٦) والأعلام (٣/ ٥٢).

(٣) في الديوان (وأن يرقى).

(٤) انظر: ديوان زهير بن أبي سلمة ص(٣٠). ذكره القرطبي في تفسيره، ونسبه إلى زهير (٢/ ٢٠٦)، وانظر شرح القصائد التسع لأبي جعفر النحاس ص(٣٤٨) تحقيق أحمد خطاب.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩٢)، الصحاح مادة (سبب) (١/ ١٤٥).

(٦) هو: خالد بن جنبه انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٤) – تحقيق أحمد البردوني.

وقد سمى تعالى وصل الناس بينهم أسباباً، وهي التي (يتسببون)[١] بها إلى قضاء (حوائج)[٢] بعضهم من بعض. قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ (بِهِمُ)[٣] ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة/ ١٦٦]، يعني[٤] الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا[٥] .

[قال ابن عباس وأصحابه: يعني أسباب المودة والواصلات التي كانت بينهم في الدنيا][٦][٧] .

وقال ابن زيد[٨]: [(هي الأعمال التي)[٩] كانوا يؤملون أن يصلوا بها إلى ثواب الله][١٠] .وقيل: هي الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها[١١] .

وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك كله أسباباً؛ لأنها كانت يتوصل بها إلى مسبباتها. وهذا كله عند نفاة الأسباب مجاز لا حقيقة له. وبالله التوفيق .

* * *

(١) في الأصل (ينسبون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في ع، ط (حوائجهم) .

(٣) في (م) (به) .

(٤) في الأصل، م (كما يعني) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (٣/ ٢٨٩-٢٩٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٠٦) .

(٦) زيادة من باقي النسخ .

(٧) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩٠)-الدر المنثور (١/ ١٧١) .

(٨) سبقت ترجمته انظر ص (٣٨٩، ١٠١٨) .

(٩) مكررة في (م) .

(١٠) زيادة من باقي النسخ .

(١١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩١)، الدر المنثور (١/ ١٧١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٠٧) .






الباب الثاني والعشرون

في إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره وذكر الغايات المطلوبة له ..






الباب الثاني والعشرون[١]

(في إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره وذكر الغايات المطلوبة له بذلك والعواقب الحميدة التي يفعل لأجلها ويأمر (لأجلها)[٢] .

فنقول: قد دلت أدلة العقول الصحيحة والفطر (السليمة)[٣] على ما دلّ (عليه)[٤] القرآن والسنة)[٥] أنه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة (هي)[٦] الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل. وقد دل كلامه وكلام رسوله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها، فنذكر بعض أنواعها.

---

(١) بداية الباب الثاني والعشرين كما جاء في الاصل، م، وأما في ع، ط فليس فيهما إشارة إلى بداية الباب (الثاني والعشرين) بل أدخل فيهما الباب ضمن الباب الذي قبله (الحادي والعشرين) فصار كأنه فصل منه، وهذا ما أدى إلى الخطأ في ترتيب أبواب الكتابين ، أوهم بسقوط أحد الأبواب.

(٢) في م (وما هو لأجلها).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) ما بينهما ساقط من (ع، ط) وفي (ع، ط) (فصل – الأصل الخامس) وفي (م) لم يشر إلى أنه بداية باب ولا فصل. ولكنه وضح أن هذا الباب يتصل بالباب الثاني والعشرين. والصواب أن هذا الباب هو الثاني والعشرون، وليس بفصل كما اتضح ذلك في النسخة الأصلية، والله أعلم. وبهذا يتضح أنه لم يسقط أحد الأبواب من الكتاب.

(٦) في الأصل (في).

النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه؛ كقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر / ٥] . وقوله: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء / ١١٣] ، وقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

والحكمة هي العلم النافع، والعمل الصالح. وسمي حكمة؛ لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتهما، ولذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون (موصلاً)[1] إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة، فيكون مرشداً إلى العلم النافع والعمل الصالح، فتحصل الغاية المطلوبة.

فإذا كان المتكلم به لم يقصد مصلحة المخاطبين، ولا هداهم، ولا إيصالهم إلى سعادتهم ودلالتهم على أسبابها (وموانعها)[2] ولا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة، ولا تكلم لأجلها، ولا أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجلها، (ولا نصب)[3] الثواب والعقاب لأجلها، لم يكن (حكيماً)[4] ولا كلامه حكمة، فضلاً عن أن تكون بالغة.

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة / ٩٧] وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

---

(١) في الأصل (متوصلاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل، م (وتوابعها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (ولا يصب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل، م (حكماً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وقوله: ﴿[۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ]﴾(1) [المائدة / ٩٧] . وقوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ (لِئَلَّا)(2) يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء/ ١٦٥]. وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء/ ١٠٥] وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ (أَلَّا يَقْدِرُونَ)(3) عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ﴾ [الحديد / ٢٩]. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ﴾ [البقرة / ١٤٣] . وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجن/ ٢٧ -٢٨] . أي ليتمكنوا بهذا الحفظ والرصد من تبليغ رسالاته فيعلم الله ذلك واقعاً. وقولـه: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ (وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ)(4) وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال/ ١١] .

وقولـه: ﴿ (لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ)(5) وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ ﴾ [الأنفال/ ٨] . وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران/ ١٢٦] . وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النحل/ ١٠٢] . وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (ليلاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، ع، ط، (أن لا يقدرون) وفي (م) (يقدرون) والصواب ما أثبته.

(٤) ما بينهما ساقط من ع، م، ط.

(٥) ما بينهما ساقط من ع، ط.

لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾. [المدثر/ ٣١] . وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة/ ١٤٣] . وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل/ ٤٤]. وقوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] . وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا (رُسُلَنَا)[١] بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [الحديد/ ٢٥] . وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام/ ٧٥] . وقوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[٢]﴾ [النحل/ ٨].

وهذا في القرآن (كثير جداً)[٣] فإن قيل: اللام في هذا كله لام العاقبة[٤] كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص/ ٨] ، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ [الأنعام/ ٥٣] ، وقوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج / ٥٣] ، وقوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال/ ٤٢] . وقوله ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام/ ١١٣] .

---

(١) ساقطة من (ع).

(٢) ما بينهما ساقط من الأصل، م.

(٣) ما بينهما ساقط من ع، ط.

(٤) في ص ٥٨ وضع معنى لام العاقبة.

فإن ما بعد اللام في هذا (ليس)[١] هو الغاية المطلوبة، ولكن لما كان الفعل منتهياً إليه، وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل، وهي في الحقيقة لام العاقبة، فالجواب من وجهين:

أحدهما أن لام العاقبة إنما تكون في حق من (هو)[٢] جاهل (بالعاقبة)[٣] (أو)[٤] عاجز عم دفعها.

فالأول: كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص/٨] والثاني كقول الشاعر[٥]:

لِدُوا للموت وابنوا للخراب ... فكلكم يصير إلى (ذهاب)[٦][٧]

وأما من هو بكل شيء عليم، (وهو)[٨] على كل شيء قدير، فيستحيل في حقه دخول هذه اللام، وإنما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة.

الجواب الثاني: إفراد كل موضع من تلك المواضع بالجواب، أما قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص/٨] فهو تعليل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له، فإن التقاطهم له إنما كان

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من ع، ط.

(٤) في ع، ط (أو هو).

(٥) هو أبو العتاهية، إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان.

(٦) في الديوان (تباب).

(٧) انظر ديوان أبي العتاهية ص٤٦.

(٨) ساقطة من باقي النسخ.

بقضائه وقدره، فهو سبحانه قدر ذلك وقضى به، ليكون لهم عدواً وحزناً، وذكر فعلهم دون قضائه؛ لأنه أبلغ في كونه حزناً لهم وحسرة عليهم، فإن من اختار أخذ ما يكون هلاكه على يديه إذا أصيب به، كان أعظم لحزنه وغمه وحسرته من أن لا يكون (له)[١] فيه صنع ولا اختيار، فإنه سبحانه أراد أن يظهر لفرعون وقومه ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه وحكمته الباهرة، وأن هذا الذي يذبح فرعون الأبناء في طلبه هو الذي يتولى تربيته في حجره وبيته باختياره وإرادته، ويكون في قبضته وتحت تصرفه، فذكر فعلهم (به)[٢] في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر، وقد أعلمنا الله سبحانه أن أفعال عباده كلها واقعة بقضائه وقدره.

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام/ ٥٣] ، فلا ريب أن هذا تعليل لفعله المذكور، وهو امتحان بعض خلقه ببعض، كما امتحن السادات والأشراف بالعبيد والضعفاء والموالي، فإذا نظر الشريف والسيد إلى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمي أن يسلم معه أو بعده، ويقول: (أهذا)[٣] يسبقني إلى الخير والفلاح، وأتخلف أنا، فلو كان ذلك خيراً وسعادةً ما سبقنا هؤلاء إليه[٤]. فهذا القول منهم هو بعض الحكم والغاية المطلوبة بهذا الامتحان، فإن هذا القول

---

(١) ساقطة من ع، ط.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في ع، ط (هذا).

(٤) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف/ ١١] .

دال على إباء واستكبار، وترك الانقياد لحق بعد المعرفة التامة به. وهذا وإن كان علة فهو مطلوب لغيره.

والعلل (الغائيَّة)[١] تارةً تطلب لنفسها، وتارةً تطلب لغيرها، فتكون وسيلةً إلى مطلوب لنفسه. وقول هؤلاء ما قالوه، وما يترتب (على)[٢] هذا القول موجب لآثار مطلوبة للفاعل من إظهار عدله وحكمته (وعزه)[٣] وقهره وسلطانه (وعطائه)[٤] من يستحق عطاءه ويحسن[٥] وضعه عنده، ومنعه من يستحق المنع ولا يليق به غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام/ ٥٣] الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون المنعم عليهم (فيما من)[٦] عليهم، من بين من لا يعرفها ولا يشكر ربه عليها، فكانت فتنة بعضهم ببعض (سبباً)[٧] لحصول هذا التمييز الذي ترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء.

فصل

وأما قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج/ ٥٣]، فهي على بابها، وهي لام الحكمة والتعليل[٨] أخبر

(١) في الأصل (الغايية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في ع، ط (عليه).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في الأصل (وعن وضعه عنده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل، (بها فيمن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) ساقطة من ع، ط.

(٨) انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٥٣، رصف المباني في شرح حروف المعاني / للمالقي ص ٢٩٩-٣٠٠ تحقيق أحمد خراط.

الله سبحانه أنه جعل ما ألقاه الشيطان في أمنية الرسول محنة واختباراً لعباده، فافتتن به فريقان، وهم الذين في قلوبهم مرضاً والقاسية قلوبهم، وعلم المؤمنون أن القرآن والرسول حق، وأن إلقاء الشيطان باطل، فآمنوا بذلك، فأخبتت له قلوبهم. فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر.

فالله سبحانه جعل القلوب على (ثلاثة)[1] أقسام: مريضة وقاسية ومخبته. وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة، لا تلين للحق اعترافاً وإذعاناً، أو لا تكون كذلك.

فالأول: حال القلوب القاسية (الحجرية)[2] التي لا تقبل ما يبث فيها، ولا ينطبع فيها الحق، ولا ترتسم فيها العلوم النافعة، ولا تلين لإعطاء الأعمال الصالحة.

وأما **النوع الثاني**: فلا يخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه ولا يزول عنه، لقوته مع لينه، أو يكون (لينه)[3] مع ضعف وانحلال. والثاني هو القلب المريض. والأول هو الصحيح [المخبت، وهو الذي جمع الصلابة والصفاء واللين، فيبصر الحق بقضائه][4]، ويشتد فيه بصلابته، ويرحم الخلق بلينه. كما في أثر مروي: «القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها (إليه)[5] أصلبها وأرقها وأصفاها»[6].

---

(١) في الأصل، م (ثلثه).

(٢) في الأصل (المحجوبة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) ساقطة من ع، وفي (ط) (ثابتاً).

(٤) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٥) في ع، ط (إلى الله).

(٦) روى أبو نعيم بنحوه في الحلية ٦/ ٩٧ وقال: (غريب من حديث ثور، لم نكتبه إلا من حديث محمد بن القاسم). وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ٩/ ٣١٥ =

كما قال تعالى في أصحاب هذه القلوب: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح/ ٢٩]، فهذا وصف منه للمؤمنين الذين عرفوا الإيمان بصفاء قلوبهم، (واشتدوا على الكفار)[١] بصلابتها، وتراحموا فيما بينهم بلينها.

وذلك أن (القلب)[٢] عضو من أعضاء البدن، وهو أشرف أعضائه وملكها المطاع. وكل عضو كاليد مثلاً، إما أن تكون جامدةً يابسةً لا تلتوي ولا تبطش، أو تبطش (بعنف)[٣]، فذلك مثل القلب القاسي، أو تكون مريضةً ضعيفة عاجزة، لضعفها ومرضها، فذلك مثل الذي فيه مرض، أو تكون باطشةً بقوة ولين، فذلك مثل القلب العليم الرحيم، فبالعلم خرج عن المرض [الذي][٤] ينشأ من الشهوة (والشبهة)[٥]، وبالرحمة خرج عن القسوة،

= بقوله: وبلغنا عن بعض السلف ثم ذكره. وبنحوه ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١٦٩١) ٤/ ٢٦٣ بلفظ: (إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها). وقال: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ق/ ٤٠/ ١ - المنتقى منه). ثم قال: قلت: (وهذا إسناد قوي، رجاله كلهم ثقات أثبات غير بقية. وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء كما قال الحافظ. وهو هنا قد صرح بالتحديث كما ترى، فأمنا بذلك شر تدليسه، ولذلك قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٢/ ١٥٤: رواه الطبراني وإسناده جيد. وقال في مكان آخر ٣/ ١٣: (فيه بقية بن الوليد، ولكنه مدلس، ولكنه صرح بالتحديث). ولذلك قال الهيثمي فيما نقله المناوي وأقره: (إسناده جيد).

(١) في الأصل (وأسندوا أعضاء البدن على الكفار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في ع (القلوب).

(٣) في ع، ط (يضعف).

(٤) زيادة من ع، ط.

(٥) في الأصل (الشبه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ولهذا وصف سبحانه من عدا أصحاب القلوب المريضة والقاسية بالعلم والإيمان والإخبات.

فتأمل ظهور حكمته سبحانه في أصحاب هذه القلوب، وهم كل الأمة فأخبر أن الذين أوتوا العلم علموا أنه الحق من ربهم، كما أخبر أنهم (في المتشابه يقولون)[١]: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران/ ٧] وكلا (الموضعين)[٢] موضع شبهة. فكان حظهم منه الإيمان، وحظ أرباب (القلوب)[٣] المنحرفة عن (الصحة)[٤] الافتتان.

ولهذا جعل سبحانه إحكام آياته في مقابلة ما يلقي الشيطان بإزاء الآيات المحكمات في مقابلة المتشابهات. فالإحكام هاهنا بمنزلة إنزال المحكمات هناك، ونسخ ما يلقي الشيطان هاهنا في مقابلة رد المتشابه إلى المحكم هناك (والنسخ)[٥] هاهنا رفع ما ألقاه الشيطان، لا رفع ما شرعه الرب سبحانه.

وللنسخ معنى آخر، وهو النسخ من أفهام المخاطبين (ما فهموه)[٦] مما لم يرده، ولا دل عليه وإن أوهمه، كما أطلق الصحابة رضي الله عنهم النسخ على قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ (وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ)[٧]﴾ [البقرة/ ٢٨٤]، قالوا نسخها قوله: ﴿رَبَّنَا

---

(١) في (م) (يقولون في المتشابه).

(٢) في ع، ط (الوصفين).

(٣) في (م) (العلوم).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في الأصل (المنسخ) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (م) (ما نفوه).

(٧) ما بينهما ساقط من ع، ط.

لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة/ ٢٨٦] الآية.

فهذا نسخ من الفهم لا نسخ للحكم الثابت، فإن المحاسبة لا تستلزم العقاب في الآخرة، ولا في الدنيا أيضاً، ولهذا عمهم بالمحاسبة ثم (أخبر أنه بعدها)[1] يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ففهم المؤاخذة التي هي (المعاقبة)[2] من الآية تحميل (لها)[3] فوق وسعها، فرفع هذا المعنى من فهم من (فهمه)[4] بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة/ ٢٨٦]. إلى آخرها. فهذا رفع لفهم غير المراد من إلقاء الملك. وذاك رفع لما ألقاه غير الملك في أسماعهم أو في التمني.

وللنسخ معنى ثالث عند الصحابة والتابعين، وهو ترك الظاهر؛ إما بتخصيص عام (وإما)[5] بتقييد مطلق. وهذا كثير في كلامهم جداً.

وله معنى رابع وهو الذي يعرفه المتأخرون ، وعليه اصطلحوا، وهو رفع الحكم (بجملته)[6] بعد ثبـوته بدليـل رافع له.

فهذه أربعة معان للنسخ[7].

---

(١) في (ط)، (ع) (أخبر بعدها أنه).

(٢) في الأصل، (م) (العاقبة).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) في باقي النسخ (فرفع هذا المعنى من فهمه بقوله).

(٥) في ع، ط (أو).

(٦) في الأصل (بجملة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) انظر في معنى النسخ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٢٧٢، ١٤/ ١٠١، أعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٣٥ ، الموافقات للشاطبي ٣/ ١٠٨ – ١١٧.

والإحكام له ثلاثة معان:

أحدها: الإحكام (الذي)[١] في مقابلة المتشابه، كقوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران/ ٧] .

الثاني: الإحكام في مقابلة نسخ ما يلقي الشيطان؛ كقوله: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الحج/ ٥٢]. وهذا الإحكام يعم جميع آياته، وهو إثباتها وتقريرها وبيانها. ومنه قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود/ ١] .

الثالث: إحكام في مقابلة الآيات المنسوخة، كما يقوله السلف كثيراً: هذه الآية محكمة غير منسوخة[٢]. وذلك لأن الإحكام تارةً [يكون][٣] في التنزيل، فيكون في مقابلة ما يلقيه الشيطان في أمنية[٤] المبلغ أو في سمع المبلغ. فالحكم هنا هو المنزل من عند الله أحكمه الله، أي فصله من اشتباهه بغير المنزل، وفصل منه ما ليس منه بإبطاله.

وتارةً يكون في إبقاء المنزل واستمراره، فلا ينسخ (بعد)[٥] بعد ثبوته.

وتارة يكون في معنى المنزل وتأويله، وهو تمييز المعنى المقصود من غيره حتى لا يشتبه به.

والمقصود أن قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى

---

(١) في الأصل (التي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل ضمن مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٢٧٤

(٣) زيادة من باقي النسخ.

(٤) في ع، ط (أمنية ما يلقيه).

(٥) ساقطة من (م).

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [الحج/ ٥٣] . هي لام التعليل على بابها[(١)] .

وهذا الاختبار والامتحان مظهر لمختلف القلوب الثلاثة، فالقاسية والمريضة ظهر (خبؤها)[(٢)] من الشك والكفر، والمخبتة ظهر خبؤها من الإيمان والهدى، وزيادة بغض الكفر والشرك والنفرة عنه، وهذا من أعظم (حكم)[(٣)] هذا الإلقاء.

فصل

وأما اللام في قوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال/ ٤٢] . فلام التعليل على بابها؛ فإنها (مذكورة)[(٤)] في بيان حكمته في (جمع)[(٥)] أوليائه وأعدائه على غير ميعاد، ونصرة أوليائه مع قلتهم ورقتهم وضعف عددهم (وعدتهم)[(٦)] على أصحاب الشوكة والعدد والحد والحديد (الذي)[(٧)] لا يتوهم بشر أنهم ينصرون عليهم؛ فكانت (تلك)[(٨)] آية من أعظم آيات الرب سبحانه، صدق بها رسوله وكتابه ليهلك بعدها من اختار لنفسه الكفر والعناد عن بينة، فلا يكون له على الله حجةٌ، ويحيا من حيَّ بالإيمان بالله ورسوله عن بينة، فلا يبقى عنده شك ولا ريب، وهذا من

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ١٤٢.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في ع، ط (حكم).

(٤) في م (تذكرة).

(٥) في الأصل (جميع) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل، م (وعددهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في م، (الذين).

(٨) ساقطة من (م).

أعظم الحكم. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [يس/ ٦٩-٧٠] .

فصل

وأما اللام في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ (الآية) [الأنعام/ ١١٣] ، فهي على بابها للتعليل. فإنها إن كانت تعليلاً لفعل العدو، وهو (إيحاء)[١] بعضهم إلى بعض (فظاهر)[٢].

وعلى هذا، فيكون عطفاً على قوله: ﴿غُرُورًا﴾ [الأنعام/ ١١٢]، فإنه مفعول لأجله، أي ليغروهم بهذا الوحي، ولتصغى إليه أفئدة من يلقي إليه فيرضاه ويعمل بموجبه[٣]، فيكون سبحانه قد أخبر بمقصودهم من الإيحاء المذكور، وهو أربعة أمور: غرور من (يوحون)[٤] إليه، وإضعاف أفئدتهم إليهم، ومحبتهم لذلك، وانفعالهم (عنده)[٥] (بالاقتراف)[٦].

وإن كان ذلك تعليلاً لجعله سبحانه لكل نبي عدواً، فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكم المطلوبة (له)[٧] بهذا الجعل، وهي (غايات وحكم)[٨] مقصودة لغيرها؛ لأنها مفضية إلى أمور هي محبوبة مطلوبة للرب سبحانه،

---

(١) في الأصل (إعلاء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٢) مكررة في الأصل.
(٣) جاء بمعناه في تفسير الطبري ١٢/ ٧٥ - ٧٦.
(٤) في الأصل (يرجون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٥) في الأصل، م (عنه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٦) في ع، (بالاقتران).
(٧) ساقطة من ع، ط.
(٨) في ع، ط (غاية وحكمة).

وفواتها يستلزم فوات ما هو أحب إليه من حصولها. وعلى التقديرين فاللام لام التعليل والحكمة.

فصل

النوع الثالث: الإتيان بكي الصريحة في التعليل؛ كقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ (كَىْ لَا)[1] يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر/٧] .

فعلل سبحانه (قسمة)[2] الفيء[3] بين هذه الأصناف (كي لا)[4] يتداوله الأغنياء دون الفقراء، والأقوياء دون الضعفاء.

وقوله سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى (ٱللَّهِ)[5] (يَسِيرٌ)[6] ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا

---

(١) في الأصل، م (كيلا).

(٢) في ع، ط (تسمية).

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: « يقول تعالى مبيناً ما الفيء؟ وما وصفته؟ وما حكمه؟ فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال، ولا إيجاف خيل ولا ركاب؛ كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول ﷺ فأفاء الله على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما يشاء، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات؛ قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ ﴾ إلخ الآية » . انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٢٣

(٤) في الأصل، م، ع (كيلا).

(٥) لا توجد في (م).

(٦) لا توجد في (م).

تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣] .

فأخبر سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الأنفس، أو المصيبة، أو الأرض، أو المجموع، وهو الأحسن[١].

(ثم)[٢] أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه، وأنه (هين)[٣] (عليه)[٤] وحكمته البالغة، التي منها أن لا يحزن عباده على ما فاتهم (ولا يفرحوا بما آتاهم فإنهم)[٥] إذا علموا أن المصيبة فيه مقدرة[٦] (كائنة)[٧] (و) لابد، وقد كتبت قبل خلقهم، هان عليهم الفائت، فلم يأسوا عليهم ولم يفرحوا بالحاصل لعلمهم أن المصيبة مقدرة في كل ما على الأرض، فكيف يفرح بشيء قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه.

ولما كانت المصيبة تتضمن فوات محبوب، أو خوف فواته، أو حصول مكروه، (أو خوف حصوله)[٨]، نبه (بالأسى)[٩] على الفائت على مفارقة المحبوب بعد حصوله وعلى (فواته)[١٠] حيث لم يحصل، ونبه بعدم الفرح به إذا وجد على توطين النفس لمفارقته قبل وقوعها، وعلى الصبر على مرارتها

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٥٧.
(٢) مكروه في (م).
(٣) في باقي النسخ (يسير).
(٤) في (م) (ميز عليه حكمته).
(٥) ما بينهما ساقط من ع، ط.
(٦) في (م) (ط) (بقدره).
(٧) في (ط) (وكتابته).
(٨) في الأصل، م، ع (أو خوفه).
(٩) في ع (بالآتي).
(١٠) في ع، ط (فوته).

بعد الوقوع. وهذه هي أنواع المصائب، فإذا تيقن العبد أنها مكتوبة مقدرة، وأن ما أصابه منها لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هانت عليه، وخف حملها، وأنزلها منزلة الحر والبرد.

فصل

النوع الرابع : ذكر المفعول له، وهو علة للفعل المعلل به كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا[١] عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل/ ٨٩]. ونصيب ذلك على المفعول له أحسن من غيره[٢] كما صرح به قوله: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[٣]﴾ [النحل/ ٤٤]، وفي قوله[٤]: ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٠]، فإتمام النعمة هو الرحمة[٥]. قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا (مُنذِرُونَ)[٦] ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الشعراء/ ٢٠٨، ٢٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر/ ١٧] أي لأجل الذكر، كما قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان/ ٥٨][٧] وقوله:

---

(١) في جميع النسخ (وأنزلنا) والصواب ما أثبته.

(٢) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / للسمين الحلبي ٧/ ٢٧٩.

(٣) الآية لا توجد في (م).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) قال البغوي رحمه الله: « ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم، فتتم لكم الملة الحنيفية وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: «تمام النعمة الموت على الإسلام». وقال سعيد بن جبير: « لا يتم نعمة على المسلم إلا أن يدخله الله الجنة » انتهى. انظر تفسير البغوي ٢/ ١٦٦.

(٦) في الأصل (منذرون).

(٧) في (ع) (يذكرون).

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات/ ٥-٦] أي للإعذار والإنذار[١].

وقوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٤] فهذا كله مفعول لأجله[٢] وقوله: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس/ ٢٥] إلى قوله: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس/ ٣٢]. والمتاع واقع موقع التمتع، كما يقع السلام (موقع)[٣] التسليم، والعطاء (موقع)[٤] الإعطاء.

وأما قوله تعالى ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم/ ٢٤] فيحتمل أن يكون من ذلك، أي إخافة لكم وإطماعاً، وهو أحسن، ويحتمل أن يكون معمول فعل محذوف، أي فيرونهما خوفاً وطمعاً، (فيكونا)[٥] حالاً[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ[٧] يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [ق/ ٦] إلى قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق/ ٨] ، أي لأجل التبصرة (والذكرى)[٨][٩]. والفرق بينهما أن التبصرة توجب العلم والمعرفة والذكرى توجب الإنابة والانقياد، وبهما تتم الهداية.

---

(١) انظر البحر المحيط ٨/ ٣٩٦ – الدر المصون ١٠/ ٦٣٠ – ٦٣١.

(٢) انظر الدر المصون ٥/ ٣٢٦ – ٣٢٨.

(٣) في (م) (موضع).

(٤) في (م) و (ع) و (ط) (موضع).

(٥) في ع، ط (فيكونان).

(٦) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٦٣.

(٧) في جميع النسخ (أولم) والصواب ما أثبته.

(٨) في (ع) الذكر.

(٩) انظر: زاد المسير ٨/ ٧ ، تفسير البغوي ٧/ ٣٥٧.

فصل

النوع الخامس: الإتيان بأن (والفعل)[١] المستقبل بعدها تعليلاً لما قبله، كقوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ [الأنعام/ ١٥٦]، وقوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ [الزمر/ ٥٦]، وقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ [البقرة/ ٢٨٢] ونظائره، وفي ذلك طريقان:

أحدهما للكوفيين، والمعنى: لئلا تقولوا، ولئلا تقول نفس.

والثاني للبصريين: أن المفعول له محذوف، أي: كراهية أن تقولوا، (أو)[٢] حذار أن تقولوا [٣].

فإن قيل: فكيف يستقيم الطريقان في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ فإنك إن قدرت [لئلا تضل إحداهما لم يستقم (عطف: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ عليه، وإن قدرت)[٤] حذار أن تضل إحداهما)[٥] لم يستقم العطف أيضاً، وإن قدرت إرادة أن تضل لم يصح أيضاً.

قيل: هذا من الكلام الذي ظهور معناه مزيل للإشكال؛ فإن المقصود أذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت ونسيت فلما كان الضلال سبباً للإذكار جعل موضع العلة، كما تقول: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه بها، فإنما أعددتها للدعم لا للميل، وأعددت هذا الدواء أن أمرض

---

(١) مكروه في الأصل

(٢) في (ع) (أي).

(٣) انظر: البحر المحيط ٤/ ٦٩٥.

(٤) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من (م).

(فأتداوى به)[١]. ونحوه هذا قول سيبويه[٢] والبصريين (وقال)[٣] أهل الكوفه: تقديري (كي تذكر)[٤] إحداهما الأخرى إن ضلت، فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله، ففتحت أن.

قال الفراء[٥]: ومثله (قولك إنه)[٦]: «ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى»، معناه: ليعجبني أن يعطى السائل (إن اسأل). (لأنه)[٧] إنما يعجبه الإعطاء لا السؤال.

---

(١) في الأصل (فيما يداوي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، المعروف بسيبويه النحوي، مولى بني الحارث زميل مولى آل الربيع بن زياد. طلب الحديث والفقه مدة، ثم صحب الخليل بن أحمد، فبرع في النحو، وجرت بينه وبين الكسائي وأصحابه مناظرة، وقد ساد أهل عصره في النحو، وألف فيه كتابه الكبير، وسمي سيبويه؛ لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، كان فيه فرط ذكاء، عاش اثنتين وثلاثين سنة. وقيل نحو الأربعين. قيل: مات سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥١-٣٥٢ ، تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥-١٩٦، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٢.

(٣) في (ع) (وما قول).

(٤) في الأصل، م (في تذكر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) الفرّاء هو العلاّمة يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور أبو زكريا الفراء النحوي، مولى بني أسد. كوفي نزل بغداد، روى عن قيس بن الربيع، ومندل بن علي، وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم. روى عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري وغيرهما، وكان ثقة إماماً، أثنى عليه جمع من أهل العلم، وذكروا أنه كان إماماً في النحو. مات بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة. انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩-١٥٥. تهذيب ١١/ ٢١٢-٢١٣، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٨-١٢١.

(٦) ع، ط (قوله).

(٧) في (ع) (لكنه).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ (ذُرِّيَّتَهُمْ)[١] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن (تَقُولُوا۟)[٢] يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ (تَقُولُوٓا۟)[٣] إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣] فذكر سبحانه من حكم أخذ الميثاق عليهم أن لا يحتجوا يوم القيامة بغفلتهم عن الأمر ولا بتقليد الأسلاف[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الأنعام/ ٧٠] فالضمير في به للقرآن[٥]، وأن تبسل في محل نصب على أنه مفعول له. أي: حذار أن سلم نفس إلى الهلكة والعذاب، وترتهن بسوء عملها[٦].

فصل

النوع السادس: ذكر ما هو من صرائح التعليل، وهو «من أجل» كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة/ ٣٢]. وقد ظن طائفة أن قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ تعليل لقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة/ ٣١] أي: من

(١) في الأصل، م (ذرياتهم).

(٢) في الأصل (يقولوا).

(٣) في الأصل (يقولوا).

(٤) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٥١.

(٥) انظر تفسير الطبري ١١/ ٤٤٢.

(٦) انظر البحر المحيط ٤/ ٥٤٩.

أجل قتله لأخيه[١] وهذا ليس بشيء، لأنه يشوش صحة النظم، (وتقل)[٢] الفائدة بذكره، ويذهب شأن التعليل بذلك للكتابة المذكورة، وتعظيم شأن القتل (حين)[٣] جعل علةً لهذه الكتابة فتأمله.

فإن قلت: كيف يكون قتل أحد بني آدم للآخر علة (لحكمه)[٤] على أمة أخرى بذلك الحكم؟ وإذا كان علة، فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم؟

قلت: الرب تعالى يجعل أقضيته وأقداره عللاً وأسباباً لشرعه وأمره، فجعل حكمه الكوني القدري علة لحكمه الديني الأمري، وذلك أن القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد، فخَّم أمره، وعظم شأنه وجعل (إثمه)[٥] أعظم من إثم غيره، ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلها، ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه، فإذا كان قاتل الأنفس كلها يصلى النار، وقاتل النفس الواحدة يصلاها[٦] صح تشبيهه به، كما يأثم من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قناطير، وإن اختلف مقدار الإثم.

وكذلك من زنى مرة واحدة وآخر زنى مراراً كثيرة، كلاهما آثم وإن

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/ ٢٣٢، ٣٢٩ ، زاد المسير ٢/ ٣٤٠.

(٢) في الأصل (ويعمل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، (م) (حتى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في (ع) (للحكمة).

(٥) في الأصل، م (أنه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٠/ ٢٣٤

اختلف قدر الإثم، وهذا معنى قول مجاهد[١]: من قتل نفساً (واحدة)[٢] يصلى النار بقتلها كما يصلاها من قتل الناس جميعاً[٣].

وعلى هذا، فالتشبيه في أصل العذاب لا في وصفه. وإن شئت قلت: التشبيه في أصل العقوبة الدنيوية وقدرها، (فإنها)[٤] لا تختلف بقلة القتل وكثرته، كما لو شرب قطرة، فإن حده حد من شرب راوية، ومن زنى بامرأة (واحدة)[٥] حده)[٦] حد من زنى بألف. وهذا تأويل الحسن[٧] وابن زيد[٨]. قالا: يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً[٩]. (ذلك) أن يجعل (التشبيه)[١٠] في الأذى (والغم)[١١] الواصل إلى المؤمنين بقتل الواحد منهم، فقد جعلهم كلهم خصماءه، وأوصل إليهم من الأذى والغم ما يشبه القتل. وهذا تأويل ابن الأنباري[١٢]. وفي الآية

---

(١) سبقت ترجمته في ص ١٩٠.

(٢) في الأصل، م، ع (محرمه) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) انظر تفسير الطبري باختلاف يسير ١٠/ ٢٣٥، تفسير البغوي ٣/ ٤٦.

(٤) في ع، ط (فانه).

(٥) زيادة من ع، ط.

(٦) ساقطة من (م).

(٧) سبقت ترجمته ص(١٤٧).

(٨) سبقت ترجمته ص(١٠١٨).

(٩) انظر تفسير البغوي ٣/ ٤٧ - الدر المنثور ١٠/ ٢٣٧.

(١٠) في الأصل (الشبيه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(١١) في (م) (النعم).

(١٢) هو الإمام الحافظ اللغوي أبوبكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري المقرىء النحوي، ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين. كان من أعلم الناس النحو والأدب وأكثرهم حفظاً لـه، وكان صدوقاً فاضلاً من أهل السنة، صنف كتباً كثيرة منها: =

تأويلات أخر[١].

فصل

النوع السابع: التعليل بلعل. وهي في كلام الله سبحانه وتعالى للتعليل (مجردة)[٢] من معنى الترجي. فإنها إنما يقارنها معنى الترجي إذا كانت من المخلوق، وأما في حق من لا يصح عليه الترجي، فهي للتعليل المحض، كقوله: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ٢١] فقيل: هو تعليل لقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، وقيل: تعليل لقوله ﴿خَلَقَكُمْ﴾ والصواب أنه تعليل للأمرين، لشرعه وخلقه[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة/ ١٨٣]. وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف/ ٢]. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف/ ٥٧].

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ[٤] أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه/ ٤٤] . فلعل في هذا كله قد أخلصت للتعليل والرجاء الذي فيها متعلق بالمخاطبين.

= كتاب (الوقف والابتداء) وكتاب (المشكل) (وغريب الحديث النبوي)، سمع من إسماعيل بن إسحاق القاضي وأحمد بن الهيثم البزار وإبراهيم الحربي، روى عنه الدارقطني، وابن سويد، وأبو عبدالله بن بطة. مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٤-٢٧٩، تاريخ بغداد ٣/ ١٨١-١٨٦، طبقات الحنابلة ٢/ ٦٩-٧٣.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٤٧ ، زاد المسير ٢/ ٣٤٠-٣٤١.

(٢) في الأصل (مجودة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٦٤. زاد المسير ١/ ٤٨.

(٤) في م، ع، ط (يذكر).

فصل

النوع الثامن: ذكر الحكم الكوني أو الشرعي عقب الوصف المناسب له فتارة يذكر بأن، وتارة يقرن بالفاء، وتارة يذكر مجرداً:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ (رَبِّ)[1] لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء/ ٨٩، ٩٠].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾[الذاريات/ ١٥، ١٦].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف/ ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٠].

والثاني: كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾[2] [المائدة/ ٣٨].

[وقوله][3]: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور/ ٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور/ ٤].

---

(١) لا توجد في (ع).

(٢) ما بينهما من (ع)، (ط).

(٣) ساقطة من جميع النسخ، والصواب ما أثبته.

والثالث: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات/ ١٥]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ (وَلَا خَوْفٌ)[١] عَلَيْهِمْ [وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]﴾[٢] [البقرة/ ٢٧٧].

وهذا في التنزيل يزيد على عدة (آلاف)[٣] موضع. بل القرآن مملوء منه.

فإن قيل: هذا إنما يفيد كون تلك الأفعال أسباباً لما رتب عليها لا يقتضي إثبات التعليل في فعل الرب وأمره، فأين هذا من هذا؟ .

قيل: لما جعل الرب سبحانه (هذه)[٤] الأوصاف عللاً لهذه الأحكام وأسباباً لها دل ذلك على أنه حكم بها شرعاً وقدراً لأجل تلك الأوصاف، وأنه لم يحكم بها لغير علة ولا حكمة، ولهذا كان كل من نفى التعليل والحكم نفى الأسباب، ولم يجعل لحكم الرب الكوني والديني سبباً ولا حكمة هي (العلة)[٥] الغائية، (فهؤلاء)[٦] ينفون الأسباب والحكم.

ومن تأمل شرع الرب تعالى وقدره وجزاءه، جزم جزماً ضرورياً ببطلان قول النفاة، والله سبحانه قد رتب الأحكام على أسبابها وعللها، (وبين)[٧] ذلك خبراً وحساً وفطرة وعقلاً. ولو ذكرنا ذلك على التفصيل، لقام منه عدة أسفار.

---

(١) ساقطة من (م)، (ع)، (ط).

(٢) ما بينهما لم يرد فيجميع النسخ.

(٣) ساقطة من (م).

(٤) مكررة في الأصل.

(٥) في (م) (الحكمة).

(٦) في (ع) (وهم).

(٧) في الأصل (ورتب).

فصل

النوع التاسع: تعليله سبحانه (عدم)[١] الحكم القدري أو (الشرعي)[٢] بوجود المانع منه، كقوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف/ ٣٣].

وقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى/ ٢٧].

وقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء/ ٥٩] أي آيات الاقتراح، لا الآيات الدالة على صدق الرسل التي يقيمها هو سبحانه ابتداءً[٣].

وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ﴾ [فصلت/ ٤٤]. وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ[٤] مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ ﴾ [الأنعام/ ٨، ٩]. فأخبر سبحانه عن المانع الذي منع من إنزال الملك عياناً بحيث يشاهدونه. وأن حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك، فإنه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعقوبة ولم يُنظروا[٥].

---

(١) ساقطة من (ع).

(٢) في ط (والشرعي).

(٣) انظر زاد المسير ٥/ ٥١.

(٤) في (ع) (ولو جعلنا).

(٥) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٦٧، ٢٦٨.

وأيضاً فإنه جعل الرسول بشراً، ليمكنهم التلقي عنه والرجوع إليه، ولو جعله ملكاً فإما يدعه على هيئة الملائكة، أو يجعله على هيئة البشر، والأول يمنعهم من التلقي عنه، والثاني لا يحصل به مقصودهم إذا كانوا يقولون هو بشر لا ملك[(١)] وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۝﴾ [الإسراء/ ٩٤، ٩٥]. فأخبر عن المانع من إنزال الملائكة؛ وهو أنه لم يجعل الأرض مسكناً لهم، ولا يستقرون فيها مطمئنين، بل يكون نزولهم (لتنفيذ)[(٢)] أوامر الرب سبحانه ثم يعرجون إليه.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء/ ٥٩]. فأخبر سبحانه عن حكمته في الامتناع من إرسال رسله بآيات الاقتراح والتشهي، وهي أنها لا توجب الإيمان، فقد سألها الأولون، فلما أوتوها كذبوا بها، فأهلكوا، فليس لهم مصلحة في الإرسال بها، بل حكمته سبحانه تأبى ذلك كل الإباء[(٣)].

ثم نبه على ما أصاب ثمود من ذلك بأنهم اقترحوا الناقة، فلما أعطوا ما سألوه، ظلموا ولم يؤمنوا، فكان في إجابتهم إلى ما سألوا هلاكهم واستئصالهم، ثم قال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء/ ٥٩] أي لأجل التخويف، فهو منصوب نصب المفعول لأجله.

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٢٦٨، ٣٦٩.

(٢) في ع، ط (لينفذوا).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٨١، تفسير البغوي ٥/ ١٠٢.

قال قتادة[١]: (إن الله)[٢] يخوف (الناس)[٣] بما شاء من آياته؛ لعلهم يعتبرون أو يذكرون أو يرجعون[٤]. وهذا يعم آياته التي تكون مع الرسل، والتي تقع بعدهم في كل زمان، فإنه سبحانه لا يزال يحدث لعباده من الآيات ما يخوفهم بها ويذكرهم بها.

ومن ذلك قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا (نُزِّلَ)[٥] عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام/ ٣٧] أي: لا يعلمون حكمته تعالى، ومصلحة عباده في الامتناع من إنزال الآيات التي يقترحها الناس على الأنبياء، وليس المراد أن أكثر الناس لا يعلمون أن الله قادر، فإنه لم ينازع في قدرة الله (في الجملة)[٦] أحد من (المقرين)[٧] بوجوده سبحانه، ولكن حكمته في ذلك لا يعلمها أكثر الناس[٨].

فصل

النوع العاشر: إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره.

كقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) سبقت ترجمته ص(٣٢٦).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٧٥، تفسير البغوي ٥/ ١٠٢.

(٥) في الأصل، (م) (أنزل).

(٦) ما بينهما ساقط من ع، ط.

(٧) في الأصل (المفسرين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٣٤٣.

مَآءً[(١)] فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ[(٢)] ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [البقرة/ ٢٢] ، وقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾[النبأ/ ٦-١١] إلى قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾[النبأ/ ١٤-١٦]. وقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾[المرسلات/ ٢٥-٢٧]. وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا[(٣)] وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [النحل/ ٨٠-٨١] ، وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس/ ٢٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢، ٣٣] ، وقوله: ﴿ [ٱللَّهُ][(٤)] ٱلَّذِى سَخَّرَ [لَكُمُ][(٥)] ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ما بينهما ساقط من (ع)، (ط).

(٤) لم ترد في جميع النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من (م).

ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ (وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ)[١] وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. [الجاثية/ ١٢].

إلى أضعاف أضعاف ذلك في القرآن، مما يفيد من له أدنى تأمل القطع بأنه سبحانه فعل ذلك (للحكم)[٢] والمصالح التي ذكرها وغيرها مما لم يذكره. وقوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ (لَءَايَةً)[٣] لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ٦٨-٦٩].

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[المؤمنون/ ٢١]. وقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[٤] ﴾ [النحل/ ٦-٨].

فهل يستقيم ذلك ويصح (ممن)[٥] لا يفعل لحكمه، ولا لمصلحة، ولا لغاية هي مقصودة بالفعل؟ ومعلوم بالضرورة أن هذا الإثبات (وهذا)[٦]

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في (ع) (للحكمة).

(٣) في (ع)، (م)، (ط) (لآيات).

(٤) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٥) في (م)، (ط) (فيمن) وفي (ع) (لأنه).

(٦) ساقطة من (ع).

النفي متقابلان أعظم التقابل.

فصل

النوع الحادي عشر: إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة؛ كقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون/ ١١٥] ، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة/ ٣٦].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان/ ٣٨، ٣٩] ، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ[(١)] ﴾ [الحجر/ ٨٥].

والحق هو الحكم والغايات المحمودة التي لأجلها خلق ذلك (كله)[(٢)].

وهو أنواع كثيرة: منها: أن يعرف [الله][(٣)] تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته.

ومنها: أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر ويطاع.

ومنها: أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع.

ومنها: أن يدبر الأمر، ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع (التصرف)[(٤)].

ومنها: أن يثبت ويعاقب فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فيوجد أثر (فضله وعدله)[(٥)] موجوداً مشهوداً، فيحمد على ذلك ويشكر.

---

(١) ما بينهما من ع، ط.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) زيادة من (م)، (ط).

(٤) في (ع)، (ط) (التصرفات).

(٥) في ط (عدله وفضله).

ومنها أن يعلم خلقه أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

(ومنها: ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي، فيعلم عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع.

ومنها: أن يصدق الصادق فيكرمه، ويكذب الكاذب فيهينه)[١] .

ومنها: شهادة مخلوقاته كلها بأنه وحده ربها وفاطرها ومليكها، وأنه وحده إلهها ومعبودها.

ومنها: ظهور أثر كماله المقدس، فإن الخلق والصنع (لازم)[٢] كماله، فإنه حي (عليم)[٣] قدير، ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً.

ومنها: أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به (مجيئه)[٤] على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه، فتشهد حكمته الباهرة.

ومنها: أنه سبحانه يحب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح، فلابد من لوازم ذلك خلقاً وشرعاً.

ومنها: أنه يحب أن يثنى عليه ويمدح ويمجد ويسبح ويعظم.

ومنها: كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته وإلهيته.

إلى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق. فخلق مخلوقاته بسبب الحق ولأجل الحق ، وخلقها ملتبس بالحق ، وهو في نفسه حق، (فمصدره

---

(١) ما بينهما فيه تقديم وتأخير في ع، ط.

(٢) في (م) (الزم).

(٣) ساقطة من (ع)، (ط).

(٤) في م، ط (ومحبته).

حق)[١] وغايته حق، وهو متضمن للحق[٢]، وقد أثنى تعالى على عباده المؤمنين حيث نزهوه عن إيجاد الخلق لا لشيء ولا لغاية. فقال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران/ ١٩١]. وأخبر أن هذا ظن أعدائه (به)[٣] لا ظن أوليائه، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا (ٱلسَّمَآءَ)[٤] وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص/ ٢٧] وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول: إنه لم يخلق لحكمة مطلوبة له، ولا أمر لحكمة، ولا نهى لحكمة، وإنما (يصدر)[٥] الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة (ولا غاية)[٦] مقصودة.

وهل هذا إلا إنكار لحقيقة حمده ؟! بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات. (فهما مظهران)[٧] لحمده وحكمته، فإنكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره.

فإن الذي أثبته المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب، ويتعالى عن نسبته إليه، فإنهم أثبتوا خلقاً وأمراً، لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة، بل يجوز عندهم، (أو يقع)[٨] أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة، وينهى عما فيه

---

(١) ما بينهما ساقط من (ع).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٥/ ٧٧، الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٤٧، تفسير البغوي ٧/ ٢٣٥.

(٣) ساقطة من (ع)، (ط).

(٤) في (م)، (ع)، (ط) (السماوات).

(٥) في (م) (مصدر).

(٦) في (ط) (لغاية).

(٧) في (ع) (فيما يظهران).

(٨) في (ع) (أن يقع).

مصلحته، (والجميع)[١] بالنسبة إليه سواء. ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه، وينهى عن جميع ما أمر به، ولا فرق بين هذا وهذا إلا لمجرد الأمر والنهي. ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين، بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره، وينعم[٢] من لم يطعه طرفة عين، بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور، ولا سبيل إلى أن يعرف خلاف ذلك منه إلا (بخبر)][٣] الرسول، وإلا فهو جائز عليه[٤].

وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب تعالى، وتنزيهه عنه، كتنزيهه عن الظلم والجور، بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه.

والعجب العجاب أن كثيراً من أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، ويزعمون أن إثباتها تجسيم وتشبيه، ولا ينزهونه عن هذا الظلم والجور، ويزعمون أنه عدل وحق، وأن التوحيد عندهم لا يتم إلا به، كما لا يتم إلا بإنكار استوائه على عرشه، وعلوه فوق سماواته، وتكلمه وتكليمه، وصفات كماله، فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة إلا بهذا النفي [وذلك][٥] الإثبات[٦].

---

(١) في (ع) (والجمع).

(٢) في (ع، ط) (وينعم على).

(٣) في (ع) (غير).

(٤) هذا القول قال به: الجبرية من الجهمية والأشاعرة. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٥٦.

(٥) زيادة من باقي النسخ.

(٦) هذا قول أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة. انظر منهاج السنة النبوية ١/ ١٣٥.

فصل

النوع الثاني عشر: إنكاره سبحانه أن يسوي بين المختلفين أو يفرق بين المتماثلين، وأن حكمته وعدله يأبى ذلك.

أما الأول؛ فكقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم/ ٣٥-٣٦] . فأخبر أن هذا حكم باطل جائر، يستحيل نسبته إليه كما يستحيل نسبة الفقر والحاجة والظلم إليه، ومنكرو الحكمة والتعليل يجوزون نسبة ذلك إليه، بل يقولون بوقوعه.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص/ ٢٨]. وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ (أَن نَّجْعَلَهُمْ)[١] كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية/ ٢١]. فجعل سبحانه ذلك حكماً سيئاً يتعالى ويتقدس عن أن يجوز عليه، فضلاً [عن][٢] أن ينسب إليه. بل أبلغ من هذا أنه أنكر على من حسب [أنه][٣] يدخل الجنة بغير امتحان له وتكليف يتبين به صبره وشكره، وأن (حكمته)[٤] تأبى ذلك. كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران/ ١٤٢]. وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة/ ٢١٤] وقال: ﴿ أَمْ

---

(١) في (م) (أم نجعلهم).

(٢) زيادة من ع، ط.

(٣) في الأصل، (م)، (ط) (أن).

(٤) في الأصل (كلمته).

حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا (وَلَمَّا)[1] يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة/ ١٦]. فأنكر عليهم هذا الظن والحسبان لمخالفته لحكمته.

وأما الثاني: وهو أنه لا يفرق بين المتماثلين، فكقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء/ ٦٩] .

وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة/ ٧١].

وقوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة/ ٦٧].

وقوله: ﴿ (فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ)[2] ﴾ [آل عمران/ ١٩٥].

وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/ ٢٢].

وقوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر/ ٤٣]، وقوله: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد/ ١٠].

وقوله: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٧] .

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[3] [الفتح/ ٢٣] .

---

(١) في ع (ولم).

(٢) ما بينهما ساقط من ع.

(٣) في ع، ط كرر الآية ولم يتمها.

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾[١] [الأحزاب/ ٣٨].

فسنته سبحانه عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه بإكرام هؤلاء وإعزازهم ونصرهم، وإهانة أولئك وإذلالهم وكبتهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة/ ٥].

والقرآن مملوء من ذلك. يخبر أن حكم الشيء في حكمته وعدله حكم نظيره ومماثلة، (وضد)[٢] حكم مضاده ومخالفه. وكل نوع من هذه الأنواع لو استوعبناه لجاء كتاباً مفرداً.

فصل

النوع الثالث عشر: أمره سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه، وفي أوامره ونواهيه وزواجره. ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة، التي هل محل (الفكر)[٣] لما كان للتفكر فيه معنى، وإنما دعاهم إلى التفكر والتدبر ليطلعهم ذلك على (حكمته)[٤] البالغة، وما فيه من (المصالح والغايات)[٥] المحمودة التي توجب لمن عرفها إقراره بأنه تنزيل من حكيم حميد. فلول كان الحق ما يقوله النفاة، وأن مرجع ذلك[٦] مجرد القدرة والمشيئة التي يجوز عليها تأييد الكاذب بالمعجزة ونصره وإعلاؤه،

(١) ما بينهما ساقط من ع، ط.

(٢) في ع، م (وحد).

(٣) في ع (الكفر).

(٤) الأصل (حكمهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في ع، ط (من الغايات والمصالح).

(٦) في ع، ط (مرجع ذلك وتصوره).

وإهانة الحق وإذلاله وكسره، لما كان في التدبر والتفكر (ما)[1] يدلهم على صدق رسله، ويقيم عليهم حجته، (وكان)[2] غاية (ما)[3] دعوا إليه القدر المحض، وذلك مشترك بين الصادق والكاذب والبر والفاجر.

فهؤلاء بإنكارهم الحكمة والتعليل سدوا على نفوسهم باب والإيمان والهدى، وفتحوا عليهم باب المكابرة وجحد الضروريات، فإن ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والأمر والغايات (الحميدة)[4] أمر تشهد به الفطر والعقول، ولا ينكره سليم الفطرة، وهم لا ينكرون ذلك، وإنما يقولون: وقع بطريق الاتفاق لا بالقصد، كما تسقط خشبة عظيمة، فيتفق عبور حيوان مؤذ تحتها فتهلكه[5].

ولا ريب أن هذا ينفي حمد الرب سبحانه على حصول هذه المصالح والمنافع والحكم؛ لأنها لم تحصل بقصده وإرادته، بل بطريق الاتفاق الذي لا يحمد عليه صاحبه، ولا يثنى عليه (به)[6]، بل هو عندهم بمثابة ما لو رمى رجل درهماً، لا لغرض ولا لفائدة، بل لمجرد قدرته ومشيئته على طرحه،

---

(١) في ع، ط (مما).

(٢) في م (وإن كان).

(٣) في الأصل (لما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في م (المحمودة).

(٥) يقول بهذا القول كثير ممن يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم. وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول الأشعري وأصحابه، وقول كثير من نفاة «القياس» كابن حزم وأمثاله. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٨٣.

(٦) ساقطة من ع، ط.

فاتفق أن وقع في يد محتاج انتفع به. فهذا (من)[١] شأن الحكم والمصالح عند المنكرين.

فصل

النوع الرابع عشر: (إخباره)[٢] عن صدور الخلق والأمر عن حكمته وعلمه، فيذكر هذين الاسمين عند (ذكر)[٣] مصدر خلقه وشرعه تنبيهاً على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام؛ كقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل/ ٦]، وقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر/ ١] فذكر العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم، وقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٨] وسمع بعض الأعراب قارئاً[٤] يقرأها: ﴿والله غفور رحيم﴾ فقال: ليس هذا كلام الله، فقال: أتكذب بالقرآن؟ فقال: لا ولكن لا يحسن هذا، فرجع القارىء إلى (حفظه)[٥] فقال: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: صدقت[٦].

وإذا تأملت ختم الآيات بالأسماء والصفات وجدت كلامه مختتماً[٧]

---

(١) ساقطة من ع.

(٢) في م (عن أخباره).

(٣) ساقطة من ع.

(٤) ذكر أنه الأصمعي. انظر: زاد المسير ٢/ ٣٥٤.

(٥) في (ط) (خطئه).

(٦) انظر: زاد المسير ٢/ ٣٥٤.

(٧) في الأصل: (م) (مختتمة) وفي (ع) (يختتمه) والصواب ما أثبته وهو من (ط).

بذكر الصفة التي (يقتضيها)[١] ذلك [المقام][٢]، حتى كأنها ذكرت دليلاً عليه وموجبة له، وهذا كقوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة/ ١١٨] أي: فإن مغفرتك لهم (تصدر)[٣] عن عزة هي كمال القدرة وحكمة هي كمال العلم، لا عن عجز وجهل.

وقوله: ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ في ثلاثة مواضع من القرآن[٤] يذكر ذلك عقب ذكره الأجرام العلوية، وما تضمنه من فلق الإصباح، وجعل الليل (سكناً)[٥] وإجراء الشمس والقمر (بحساب)[٦] لا يعدوانه، وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها بها، وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه، ليس أمراً اتفاقياً، لا يمدح به فاعله، ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية.

ومن هذا ختمه سبحانه قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء (بقوله)[٧]

---

(١) في الأصل (تقتضي).

(٢) زيادة من (ط).

(٣) في (م)، (ط) (مصدر).

(٤) في (ط) (عدة).

والمواضع الثلاثة هي:

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام/ ٩٦).

وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس/ ٣٨).

وقوله: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت/ ١٢).

(٥) في (ط) (مسكناً).

(٦) في الأصل (بحسبان).

(٧) ساقطة من (م)، (ط).

عقب كل قصة: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(١)]، فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة، فوضع الرحمة في محلها، وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسله وأتباعم برحمته. والحكمة الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود، (وهي)[(٢)] غاية الفعل، لا أنها أمر اتفاقي.

فصل

النوع الخامس عشر: إخباره بأن حكمه أحسن الأحكام، وتقديره أحسن التقادير، ولولا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة، لما كان كذلك ؛ إذ لو كان حسنه لكونه مقدوراً معلوماً كما يقوله (النفاة)[(٣)] لكان هو وضده سواء، فإنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، فكان كل معلوم مقدور أحسن الإحكام وأحسن التقادير، وهذا ممتنع[(٤)]. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة/ ٥٠] ، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء/ ١٢٥] ، فجعل هذا (هو أحسن الأديان، ولهذا اختاره لنفسه، وارتضاه لعباده، ويمتنع عليه)[(٥)] أن يختار لهم ديناً سواه، أو يرتضي ديناً غيره، كما يمتنع عليه (العيب)[(٦)] والظلم، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣]. وقال : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات / ٢٣] ، وقال:

---

(١) الشعراء / الآيات ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١.

(٢) في الأصل، (م)، (ع) (وهو) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (التقاة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) هنا نهاية المخطوطة العراقية. (ع).

(٥) ما بينهما ساقط من (ط).

(٦) في الأصل (الغيث) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون/ ١٤]، فلا أحسن من تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذي اقتضته (حكمته)[1] ورحمته وعلمه.

وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن (تَفَٰوُتٍ)[2] (فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ)[3]﴾ [الملك/ ٣] ولولا مجيئه على أكمل الوجوه وأحسنها، (ومطابقته)[4] (للغايات)[5] المحمودة والحكم المطلوبة، لكان كله متفاوتاً أو كان عدم تفاوته أمراً اتفاقياً لا يحمد فاعله؛ لأنه لم يرده ولم يقصده، وإنما اتفق أن (جاء)[6] كذلك.

فصل

(النوع السادس عشر)[7]: إخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه.

أحدهما: قوله حاكياً عن نبيه هود: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

والثاني: قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ[8] كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ

---

(١) في الأصل (كلمته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (التفاوة) والصواب ما أثبته.

(٣) ما بينهما ساقط من جميع النسخ.

(٤) في (ط) (مطابقتها).

(٥) في الأصل (للغايات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) (صار).

(٧) في م، ط (السابع عشر).

(٨) في الأصل (وهل) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(يَسْتَوِي)[١] هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل/ ٧٦].

قال أبو إسحاق[٢]: أخبر أنه وإن كانت قدرته تنالهم (بما شاء)[٣] فهو لا يشاء إلا بالعدل. قال ابن الأنباري[٤]: لما قال: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود/ ٥٦] كان في معنى لا تخرج عن قبضته[٥] فإنه[٦] قاهر بعظيم سلطانه كل دابة، فأتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود/ ٥٦] أي إنه على الحق[٧]. قال: وهذا نحو كلام العرب إذا وصفوا رجلاً (بحسن)[٨] السيرة والعدل والإنصاف، قالوا: فلان (على)[٩] طريقة حسنة، وليس ثم طريق.

وذكر في معنى الآية أقوال أخر هي من لوازم هذا المعنى وآثاره، كقول بعضهم: إن ربي يدل على صراط مستقيم[١٠] [فدلالته على الصراط من موجبات كونه في نفسه على صراط مستقيم)[١١]، فإن تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته وإحسانه وعدله وحكمته.

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) سبق ترجمته ص ٣٣١.

(٣) في (م) (ط) (بما شاء).

(٤) سبق ترجمته ص ١٠٤٧.

(٥) انظر زاد المسير ٤/ ١١٩.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) قاله مجاهد. انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٣٦٤، زاد المسير ٤/ ١١٨.

(٨) في ط (حسن).

(٩) ساقطة من م، ط.

(١٠) انظر زاد المسير ٤/ ١١٨.

(١١) زيادة من باقي النسخ.

وقال بعضهم: معناه: لا يخفى عليه (شيء)[١]، ولا يعدل عنه هارب. وقال بعضهم: المعنى: لا مسلك لأحد ولا طريق له إلا عليه، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر/ ١٤] وهذا المعنى حق، ولكن كونه هو المراد بالآية ليس بالبين، فإن الناس كلهم لا يسلكون الصراط المستقيم حتى يقال: إنهم يصلون سلوكه إليه. ولما أراد سبحانه هذا المعنى قال: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس/ ٧٠] ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية/ ٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر/ ١٤] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم/ ٤٢].

وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم، فهو كونه يقول الحق، ويفعل الصواب، فكلماته صدق وعدل، (وفعله)[٢] (كله)[٣] صواب وخير، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب/ ٤]، فلا يقول إلا ما يحمد عليه، (ولايفعل إلا ما يحمد عليه)[٤] لكونه حقاً وعدلاً وصدقاً وحكمةً في نفسه، وهذا معروف في كلام العرب، قال جرير[٥] يمدح عمر بن

(١) في الأصل، (م) (مشيئته) والصواب ما أثبته من ط.

(٢) ساقطة من (م)، (ط).

(٣) ساقطة من ط.

(٤) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

(٥) هو شاعر زمانه أبو حزرة جرير بن عطية الخطفي التميمي البصري، قدم دمشق مراراً، ومدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده، ووفد على عمر بن عبد العزيز، وكان الشعراء الذين يقارنونه في عصره الفرزدق والأخطل، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم. قال غير واحد: هو أشعر الثلاثة، وقد مات سنة عشرة ومائة. مات هو والفرزدق في سنة واحدة. انظر: البداية والنهاية ٩/ ٢٧١ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠، الأعلام ٢/ ١١٩.

عبدالعزيز[١].

أمــير المؤمــنين عــلى صــراط　　　إذا اعــوج المــوارد مســتقيم[٢]

وإذا عرف هذا، فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة يحمد عليها، وغاية هي أولى بالإرادة من غيرها، فلا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصلحة والإحسان والرحمة والعدل والصواب، كما لا تخرج أقواله عن العدل والصدق.

فصل

النوع السابع عشر: حمده سبحانه لنفسه على جميع ما يفعله، وأمر عباده (بحمده)[٣]. وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة التي يستحق (عليها)[٤] الحمد. فهو يحمد على نفس الفعل، وعلى قصد الغاية الحميدة به، وعلى حصولها، فها هنا ثلاثة أمور، ومنكرو الحكم والتعليل ليس عندهم

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. الإمام الحافظ، العلامة المجتهد، الخليفة الزاهد، ولد سنة ثلاث وستين، حدَّث عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة وغيرهم، وحدَّث عنه أبو بكر بن حزم، ورجاء بن حيوة، وابن المنكدر، والزهري، وابنه عبد العزيز بن عمر، وعقبة بن سعيد وغيرهم. ولي المدينة في خلافة الوليد وتولى الخلافة سنة تسع وتسعين، وتوفي سنة إحدى ومائة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر. انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠-٤٠٨ ، حلية الأولياء ٥/ ٢٥٣ - ٣٥٣ ، سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤-١٤٨.

(٢) الصواب أنه يمدح هشام بن عبدالملك. انظر ديوان جرير ص ٤١١.

(٣) زيادة من باقي النسخ.

(٤) في باقي النسخ (فاعلها).

محموداً على قصد الغاية، ولا على حصولها، إذ قصدها عندهم مستحيل عليه، وحصولها عندهم أمر اتفاقي غير مقصود، كما صرحوا به، فلا يحمد على ما (لا)[1] يجوز قصده، ولا على حصوله، فلم يبق إلا نفس الفعل.

ومعلوم أن الفاعل لا يحمد على فعله إن لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى من عدمها، وإلا فمجرد الفعل الصادر عن الفاعل إذا لم يكن له غاية يقصده بها (لا يحمد)[2] عليه، بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال، ولا يقع الفعل على هذا الوجه إلا من عائب، والله منزه من العيب، فحمده سبحانه من أعظم الأدلة على كمال حكمته وقصده بما فعل نفع خلقه، والإحسان إليهم، ورحمتهم، وإتمام نعمته عليهم، وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل لحقيقة حمده.

فصل

النوع الثامن عشر: إخباره بإنعامه على خلقه وإحسانه إليهم، وأنه خلق لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأعطاهم الأسماع والأبصار والأفئدة، ليتم نعمته عليهم.

ومعلوم أن المنعم المحسن لا يكون كذلك، ولا يستحق هذا الاسم حتى يقصد الأنعام على غيره والإحسان إليه، فلو لم يفعل سبحانه لغرض الأنعام والإحسان لم يكن منعماً في الحقيقة ولا محسناً، إذ يستحيل أن يكون كذلك من لم يقصد الأنعام والإحسان، وهذا غني عن التقرير، يوضحه أن سبحانه حيث ذكر إنعامه وإحسانه، فإنما يذكره مقروناً بالحكم والمصالح والمنافع التي

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (لا يحمده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

خلق الخلق وشرع الشرائع لأجلها؛ كقوله في آخر سورة (النحل)[1]: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل/ ٨١] فهذا في الخلق.

وقال في الشرع في أمره باستقبال الكعبة: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة / ١٥٠].

وقال في أمره بالضوء والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ (عَلَيْكُمْ)[2] لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة/ ٦] فجعل تمام نعمته في أن خلق ما خلق للإحسان، وأمر بما أمر لذلك.

فصل

النوع التاسع عشر: اتصافه بالرحمة، وأنه أرحم الراحمين، وأن رحمته وسعت كل شيء، وذلك لا يتحقق إلا بأن يقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم، وبما أمرهم به، فلو لم تكن أوامره لأجل الرحمة والحكمة والمصلحة وإرادة الإحسان إليهم لما (كانت)[3] رحمة (ولما كان رسوله رحمة للعالمين. فلو خلت أحكامه عن الحكم والمصالح لما كانت رحمة)[4]، ولو حصلت بها الرحمة، لكانت اتفاقية لا مقصودة، وذلك لا يوجب أن يكون الآمر سبحانه أرحم

(١) في الأصل، (م) (النعم) والصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل (ولعلكم) والصواب ما أثبته.
(٣) في (ط) كان.
(٤) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

الراحمين. (فتعطيل)[١] حكمته والغايات المقصودة التي لأجلها يفعل إنكار لرحمته في الحقيقة، وتعطيل لها.

وكان شيخ هذا المذهب (جهم بن صفوان)[٢] يقف على (الجذامى)[٣] ويشاهد ما هم فيه من البلايا، ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ يعني أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة، وإنما[٤] الأمر راجع إلى محض (المشيئة الخالية)[٥] عن الحكمة والرحمة، ولا حكمة عنده ولا رحمة، فإن الرحمة لا تعقل إلا من فعل من يفعل الشيء لرحمة ونفعه والإحسان إليه، فإذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل (لرحمة ولا لإحسان).

فصل

النوع العشرون: جوابه سبحانه لمن (سأله)[٦] عن التخصيص والتمييز الواقع في أفعاله بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه، وإن كان السائل لا يعلمها كما أجاب الملائكة لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً (قَالُوٓاْ)[٧] أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فأجابهم بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠] . ولو كان فعله مجرداً

---

(١) في الأصل (فتعطل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) سبق تعريفه ص٤٥٩.

(٣) في الأصل، (م) (الجذما) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) في ط (وإن).

(٥) في الأصل (السنة الحالية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (م)، (ط) (سأل).

(٧) في (م)، (ط) (فقالوا).

عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم (به)[١] إن سألوا هذا السؤال، ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم ما لا يعلمونه من (الحكمة)[٢] والمصلحة التي في خلق (هذا الخليفة، ولهذا كان سؤالهم إنما وقع عن وجه الحكمة، ولم يكن اعتراضاً على الرب تعالى، [ولو قدر أنه][٣] على وجه الاعتراض، فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، فلما رأوا أن خلق هذا الخليفة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ (رِسَالَتَهُۥ)[٤]﴾ [الأنعام/ ١٢٤]، فأجابهم بأن حكمته وعلمه يأبى أن يضع رسالاته في غير محلها وعند غير أهلها، ولو كان الأمر راجعاً إلى محض المشيئة لم يكن في هذا جواب، بل كان الجواب أن أفعاله لا تعلل، وهو يرجح مثلاً على مثل بغير مرجح، والأمر عائد إلى مجرد القدرة، كما يقوله المنكرون[٥].

وكذلك [قوله][٦]: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ (أَهَٰٓؤُلَآءِ)[٧] مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام/ ٥٣]، فلما

---

(١) في الأصل (من) والصواب ما أثبته من (م)، (ط).
(٢) في (م)، (ط) (الحكم).
(٣) في الأصل (ولو قدر وابه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٤) في جميع النسخ (رسالاته).
(٥) هذا قول الجبرية من الجهمية والأشاعرة. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٥٦.
(٦) زيادة من باقي النسخ.
(٧) في الأصل (أهؤلاء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

سألوا عن التخصيص (لمنته)[١] الله وأنكروا ذلك، أجيبوا بأن الله أعلم (بمن)[٢] يصلح (لمنتـه)[٣]، وهو أهل لها وهم الشاكرون الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون عليها المنعم. فهؤلاء يصلحون (لمنته)[٤]، ولو كان الأمر عائداً إلى محض المشيئة، لم يحسن هذا الجواب.

ولهذا يذكر سبحانه صفة العلم، حيث يذكر التخصيص والتفصيل (بينهما)[٥] على أنه إنما حصل بعلمه سبحانه بما في (التخصيص)[٦] المفصل مما يقتضي تخصيصه وتفصيله، وهو الذي جعله أهلاً لذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨١] . فذكر علمه عقب ذكر تخصيصه لسليمان بتسخير الريح له، وتخصيصه الأرض المذكورة بالبركة.

ومنه قوله: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ (وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ)[٧] وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٩٧] . فذكر صفة العلم التي اقتضت تخصيص هذا المكان وهذا الزمان بأمر اختصا به دون سائر الأمكنة والأزمنة.

---

(١) في الأصل (بمنة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (من أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (لمشيتته) والصواب ما أثبته.

(٤) في باقي النسخ (لمشيئته).

(٥) في الأصل (تبينهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل (المخصص) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) مكررة في (م).

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح/ ٢٦] . فأخبر أنه وضع هذه الكلمة عند أهلها ومن هم أحق بها، وأنه أعلم بمن يستحقها من غيرهم. فهل هذا وصف من يخص بمحض المشيئة (لا لسبب ولا لغاية)[١].

فصل

النوع الحادي والعشرون: إخباره سبحانه عن تركه بعض مقدوره (أن يفعله)[٢] لما يستلزمه من المفسدة، وأن المصلحة في تركه. ولو كان الأمر راجعاً إلى محض المشيئة، لم يمكن ذلك علة للحكم؛ كقوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٢، ٢٣]. فعلل سبحانه عدم إسماعهم السماع الذي ينتفعون به، وهو سماع الفهم بأنهم لا خير فيهم يحسن معه أن يسمعهم، وبأن فيهم مانعاً آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه، وهو (الكبر)[٣] والإعراض؛ فالأول من باب تعليل عدم الحكم بعدم (مقتضيه)[٤] والثاني من باب تعليله بوجود مانعه. وهذا إنما يصح ممن يأمر وينهي ويفعل للحكم والمصالح، وأما من تجرد فعله عن

---

(١) في ط (لا بسبب وغاية).

(٢) ما بينهما ساقط من ط.

(٣) الكِبْر: عرفه الرسول ﷺ بقوله: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» . أخرجه مسلم في كتاب (الإيمان) باب (تحريم الكبر وبيانه) (٣٩) ١/ ٩٣.

(٤) في (م) (يقتضيه) وفي (ط) (ما يقتضيه).

ذلك، فإنه لا يضاف عدم الحكم إلا إلى مجرد مسببه فقط، ومن هذا تنزيه نفسه سبحانه عن كثير مما يقدر عليه، فلا يفعله لمنافاته لحكمته وحمده، كقوله تعالى: ﴿ (مَا كَانَ)[١] ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران/ ١٧٩] . وقوله: ﴿ (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ)[٢] وَمَا كَانَ ٱللَّهُ (مُعَذِّبَهُمْ)[٣] وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال/ ٣٣] . وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ [التوبة/ ١١٥]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود/ ١١٧]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ (مُهْلِكَ)[٤] ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ (يَبْعَثَ)[٥] فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ﴾ [القصص/ ٥٩].

فنزَّه نفسه عن هذه الأفعال (لأنها)[٦] لا تليق بكماله، وتنافي (حمده، وحكمته)[٧]. وعند النفاة أنها ليست مما ينزه الرب عنه، لأنها مقدورة له، إنما ينزه عما لا يقدر عليه، ولكن علمنا أنها لا تقع لعدم (مشيئة)[٨] لها لا لقبحها في نفسها.

---

(١) في (م) (كما كان).

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) في (م)، (ط) (ليعذبهم).

(٤) في جميع النسخ (ليهلك).

(٥) ساقطة من (م).

(٦) ساقطة من (م).

(٧) في م، ط (حكمته وحمده).

(٨) في (م)، (ط) (مسببه).

فصل

النوع الثاني والعشرون: أن تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل إما أن يكون لعدم علم الفاعل بها أو بتفاصيلها، وهذا محال في حق من هو بكل شيء عليم، وإما لعجزه عن تحصيلها، وهذا ممتنع في حق من هو على كل شيء قدير، وإما لعدم إرادته ومشيئته الإحسان إلى غيره، وإيصال النفع إليه، وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين، وإحسانه من لوازم ذاته، فلا يكون إلا محسناً منعماً مناناً. وإما لمانع يمنع من إرادتها وقصدها، وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد/ وإما لاستلزامها نقصاً ومنافاتها كمالاً، وهذا باطل، بل هو قلب للحقائق وعكس (للفطر)[١] ومناقضة لقضايا العقول، فإن من يفعل لحكمة وغاية مطلوبة يحمد عليها أكمل ممن يفعل لا لشيء البتة، كما أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يقدر ويريد أكمل ممن (لا قدرة له ولا إرادة، ومن يسمع ويبصر ويرضي ويغضب ويحب ويبغض أكمل ممن)[٢] لا يتصف بذلك. وهذا (مركوز)[٣] في الفطر، مستقر في العقول. فنفي حكمته بمنزلة نفي هذه الأوصاف عنه، وذلك يستلزم وصفه بأضدادها، وهي أنقص النقائص.

---

(١) في الأصل (الفطر) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ما بينهما ساقط م (ط).

(٣) في الأصل (مذكور)، والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ولهذا صرح كثير من النفاة؛ كالجويني[١] والرازي[٢] بأنه لم يقم على نفي النقائص عن الله دليل عقلي، (وإنما)[٣] مستند النفي السمع والإجماع[٤] وحينئذ فيقال لهؤلاء: إن لم يكن في إثبات الحكمة نقص لم يجز نفيها، وإن كانت نقصاً، فأين في السمع أو في الإجماع نفي هذا النقص؟

وجمهور الأمة يثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في (أفعاله)[٥]، فليس مع النفاة سمع ولا عقل ولا إجماع، بل السمع والعقل والإجماع والفطرة (تشهد)[٦] ببطلان قولهم. والله الموفق للصواب.

وجماع ذلك أن كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته (وعلمه)[٧] ورحمته وقدرته وإحسانه وحمده ومجده وحقائق أسمائه (تمنع كون أفعاله صادرة)[٨] منه بلا حكمة ولا غاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد

---

(١) هو أبو المعالي عبدالملك ابن الشيخ عبدالله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري، إمام الحرمين وشيخ الشافعية، ومن كبار أئمة الأشاعرة. سمع الحديث وتفقه على والده وغيره، وله مصنفات؛ منها «نهاية المطلب»، «الإرشاد في أصول الدين»، «الرسالة النظامية» وغيرها ، توفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة. انظر: تبيين كذب المفتري ٢٧٨-٢٨٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٦-١٣٧، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨-٤٧٧.

(٢) سبق ترجمته ص٨٣٥ .

(٣) في م، ط (إلا).

(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ٢/ ٢٩٢ .

(٥) في الأصل (في أفعاله جملاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل (شهد) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٧) في (ط) (وعدله).

(٨) ما بينهما مكرر في الأصل.

ببطلانه. وإنما نبهنا على بعض طرق القرآن، وإلا فالأدلة التي تضمنها[١] إثبات ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وبالله التوفيق.

فصل

وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك، وهذا الوجود شاهد بحكمته وعنايته بخلقه أتم عناية، وما في مخلوقاته من الحكم والمصالح والمنافع والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة أعظم من أن يحيط به وصف، أو يحصره عقل. ويكفي الإنسان فكره في نفسه وخلقه وأعضائه ومنافعها وقواه وصفاته وهيئاته. فإنه لو استنفد عمره لم يحط علماً بجميع ما تضمنه خلقه من الحكم والمنافع على التفصيل. والعالم كله علويه وسفليه بهذه المثابة، ولكن لشدة ظهور الحكمة ووضوحها، وجد الجاحد السبيل إلى إنكارها، وهذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة، كما أنكرت وجود الصانع تعالى مع فرط ظهور آياته ودلائل ربوبيته، بحيث استوعبت كل موجود، ومع هذا فسمحت بالمكابرة في إنكاره.

وهكذا أدلة علوه سبحانه فوق مخلوقاته مع شدة ظهورها وكثرتها سمحت نفوس (الجهمية)[٢] (بإنكارها)[٣].

وهكذا شواهد (صدق)[٤] أنبيائه ورسله، ولاسيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه، فإن أدلة صدقه في الوضوح للعقول كالشمس في دلالتها على

---

(١) في الأصل (على إثبات).

(٢) سبق تعريفها ص١٠٠٦ .

(٣) ساقطة من م.

(٤) في باقي النسخ (سواها كصدق) .

النهار، ومع هذا فلم (يأنف)[١] الجاحدون والمكابرون من الإنكار.

وهكذا أدلة ثبوت صفات الكمال لمعطي الكمال هي من أظهر الأشياء وأوضحها، وقد أنكرها من أنكرها، ولا يستنكر هذا، فإنك تجد الرجل منغمساً في النعم وقد أحاطت به من كل جانب، وهو يشتكي حاله ويسخط (بما)[٢] هو فيه، وربما أنكر النعمة. فضلال النفوس وغيها لا حد له تنتهي إليه، ولا سيما النفوس الجاهلة الظالمة.

ومن أعجب العجب أن تسمح نفس بإنكار الحكم والعلل الغائبة والمصالح التي تضمنتها هذه الشريعة الكاملة، التي هي من أدل الدلائل على صدق من جاء بها، وأنه رسول الله حقاً، ولو لم يأت بمعجزة سواها لكانت كافية شافية، فإن ما تضمنته من الحكم والمصالح والغايات الحميدة والعواقب السديدة شاهدة بأن الذي شرعها وأنزلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وشهود ذلك في تضاعيفها ومضمونها كشهود الحكم والمصالح والمنافع في المخلوقات العلوية والسفلية، وما بينهما من الحيوان والنبات والعناصر والآثار، التي بها انتظام مصالح المعاش. فكيف يرضى أحد لنفسه إنكار ذلك وجحده.

[ومن][٣] تجمل واستحى من العقلاء قال: ذلك أمر اتفاقي غير مقصود (بالخلق والأمر)[٤] . وسبحان الله! كيف يستجيز أحد أن يظن برب العالمين وأحكم الحاكمين أنه يعذب كثيراً من خلقه بأشد العذاب الأبدي لغير غاية

---

(١) في الأصل (يأنفه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في جميع النسخ (وإن).

(٤) في ط (الأمر والخلق.

ولا حكمة ولا سبب؟ وإنما هو محض مشيئة مجردة عن الحكمة والسبب، فلا سبب هناك ولا حكمة ولا غاية، وهل هذا إلا من أسوأ الظن بالرب تعالى؟

وكيف يستجير أن يظن بربه أنه أمر ونهى، وأباح وحرم، وأحب وكره، وشرع الشرائع، وأمر بالحدود لا لحكمة (ولا لمصلحة)[١] بقصدها، بل ما ثَـمَّ إلا مشيئة محضة رجحت مثلاً على مثل بغير مرجح، وأي رحمة تكون في هذه الشريعة؟

[وكيف يكون المبعوث بها رحمة مهداة للعالمين لو كان الأمر كما يقول النفاة][٢] (وهل)[٣] يكون الأمر والنهي إلا عقوبة وكلفة وعبثاً، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره، لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع، مع قصور أذهاننا، ونقص (علومنا)[٤] ومعارفنا، وتلاشيها، بل وتلاشي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس. وهذا تقريب، وإلا فالأمر فوق ذلك.

وهل (إبطال)[٥] الحكم والمناسبات والأوصاف التي شرعت الأحكام لأجلها إلا إبطال للشرع جملة؟

وهل يمكن فقيهاً على وجه الأرض أن يتكلم في الفقه مع اعتقاده بطلان الحكمة والمناسبة والتعليل وقصد الشارع بالأحكام مصالح العباد؟

---

(١) في (ط) (ولا مصلحة).

(٢) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (وكيف) والأولى ما أثبته وهو من باقي النسخ.

(٤) في ط (عقولنا).

(٥) في ط (إبطاله).

وجناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات، [فإن العقلاء][1] لا يمكنهم إنكار الأسباب والحكم والمصالح والعلل الغائية، فإذا رأوا أن هذا لا يمكن القول به مع موافقة الشرائع، ولا يمكنهم (دفعة)[2] عن نفوسهم، خلوا الشرائع وراء ظهورهم، وأساؤوا بها الظن، وقالوا: لا يمكننا الجمع بينها وبين عقولنا، ولا سبيل لنا إلى الخروج عن عقولنا، ورأوا أن القول بالفاعل المختار لا يمكن إلا مع نفي الأسباب والحكم والقوى والطبائع، ولا سبيل إلى نفيها، (فنفوا)[3] الفاعل (المختار)[4] وأولئك لم يمكنهم القول بنفي الفاعل المختار، ورأوا أنه لا يمكنهم إثباته مع إثبات الأسباب والحكم والقوى والعلل فنفوها. وبين الطائفتين بعد المشرقين[5].

ولا تستهن بأمر هذه المسألة، فإن شأنها أعظم، وخطرها أجل، وفروعها كثيرة (جداً)[6]، ومن فروعها أنهم لما تكلموا فيما يحدثه الله تعالى من المطر والنبات والحيوان، والحر والبرد، والليل والنهار، والإهلال والإبدار[7]،

---

(١) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٢) في (م)، (ط) (رفعه).

(٣) في (م) (فنقول).

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٨١-١٥٨.

(٦) ساقطة من (ط).

(٧) بَدَر إلى الشيء: أسرع، وبابه دخل، و(بادر) إليه أيضاً، و(تبادر) القوم: تسارعوا، و(ابتدروا) السلاح: تسارعوا إلى أخذه. وسمي (البدر) بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع في ليلته، كأنه يعجلها المغيب، وقيل: سمي به لتمامه. انظر مختار الصحاح ص٣٧.

والكسوف والاستسرار[١]، وحوادث الجو وحوادث الأرض، انقسموا قسمين، وصاروا طائفتين[٢].

فطائفةٌ جعلت الموجب لذلك مجرد ما رأوه علة وسبباً من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية والنفوس والعقول، فليس عندهم لذلك فاعل مختار مريد.

وقابلهم طائفة من المتكلمين، فلم (يثبتوا)[٣] لذلك سبباً إلا مجرد المشيئة والقدرة، وأن الفاعل المختار يرجح مثلاً على مثل بلا مرجح ولا سبب ولا حكمة ولا غاية يفعل لأجلها، ونفوا الأسباب والقوى والطبائع (والغرائز)[٤] والحكم والغايات، حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد[٥] منهم: إن الفلك والرحى ونحوهما مما يدور (متفكك عند الدوران دائماً)[٦]،

(١) الاستسرار (اسْتَسَرّ): استتر وخفي. يقال: استسر القمر: خفي ليلة السرار، وربما ليلة، وربما كان ليلتين. واستسر الأمر، وفلاناً: ألقى إليه سره.

(٢) الطائفتان: الفلاسفة والمتكلمون.

(٣) في (ط) (يسبوا).

(٤) ف (ط) (القرائن).

(٥) الجَوهَرُ: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو منحصر في خمسة: هيولي ، وصورة ، وجسم ، ونفس ، وعقل . والجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني، كالعقول والنفوس المجردة، وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس، والفعل، وإلى مركب منهما كالمولدات الثلاثة. و(الفرد) ما يتناول شيئاً واحداً دون غيره.

انظر: المواقف في علم الكلام ص ١٨٢، التعريفات للجرجاني ص ٧٩، ١٤٩.

وقيل في المعجم الوسيط ص ١٤٩: (الجوهر) جوهر الشيء: حقيقته وذاته.

(٦) في (ط) (متفكك دائماً عن الدوران).

والقادر المختار يعيده كل وقت كما كان، وإن الألوان والمقادير والأشكال والصفات تعدم على تعاقب الآنات، والقادر المختار يعيدها كل وقت، وإن ملوحة ماء البحر كل لحظة تعدم وتذهب، ويعيدها القادر المختار، كل ذلك بلا سبب ولا حكمة ولا علة غائية، ورأوا أنهم لا يمكنهم التخلص من قول الفلاسفة أعداء الرسل إلا بذلك، ورأى أعداء الرسل أنهم لا يمكنهم الدخول في الشريعة إلا بالتزام أصول هؤلاء.

ولم تهتد الطائفتان للحق الذي لا يجوز غيره، وهو أنه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وإرادته، ويفعل ما يفعله بأسباب وحكم وغايات محمودة، وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والأسباب والمسببات ما به قام الخلق والأمر. وهذا قول جمهور (أهل)[1] الإسلام، وأكثر طوائف النظار، وهو قول الفقهاء قاطبة إلا من خلى الفقه ناحية وتكلم بأصول النفاة، فعادى فقهه أصول دينه.

* * *

(١) في الأصل (هل) والصواب ما أثبته.





الباب الثالث والعشرون

في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الأجوبة عنها







الباب (الثالث)[1] والعشرون
في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الأجوبة عنها

قال النفاة: قد أجلبتم علينا بما استطعتم من خيل الأدلة ورَجِلِها، فاسمعوا الآن ما يبطله، ثم أجيبوا عنه إن أمكنكم الجواب. فنقول ما قاله أفضل متأخريهم محمد بن عمر الرازي[2]: كل من فعل فعلاً لأجل تحصيل مصلحة أو لدفع مفسدة، فإن كان تحصيل تلك المصلحة أولى من عدم تحصيلها، كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل ذلك.

ومن كان كذلك كان ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره، وهو في حق الله محال. وإن كان تحصيلها وعدمه بالنسبة إليه سواءً، فمع ذلك لا يحصل الرجحان، فامتنع تحصيلها.

ثم أورد سؤالاً وهو لا يقال حصولها (واللاحصولها)[3] بالنسبة إليه، وإن كان (عند)[4] التساوي إلى حصولها للعبد أولى من عدم حصولها له، فلأجل هذه الأولوية العائدة إلى العبد (يرجح)[5] الله سبحانه الوجود على العدم.

ثم أجاب بأنا نقول: تحصيل تلك المصلحة وعدم تحصيلها له إما أن يكونا متساويين إلى الله أو لا يستويان، وحينئذ يعود التقسيم المذكور.

قال المثبتون: الجواب عن هذه الشبه من وجوه:

---

(١) في المطبوعة (الثاني والعشرون) والصواب ما أثبته.

(٢) سبقت ترجمته ص ٨٣٥.

(٣) في الأصل، (م) (وإن لا حصول لها) والصواب ما أثبته، وهو من (ط).

(٤) في (م)، (ط) (على).

(٥) في الاصل (فرجح) والصواب ما أثبته من م، ط.

أحدها: أن قولك[١] إن كل من فعل لغرض يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره.

ما تعني بقولك إنه يكون ناقصاً بذاته؟ أتعنى به أنه يكون عادماً لشيء من الكمال الذي (كان)[٢] يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد؟ أم تعني به أن يكون عادماً لما ليس كمالاً قبل وجوده؟ أم تعني به معنى ثالثاً؟

فإن عنيت الأول لدعوى باطلة، فإنه لا يلزم من فعله لغرض حصوله أولى من عدمه أن يكون عادماً لشيء من (الكمال)[٣] الواجب قبل حدوث المراد، فإنه يمتنع أن يكون كمالاً قبل حصوله. وإن عنيت الثاني، لم يكن عدمه نقصاً، فإن الغرض (أنه)[٤] ليس كمالاً قبل وجوده، وما ليس بكمال في وقت، لا يكون عدمه نقصاً فيه، فما كان قبل وجودِه عدمُه أولى من وجوده، وبعد وجودِه وجودُه أولى من عدمه، لم يكن عدمه قبل وجوده نقصاً، ولا وجوده بعد عدمه نقصاً، بل الكمال عدمه قبل وقت وجوده، ووجوده وقت وجوده، وإذا كان كذلك، فالحكم المطلوبة والغايات من هذا النوع وجودها وقت وجودها هو الكمال، وعدمها حينئذ نقص، وعدمها وقت عدمها كمال، ووجوجها حينئذ نقص. وعلى هذا فالنافي هو الذي نسب النقص إلى الله لا المثبت. وإن عنيت به أمراً ثالثاً، فلابد من بيانه حتى ننظر فيه.

الجواب الثاني: أن قولك: يلزم أن يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره؛ أتعني به أن الحكمة التي يجب (وجودها)[٥] إنما حصلت له من شيء خارج

---

(١) يعني الرازي.

(٢) في ط (لا).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (م)، (ط).

(٥) في الأصل (وجوها) والصواب ما أثبته وهو من باقي النسخ.

عنه؟ أم تعني (به)[١] أن تلك الحكمة نفسها غيرٌ له وهو مستكمل بها؟ فإن عنيت الأول فهو باطل، فإنه لا رب غيره ولا خالق سواه، ولم يستفد سبحانه من غيره كمالاً بوجه من الوجوه، بل العالم كله إنما استفاد الكمال الذي فيه منه سبحانه، وهو لم يستفد كماله من غيره، كما لم يستفد [وجوده من غيره. وإن عنيت الثاني فتلك الحكمة صفته سبحانه وصفاته ليست][٢] غيراً له، فإن حكمته قائمة به، وهو الحكيم الذي له الحكمة، كما أنه العليم الذي له العلم، والسميع الذي له السمع، والبصير الذي له البصر، فثبوت حكمته لا يستلزم استكماله بغير منفصل عنه، كما أن كماله سبحانه بصفاته، وهو لم يستفدها من غيره.

الجواب الثالث: أنه سبحانه إذا كان إنما يفعل لأجل أمر هو أحب إليه من عدمه، كان اللازم من ذلك حصول مراده الذي يحبه وفعله لأجله، وهذا غاية الكمال، وعدمه هو النقص، فإن من كان قادراً على تحصيل ما يحبه، وفعله في الوقت الذي يحب، على الوجه الذي يحب، فهو الكامل حقاً، لا من لا محبوب له، أو له محبوب لا يقدر على فعله.

الجواب الرابع: أن يقال: أنت ذكرت[٣] في كتبك أنه لم يقم على نفي النقص عن (الله)[٤] دليل عقلي[٥]، واتبعت في ذلك الجويني[٦] وغيره، وقلتم:

---

(١) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

(٢) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٣) يقصد محمداً بن عمر الرازي، سبقت ترجمته ص٨٣٥.

(٤) مكررة في (م).

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعمهم الكلامية ٢/ ٢٩٢، نهاية العقول للرازي ص.

(٦) هو أبو المعالي الجويني سبقت ترجمته ص١٠٧٩.

إنما ينفى النقص (عن الله)[١] عز وجل بالسمع، وهو الإجماع، فلم تنفوه عن الله عز وجل بالعقول، ولا بنص منقول عن الرسول ﷺ بل بما ذكرتموه من الإجماع، وحينئذ فإنما ينفى بالإجماع ما انعقد الإجماع على نفيه، والفعل بحكمه لم ينعقد الإجماع على نفيه، فلم تجمع الأمة على انتفاء التعليل لأفعال الله.

فإذا سميت أنت ذلك نقصاً، لم تكن هذه التسمية موجبة لانعقاد الإجماع على نفيها. فإن قلت أهل الإجماع أجمعوا على نفي النقص، وهذا نقص. قيل: [نعم][٢]، الأمة مجمعةٌ على ذلك، ولكن الشأن (في هذا الوصف المعين)[٣] [أهو][٤] نقص قد أجمعت على نفيه؟ فهذا أول المسألة. والقائلون بإثباته ليس هو عندهم نقصاً، بل هو عين الكمال، ونفيه عين النقص.

وحينئذ فنقول في **الجواب الخامس**: إن إثبات الحكمة كمال كما تقدم تقريره، ونفيه نقص، والأمة مجمعة على انتفاء النقص عن الله، بل العلم بانتفاء (النقص عنه)[٥] تعالى من (أجل)[٦] العلوم الضرورية المستقرة في فطر الخلق، فلو كانت أفعاله معطلة عن الحكم والغايات المحمودة لزم النقص، وهو محال، ولزوم النقص من انتفاء الحكم أظهر في العقول والفطر والعلوم الضرورة والنظرية من لزوم النقص من إثبات ذلك.

---

(١) في ط (عنه).

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (في أن هذا الوصف المعني).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) في ط (بانتفائه عن الله).

(٦) في (م)، (ط) (أعلى).

وحينئذ فنقول في **الجواب السادس**: النقص إما أن يكون جائزاً أو ممتنعاً، فإن كان جائزاً بطل دليلك، وإن كان ممتنعاً بطل دليلك أيضاً، فبطل الدليل على التقديرين.

الجواب السابع: أن النقص منتف عن الله عز وجل عقلاً كما هو منتف عنه سمعاً، والعقل [والنقل][(١)] يوجب اتصافه بصفات الكمال، والنقص هو ما يضاد صفات الكمال. فالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والحياة صفات كمال، وأضدادها نقص، فوجب تنزيهه عنها لمنافاتها لكماله، وأما حصول ما يحبه الرب تعالى في الوقت الذي يحبه، فإنما يكون كمالاً إذا حصل على الوجه الذي يحبه، فعدمه قبل ذلك ليس نقصاً، إذ كان لا يحب وجوده قبل ذلك.

الجواب الثامن: أن يقال: الكمال الذي يستحقه سبحانه وتعالى هو الكمال الممكن أو الممتنع. فالأول مسلَّم، والثاني باطل قطعاً، فلم قلت: إن وجود الحادث في غير وقته الذي وجد فيه ممكن، بل وجود الحادث في الأزل ممتنع، فعدمه لا يكون نقصاً؟

الجواب التاسع: أن عدم الممتنع لا يكون كمالاً، فإن الممتنع ليس بشيء في الخارج، وما ليس بشيء لا يكون عدمه نقصاً، فإنه (إذا)[(٢)] كان في المقدور ما لا يحدث إلا شيئاً بعد شيء، كان وجوده في الأزل ممتنعاً، فلا يكون عدمه نقصاً، وإنما يكون الكمال وجوده حين يمكن وجوده.

الجواب العاشر: أن يقال: (لا ريب)[(٣)] أنه تعالى أحدث أشياء بعد أن لم

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) في (م)، (ط) (إن).

(٣) ساقطة من (ط).

يكن محدثاً لها كالحوادث المشهودة، حتى يقال: إن القائلين[1] بكون الفلك قديماً عن علة موجبة يقرون بذلك، ويقولون إنه يحدث الحوادث بواسطته، وحينئذ فنقول: هذا الإحداث إما أن يكون صفة كمال [وإما أن لا يكون، فإن كان صفة كمال، فقد كان فاقداً لها قبل ذلك. وإن لم يكن صفة كمال][2] فقد اتصف بالنقص. فإن قلت: نحن نقول بأنه ليس صفة كمال ولا نقص، قيل: فهلا قلتم ذلك في التعليل!؟

وأيضاً، فهذا محال في حق الرب تعالى، فإن كل (ما يفعله)[3] يستحق عليه الحمد، وكل ما يقوم (به)[4] من صفاته، فهو صفة كمال، وضده نقص. وقد ينازع (النظار) في الفاعلية: هل هي صفة كمال أم لا؟ وجمهور المسلمين من جميع الفرق يقولون هي صفة كمال وقالت طائفة ليست صفة كمال ولا نقص، وهو قول (أكثر الأشعرية)[5]. فإذا التزم هذا القول، قيل له:

---

(١) وهم الفلاسفة سبق تعريفهم ص١٠٠٣.

(٢) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (ما نفعله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في (ط) يكون

(٥) الأشعرية: فرقة تنسب إلى علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، المشهور بأبي الحسن الأشعري، نسبة إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول ﷺ ولد سنة (٢٦٠هـ)هـ وكان آية في الذكاء والفهم، له مصنفات كثيرة، أوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة مصنف. توفي رحمه الله سنة (٣٢٤ هـ) وكان على مذهب المعتزلة ثم تركه ورد عليهم فانتشر مذهبه. وتنسب إليه الأشاعرة، ولكنه في المرحلة الثالثة والأخيرة من حياته رجع إلى قول الحق « قول أهل السنة » في الجملة في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) وله (مقالات الإسلاميين) وغيرها كثير جداً. والأشاعرة فرقة مشهورة منتشرة في العالم الإسلامي، وهي مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان والصفات وتقديم العقل على النقل، والقول بأن أفعال العباد مخلوقة لله، وهي كسب لهم . =

الجواب من وجهين[١]:

أحدهما: أن من المعلوم بصريح العقل أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ١٧] وهذا استفهام إنكار يتضمن الإنكار على من سوّى بين الأمرين، يعلم أن أحدهما أكمل من الآخر قطعاً. ولا ريب أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق في الفطر والعقول كتفضيل من يعلم على من لا يعلم، ومن يقدر على من لا يقدر، ومن يسمع ويبصر على من (ليس كذلك)[٢].

ولما كان هذا مستقراً في فطر بني آدم جعله الله تعالى من (أدلة)[٣] توحيده وحججه على عباده. قال تعالى: ﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل/ ٧٥، ٧٦]. وقال تعالى: ﴿(قُلْ)[٤] هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا

= وأشهر علماء الأشاعرة: الباقلاني، والجويني، ومن أشهر كتبهم التمهيد للباقلابي، والشامل للجويني والمواقف لعضد الدين الإيجي. انظر: تبيين كذب المفتري ص٣٤، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥-٩٠، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٤٥-٢٩٧.

(١) لم يذكر المصنف إلا وجهاً واحداً.

(٢) في ط (لا يسمع ولا يبصر).

(٣) في ط (آله).

(٤) ساقطة من (ط).

يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر/ ٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢] . وقال تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود/ ٢٤].

فمن سوَّى بين صفة الخالقية وعدمها، فلم يجعل وجودها كمالاً ولا عدمها نقصاً، فقد أبطل حجج الله وأدلة توحيده، وسوَّى بين ما جعل (الله)[١] بينهما أعظم التفاوت.

وحينئذ فنقول في **الجواب الحادي عشر**: إذا كان الأمر كما ذكرتم، فلم لا يجوز أن يفعل لحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواءً، كما أنه عندكم [لم][٢] يحدث ما يحدثه مع كون الإحداث والخلق وعدمه بالنسبة إليه سواء، (فإنكم إذا جعلتموه فاعلاً بالإرادة ووجود المراد وعدمه بالنسبة إليه سواء)[٣] مع أن هذه إرادة لا تعقل في الشاهد، فقولوا مثل ذلك في الحكمة. وإن (كان)[٤] ذلك لا يعقل، لا سيما والفعل عندكم هو المفعول المنفصل، فجوزوا أيضاً أن يفعل لحكمة منفصلة، وأنتم إنما قلتم ذلك فراراً من قيام الحوادث به ومن التسلسل، فكذلك فقولوا بنظير ذلك في الحكمة، والذي يلزم أولئك، فهو نظير ما يلزمكم سواء.

---

(١) ساقطة من (م) (ط).

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

(٤) ساقطة من م، ط.

الجواب الثاني عشر: أن يقال: العقل الصريح يقضي بأن ([من][1]) لا حكمة لفعله ولا غاية يقصدها به أولى بالنقص ممن يفعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذي اقتضت حكمته إحداث الفعل فيه، فكيف يسوغ لعاقل أن يقول فعله للحكمة يستلزم النقص، وفعله لا لحكمة لا نقص فيه.

الجواب الثالث عشر: أن هؤلاء النفاة يقولون: إنه سبحانه يفعل ما يشاء من غير اعتبار حكمة، فيجوزون عليه كل ممكن، حتى الأمر بالشرك والكذب والظلم والفواحش والنهي عن التوحيد والصدق والعدل والعقاب.

وحينئذ فنقول: إذا جازت عليه هذه المرادات، وليس في إرادتها نقص (لواردها، استحال أن يكون في شيء من المرادات نقص)[2] وهذا مراد، فلا نقص فيه، فقولهم: من فعل شيئاً لشيء كان ناقصاً بدونه قضية كلية ممنوعة العموم، وعمومها أولى بالمنع من قول القائل: من أكرم أهل الجهل والظلم والفساد، وأهان أهل العلم والعدل والبر، كان سفيهاً جائراً. وهذا عند النفاة جائز على الله، ولم يكن به سفيهاً جائراً.

وكذلك قول القائل: من أرسل إماءه وعبيده يفجر بعضهم ببعض ويقتل بعضهم بعضاً، وهو قادر على أن يكفهم، كان سفيهاً، والله (عندهم)[3] قد فعل ذلك، ولم يدخل في عموم هذه القضية، فكذا القضية الكلية[4] التي ادعوا ثبوتها في محل النزاع أولى أن تكون باطلة منتقضة.

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) ساقطة من ط.

(٤) يعني قوله: (من فعل شيئاً لشيء كان ناقصاً بدونه).

الجواب الرابع عشر: أنه لو سلم لهم أنه مستكمل بأمر حادث، لكان هذا من الحوادث المرادات، وكل ما هو حادث مراد عندهم، فليس بقبيح، فإن القبح عندهم ليس إلا مخالفة الأمر والنهي، والله ليس فوقه آمر ولا ناه، فلا ينزه عندهم عن شيء من الممكنات البتة، إلا (ما أخبر بأنه)[١] لا يكون، فإنهم ينزهون عن كونه (لمخالفة خبره لا)[٢] لمخالفة حكمته، والقبيح عندهم هو الممتنع الذي [لا][٣] يدخل تحت القدرة، وما دخل تحت القدرة لم يكن قبيحاً، ولا مستلزماً نقصاً عندهم.

وجماع ذلك بالجواب الخامس عشر: أنه ما من محذور يلزم من تجويز فعله لحكمة، إلا والمحاذير التي يلزم من كونه يفعل لا لحكمة أعظم امتناعاً، فإن كانت تلك المحاذير غير ممتنعة كانت محاذير إثبات الحكمة أولى بعدم الامتناع، وإن كانت محاذير إثبات الحكمة ممتنعة، فمحاذير نفيها أولى بالامتناع.

الجواب السادس عشر: أن فعل الحي العالم الاختياري، لا لغاية ولا لغرض يدعوه إلى فعله، لا يُعقَلُ، بل هو من الممتنعات. ولهذا لا يصدر إلا من مجنون أو نائم أو زائل العقل؛ فإن (الحكمة)[٤] والعلة الغائبة هي التي تجعل المريد مريداً، فإنه إذا علم بمصلحة الفعل ونفعه وغايته انبعثت إرادته إليه، فإذا لم يعلم في الفعل مصلحة، ولا كان له فيه غرض صحيح ولا داع يدعوه (إليه)[٥] (البتة)[٦] فلا يقع منه إلا على سبيل العبث.

---

(١) في الأصل، (م) (ما أخبرنا به).
(٢) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).
(٣) زيادة من باقي النسخ.
(٤) في الأصل (الحكم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٥) ساقطة من (م).
(٦) ساقطة من (ط).

هذا الذي لا يعقل العقلاء سواه. وحينئذ فنفي الحكمة والعلة (الغائية)[١] عن فعل (أحكم)[٢] الحاكمين نفي لفعله الاختياري في الحقيقة، وذلك أنقص النقص. وقد تقدم تقرير ذلك، وبالله التوفيق.

فصل

قال نفاة الحكمة: هب أن (هذه)[٣] الحجة بطلت، فلا يلزم من بطلان دليل (تعين معنى)[٤] بطلان الحكم. فنحن نذكر حجة غيرها، فنقول: لو كان فعله تعالى معللاً بعلة، فتلك العلة إن كانت قديمة، لزم من قدمها قدم الفعل وهو محال، وإن كانت محدثة، افتقر كونه موجداً لتلك العلة إلى علة أخرى وهو محال، وهذا معنى قول القائل: علة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه.

قالوا: ونحن نقرر هذه الحجة تقريراً أبسط من هذا، فنقول: لو كان فعله تعالى لحكمة، فتلك الحكمة إما قديمة أو محدثة.

فإن كانت قديمة، فإما أن يلزم من قدمها قدم الفعل أو لا يلزم، فإن لزم فهو محال؛ (لأن القدم والفعل متنافيان، وإن لم يلزم من قدمها قدم الفعل كانت موجودة بدون الفعل)[٥] وإن لم يلزم القدم (والفعل موجود بدونها، فالحكمة غير حاصلة من ذلك الفعل)[٦] لحصوله دونها، وما لا تكون الحكمة متوقفة على حصوله، لا يكون متوقفاً عليها، وهو المطلوب.

---

(١) في ط (والغاية).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من (م)، (ط).

(٤) ما بينهما ساقطة من (ط)، (ك).

(٥) ما بينهما ساقط من (ط).

(٦) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

وإن كانت الحكمة حادثة بحدوث الفعل، فإما أن تفتقر إلى فاعل، أو لا تفتقر إلى فاعل، فإن لم تفتقر لزم حدوث (حادث)[١] من غير فاعل وهو محال، وإن افتقرت إلى فاعل، فذلك الفاعل إما أن يكون هو الله أو غيره، ولا يجوز أن يكون غيره؛ لأنه لا خالق إلا الله، وإن كان هو الله فإما أن يكون له في فعله غرض أو لا غرض له فيه، فإن كان الأول، فالكلام فيه كالكلام في الأول، ويلزم التسلسل، وإن كان الثاني، فقد خلا فعله عن الغرض، وهو المطلوب.

فإن قلت: فعله لذلك الغرض لغرض هو نفسه، فما خلا عن غرض ولم يلزم التسلسل، قلنا: فيلزم مثله في كل مفعول مخلوق، وهو أن يكون الغرض منه هو نفسه من غير حاجة إلى غرض آخر، وهوالمطلوب. فهذه حجة باهرة وافية بالغرض. قال أهل الحكمة: بل هي حجة داحضة باطلة من [وجوه][٢] والجواب عنها من (وجوه)[٣].

الجواب الأول: أن نقول: لا يخلو: إما [أن يمكن][٤] أن يكون الفعل قديم العين، أو قديم النوع، أو لا يمكن واحد منهما، فإن أمكن أن يكون قديم العين أو النوع، أمكن في الحكمة التي يكون الفعل لأجلها أن تكون كذلك. وإن لم يمكن أن يكون الفعل قديم العين ولا النوع، فيقال: إذا كان فعله حادث العين أو النوع، كانت الحكمة كذلك، فالحكمة [يحذى][٥] بها حذو الفعل، فما جاز عليه جاز عليها، وما امتنع عليه امتنع عليها.

(١) ساقط من (م)، (ط).
(٢) زيادة من باقي النسخ.
(٣) ساقطة من (م).
(٤) زيادة من باقي النسخ.
(٥) زيادة من باقي النسخ.

الجواب الثاني: أن من قال: إنه خالق مكون في الأزل لما لم يكن بعد، قال: قولي هذا كقول من قال: هو مريد في الأزل لما لم يكن بعد. (فقولي)[(١)] بقدم كونه فاعلاً كقول هؤلاء بقدم كونه مريداً، وعلى هذا فيمكنني أن أقول [بقدم][(٢)] الحكمة التي يخلق (ويريد)[(٣)] لأجلها، ولا يلزم من قدم الحكمة قدم المفعول، كما لم يلزم من قدم (الإرادة)[(٤)] قدم المراد، وكما لم يلزم من قدم صفة التكوين قدم المكون، فقولي في قدم الحكمة – مع حدوث الفعل – (التي فعل)[(٥)] لأجلها كقولكم في قدم الإرادة والتكوين سواء، وما لزمني لزمكم مثله، وجوابكم هو جوابي بعينه، ولا يمتنع ذلك على أصول طائفة من الطوائف، فإن من قال من (الفلاسفة)[(٦)] إن فعله قديم للمفعول (المعين)[(٧)] يقول: إن الحكمة قديمة، [ومن قال بحدوث نوع الفعل وقيامه بالرب قال ذلك في الحكمة أيضاً (كما يقوله الكرامية)[(٨)(٩)]. ومن قال

(١) في الأصل (يقول) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، (م) (ويرشد) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) في الأصل (الأراد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (الذب جعل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) سبق تعريفها ص١٠٠٣ .

(٧) في (ط) (المعنى).

(٨) ما بينهما زيادة من (م)، (ط).

(٩) الكرّامية: هم أتباع أبي عبدالله بن كرّام – بفتح الكاف وتشديد الراء – المتوفى سنة ٢٥٥هـ. وقد كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه. وهم يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة، لكنهم يوافقون المعتزلة في وجوب معرفة الله بالعقل، وفي الحسن والقبيح العقليين، كما أنهم يزعمون أن الإيمان هو =

بحدوث نوع الفعل وعدم قيامه بالرب يقول ذلك في الحكمة أيضاً[١] كما يقوله كثير من النظار، فلا يمتنع على أصل طائفة من الطوائف إثبات الحكمة في فعله سبحانه.

الجواب الثالث: قولك: يفتقر كونه محدثاً لتلك العلة إلى علة أخرى ممنوع، فإن هذا إنما يلزم أن لو قيل: كل حادث فلا بد له من علة ونحن لا نقول هذا، بل نقول يفعله لحكمة. ومعلوم أن المفعول لأجله مراد للفاعل محبوب (إليه)[٢] والمراد المحبوب تارة يكون مراداً لنفسه وتارة يكون مراداً لغيره، والمراد لغيره لابد أن ينتهي إلى المراد لنفسه قطعاً للتسلسل، وهذا كما نقوله في خلقه بالأسباب أنه يخلق كذا بسبب كذا وكذا بسبب كذا، حتى ينتهي الأمر إلى أسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب، فكذلك يخلق لحكمة، وتلك الحكمة لحكمة، حتى ينتهي الأمر إلى[٣] حكمة لا حكمة فوقها.

الجواب الرابع: أن النفاة يقولون: كل مخلوق فهو مراد لنفسه لا لغيره وحينئذ فلا يمتنع أن يكون بعض المخلوقات مراداً لغيره، وينتهي الأمر إلى مراد لنفسه، بل هذا أولى بالجواز من جعل كل مخلوق مراداً لنفسه، وكذلك في الأمر يكون مراداً لغيره حتى ينتهي إلى أمر مراد لنفسه (وكذلك المحبوبات يكون المحبوب محبوباً لغيره حتى ينتهي إلى محبوب لنفسه)[٤].

= الإقرار والتصديق باللسان دون القلب. وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً.. وغير ذلك. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٤١، الملل والنحل ١/ ١٤٤، الفرق بين الفرق ص ٢١٥ ، البداية والنهاية ١١/ ٢٢ .

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) في (ط) (له).

(٣) في الأصل (إلى كل مخلوق) ورجحت أن الصواب حذفها.

(٤) ما بينهما ساقط من (ط).

الجواب الخامس: أن يقال: غاية ما ذكرتم أنه يستلزم التسلسل، ولكن أي نوعي التسلسل هو اللازم؟ التسلسل الممتنع أو الجائز؟ فإن عنيتم الأول منع اللزوم، وإن عنيتم الثاني منع انتفاء اللازم، فإن التسلسل في الآثار المستقبلية ممكن، بل واجب، (والتسلسل)[1] في الآثار الماضية فيه قولان للناس، والتسلسل في العلل والفاعلين محال باتفاق العقلاء بأن يكون لهذا الفاعل فاعل قبله (وكذلك)[2] إلى غير نهاية. وأما أن يكون الفاعل الواحد القديم الأبدي لم يزل يفعل ولا يزال، فهذا غير ممتنع[3].

إذا عرف هذا، فالحكمة التي لأجلها يفعل الفعل تكون حاصلة بعده. فإذا كان بعدها حكمة أخرى، فغاية ذلك أن يلزم حوادث لا نهاية لها. وهذا جائز بل واجب باتفاق المسلمين، ولم ينازع (فيه)[4] إلا بعض أهل البدع من الجهمية والمعتزلة[5].

فإن قيل: فيلزم من هذا أن لا تحصل الغاية المطلوبة أبداً.

قيل: بل اللازم أن لا تزال الغاية المطلوبة حاصلة دائماً، وهو أمر معقول في الشاهد، فإن الواحد من الناس يفعل الشيء لحكمة يحصل بها محبوبه، ثم يلزم من حصول ذلك المحبوب محبوب آخر يفعل لأجله، وهلم جرا، حتى لو تصور دوامه أبداً، لكانت هذه حاله وكماله، فلم تزل محبوباته تحصل شيئاً

---

(١) ساقطة م، ط

(٢) في (ط) (وكذلك ما قبله).

(٣) انظر شرح الطحاوية ص ١٣٠

(٤) ساقطة من (م، ط).

(٥) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ١٤٧ - ١٥٨.

بعد شيء، وهذا هو الكمال الذي (لا ينبغي إلا لله سبحانه وتعالى، فإنه لا يزال مراداً به، ومحابُّه حاصلة على الوجه الذي)[١] يريده، مع غناه التام الكامل عن كل ما سواه، وفقر ما سواه إليه من جميع الوجوه، وهل الكمال إلا ذلك، وفواته هو النقص، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة والإحسان، فرحمته وإحسانه من لوازم ذاته، فلا يكون إلا رحيماً محسناً، وهو سبحانه إنما أمر العباد بما يحبه ويرضاه، وأراد لهم من إحسانه ورحمته ما يحبه ويرضاه.

لكن فرق بين ما يريد هو سبحانه أن يخلقه ويفعله لما يحصل به من الحكمة التي يحبها، فهذا يفعله سبحانه، ولابد من وجوده، وبين ما يريد من العباد أن يفعلوه ويأمرهم بفعله ويحب أن يقع منهم، ولا يشاء خلقه وتكوينه.

ففرق بين ما يريد خلقه وما يأمر به (وقد)[٢] لا يريد خلقه، فإن الفرق بين ما يريد الفاعل أن يفعله وما يريد من المأمور أن يفعله فرق واضح، والله سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق فعلـه والأمر قوله، ومتعلَّقه (فعل)[٣] عباده، وهو سبحانه قد يأمر عبده، ويريد من نفسه أن يعينه على فعل ما أمره (به)[٤] لتحصل حكمته ومحابه من ذلك المأمور به.

وقد يأمره ولا يريد من نفسه إعانته على فعل المأمور لما له من الحكمة التامة[٥] في هذا الأمر وهذا الترك، يأمره لئلا يكون له عليه حجة، ولئلا يقول: ما جاءني من نذير، ولو أمرتني لبادرت إلى طاعتك، ولم يرد من نفسه

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في ط (أفعال).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في م، ط (الثانية).

إعانته لأن محله غير قابل لهذه النعمة، والحكمة التامة تقتضي أن لا توضع النعم عند غير أهلها، وأن لا تمنع من أهلها، قال تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح/ ٢٦]. وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام / ٥٣] وقال: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال/ ٢٣]. ولا يقال: فهلا سوى بين خلقه في جعلهم كلهم أهلاً لذلك؟ فإن هذا بمنزلة أن يقال: (هلا)[1] سوى بين صورهم وأشكالهم وأعمارهم وأرزاقهم ومعاشهم؟ وهذا وإن كان ممكناً، فالذي وقع من التفاوت بينهم هو مقتضى حكمته البالغة، وملكه التام وربوبيته. فاقتضت حكمته أن سوى بينهم في الأمر، وفاوت بينهم في الإعانة عليه، كما فاوت بينهم في العلوم والقدر والغنى والحسن والفصاحة وغير ذلك.

والتخصيصاتُ الواقعة في ملكه لا تناقض حكمته، بل هي من أدل شيء على كمال حكمته. ولولاها (لم يعرف)[2] فضله، ومنه قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ (عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[3]﴾ [الحجرات/ ٧، ٨] (عليم)[4] بمن يصلح لهذه النعمة، حكيم في وضعها عند أهلها ومنعها غير أهلها.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لِّئَلَّا

(١) في ط (فإن هذا ممكن له. ولا أن يقال فهلا ...)
(٢) في (ط) (لم يظهر).
(٣) ما بينهما لا يوجد في (ط).
(٤) لا توجد في (م).

يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٨، ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة ٢ – ٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٥٤].

وقالت الرسل لقومهم: ﴿ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾[إبراهيم/ ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا (نُزِّلَ)[(١)] هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾ الآية [الزخرف/ ٣١-٣٢].

وفي حديث مثل (المسلمين)[(٢)] واليهود والنصارى قال تعالى لأهل الكتاب: هل ظلمتكم من حقكم من شيء؟ قالوا: لا قال، فهو فضلي أوتيه من أشاء[(٣)]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ

(١) في م، ط (أنزل).

(٢) في ط (المؤمنين).

(٣) شطر من حديث أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، وباب الإجارة إلى صلاة العصر ٣/ ٤٩، ٥٠ .

(عَلَيْهِم)[1] مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء ٦٩-٧٠] أي يعلم أين يضع فضله ومن يصلح له ممن لا يصلح، فلا يمنعه أهله[2]، (ولا يضعه)[3] عند غير أهله، وهذا كثير في القرآن، يذكر أن تخصيصه هو فضله ورحمته، فلو ساوى بين الخلائق لم يعرف قدر فضله ونعمته ورحمته[4].

فهذا بعض ما في تخصيصه من الحكمة، وفي [كتاب][5] الزهد للإمام أحمد[6] أن موسى ﷺ قال: يا رب، هلا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر[7].

فمواضع التخصيص ومواقع الفضل (هي)[8] التي يقدح بها نفاة الحكمة، وهي من أدل شيء على كمال حكمته سبحانه، ووضعه للفضل مواضعه، وجعله عند أهله الذين هم أحق به وأولى من غيرهم، وهو الذي جعلهم

---

(١) لا توجد في (م).

(٢) في (م) (بل يمنعه أهله)، وفي ط (بل عيفة غير أهله).

(٣) (مكررة في الأصل).

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٥٣٥، تفسير البغوي ٢/ ٢٤٨.

(٥) زيادة من (ط).

(٦) سبقت ترجمته ص١٤٠.

(٧) ورد هذا الأثر عن آدم ﷺ بلفظ « رب لولا سويت بين عبادك. قال: إني أحببت ان اشكر » . اخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٣٥ .
وفي كتاب الزهد لأحمد ص٤٧ قال حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبو هلال، حدثنا بكر، قال: لما عرض على آدم ذريته، فرأى فضل بعضهم على بعض قال: « ربي فهلا سويت بينهم، قال: يا آدم إني أحببت أن أشكر » .

(٨) ساقطة من (ط).

كذلك بحكمته وعلمه وعزته وملكه. فتبارك الله رب العالمين، وأحكم الحاكمين، ولا يجب ـ بل لا يمكن ـ المشاركة في حكمته، بل ما حصل للخلائق كلهم من العلم بها كنقرة عصفور من البحر المحيط وأي نقص في دوام حكمته شيئاً بعد شيء كما تدوم إرادته وكلامه وأفعاله وإحسانه وجوده وإنعامه، وهل الكمال إلا في هذا التسلسل؟ فماذا نفر النفاة منه؟ أنفَّرهم أن يقال: لم يزل ولا يزال حياً، عليماً قديراً، حكيماً، متكلماً محسناً، جواداً، ملكاً، موصوفاً بكل كمال، غنياً عن كل ما سواه، لا تنفد كلماته، ولا تناهى حكمته، ولا تعجز قدرته، ولا يبيد ملكه، ولا تنقطع إرادته ومشيئته، بل لم يزل ولا يزال له الخلق والأمر والحكمة والحكم، وهل النقص إلا سلب ذلك (عنه)[1]!؟ والله الموفق بفضله وإعانته.

الجواب السادس: أن الرب تبارك وتعالى إذا خلق شيئاً، فلابد من وجود لوازمه، ولابد من عدم أضداده، فوجود الملزوم بدون لازمه محال، ووجود الضد مع ضده ممتنع. والمحال الممتنع ليس بشيء. ولا يتصور العقل وجوده في الخارج. وإذا كان هذا التسلسل الجائز من لوازم خلقه وحكمته لم يكن في القول (به)[2] محذور، بل كان المحذور في نفسه (يوضحه)[3].

الجواب السابع: أنه لم يقم دليل عقلي ولا سمعي على امتناع دوام أفعال الرب في الماضي والمستقبل أصلاً، وكل أدلة النفاة من أولها إلى آخرها باطلة. وقد كفى إبطالها الرازي والآمدي[4] في أكثر كتبهما وغيرهما. وأما إثبات

(١) زيادة من (ط).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) زيادة من م، ط.

(٤) هو أبو الحسن علي بن أبي علي، المعروف بسيف الدين الآمدي الشافعي. توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة. انظر: البداية والنهاية ١٣/ ١٥٧، كشف الظنون ١/ ١٧.

الحكمة، فقد قام على صحته العقل والسمع والفطرة وسائر أنواع، كما تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك[١]، فكيف يقدح هذا المعلوم الصحيح بذلك النفي، الذي لم يقم على صحته دليل صحيح البتة.

الجواب الثامن: أن التسلسل إما أن يكون ممكناً أو ممتنعاً، فإن كان ممكناً بطل استدلالكم، وإن كان ممتنعاً أمكن أن يقال في دفعه: تنتهي المرادات إلى مراد لنفسه لا لغيره، وينقطع التسلسل.

الجواب التاسع: أن يقال: ما المانع أن تكون الفاعلية معللة بعلة قديمة. قولكم: يلزم من قدمها قدم المعلول ينتقض عليكم بالإرادة، فإنها قديمة، ولم يلزم من قدمها قدم المراد. فإن قلتم: الإرادة القديمة تعلقت بالمراد الحادث في وقت حدوثه، واقتضت وجوده حينئذ، فهلا قلتم: إن الحكمة القديمة تعلقت بالمراد وقت حدوثه كما قلتم في الإرادة؟ فإن قلتم: شأن الإرادة التخصيص. قيل لكم: وكذلك الحكمة شأنها تخصيص الشيء بزمانه ومكانه وصفته، فالتخصيص مصدره الحكمة والإرادة والعلم والقدرة، فإن لزم من قدم الحكمة قدم الفعل، لزم من قدم الإرادة قدمه، وإن لم يلزم (ذاك)[٢] لم يلزم هذا.

الجواب العاشر: أن يقال: لو لم يكن فعله لحكمة وغاية مطلوبة لم يكن مريداً، فإن المريد لا يعقل كونه مريداً إلا إذا كان يريد لغرض وحكمة، فإذا انتفت الحكمة والغرض انتفت الإرادة، ويلزم من انتفاء الإرادة أن يكون موجباً بالذات، وهو علة تامة في الأزل لمعلوله، فيلزم أن يقارنه جميع معلوله، ولا يتأخر فيلزم من ذلك [قدم][٣] الحوادث المشهودة، وإنما لزم ذلك من

---

(١) انظر الباب الثاني والعشرين.

(٢) في ط (ذلك).

(٣) في الأصل، (عدم) والأولى ما أثبته من (ط).

انتفاء الحكمة والغرض المستلزم لنفي الإرادة المستلزمة (للإيجاب)[١] الذاتي المستلزم (لقدم)[٢] الحوادث. وتقرير هذا وبسطه في غير هذا الموضع.

فصل

قال نفاة الحكمة: جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيئين: تحصيل اللذة والسرور، ودفع الألم والحزن والغم، والله سبحانه قادر على تحصيل هذين المطلوبين ابتداءً من غير شيء من الوسائط، ومن كان قادراً على تحصيل المطلوب ابتداءً بغير واسطة، كان توسله إلى تحصيله بالوسائط عبثاً، وهو على الله محال.

قال أصحاب الحكمة: عن هذه الشبهة أجوبة:

الجواب الأول: أن يقال: لا ريب أن الله على كل شيء قدير، لكن لا يلزم إذا كان الشيء مقدوراً ممكناً أن تكون الحكمة المطلوبة لوجوده يمكن تحصيلها مع عدمه، فالموقوف على الشيء يمتنع حصوله بدونه كما يمتنع حصول الابن بكونه ابناً بدون الأب، فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال، والجمع بين الضدين محال، ولا يقال: فيلزم العجز؛ لأن المحال ليس بشيء، فلا تتعلق به القدرة، والله على كل شيء قدير، فلا يخرج ممكن عن قدرته البتة.

الجواب الثاني: أن دعوى كون توسط أحد الأمرين إذا كان شرطاً (في الآخر)[٣] أو سبباً له عبث دعوى كاذبة باطلة، فإن العبث هو الذي لا فائدة فيه، وأما توسط الشرط أو السبب أو المادة التي يحدث فيها ما يحدثه، فليس بعبث.

---

(١) في ط (للإيمان).

(٢) في الأصل، م (عدم) والأولى ما أثبته من (ط).

(٣) ساقطة من م، ط.

توضيحه: الجواب الثالث:

أن حصول الأعراض والصفات التي يحدثها الله سبحانه في موادها مشروط بحصول تلك المواد، ولا يتصور وجودها بدونها. فتوسطها أمر ضروري لابد منه، فيتقلب عليكم دليلكم، ونقول: هل يقدر سبحانه على إيجاد تلك الحوادث بدون توسط موادها الحاملة لها أو لا يمكن؟ فإن قلتم: يمكن ذلك، كان توسطها عبثاً، وإن قلتم لا يقدر كان تعجيزاً، فإن قلتم: هذا فرض مستحيل والمحال ليس بشيء قيل صدقتم، وهذا جوابكم[(١)] (بعينه؛ فإن الموقوف على الشيء يمنع حصوله بدونه، فلا يكون توسطه عبثاً)[(٢)].

الجواب الرابع: أن يقال: إذا كان في خلق [تلك][(٣)] الوسائط حكم أخرى تحصل بخلقها للفاعل وفي خلقها مصالح ومنافع لتلك الوسائط، لم يكن توسطها عبثاً، ولم تكن الحكمة الحاصلة (بوجودها مساوية للحكمة الحاصلة)[(٤)] بعدمها. كما أنه سبحانه إذا جعل رزق بعض خلقه في البحارات مثلاً، فاقتضى ذلك أن تخليق (البضائع)[(٥)] إلى من يحتاج (إليها)[(٦)] فينتفع هؤلاء بالبضائع وهؤلاء بالثمن[(٧)] كان في ذلك مصلحة هؤلاء وهؤلاء. وإذا تأملت الوجود رأيته قائماً بذلك شاهداً به على منكري الحكمة، فكم لله

(١) في ط (جوابنا).
(٢) ما بينهما ساقط من ط.
(٣) في الأصل (لذلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٤) ما بينهما ساقط من م، ط.
(٥) في باقي النسخ (المصانع).
(٦) ساقطة من (ط).
(٧) في (ط) (باليمن).

سبحانه في إحداث تلك الوسائط من حكم ومصالح ومنافع للعباد، لو بطلت تلك الوسائط، لفاتت تلك الحكم والمصالح.

الجواب الخامس: قولك يلزم العبث وهو على الله محال. فيقال: إن كان العبث عليه محالاً، لزم أن لا يفعل ولا يأمر إلا لمصلحة وحكمة، فبطل قولك بقولك، وإن لم يكن العبث عليه محالاً بطلت هذه الحجة، فيتحقق بطلانها على التقديرين.

الجواب السادس: أن يقال: ما المانع أن يفعل سبحانه أشياء معللة وأشياء غير معللة، بل مرادة لذتها. وإذا جاز أن يقال: إن هذه الوسائط غير معللة، ولا يمكنك نفي هذا القسم إلا بأن تقول: إن شيئاً من أفعاله غير معلل البتة، وأنت إنما نفيت هذا بلزوم العبث في توسط تلك الأمور، ولا يلزم انتفاء التعليل في بعض الأفعال انتفاؤه في الجميع، فإنه لا يجب أن يكون كل شيء لعلة، فأنت نفيت جواز التعليل، وغاية هذه الحجة لو صحت أن تدل على أنه لا يجب في كل شيء أن يكون لعلة فلم [يثبت][1] الحكم والدليل، وهذا كما يقول الفقهاء مع [قولهم][2] بالتعليل: إن من الأحكام ما يفيد[3] غير معلل. فهلا قلت في الخلق كقولهم في الأمر. وهذا إنما هو بطريق الإلزام، وإلا فالحق أن جميع أفعاله وشرعه لها حكم وغايات لأجلها شرع وفعل، وإن لم يعلمها الخلق على التفصيل. فلا يلزم من عدم علمهم بها انتفاؤها في نفسها.

(١) في الأصل وباقي النسخ (يلتف) والصواب ما أثبته من (ط).

(٢) في الأصل، م (قوله) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (ما هو يفيد) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

الجواب (السابع)[1]: (أن يقال)[2] غاية هذه الشبهة أن يكون سبحانه قادراً على تحصيل تلك الحكم بدون تلك الوسائط، كما هو قادر على تحصيلها بها، وإذا كان الأمران (مقدورين)[3] له لم يكن العدول عن أحد المقدورين إلى الآخر عبثاً، إلا إذا كان المقدور الآخر مساوياً لهذا من كل وجه. ولا يمكن عاقلاً أن يقول: إن تعطيل تلك الوسائط وعدمها مساو من كل وجه لوجودها. وهذا من أعظم البهت وأبطل الباطل، وهو يتضمن القدح في الحس والعقل والشرع، كما هو قدح في الحكمة، فإن من جعل وجود الرسل (وعدمهم)[4] سواءً، ووجود الشمس والقمر والنجوم والمطر والنبات والحيوان وعدمه سواء، ووجود هذه الوسائط جميعها وعدمها سواء، فلم يدع للمكابرة موضعاً.

الجواب الثامن[5]: قولك: جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيئين: تحصيل اللذة، ودفع الهم والحزن، أتريد به الغرض الذي يفعل (لأجله)[6] الحيوان؟ أو الحكمة التي يفعل الله سبحانه لأجلها؟ أم تريد به ما هو أعم من ذلك؟

فإن أردت الأول لم يفدك شيئاً، وإن أردت الثاني أو الثالث كانت دعوى مجردة لا برهان عليها.

---

(١) في (ط) (السادس) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في م، ط (لا توجد).

(٣) في جميع النسخ (مقدوران) والصواب ما أثبته.

(٤) في ط (وعدمها).

(٥) في ط (السابع).

(٦) في م (لأجل) وفي ط (لأجلها).

فإن حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الغم والحزن، فإنه يتعالى عن ذلك، بل ليس كمثل حكمته شيء، كما أنه موصوف بالإرادة وليست كإرادة الحيوان، فإن الحيوان يريد ما يريده ليجلب له به منفعة، أو يدفع به عنه مضرة، وكذلك غضبه سبحانه ليس مشابهاً لغضب خلقه، فإن غضب المخلوق هو غليان دم قلبه طلباً للانتقام، والله يتعالى عن ذلك.

وكذلك سائر صفاته، فكما أنه ليس كمثله شيء في إرادته ورضاه وغضبه ورحمته وسائر صفاته، فهكذا حكمته سبحانه لا تماثل حكمة (المخلوق)[1]، بل هي أجل وأعلى من أن يقال: إنها تحصيل لذة أو دفع حزن، فالمخلوق لنقصه يحتاج أن يفعل ذلك؛ لأن مصالحه لا تتم إلا به، والله سبحانه غني بذاته عن كل ما سواه، لا يستفيد من خلقه كمالاً، بل (خلقه)[2] يستفيدون كمالهم منه.

الجواب التاسع[3]: أن يقال: قد دل الوحي مع العقل على أنه سبحانه يحب ويبغض، أما الوحي، فالقرآن مملوء من ذلك[4]. وأما العقل فما نشاهد في العالم من إكرام أوليائه وأهل طاعته، وإهانة أعدائه وأهل معصيته، شاهد لمحبته لهؤلاء ورضاه عنهم، وبغضه لهؤلاء وسخطه عليهم. ومعلوم قطعاً أن من يحب ويبغض أكمل محبة وبغض وهو قادر على تحصيل محابه فإن حكمته فيما يفعله ويتركه أتم حكم وأكملها. فهو يفعل ما يفعله؛ لأنه يوصل إلى محابه، ويترك ما يتركه، لأنه لا يحبه، وإذا فعل ما يكرهه لم يفعله إلا لإفضائه إلى ما يحب، وإن كان مكروهاً في نفسه.

---

(١) في ط (المخلوقين).

(٢) في م، ط (خلقهم).

(٣) في (ط) (الثامن).

(٤) من ذلك قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران/ ٧٦] =

فإن أردت باللذة والسرور والهم والحزن، الحب والبغض، فالرب تعالى يحب (ويبغض، فلا يطلق عليه لذة ولا غم ولا حزن، تعالى الله عن ذلك، وإن أردت حقائق تلك الألفاظ)(١) لم يلزم من كونه يفعل لحكمة أن يتصف بذلك.

الجواب العاشر(٢): أنه سبحانه إذا كان قادراً على تحصيل ذلك بدون الوسائط، وهو قادر على تحصيله بها، كان فعل النوعين أكمل وأبلغ في القدرة، وأعظم في ملكه وربوبيته من كونه لا يفعل إلا (بأحد)(٣) النوعين، والرب تعالى ينوع أفعاله لكمال قدرته وحكمته وربوبيته، فهو سبحانه قادر على تحصيل تلك الحكمة بواسطة إحداث مخلوق منفصل، وبدون إحداثه، بل بما يقوم به من أفعاله اللازمة وكلماته، وثنائه على نفسه، وحمده لنفسه؛ فمحبوبه يحصل بهذا وهذا. وذلك أكمل [ممن](٤) لا يحصل محبوبه إلا بأحد النوعين.

الجواب الحادي عشر(٥): أن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله، فلا بد من ظهور آثارها في العالم، فإنه محسن ويستحيل وجود

= وقوله: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٤]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران/ ٣١]، وغير ذلك كثير وأما البغض، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء/ ٣٦] . وقوله ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء/ ١٤٨] . وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة/ ١٦٤] .

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) في م، ط (التاسع).

(٣) في الأصل، م (أحد) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) في م، ط (العاشر).

الإحسان من يحسن إليه، رزاق فلابد من وجود من يرزقه، وغفار وحليم، وجواد، (وبَر)[١]، ولطيف بعباده، ومنان، ووهاب، وقابض وباسط، وخافض، ورافع، ومعز ومذل. وهذه الأسماء (والصفات)[٢] تقتضي متعلقات تتعلق بها، وآثاراً تتحقق بها. فلم يكن بد من وجود متعلقاتها، وإلا تعطلت تلك الأوصاف، [وبطلت تلك الأسماء، فتوسط تلك الآثار لابد منه في تحقق معاني تلك الأسماء والصفات][٣] فكيف يقال: إنه عبث لا فائدة فيه، وبالله التوفيق.

فصل

قال نفاة الحكمة: لو وجب أن يكون خلقه وأمره معللاً بحكمة وغرض، لكان خلق الله العالم في وقت معين دون ما قبله ودون ما بعده معللاً برعاية غرض ومصلحة، ثم ذلك الغرض والمصلحة إما أن يقال: كان حاصلاً قبل ذلك الوقت، أو لم يكن حاصلاً قبله.

فإن كان ما لأجله أوجد الله العالم في ذلك الوقت حاصلاً قبل أن أوجده، فيلزم أن يقال: إنه كان [موجداً][٤] قبل أن لم يكن موجداً له، وذلك محال.

وإن قلنا: إن ذلك الغرض والمصلحة لم يكن حاصلاً قبل ذلك الوقت، وإنما حدث في ذلك الوقت، فنقول: حصول ذلك الغرض في ذلك الوقت إما أن يكون مفتقراً إلى المحدث أو لا يفتقر. فإن لم يفتقر، فقد حدث الشيء

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) ما بينهما ساقط من الأصل والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (موجوداً) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

لا عن موجد ومحدث، وهو محال. وإن افتقر إلى محدث، فإن افتقر تخصص إحداث ذلك الغرض بذلك الوقت إلى غرض آخر عاد التقسيم الأول فيه، ولزم التسلسل. وإن لم يفتقر إلى رعاية غرض آخر، فحينئذ تكون موجدية الله سبحانه وخالقيته غنية عن الأغراض والمصالح، وهذا هو المطلوب.

قالوا: وهذه الحجة كما (أنها)[1] قائمة في اختصاص العالم بذلك الوقت المعين، فهي قائمة في اختصاص كل حادث من الحوادث بوقته المعين، وملخصها أن إحداث الحادث في وقته إن كان لغرض، فإن كان ذلك الغرض حاصلاً قبله، لزم حدوثه قبل حدوثه، وإلا افتقر إلى الإحداث، [فإحداثه][2] إن كان لغرض تسلسل، وإلا ثبت المطلوب.

قال أهل الحكمة: هذه الحجة بعينها مذكورة في ضمن الحجة الثانية التي تقدمت، وكأنكم يعجبكم التشبع (بكثرة)[3] الباطل، وجميع ما أجبناكم به هناك فهو الجواب هاهنا بعينه، فغاية هذا أنه تسلسل في الآثار لا في المؤثرات، وتسلسل في الحوادث المستقبلية، وذلك جائز، بل واجب باتفاق المسلمين، سوى قول [جهم[4] والعلاف[5]][6].

وغاية الأمر أن يكون في الحوادث ما يراد لنفسه، وفيها ما يراد لغيره، والحكمة المطلوبة لنفسها لا تفتقر إلى أخرى تراد لأجلها، وإن هذا

---

(١) في م (كأنها).

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) في ط (بكرة).

(٤) سبقت ترجمته ص٤٥٩.

(٥) سبقت ترجمته ص٤٥٩.

(٦) في الأصل (الجهمية والعلاف) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(الدليل)[١] لو صحت مقدماته، وهيهات، فإنما يدل على أن أفعاله تعالى لا يجب تعليلها. ولا يلزم من ذلك أن لا يجوز تعليلها، فنفي الوجوب شيء، ونفي الجواز شيء، فهب أنا سلمنا الأول، فأين دليل الثاني، وغايتها أنها تدل على عدم تعليل بعض الحوادث لا على عدم [تعليل][٢] جميعها.

وبالجملة، فما تقدم هناك[٣] مغن (لنا)[٤] عن الإطالة في الأجوبة. وسر المسالة أن دوام (فاعلية الرب تعالى تبطل هذه الشبهة من أصلها، وقد اتفق المسلمون على دوام)[٥] فاعليته في المستقبل، (متفق عليه)[٦] والسلف على دوامها في الماضي، وإنما خالف في ذلك كثير من أهل الكلام[٧].

فصل

قال نفاة الحكمة: قد قام الدليل على أنه خالق كل شيء، فأي حكمة أو مصلحة في خلق الكفر والفسوق والعصيان؟

وأي حكمة في خلقة من علم أنه يكفر ويفسق ويظلم ويفسد الدنيا والدين؟

وأي حكمة في خلق كثير من الجمادات التي وجودها وعدمها سواء؟ وكذلك كثير من الأشجار والنبات، والمعادن المعطلة، والحيوانات المهملة، بل العادية المؤذية؟

---

(١) في الأصل (دليل) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) انظر الصفحات من (١٠٩٣ إلى ١٠٩٩) من هذا البحث.

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) ما بينهما ساقط من (ط).

(٦) هذه الكلمة لا حاجة لها فيما يظهر.

(٧) انظر (شرح الطحاوية) ص ١٢٩.

وأي حكمة في خلق السموم والأشياء المضرة؟

وأي حكمة في خلق إبليس والشياطين؟ وإن كان في خلقهم حكمة، فأي حكمة في إبقائه إلى آخر الدهر؟ (وإماتة)[1] الرسل والأنبياء؟

وأي حكمة في إخراج آدم وحواء من الجنة، وتعريض الذرية لهذا البلاء العظيم. وقد أمكن أن يكونوا في أعظم العافية؟

وأي حكمة في إيلام الحيوانات؟ وإن كان في إيلام المكلفين[2] منها حكمة، فما الحكمة في إيلام غير المكلف كالبهائم والأطفال والمجانين؟

وأي حكمة له في خلقه خلقاً[3] يعذبهم بأنواع العذاب الدائم الذي لا ينقطع؟

وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب قتلاً وأسراً وعقوبة واستعباداً؟

وأي حكمة في تكليف الثقلين وتعريضهما بالتكليف لأنواع المشاق والعذاب؟

قالوا: ونحن العقلاء نعلم علماً ضرورياً أن خلود أهل النار فيها فعل الله، ونعلم ضرورة أنه لا فائدة في ذلك تعود إليه ولا إلى المعذبين ولا إلى غيرهم. قالوا: ويكفينا في ذلك مناظرة[4] الأشعري[5] لأبي هاشم الجبائي[6] حين

---

(١) في الأصل (وإهانة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل، م(المتكلفين) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (خلقها) والصواب ما اثبته من باقي النسخ.

(٤) ذكر الذهبي هذه المناظرة في ترجمة الأشعري . انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٩.

(٥) سبقت ترجمته ص١٠٩٤ .

(٦) هو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم الضال، ابن شيخ المتكلمين عبدالسلام بن =

ساله عن ثلاثة إخوة مات أحدهم مسلماً قبل البلوغ، وبلغ الآخران، فمات أحدهما مسلماً والآخر كافراً، فاجتمعوا عند رب العالمين، فبلغ المسلم البالغ المرتبة العلية بعمله وإسلامه، فقال أخوه: يا رب، هلا رفعتني إلى منزلة أخي المسلم، فقال: إنه عمل أعمالاً لم (تعملها)[1] . فقال: يا رب، فهلا أحييتني حتى أعمل مثله عمله، فقال: علمت أن موتك صغيراً خير لك؛ إذ لو بلغت لكفرت، فصاح الأخ الثالث من أطباق الجحيم، وقال: يا رب، فهلا أمتني صغيراً قبل البلوغ كما فعلت بأخي، فما جوابه؟ قال: فانقطع الشيخ ولم يذكر جواباً.

قال نفاة الحكمة: وهذا قاطع في المسألة لا غبار عليه، وقد قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت/ ٢١].

وقال: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة/ ٢٨٤].

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء/ ٢٣]. فرد الأمر إلى محض مشيئته، وأخبر أن صدور الأشياء كلها عنها.

وقالوا: وأصل ضلال الخلق هو طلب تعليل أفعال الرب، كما قال شيخ الإسلام[2] في تائيته:

= محمد بن عبدالوهاب البصري. أخذ عن والده. وله كتاب «الجامع الكبير» ، وكتاب «العرض»، وكتاب «المسائل العسكرية» . هلك ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد ١١/ ٥٥-٥٦ ، الملل والنحل ١/ ٩٨ ، الفرق بين الفرق ص١٨٣، العبر ٢/ ١٢.

(١) في الأصل (لا يعلمها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) سبقت ترجمته .

وأصـل ضـلال الخلـق مـن كـل فـرقة
هـو الخـوض في فعـل الإلـه (بعلـة)[١][٢]

فإنهم لما طلبوا علة أفعاله، فأعجزهم العلم بها، افترقوا بعد ذلك؛ فطائفة ردت الأمر إلى الطبيعـة والأفـلاك[٣]، وطائفـة[٤] التزمـت مكابـرة الحس والعقل، وقالوا: إن خلود أهل النار في النار أنفع لهم وأصلح من كونهم في الجنة، وإن إبقاء إبليس يغوي الخلق ويضلهم أنفع لهم من إماتته، وإن إماتة الأنبياء أصلح للأمم من إبقائهم بينهم، وإن تعذيب الأطفال خير لهم من رحمتهم، إلى غير ذلك من المحالات التي قادهم إليها الخوض في تعليل أفعال من لا يسأل عما يفعل، فلذلك قلنا: إن الصواب القول بعدم التعليل[٥]، وتخلصنا من الحبائل والأشراك التي وقعتهم فيها.

قال أهل الحكمة: ليست هذه الأسئلة والاعتراضات التي قد جئتم بها في حكمة أحكم الحاكمين بأقوى من الأسئلة والاعتراضات التي قدح بها أهل الإلحاد في وجوده سبحانه. وقد أقاموا أربعين شبهة تنفي وجوده، وكذلك اعتراضات المكذبين لرسله، وقد حكيتم أنتم عنهم ثمانين اعتراضاً، وكذلك الاعتراضات التي قدح بها المعطلة في إثبات صفات كماله قد علمتم شأنها

(١) في (م) يعلمه، والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٢٤٦.
(٣) وهم الفلاسفة.
(٤) ساقطة من (ط).
(٥) يرى الفلاسفة (نفي التعليل لأفعاله سبحانه) . انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سيناء (٣/ ١٥٠، ١٥١)، كما يقول بذلك الأشاعرة ، المواقف للإيجي (٨/ ٢٠٢)، غاية المرام في علم الكلام ص٢٢٤ للآمدي.

(وكثرتها)[١]، وكذلك الاعتراضات التي نفى بها الجهمية علوه على خلقه، واستواءه على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لعباده[٢].

ولقد علمتم الاعتراضات التي اعترض بها أهل الفلسفة في كونه خالقاً للعالم في ستة أيام، وعلى كونه يقيم الناس من قبورهم، ويبعثهم إلى دار السعادة أو الشقاء، (ويبدل هذا العالم ويأتي بغيره. واعتراضات هؤلاء)[٣] وأسئلتهم أضعاف اعتراضات نفاة حكمته[٤] وغايات أفعاله المقصودة، وكذلك اعتراضات نفاة القدر وأسئلتهم، إلى غير ذلك.

وقد اقتضت حكمة (أحكم)[٥] الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حق جاحداً، ولكل صواب معانداً، كما أقام لكل نعمة حاسداً، ولكل شر رائداً، وهذا من تمام حكمته الباهرة وقدرته القاهرة، ليتم عليهم كلمته، وينفذ فيهم مشيئته، ويظهر فيهم حكمته، ويقضي بينهم (بحكمه)[٦]، ويفاضل بينهم (بعلمه)[٧]، ويظهر فيهم آثار صفاته العليا وأسمائه الحسنى، ويتبين لأوليائه وأعدائه يوم القيامة أنه لم يخل حكمة، ولم يخلق خلقه عبثاً، ولا تركهم سدى، وأنه لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، وأن له الحمد التام

---

(١) في (ط) (وكبرها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٢/ ٥، ٢٠ ، كتاب الصفدية ٢/ ٥٤.

(٣) في الأصل تقديم وتأخير يسير في العبارة. ورجحت ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٤) في (ط) (الحكمة) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (أحد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل (بحكمته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في الأصل (فعله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

الكامل على جميع ما خلقه وقدره وقضاه، وعلى ما أمر به ونهى عنه، وعلى ثوابه وعقابه، وأنه لم يضع من ذلك شيئاً إلا في محله الذي[1] لا يليق به سواه.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (النحل ٣٨-٣٩).

وإذا تبين لأهل الموقف، ونفذ فيهم قضاؤه الفصل وحكمه العدل نطق الكون أجمعه بحمده؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر/ ٧٥).

وجواب هذه الأسئلة من وجوه:

أحدها: أن الحكمة إنما تتعلق بالحدوث والوجود. والكفر والشرور، وأنواع المعاصي راجعة إلى مخالفة نهي الله ورسوله، وترك ما أمر به، وليس ذلك من متعلق الإيجاد في شيء، ونحن إنما التزمنا أن ما فعله الله وأوجده فله فيه حكمة وغاية مطلوبة. وأما ما تركه سبحانه ولم يفعله، فإنه وإن كان تركه لحكمة في ذلك، فلم يدخل في كلامنا، فلا يرد علينا. وقد قدمنا[2][3] أن الشر ليس إليه بوجه، فإنه عدم الخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء كاسمه. فإذا قلنا: إن أفعال الرب تعالى واقعة لحكمة وغاية محمودة، لم يرد علينا تركه.

يوضحه **الجواب الثاني**، وهو: أنه سبحانه قد ترك ما لو خلقه لكان في خلقه له حكمة، فيتركه لعدم محبته لوجوده، أو لكون وجوده يضاد ما هو

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (م) وفي (ط) (قيل).

(٣) انظر الباب الحادي والعشرين، والرابع والعشرين، والخامس والعشرين.

(إليه)[١] أو لاستلزام وجوده فوات محبوب له آخر. وعلى هذا، فتكون حكمته في عدم خلقه أرجح من حكمته في خلقه، والجمع بين الضدين مستحيل، فرجح سبحانه أعلى الحكمتين بتفويت أدناهما، وهذا غاية الحكمة، فخلقه وأمره مبني على تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة بتفويت المرجوحة، التي لا يمكن الجمع بينهما وبين تلك الراجحة، وعلى دفع المفاسد الخالصة أو الراجحة، وإن وجدت المفاسد المرجوحة التي لا يمكن الجمع بين عدمها وعدم تلك الراجحة، وخلاف هذا هو خلاف الصواب والحكمة.

الجواب الثالث: أن يقال: غاية ذلك انتفاء الحكمة في هذا النوع من المقدورات. أفيلزم من ذلك انتفاؤها في جميع خلقه وحكمه. فهب أن هذا النوع لا حكمة فيه، فمن أين يستلزم ذلك نفي الحكمة والغرض في كل شيء؟ كيف وفيه من الحكم والغايات المحمودة ما هو معلوم لأهل البصائر الراسخين في العلم، كما سننبه على (اليسير منه إن شاء الله)[٢].

الجواب الرابع: أنا لم ندع حكمة يجب، أو يمكن، إطلاع الخلق على تفاصيلها، فإن حكمة الله أعظم وأجل من ذلك، فما المانع من اشتمال ما ذكرتم من الصور وغيرها على الحكم، حجة ينفرد الله بعلمها، كما قال للملائكة وقد سالوه عن ذلك: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٣٠) فمن يقول بلزوم الحكمة لأفعاله وأحكامه مطلقاً لا يوجب مشاركة خلقه له في العلم بها.

الجواب الخامس: إن الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فله في جميع ما ذكرتم وغيره حكمة ليست من جنس الحكمة

(١) لا توجد في م، ط.

(٢) في العبارة اختلاف يسير، ورجحت أن الأولى ما أثبته.

التي للمخلوقين، كما أن فعله ليس مماثلاً لفعلهم، ولا قدرته وإرادته ومشيئته ومحبته ورضاه وغضبه مماثلاً لصفات المخلوقين.

الجواب السادس: أن الحكمة تابعة للعلم والقدرة، فمن كان أعلم وأقدر كانت أفعاله أحكم وأكمل. والرب تعالى منفرد بكمال العلم والقدرة، فحكمته بحسب علمه وقدرته، كما تقدم تقريره، فحكمته متعلقة بكل ما تعلق به علمه وقدرته.

الجواب السابع: أن الأدلة القاطعة قد قامت على أنه حكيم (في أفعاله وأحكامه، فيجب القول بموجبها. وعدم العلم بحكمته في الصور المذكورة)[١] (ولا يكون)[٢] مسوغاً لمخالفة تلك الأدلة القاطعة، لاسيما وعدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه.

الجواب الثامن: أن كماله المقدس يمنع خلو هذه الصور التي تقصيتم (بها)[٣] عن الحكمة، وكماله أيضاً يأبى إطلاع خلقه على جميع حكمته، فحكمته تمنع إطلاع خلقه على جميع حكمته، بل الواحد منا لو أطلع غيره على جميع شأنه وأمره عد سفيهاً جاهلاً، وشأن الرب تعالى أعظم من أن يطلع كل واحد من خلقه على تفاصيل حكمته.

الجواب التاسع: أنكم إما أن تعترفوا بأن له حكمة في شيء من خلقه وأمره، أو تنكروا أن يكون له في شيء من خلقه وأمره حكمة، فإن أنكرتم ذلك ـ وما هو من الظالمين ببعيد ـ كذبتم جميع كتب الله ورسله والعقل

---

(١) مكررة في (م).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من م، ط.

والفطرة والحس، وكذبتم عقولكم قبل تكذيب العقلاء (لكم)[١]. فإن جحد (حكمة)[٢] الله الباهرة في خلقه وأمره بمنزلة جحد الشمس والقمر والليل والنهار، وغير مستنكر لكثير من طوائف أهل الكلام المكابرة في جحد الضروريات.

وإن أقررتم بحكمته في بعض خلقه وأمره، قيل لكم: فأي (الأمرين)[٣] أولى به، وجود تلك الحكمة أم عدمها؟ فإن قلتم: عدمها أولى من وجدوها، كان هذا غاية الكذب والبهت والمحال. وإن قلتم: وجودها أكمل، قيل: فهل هو قادر على تحصيلها في جميع حلقه وأحكامه أم غير قادر؟ فإن قلتم: غير قادر جئتم بالعظيمة في العقل والدين، وانسلختم من عقولكم (وأديانكم)[٤]، وإن قلتم: بل هو قادر على ذلك، قيل: فإذا كان قادراً على كل شيء، وهو كمالٌ في نفسه ووجودُه خير من عدمه، وهو أولى به، فكيف يجوز نفيه عنه؟ فإن قلتم: إنما نفيناه لأنا لم نطلع على حقيقته، قيل: صدقتم (هذا)[٥] والله (شانكم)[٦] في جميع ما تنفونه عن الله، إنما مستندكم في نفيه عدم الاطلاع على حقيقته، ولم تكتفوا بقبول قول الرسل، فصرتم إلى النفي.

الجواب العاشر: أن العقلاء قاطبة متفقون على أن الفاعل (منهم)[٧] إذا

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في الأصل (كلمة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (الكافرين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في ط (وأذهانكم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) في ط (سائلكم) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) ساقطة من (ط).

فعل أفعالاً ظهرت فيها حكمته ووقعت على أتم (الوجوه)[١] وأوفقها للمصالح المقصودة بها، ثم (إذا)[٢] رأوا أفعاله قد تكررت كذلك، ثم جاءهم من أفعاله ما لا يعلمون وجه حكمته فيه، لم يسعهم غير التسليم لما عرفوا[٣] حكمته واستقر في عقولهم منها، وردوا متشابه[٤] ما جهلوه إلى محكم ما علموه.

هكذا نجد أرباب كل صناعة مع أستاذهم، حتى إن النفاة يسلكون هذا المسلك بعينه مع أئمتهم وشيخوهم، فإذا جاءهم إشكال على قواعد أئمتهم ومذاهبهم، قالوا: هم أعلم منا، وهم فوقنا في كل علم ومعرفة وحكمة، ونحن معهم كالصبي مع معلمه وأستاذه، فهلا سلكوا هذا السبيل مع ربهم وخالقهم، الذي بهرت حكمته العقول، وكان نسبتها إلى حكمته أقل[٥] من نسبة عين الخفاش إلى جرم الشمس.

ولو أن العالم الفاضل المبرز في علوم كثيرة (عرض علمه)[٦] (على من لا يشاركه في صنعته، ولا هو من أهلها، وقدح في أوضاعها، لخرج عن موجب العقل والعلم، وعد ذلك نقصاً وسفهاً)[٧]، فكيف بأحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، وأقدر القادرين؟

الجواب الحادي عشر: أن الحكمة إنما تتم بخلق المتضادات والمتقابلات، كالليل والنهار، والعلو والسفل، والطيب والخبيث، والخفيف والثقيل،

---

(١) في الأصل (الوجود) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) في ط (منها).

(٥) في م، ط (أولى).

(٦) زيادة من (ط).

(٧) ما بينهما فيه اختلاف يسير والأولى ما أثبته من (ط).

والحلو والمر، والحر والبرد، والألم واللذة، والحياة والموت، والداء والدواء.

فخلق هذه المتقابلات هو محل ظهور الحكمة الباهرة (كما هو)[١] محل ظهور القدرة القاهرة، والمشيئة النافذة، والملك الكامل التام، فتوهم تعطيل خلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وآثارها، وذلك عين المحال؛ فإن لكل صفة من الصفات العليا حكماً (ومقتضى)[٢] وأثراً هو مظهر كمالها، فلا يجوز تعطيله، فإن صفة القادر تستدعي مقدوراً، وصفة الخالق تستدعي مخلوقاً، وصفة الوهاب، الرزاق، المعطي المانع، الضار النافع، المقدم المؤخر، المعز المذل، العفو، الرؤوف تستدعي آثارها وأحكامها، فلو عطلت تلك الصفات عن المخلوق، المرزوق، المغفور له، المرحوم، المعفو عنه، لم يظهر كمالها، وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها، فلو كان الخلق (كلهم مطيعين عابدين حامدين)[٣] لتعطل أثر كثير من الصفات العلى والأسماء الحسنى، (وكيف)[٤] كان يظهر أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز[٥]، والانتقام والعز والقهر، والعدل والحكمة، التي تنزل الأشياء منازلها وتضعها مواضعها؟

فلو كان الخلق كلهم أمة واحدة، لفاتت الحكم والآيات والعبر والغايات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه، وفات كمال الملك

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في ط (ومقتضيات) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في جميع النسخ (مطيعون، عابدون، حامدون) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف/ ٣٣].

والتصرف[١]، فإن الملك إذا اقتصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراته، فإما أن يكون عاجزاً عن غيره فيتركه عجزاً، أو جاهلاً بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جهلاً.

أما أقدر القادرين، وأعلم العالمين، وأحكم الحاكمين، فتصرفه في مملكته لا يقف على مقدور واحد؛ لأن ذلك نقص في ملكه، فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع، والخفض والرفع، والثواب والعقاب، والإكرام والإهانة، والإعزاز والإذلال، والتقديم والتأخير، والضر والنفع، وتخصيص هذا على هذا، وإيثار هذا على هذا[٢] ولو فعل هذا كله بنوع واحد متماثل الأفراد، لكان ذلك منافياً لحكمته، وحكمته تأباه كل الإباء، فإنه لا يفرق بين متماثلين، ولا يسوي بين مختلفين.

وقد عاب على من يفعل ذلك، وأنكر على من نسبه إليه. والقرآن مملوء من عَتْبه على من يفعل ذلك[٣]، فكيف يجعل له العبيد ما يكرهون ويضربون

---

(١) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم، لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم».
أخرجهما مسلم في صحيحه في كتاب (التوبة) باب (سقوط الذنوب بالاستغفار) ح (٢٧٤٨) و (٢٧٤٩) ٣/ ٢١٠٥، ٢١٠٦.

(٢) قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

(٣) قال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص/ ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا =

له مثل السوء[(١)]، وقد فطر الله عباده على إنكار ذلك من بعضهم على بعض، [وطعنهم][(٢)] على من يفعله، وكيف يعيب الرب سبحانه من عباده شيئاً ويتصف به؟ وهو سبحانه [إنما عابه][(٣)] لأنه نقص، فهو أولى أن يتنزه عنه.

وإذا كان لابد من ظهور آثار الأسماء والصفات ولا يمكن ظهور آثارها إلا في المتقابلات والمتضادات، لم يكن بد في الحكمة من إيجادها، إذ لو فقدت لتعطلت أحكام تلك الصفات وهو محال.

يوضحه **الوجه الثاني عشر**: أن من أسمائه المزدوجة؛ كالمعز المذل، والخافض الرافع، والقابض الباسط، والمعطي المانع.

ومن صفاته: الصفات المتقابلة؛ كالرضا والسخط، والحب والبغض، والعفو والانتقام، وهذه صفات كمال، وإلا لم يتصف بها، ولم يتسم بأسمائها، وإذا كانت صفات كمال، فإما أن يتعطل مقتضاها وموجبها، وذلك يستلزم تعطيلها في أنفسها، وإما أن تتعلق بغير محلها الذي يليق بأحكامها، وذلك نقص وعيب يتعالى عنه، فيتعين تعلقها بمحالها التي تليق

= ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية/ ٢١]، وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم/ ٣٥، ٣٦]. وغير ذلك في القرآن كثير.

(١) قال سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل/ ٦٢] .

(٢) في الأصل (وطبعهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، (م) (لهما غاية) والصواب ما أثبته من (ط).

بها، وهذا وحده كاف في الجواب لمن كان له [فقه][١] في باب الأسماء والصفات، ولا عبرة بغيره.

يوضحه **الوجه الثالث عشر**: أن من أسمائه الملك[٢]، ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال؛ إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة[٣] ولا قدرة[٤] ولا إرادة[٥] ولا سمع ولا بصر[٦] ولا كلام[٧] ولا فعل اختياري يقوم به[٨].

وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى، ولا يثيب ولا يعاقب، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يعز ويذل ويهين، ويكرم وينعم، وينتقم ويخفض ويرفع، ويرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ويتقدم إلى عبيده بأوامره ونواهيه. فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك؟

وبهذا يتبين أن المعطلين لأسمائه وصفاته جعلوا مماليكه أكمل منه، ويأنف أحدهم أن يقال في ملكه وأميره ما يقوله هو في ربه، فصفة ملكه الحق مستلزمة لوجود ما لا يتم التصرف إلا به. والكل منه سبحانه، فلم يتوقف

---

(١) في الأصل (نفقه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر/ ٢٣].

(٣) قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة/ ٢٥٥].

(٤) قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ٢٠].

(٥) قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

(٦) قال سبحانه: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء/ ١٣٤].

(٧) قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء/ ١٦٤].

(٨) قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧].

كمال ملكه على غيره، فإن كل ما سواه مسند إليه، ومتوقف في وجوده على مشيئته وخلقه.

يوضحه الوجه الرابع عشر: أن كمال ملكه بأن يكون مقارناً لحمده، فله الملك وله الحمد. والناس في هذا المقام ثلاث فرق:

فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد. وهذا مذهب من أثبت [له][١] القدر والحكمة وحقائق الأسماء والصفات، ونزهه عن النقائص ومشابهة المخلوقات، [ويوحشك][٢] في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة، الذين لم يتحيزوا إلى نحلة ولا مقالة ولا متبوع من أهل الكلام.

الفرقة الثانية: الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد. وهم الجبرية[٣] نفاة الحكمة والتعليل، القائلون بأنه يجوز عليه كل ممكن، ولا ينزه عن فعل قبيح، بل كل ممكن فإنه لا يقبح منه، وإنما القبيح المستحيل لذاته، كالجمع بين النقيضين، فيجوز عليه تعذيب ملائكته وأنبيائه ورسله وأهل طاعته، [وإكرام][٤] إبليس وجنوده، وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم أبداً، ولا سبيل لنا إلى العلم باستحالة ذلك إلا من نفي الخالق في خبره فقط. فيجوز [عندهم][٥] أن يأمر بمسبته ومسبة[٦] أنبيائه، والسجود للأصنام، والكذب

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (ويوجد) والصواب ما أثبته من م، ط.

(٣) سبق تعريفها .

(٤) في الأصل (والزام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من، ط.

(٦) في (ط) (بمشيئته ومشيئته) والصواب ما أثبته.

والفجور، وسفك الدماء، ونهب الأموال، وينهى عن البر والصدق والإحسان [والعفاف][(١)] ولا فرق في نفس الأمر بين ما أمر به ونهى عنه إلا التحكم بمحض المشيئة، وأنه أمر بهذا ونهى عن هذا، من غير أن يكون فيما أمر به صفة حسن تقتضي محبته والأمر به، ولا فيما نهى عنه صفة قبح تقتضي كراهته والنهي عنه[(٢)]، فهؤلاء عطلوا حمده في الحقيقة وأثبتوا له ملكاً بلا حمد، مع أنهم في الحقيقة لم يثبتوا له ملكاً، فإنهم جعلوه معطلاً في الأزل والأبد، لا يقوم به فعل البتة، وكثير منهم عطله عن صفات الكمال التي لا يتحقق كونه ملكاً ورباً إلا بها، فلا ملك أثبتوا ولا حمد.

الفرقة الثالثة: أثبتوا له نوعاً من الحمد، وعطلوا كمال ملكه. وهم القدرية[(٣)] الذين أثبتوا نوعاً من الحكمة، ونفوا لأجلها كمال قدرته، فحافظوا على نوع من الحمد عطلوا له كمال الملك، وفي الحقيقة لم يثبتوا لا هذا ولا هذا، فإن الحكمة التي أثبتوها جعلوها راجعة إلى المخلوق، لا يعود إليه سبحانه حكمها، والملك [الذي][(٤)] أثبتوه فإنهم في الحقيقة إنما قرروا نفيه بنفي قيام الصفات التي لا تكون ملكاً حقاً إلا بها ونفى قيام الأفعال الاختيارية، فلم يقم به عندهم وصف ولا فعل (وهذا غاية النفي لملكه وحمده، فإن من لا يقوم به قدرة)[(٥)] ولا إرادة ولا كلام، ولا سمع ولا بصر،

---

(١) في الأصل (والعقاب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر: مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٤٦٦-٤٧٨، الملل والنحل ١/ ١٠٨ - ١١٢.

(٣) سبق تعريفها .

(٤) في الأصل (أي) والصواب ما أثبته من (ط).

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط.

ولا فعل، ولا له حب ولا بغض، معطل عن حقيقة الملك والحمد[١].

والمقصود أن عموم ملكه يستلزم إثبات القدر، وأن لا يكون في ملكه شيء بغير مشيئته، فإن الله أكبر من ذلك وأجل، وعموم حمده يستلزم أن لا يكون في خلقه وأمره ما لا حكمة فيه، ولا غاية محمودة يفعل لأجلها ويأمر لأجلها، فالله أكبر وأجل من ذلك.

يوضحه الوجه الخامس عشر: إن مجرد الفعل من غير قصد ولا حكمة ولا مصلحة يقصده الفاعل لأجلها لا يكون متعلقاً للحمد، فلا يحمد عليه، حتى لو حصلت به مصلحة من غير قصد الفاعل لحصولها، لم يستحق الحمد عليها، كما تقدم تقريره[٢]، بل الذي يقصد الفعل لمصلحة وحكمة وغاية محمودة، وهو عاجز عن تنفيذ مراده أحق بالحمد من قادر لا يفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لقصد الإحسان. هذا المستقر في فطر الخلق، والرب سبحانه وبحمده قد تملأ السماوات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك، فملأ العالم العلوي والسفلي والدنيا والآخرة، ووسع حمده ما وسع علمه، فله الحمد التام على جميع خلقه، (وعلى جميع ما حكم به كوناً وديناً، فلم يوجد مخلوق إلا بحمده)[٣] ولا حكم [يحكم][٤] إلا بحمده، ولا قامت السماوات والأرض إلا بحمده، (ولا تحركت ذرة فما فوقها إلا بحمده، ولا نزلت قطرة إلا بحمده)[٥] ولا يتحول شيء في العالم العلوي والسفلي من حال إلى حال إلا

(١) انظر: (الفرق بين الفرق) ص١١٤ – ١١٦.

(٢) انظر: الأجوبة السابقة ص١١٢٣ إلى هذه الصفحة .

(٣) ما بينهما ساقط من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (علم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من باقي النسخ.

بحمده (ولا تحركت الأفلاك إلا بحمده، ولا أطيع إلا بحمده ولا عصي إلا بحمده)[١] ولا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ إلا بحمده، كما قال الحسن[٢] رحمة الله عليه: « لقد دخل أهل النارِ النارَ، وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً » .

وهو سبحانه إنما أنزل الكتاب بحمده، وأرسل الرسل بحمده ، وأمات خلقه بحمده، ويحييهم بحمده، ولهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله: فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

وحمد نفسه على إنزال كتابه فـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف/ ١] .

وحمد نفسه على خلق السماوات والأرض: ﴿(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)[٣] وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾ [الأنعام/ ١].

وحمد نفسه على كمال ملكه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ/ ١].

فحمدُه ملأ الزمان والمكان والأعيان، وعم [الأحوال][٤] كلها: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم/ ١٨،١٧].

---

(١) ما بينهما ساقط (ط).

(٢) سبقت ترجمته انظر ص١٤٧ .

(٣) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٤) في م، ط (الأقوال).

وكيف لا يحمد على خلقه كله وهو: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة/ ٧]. وعلى صنعه وقد أتقنه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل/ ٨٨] وعلى أمره وكله حكمة ورحمة، وعدل ومصلحة، وعلى نهيه [وكل ما نهى)[١)] عنه شر وفساد، وعلى ثوابه وكله رحمة وإحسان، وعلى عقابه وكله عدل وحق. فلله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله.

والمقصود أنه كلما كان الفاعل أعظم حكمة كان أعظم حمداً، وإذا عدم الحكمة ولم يقصدها بفعله وأمره، عدم الحمد .

الوجه السادس عشر: أنه سبحانه يجب أن يشكر، ويجب أن يشكر عقلاً وشرعاً[٢] وفطرة، فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب. وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته، وذكر آلائه وإحسانه، وتعظيمه وتكبيره، والخضوع له، والتحدث بنعمته، والإقرار بها بجميع طرق الوجوب؟ .

فالشكر أحب شيء إليه وأعظم ثواباً، وله خلق الخلق، وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وذلك يستلزم خلق الأسباب التي يكون [الشكر][٣] بها أكمل، ومن جملتها أن [فاوت][٤] بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة، في خلقهم وأخلاقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم، فإذا رأى المعافى

---

(١) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٢) قال سبحانه ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة/ ١٥٢).

(٣) في الأصل (المسئلة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (قارب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

المبتلى، والغني الفقير، والمؤمن الكافر، عظم شكره لله، وعرف قدر نعمته عليه، وما خصه به وفضله به على غيره، فازداد شكراً وخضوعاً واعترافاً بالنعمة[١]، وفي أثر ذكره الإمام أحمد في الزهد: «أن موسى عليه السلام قال: يا رب هلا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر»[٢].

فإن قيل: فقد كان من الممكن أن يسوى بينهم في النعم، ويسوى بينهم في الشكر، كما فعل بالملائكة .

قيل: لو فعل ذلك، لكان الحاصل من الشكر نوع آخر غير النوع الحاصل منه على هذا الوجه، والشكر الواقع على التفضيل والتخصيص أعلى وأفضل من غيره.

ولهذا كان شكر الملائكة وخضوعهم وذلهم لعظمته وجلاله بعد أن شاهدوا من إبليس ما جرى له، ومن هاروت وماروت[٣] ما شاهدوه أعلى وأكمل مما كان قبله.

---

(١) قال سبحانه: ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل/ ١٥) .

(٢) سبق تخريجه انظر ص١١٠٧ .

(٣) هاروت وماروت: كانا ملكين من الملائكة، فأهبطا إلى الأرض ليحكما بين الناس. وذلك أن الملائكة سخروا من أحكام بني آدم. فحاكمت إليهما إمرأة، فحافا لها، ثم ذهبا يصعدان، فحيل بينهما وبين ذلك، وخيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. قال قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولا: (إنما نحن فتنة فلا تكفر) كما ورد غير ذلك من الروايات عن أمرهما. (وهي من أخبار بني إسرائيل التي تصدق ولا تكذب) . انظر في ذلك: مسند الإمام أحمد ٢/ ١٣٤، تفسير الطبري ٢/ ٤٢٠-٤٣٥ ، فتح القدير ١/ ٢٠٥-٢١٤ .

وهذا حكمة الرب تعالى [وكذلك][١] شكر الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم [كان][٢] بعد أن عاينوا هلاك أعدائهم، انتقام الرب منهم، وما أنزل بهم من بأسه [أعلى وأكمل][٣]، وكذلك شكر أهل الجنة في الجنة وهم يشاهدون أعداءه، المكذبين لرسله، المشركين به في ذلك العذاب [العظيم][٤] فلا ريب أن شكرهم حينئذ ورضاهم ومحبتهم لربهم أكمل وأعظم مما لو قدر اشتراك جميع الخلق في النعيم.

فالمحبة الحاصلة من أوليائه له والرضا والشكر وهم يشاهدون (بني)[٥] جنسهم في ضد ذلك من كل وجه أكمل وأتم:

فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء

ولولا خلق القبيح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن، ولولا خلق الظلام لما عرفت فضيلة النور، ولولا خلق أنواع البلاء لما عرف قدر العافية. ولولا الجحيم لما عرف قدر الجنة، لو جعل الله سبحانه النهار سرمداً لما عرف قدره، ولو جعل الليل سرمداً لما عرف قدره، وأعرف الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء، وأعرفهم بقدر الغنى[٦] من قاسى مرائر الفقر والحاجة. ولو كان الناس كلهم [علماء لما عرفت فضيلة العلم وقدره، ولو كانوا أغنياء لما

---

(١) في (ط) (ولهذا كان شكر).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ما بينهما زيادة من (ط).

(٤) ساقطة من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (بين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) الفقر والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

عرفت فضيلة الغنى، ولو كانوا كلهم][1] على صورة واحدة من الجمال لما عرف قدر الجمال، وكذلك لو كانوا كلهم مؤمنين لما عرف قدر الإيمان والنعمة به، فتبارك من له في خلقه وأمره الحكم البوالغ، والنعم السوابغ.

يوضحه **الوجه السابع عشر**: أنه سبحانه يجب أن يعبد بأنواع العبودية، ومن أعلاها وأجلها عبودية الموالاة فيه، والمعاداة فيه، والحب فيه، والبغض فيه، والجهاد في سبيله، وبذل مهج النفوس في مرضاته، ومعارضة أعدائه.

وهذا النوع هو ذروة سنام العبودية، وأعلى مراتبها، وهو أحب أنواعها إليه، وهو موقوف على ما لا يحصل بدونه من خلق الأرواح التي تواليه وتشكره وتؤمن به، والأرواح التي تعاديه وتكفر به، ويسلط بعضها على بعض، لتحصل بذلك محابُّه على أتم الوجوه، وتقرب أولياءه إليه بجهاد أعدائه ومعارضتهم فيه، وإذلالهم وكبتهم ومخالفة سبيلهم، فتعلو كلمته ودعوته على كلمة الباطل ودعوته، ويتبين بذلك شرف علوها وظهورها، ولو لم يكن للباطل والكفر والشرك وجود، فعلى أي شيء كانت كلمته ودعوته تعلو؟ فإن العلو أمر لشيء يستلزم غالباً ما يعلى عليه، وعلو الشيء على نفسه محال. والوقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

يوضحه **الوجه الثامن عشر**: أن من عبودبته العتق والصدقة، والإيثار والمواساة، والعفو والصفح، والصبر، وكظم الغيظ، واحتمال المكاره، ونحو ذلك مما لا يتم إلا بوجود متعلقه وأسبابه. فلولا [الرق][2] لم تحصل عبودية

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) ساقطة من (ط).

العتق؛ فالرق من أثر الكفـــر. ولولا الظلم والإساءة والعدوان لم تحصل عبودية الصبر [والعفو][(١)] والمغفرة وكظم الغيظ. ولولا الفقر والحاجة لم تحصل عبودية الصدقة والإيثار والمواساة، فلو سوى بين خلقه جميعهم، لتعطلت هذه العبوديات التي هي أحب شيء إليه.

ولأجلها خلق الجن والإنس، ولأجلها شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الدنيا والآخرة، كما أن ذلك من صفات كماله. فلو لم يقدر الأسباب التي يحصل بها ذلك، لغاب هذا الكمال، وتعطلت أحكام تلك الصفات كما مر[(٢)].

يوضحه الوجه التاسع عشر: أنه سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أعظم فرح يقدر أو يخطر ببال أو يدور في خلد. وحصول هذا الفرح موقوف على التوبة الموقوفة على وجود ما يتاب منه، وما يتوقف عليه الشيء لا يوجد بدونه، فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال.

ولا ريب أن وجود [هذا][(٣)] الفرح أكمل من عدمه. فمن تمام الحكمة تقدير أسبابه ولوازمه، وقد نبه أعلم الخلق بالله على هذا المعنى بعينه؛ حيث يقول في الحديث الصحيح : **« لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم »**[(٤)].

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) انظر: الصفحات (١٠١٢-١٠٢١).

(٣) ساقطة من باقي النسخ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (التوبة) ، باب (سقــوط الذنوب بالاستغفار) ح (٢٧٤٩) ٣/ ٢١٠٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا.. » .

فلو لم يقدر الذنوب والمعاصي، فلمن يغفر؟ وعلى من يتوب؟ وعمن يعفو [ولمن يسامح ويعتق][١] ويسقط حقه، ويظهر فضله وجوده وحلمه وكرمه، وهو واسع المغفرة، فكيف يعطل هذه الصفة؟ أم كيف يتحقق بدون ما يغفر ومن يغفر له، ومن يتوب وما يتاب [منه][٢]؟

فلو لم يكن في تقدير الذنوب والمعاصي والمخالفات إلا هذا وحده، لكفى به حكمة وغايةً محمودة.

فكيف والحكم والمصالح والغايات المحمودة التي في ضمن هذا التقدير فوق ما يخطر بالبال؟ وكان بعض العباد يدعو في طوافه: اللهم اعصمني من المعاصي، [ويكثر][٣] من ذلك، فقيل له في المنام: أنت تسألني العصمة، وعبادي يسألونني العصمة، فإذا عصمتكم من الذنوب [فلمن][٤] أغفر، وعلى من أتوب وعمن أعفو؟

ولو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه، لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه.

يوضحه **الوجه العشرون**: أنه قد يترتب على خلق من يكفر به ويشرك به ويعاديه من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ما لم يكن يحصل بدون ذلك. فلولا كفر قوم نوح لما ظهرت آية الطوفان وبقيت [آية][٥] يتحدث بها الناس على ممر الأزمان، ولولا كفر عاد لما ظهرت آية الريح العقيم التي دمرت ما

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) في ط (عنه).

(٣) في ط (ويكرر).

(٤) في الأصل (فلم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من باقي النسخ..

مرت عليه، ولولا كفر قوم صالح لما ظهرت آية إهلاكهم بالصيحة، ولولا كفر قوم فرعون لما ظهرت تلك الآيات والعجائب [التي][١] تحدث بها الأمم أمة بعد أمة، واهتدى [بها][٢] من شاء الله، فهلك بها من هلك عن بينة، وحيَّ بها من حيَّ عن بينة[٣]، وظهر بها فضل الله وعدله وحكمته وآيات رسله وصدقهم. فمعارضة الرسل وكسر حججهم ودحضها، والجواب عنها وإهلاك الله لهم من أعظم أدلة صدقهم وبراهينه. ولولا مجيء المشركين بالحد والحديد والعدد والشوكة يوم بدر، لما حصلت تلك الآية العظيمة التي ترتب عليها من الإيمان والهدى والخير ما لم يكن حاصلاً مع عدمها.

وقد بينا أن الموقوف على الشيء لا يوجد بدونه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع، فلله كم عمرت قصة بدر من ربع أصبح آهلاً بالإيمان [وكم][٤] فتحت لأولي النهى من باب وصلوا منه إلى الهدى والإيقان، وكم حصل بها من محبوب للرحمن وغيظ للشيطان. وتلك المفسدة التي حصلت في ضمنها للكفار مغمورة جداً بالنسبة إلى مصالحها وحكمها. وهي كمفسدة المطر إذا قطع المسافر، وبلَّ الثياب، وخرب بعض البيوت، بالنسبة إلى مصلحته العامة.

وتأمل ما حصل بالطوفان وغرق آل فرعون للأمم من الهدى والإيمان، الذي غمر مفسدة من هلك به، حتى تلاشت في جنب مصلحته وحكمته.

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال/ ٤٢).

(٤) في جميع النسخ (وقد) ولعل الصواب ما أثبته.

فكم لله من حكمة في آياته التي ابتلى بها أعداءه، وأكرم فيها أولياءه، وكم له فيها من آيات وحجة وتبصرة وتذكرة، ولهذا أمر سبحانه رسوله أن يذكر بها أمته، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝﴾ [إبراهيم ٥-٦].

فذكَّرهم بأيامه وإنعامه، ونجاتهم من عدوهم، وإهلاكهم وهم ينظرون. فحصل بذلك من ذكره وشكره ومحبته وتعظيمه وإجلاله ما تلاشت فيه مفسدة إهلاك الأبناء وذبحهم واضمحلت. فإنهم صاروا إلى النعيم، وخلصوا من مفسدة العبودية لفرعون، إذ كبروا (وسومه)[١] [لهم][٢] سوء العذاب. وكان الألم الذي ذاقه الأبوان عند الذبح أيسر من الآلام التي كانوا تجرعوها باستعباد فرعون وقومه لهم بكثير، فحظي بذلك الآباء والأبناء.

وأراد سبحانه أن يري عباده ما هو من أعظم آياته، وهو أن يربي هذا المولود ـ الذي ذبح فرعون ما شاء الله من الأولاد في طلبه ـ في حجر فرعون، وفي بيته، وعلى فراشه. فكم في ضمن هذه الآية من حكمة ومصلحة ورحمة وهداية وتبصرة، وهي موقوفة على لوازمها وأسبابها، ولم تكن لتوجد بدونها، فإنه ممتنع. فمصلحة تلك الآية وحكمتها غمرت مفسدة ذبح الأبناء،

---

(١) في (ط) وسومهم له.

(٢) في الأصل (له) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وجعلها كأن لم تكن.

وكذلك الآيات التي أظهرها سبحانه على يد الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم[(١)]، والعجائب والحكم والمصالح والفوائد التي في تلك القصة، التي تزيد على الألف، لم تكن لتحصل بدون ذلك السبب الذي كان فيه مفسدة جزئية في حق[(٢)] يعقوب ويوسف، ثم انقلبت تلك المفسدة مصالح اضمحلت في جنبها تلك المفسدة بالكلية، وصارت سبباً لأعظم المصالح في حقه، وحق يوسف، وحق الإخوة، وحق امرأة العزيز، وحق أهل مصر، وحق المؤمنين إلى يوم القيامة. فكم جنى أهل المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ورسله من هذه القصة من ثمرة، وكم استفادوا بها من علم وحكمة وتبصرة.

وكذلك المفسدة التي حصلت لأيوب من مس الشيطان له بنصب وعذاب اضمحلت وتلاشت في جنب المصلحة والمنفعة التي حصلت له ولغيره عند مفارقة البلاء، وتبدله بالنعماء، بل كان ذلك السبب المكروه هو الطريق الموصل إليها، والشجرة التي جنيت [منها][(٣)] ثمار تلك النعم[(٤)].

وكذلك الأسباب التي أوصلت خليل الرحمن إلى أن صارت النار عليه برداً وسلاماً من كفر قومه وشركهم، وتكسيره أصنامهم، وغضبهم لها،

---

(١) المراد به نبي الله يوسف ، لما ورد في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام » أخرجه البخاري في كتاب (الأنبياء) باب (١٨) ٤/ ١٢١.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) انظر: زاد المسير ٧/ ١٤١.

وإيقاد النيران العظيمة له، وإلقائه فيها بالمنجنيق، حتى وقع في روضة خضراء في وسط النار، وصارت آية وحجة وعبرة ودلالة للأمم قرناً بعد قرن[١].

فكم لله سبحانه في ضمن هذه الآية من حكمة بالغة، ونعمة سابغة، ورحمة وحجة وبيّنة، لو تعطلت تلك الأسباب، لتعطلت هذه الحكم والمصالح والآيات. وحكمته وكماله المقدس يأبى ذلك.

وحصول الشيء بدون لازمه ممتنع، وكم بين ما وقع من المفاسد [الجزئية][٢] بدون هذه القصة وبين جعل صاحبها إماماً للحنفاء إلى يوم القيامة، وهل تلك المفاسد [الجزئية][٣] إلا دون مفسدة الحر والبرد والمطر والثلج بالنسبة إلى مصالحها بكثير. ولكن الإنسان كما قال الله: ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب/ ٧٢] ظلوم لنفسه، جهول بربه وبعظمته وجلاله وحكمته وإتقان صنعه[٤].

وكم بين إخراج رسول الله ﷺ من مكة على تلك الحال ودخوله إليها ذلك الدخول الذي لم يفرح به بشر حبوراً لله. وقد اكتنفه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله المهاجرون والأنصار قد أحدقوا به، والملائكة من فوقهم، والوحي من الله ينزل عليه، وقد أدخله حرمه ذلك الدخول، فأين مفسدة ذلك الإخراج (الذي كان)[٥] كأن لم يكن؟[٦].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٩٦-٣٠٥.

(٢) في الأصل (الجزوية) والصواب ما أثبته وهو من (ط).

(٣) في الأصل (الجزوية) والصواب ما أثبته وهو من (ط).

(٤) انظر: زاد المسير: ٦/ ٤٢٩.

(٥) ما بينهما زيادة من (ط).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٩٩.

ولولا معارضة السحرة لموسى بإلقاء العصي والحبال حتى أخذوا أعين الناس واسترهبوهم، لما ظهرت آية عصا موسى حتى ابتلعت عصيهم وحبالهم، ولهذا أمرهم موسى عليه السلام أن يلقوا أولاً ثم يلقي هو بعدهم[١].

ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وكمال اقتداره وحكمته أن يخلق مثل جبريل صلوات الله وسلامه عليه، الذي هو أطيب الأرواح العلوية وأزكاها وأطهرها وأشرفها، وهو السفير في كل خير وهدى وإيمان وصلاح، ويخلق مقابله مثل روح اللعين إبليس، الذي هو أخبث الأرواح وأنجسها وشرها، وهو الداعي إلى كل شر وأصله ومادته[٢].

وكذلك من تمام قدرته وحكمته أن خلق الضياء والظلام، والأرض والسماء، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، وشجرة الزقوم، وليلة القدر، وليلة [الوباء][٣] والملائكة والشياطين والمؤمنين والكفار والأبرار والفجار، [والحر][٤] والبرد، والداء والدواء، والآلام واللذات، والأحزان، والمسرات، واستخرج سبحانه من بين [ذلك][٥] ما هو من أحب الأشياء إليه من أنواع العبوديات والتعرف إلى خلقه بأنواع الدلالات.

ولولا خلق (الشياطين والهوى)[٦] والنفس الأمارة، لما حصلت عبودية

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٦-٣٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٣٢٦-٣٣٠.

(٣) هكذا وردت في جميع النسخ، وبحثت فلم أتوصل إلى المقصود من هذه الليلة.

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) في الأصل (الشيطان والنور) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

الصبر، ومجاهدة النفس (والشيطان)[١] ومخالفتهما، وترك ما يهواه العبد ويحبه لله، فإن لهذه العبودية شأناً ليس لغيرها[٢].

ولولا وجود الكفار لما حصلت عبودية الجهاد[٣]، ولما نال أهله درجة الشهادة، ولما [ظهر][٤] من يقدم محبة فاطره وخالقه على نفسه وأهله وولده، ومن يقدم أدنى حظ من الحظوظ عليه. فأين صبر الرسل وأتباعهم وجهادهم، وتحملهم لله أنواع المكاره والمشاق، وأنواع العبودية المتعلقة بالدعوة، وإظهارها لولا وجود الكفار[٥]؟ وتلك العبودية تقتضي (درجة لا تنال إلا بها، والرب تعالى يحب أن يبلغها رسله وأتباعهم ويشهدهم نعمته عليهم)[٦] وفضله وحكمته، ويستخرج منهم حمده وشكره ومحبته والرضا عنه.

يوضحه الوجه الحادي والعشرون: أنه قد استقرت حكمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق. ولذلك حف الجنة

---

(١) في الأصل (والشياطين) ولعل الصواب ما أثبته وهو باقي من النسخ.

(٢) قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٤١﴾ [النازعات / ٤٠-٤١].

(٣) قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة/ ٧٣].

(٤) وفي الأصل و، م (نهي) والصواب ما أثبته من (ط).

(٥) قال سبحانه: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة/ ٨٨].

(٦) ما بينهما ساقط من (ط).

بالمكاره والنار بالشهوات[(١)]. وكذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد (خلقها)[(٢)] له، واقتضت حكمته أنه لا يدخلها دخول استقرار إلا بعد التعب والنصب. فما أخرجه منها إلا ليدخله إليها أتم دخول، فلله كم بين الدخول الأول والدخول الثاني من التفاوت، وكم بين دخول رسول ﷺ مكة في جوار [المطعم][(٣)] بن عدي[(٤)] ودخوله إليها يوم الفتح[(٥)]، وكم بين راحة المؤمنين ولذتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لذتهم لو خلقوا فيها، وكم [بين][(٦)] فرحة من عافاه بعد ابتلائه، وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله، وجمع قلبه [عليه][(٧)] بعد شتاته وفرحة من لم يذق تلك المرارات.

---

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات». أخرجه مسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ح (٢٨٢٢). ٣/ ٢١٧٤.

(٢) في الأصل، م (جعلها) ولعل الصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (المعظم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) كان دخول النبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي بعد مرجعه من الطائف، وقد ازداد قومه عليه ضيقاً وغيظاً وجرأة وتكذيباً وعناداً. فمكث رسول الله ﷺ أياماً في جوار المطعم بن عدي، ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وبعد ذلك توفي المطعم. انظر: (البداية والنهاية ٣/ ١٣٧). وكما قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له». أخرجه البخاري في كتاب (المغازي) باب (شهود الملائكة بدراً) ٥/ ٢٠.

(٥) انظر: البداية والنهاية ٤/ ٢٩١.

(٦) ساقطة من (م).

(٧) ساقطة من (ط).

وقد سبقت الحكمة الإلهية أن المكاره أسباب اللذات والخيرات، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وربما كان مكروه النفوس إلى ... محبوبها سبباً مثله سبب[1]

يوضحه **الوجه الثاني والعشرون:** أن العقلاء قاطبة متفقون على استحسان إتعاب النفوس في تحصيل كمالاتها مع العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، وطلب محمدة من ينفعهم حمده، وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالاً وأرفع قدراً. وكذلك يستحسنون إتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف، ويذمون القاعد عن ذلك، وينسبونه إلى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر، (كما قيل)[2]:

دع المكارم لا تنهض[4] لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[3]

وهذا التعب والكد يستلزم آلاماً وحصول مكاره ومشاق هي الطريق إلى تلك الكمالات، ولم يقدحوا بتحمل تلك في حكمة من يحملها، ولا يعدونه

---

(١) ذكر المؤلف هذا البيت في إغاثة اللهفان ٢/ ١٠٤ وزاد المعاد ٣/ ٣١٠ ولم يعزه لقائل.

(٢) ما بينهما من م، ط.

(٣) من قصيدة قالها الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر ومطلعها:

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم ... في بائس جاء يحدو آخر الناس

انظر: ديوان الحطيئة ص ٢٨٣.

(٤) الصواب (لا ترحل).

عائباً، بل (هذا عندهم)[١] هو العقل [الوافي][٢]، ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره، ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدو له.

هذا في مصالح المعاش، فكيف بمصالح الحياة الأبدية الدائمة والنعيم المقيم؟ كيف لا يكون الآمر بالتعب القليل في الزمن اليسير، الموصل إلى الخير الدائم حكيماً رحيماً لمن يأمره (بذلك)[٣] وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التي تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة؟ هذا إلى ما في أمره ونهيه من مصالح العاجلة التي بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيه عما فيه مضرته وعطبه وشقاوته، فأوامر الرب تعالى رحمة وإحسان، وشفاء ودواء، وغذاء للقلوب، وزينة للظاهر والباطن، وحياة للقلب والبدن، وكم في ضمنه من مسرة وفرحة ولذة وبهجة ونعيم وقرة عين.

فما يسميه هؤلاء تكاليف إنما هو قرة العيون، وبهجة النفوس، وحياة القلوب، ونور العقول، وتكميل للفطر، وإحسان تام إلى النوع الإنساني أعظم من إحسانه إليه بالصحة والعافية، والطعام والشراب واللباس، فنعمته على عباده بإرساله رسله إليهم، وإنزال كتبه عليهم، وتعريفهم أمره ونهيه وما يحبه ويبغضه أعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها، بل لا نسبة لرحمتهم بالشمس والقمر، والغيث والنبات إلى رحمتهم بالعلم والإيمان، والشرائع والحلال والحرام. فكيف يقال: أي حكمة في ذلك، وإنما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة!؟.

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط) و (هذا) ساقطة من (م).

(٢) في الأصل (الوافر).

(٣) ساقطة من (م)، ، (ط).

فوالله إن من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لأضل من الأنعام، وأسوأ حالاً من الحمير. ونعوذ بالله من الخذلان والجهل بالرحمن وأسمائه وصفاته.

وهل قامت مصالح الوجود إلا بالأمر والنهي، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب. ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون[1] في الطرقات، ويتسافدون تسافد[2] الحيوانات، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، ولا يمتنعون من قبيح، ولا يهتدون إلى صواب.

وأنت ترى الأمكنة والأزمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها، وما دخل عليهم من الجهل والظلم، والكفر بالخالق، والشرك بالمخلوق، واستحسان القبائح، وفساد العقائد والأعمال.

فإن الشرائع تنزيل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم ما في ضمنها من مصالح العباد في المعاش [والمعاد][3]، وأسباب سعادتهم الدنيوية والأخروية، فجعلها غذاءً ودواءً وشفاءً وعصمة وحصناً وملجأ وجنة ووقاية، وكانت بالقياس إلى مصالح الأبدان بمنزلة حكيم عالم ركب للناس أمراً يصلح مرض ولكل ألم، وجعله مع ذلك غذاء للأصحاء، فمن يغذى به من الأصحاء غذاه، ومن يداوى به من المرضى شفاه.

---

(١) يتهارجون (هَرِجَ) البعير ونحوه هَرَجاً: زاغ بصره، وتحير من شدة الحر وثقل الحمل، ويقال: هَرِج فلان: أخذه البهر من حر أو مشي. وهَرَّجَ: أذاع الهرج والاضطراب بالقول الباطل والإشاعات المزيفة. انظر: المعجم الوسيط ص٩٨٠.

(٢) تسافد الحيوان: نزا بعضه على بعض. انظر: المعجم الوسيط ص ٤٣٢.

(٣) في الأصل (والعباد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وشرائع الرب تعالى فوق ذلك وأجل منه، وإنما هو تمثيل وتقريب. فلا أحسن من أمره ونهيه وتحليله وتحريمه. أمره قوت [وغذاء وشفاء][(١)] ونهيه حمية وصيانة. فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه إليهم ولا عبثاً، بل رحمة وإحساناً ومصلحة، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً منه عليهم، بل حماية وصيانة عما يؤذيهم ويعود عليهم بالضرر إن [تناولوه][(٢)].

فكيف يتوهم من له مسكة من عقل خلوها من الحكم والغايات المحمودة المطلوبة لأجلها؟.

[ولهذا][(٣)] استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة، واستغنوا بها عن طلب المعجزة. وهذا من أحسن الاستدلال، فإن دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أكبر شواهد صدقهم.

وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم إذا رأى حاذقاً قد صنف فيه كتاباً جليلاً عرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه.

وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة بأقوال الرسل ودعوتهم، إذا نظر في هذه الشريعة، قطع قطعاً نظير القطع بالمحسوسات أن الذي جاء بهذه الشريعة رسول صادق، وأن الذي شرعها أحكم الحاكمين.

ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام، وأنه لم يطرق العالم ناموس أكمل ولا أحكم (منها)[(٤)]. هذه شهادة الأعداء.

---

(١) في الأصل الشفاء والغذاء ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (أن ينالوه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (م) (ولقد) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) ساقطة من م، ط.

وشهد لها من زعم أنه من الأولياء بأنها لم تشرع لحكمة ولا لمصلحة، وقالوا: [أي][1] حكمة في الإلزام بهذه التكاليف الشاقة المتعبة؟ وأي مصلحة للمكلف في ذلك؟ وأي غرض للمكلف؟ وما [هي][2] إلا محض المشيئة المجردة من قصد غاية أو حكمة.

ولو استحى هؤلاء من العقلاء، لمنعهم الحياء من تسويد القلوب والأوراق بمثل ذلك، وهل تركت الشريعة خيراً ومصلحة إلا جاءت به وأمرت به، وندبت إليه؟ وهل تركت شراً ومفسدةً إلا نهت عنه؟.

وهل تركت [لمقترح اقتراحا][3]، أو لمتَعَنِّت تعنتاً أو لسائل مطلباً؟ ﴿[وَمَنْ][4] أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة/ ٥٠].

وعند نفاة الحكم أنه يجوز عليه ضد ذلك الحكم من كل وجه، وأنه لا فرق بينه وبين ضده في نفس الأمر إلا لمجرد [الحكم][5] والمشيئة. فلو اجتمعت حكمة جميع الحكماء من أول الدهر إلى آخره، ثم قيست إلى حكمة هذه الشريعة الكاملة الحكيمة الفاضلة، لكانت كقطرة من بحر.

وإنما نعني بذلك الشريعة التي أنزلها الله على رسوله، وشرعها للأمة ودعاهم إليها، لا الشريعة المبدلة ولا المؤولة، ولا ما غلط فيه الغالطون

---

(١) في الأصل (أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (م) وفي الأصل (وما هو) ولعل الصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في (ط)، (لمفرح فرحاً).

(٤) في (م)، (ط) (فمن) والصواب ما أثبته.

(٥) في (م)، (ط) (التحكم).

وتأوله المتأولون، فإن هذين النوعين قد يشتملان على فساد وشر، بل الشر والفساد الواقع بين الأمة من هاتين الشريعتين اللتين نسبتا إلى الشريعة المنزلة من عند الله عمداً أو خطأ. وإلا فالشريعة على وجهها خير محض ومصلحة من كل وجه، ورحمة وحكمة ولطف [بالمكلفين][(١)] وقيام مصالحهم بها فوق مصالح أبدانهم بالطعام والشراب، فهي مكملة للفطر والعقول، مرشدة إلى ما يحبه الله ويرضاه، ناهية عما يبغضه ويسخطه، مستعملة لكل قوة قيام وعضو وحركة في كماله الذي لا كمال له سواه، آمرةً بمكارم الأخلاق ومعاليها، وناهية عن دنيئها وسفسافها.

واختصار ذلك أنه شرع استعمال كل قوة، وكل عضو وكل حركة في كمالها. ولا سبيل إلى معرفة كمالها على الحقيقة إلا بالوحي. فكانت الشرائع ضرورية في مصالح الخلق [وضرورتهم إليها][(٢)]، فوق كل ضرورة تقدر، فهي أسباب موصلة إلى سعادة الدارين، [ورأس][(٣)] الأسباب الموصلة إلى حفظ صحة البدن وقوته واستفراغ إخلاصه.

ومن لم يتصور الشريعة على هذه الصورة، فهو من أبعد الناس عنها. وقد جعل الحكيم العليم لكل قوة من القوى، ولكل حاسة من الحواس، ولكل عضو من الأعضاء، كمالاً حسياً وكمالاً معنوياً، وَفَقْدُ كماله المعنوي شر من فقدِ كماله [الحسي]،[(٤)] فكماله المعنوي بمنزلة الروح، والحسي بمنزلة الجسم.

---

(١) في الأصل (بالمتكلفين) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٢) في (م) (وضرورتها لها) وفي ط (ضرورتها له).

(٣) في الأصل، (م) (ورأي) ولعل الصواب ما أثبته من (ط).

(٤) هذه العبارة مكررة في (م).

فأعطاه كماله الحسي خلقاً وقدراً، وأعطاه كماله المعنوي شرعاً وأمراً، فبلغ بذلك غاية السعادة والانتفاع بنفسه، فلم يدع للإحساس إليه والاعتناء بمصالحه وإرشاده إليها وإعانته على تحصيلها (اقتراحاً يقترحه ولا شيئاً يطلبه)[١]، بل أعطاه من ذلك ما لم يصل إليه اقتراحه، [ولا تدركه][٢] معرفته.

ويكفي العاقل البصير، الحي القلب فكرة في فرع واحد من فروع الأمر والنهي، [وهو][٣] الصلاة وما اشتملت عليه من الحكم الباهرة والمصالح الباطنة والظاهرة، والمنافع المتصلة بالقلب والروح والبدن، والقوى التي لو اجتمع حكماء العالم قاطبة، واستفرغوا قواهم وأذهانهم، لما [أحاطوا][٤] بتفاصيل حكمها وأسرارها، وغاياتها المحمودة، بل انقطعوا كلهم دون أسرار الفاتحة، وما فيها من المعارف الإلهية، والحكم الربانية، والعلوم النافعة، والتوحيد التام، والثناء على الله تعالى بأصول أسمائه وصفاته، وذكر أقسام الخليقة باعتبار غاياتهم ووسائلهم، وما في مقدماتها وشروطها من الحكم العجيبة؛ من تطهير الأعضاء والثياب والمكان، وأخذ الزينة، واستقبال بيته الذي جعله إماماً للناس، وتفريغ القلب لله، وإخلاص النية، وافتتاحها بكلمة جامعة لمعاني العبودية، دالة على أصول الثناء وفروعه، مخرجة من القلب الالتفات [إلى][٥] ما سواه والإقبال على غيره، [فيقوم][٦] بقلبه الوقوف بين يدي

---

(١) في م، ط (أفترحاً يفترحه ولا شقاء يطلبه).

(٢) في (ط) (ولا تدرك).

(٣) في الأصل (وهي) والصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل (احتاطوا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل و (م) (على) ولعل الصواب ما أثبته، وهو من (ط).

(٦) في باقي النسخ (فيقدم).

عظيم جليل [كبير][١] أكبر من كل شيء، وأجل من كل شيء، وأعظم من كل شيء، [تلاشت][٢] في كبريائه السماوات وما أظلت، والأرض وما أقلت، والعوالم كلها، عنت له الوجوه، وخضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، قاهر فوق عباده، ناظر إليهم، عالم بما تكن صدورهم، يسمع كلامهم، ويرى مكانهم، ولا يخفى عليه خافية من أمرهم، ثم أخذ بتسبيحه وحمده وذكره، تبارك اسمه وتعالى جده وتفرده بالإلهية.

ثم أخذ في الثناء عليه ما يثنى عليه به من حمده، وذكر ربوبيته للعالم، وإحسانه إليهم، ورحمته بهم، وتمجيده بالملك الأعظم في اليوم الذي لا يكون فيه ملك سواه، حتى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ويدينهم بأعمالهم.

ثم إفراده بنوعي التوحيد: توحيد ربوبيته استعانة به، وتوحيد إلهيته عبودية له.

ثم سؤاله أفضل مسؤول، وأجل مطلوب على الإطلاق (وهو هداية الصراط المستقيم)[٣] الذي نصبه لأنبيائه ورسله وأتباعهم، وجعله صراطاً موصلاً لمن سلكه إليه وإلى جنته، وأنه صراط من اختصهم بنعمته بأن عرفهم الحق، وجعلهم متبعين له، دون صراط أمة الغضب الذي عرفوا الحق ولم يتبعوه، وأهل الضلال الذين ضلوا عن معرفته وإتباعه[٤].

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في (ط) (بلا سبب).

(٣) مكررة في (م).

(٤) المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى. ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في (القضاء والقدر) ص٣٨٠ (قال: قال النبي ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى

فتضمنت تعريف الرب، والطريق الموصل إليه، والغاية بعد الوصول.

وتضمنت الثناء والدعاء، وأشرف الغايات وهي العبودية، وأقرب الوسائل إليها وهي الاستعانة، [مقدماً][1] فيها الغاية على الوسيلة، والمعبود المستعان على الفعل، إيذاناً بالاختصاص، وأن ذلك لا يصلح إلا له سبحانه.

وتضمنت ذكر الإلهية والربوبية والرحمة، فيثنى عليه ويعبد بإلهيته، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويدبر الملك، ويضل من يستحق الإضلال، ويغضب على الغضب بربوبيته وحكمته، وينعم ويرحم، ويجود ويعفو، ويغفر ويهدي، ويتوب برحمته.

فللّه كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد، وحقائق الإيمان.

ثم يأخذ بعد ذلك في تلاوة ربيع القلوب، وشفاء الصدور، ونور البصائر، وحياة الأرواح، وهو كلام رب العالمين، فيحل به في ما شاء من روضات مونقات، وحدائق معجبات، زاهية أزهارها، مونقة ثمارها، قد ذللت قطوفها تذليلاً، [وسهلت][2] لمتناولها تسهيلاً، فهو يجتني من تلك الثمار خيراً يؤمر به، وشراً ينهى عنه، وحكمة وموعظة، وتبصرةً وتذكرة، وعبرةً وتقريراً لحق، ودحضاً لباطل، وإزالة لشبهة، وجواباً عن مسألة،

ضالون» وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه، والنصارى عبدوا الله بغير علم) انتهى. الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٧٧) وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ١٨٧).

(١) في الأصل (بعدما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (م، ط).

وإيضاحاً لمشكل، وترغيباً في أسباب فلاح وسعادة، وتحذيراً من أسباب خسران وشقاوة، ودعوة إلى هدى، ورداً عن ردى، فتنزل على القلوب نزول الغيث على الأرض، التي لا حياة لها بدونه، ويحل منها محل الأرواح من أبدانها.

فأي نعيم وقرة عين، ولذة قلب، وابتهاج وسرور، لا يحصل له في هذه المناجاة، والرب تعالى يسمع لكلامه، جارياً على لسان عبده، ويقول: حمدني عبدي، أثنى علي عبدي، مجدني عبدي[(١)(٢)].

ثم يعود إلى تكبير ربه عز وجل، فيجدد به عهد التذكرة، كونه أكبر من كل شيء [بحق][(٣)] عبوديته، وما ينبغي أن يعامل به.

ثم يركع [حانياً][(٤)] ظهره خضوعاً لعظمته، وتذللاً لعزته، واستكانة لجبروته، مسبحاً له بذكر اسمه العظيم، فنزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه، وطوى ظهره، وربُّه فوقه [يشاهده][(٥)] ويرى خضوعه وذله، ويسمع كلامه، فهو ركن تعظيم وإجلال، كما قال ﷺ: «أما الركوع فعظّموا

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة) باب (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة) ح (٣٩٥) ١/ ٢٩٦.

(٢) انظر في تفسير هذه السورة العظيمة: تفسير الطبري ١/ ١٣٥-٢٠١، زاد المسير ١/ ١-١٨، تفسير القرآن العظيم ١/ ١٥-٥١.

(٣) في الأصل (لحو) ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في ط (يرجع جاثياً).

(٥) ساقطة من م، ط.

فيه الرب »[١].

ثم عاد إلى حاله من القيام، حامداً لربه، مثنياً عليه بأكمل محامده وأجمعها وأعمها، مثنياً عليه بأنه أهل الثناء والمجد، ومعترفاً بعبوديته، شاهداً له[٢] بتوحيده، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، و[أنه][٣] لا ينفع أصحاب الجدود والأموال والحظوظ جدودهم عنه ولو عظمت.

ثم يعود إلى تكبيره ويخر له ساجداً على أشرف ما فيه، وهو الوجه، فيعفره في التراب ذلاً بين يديه ومسكنة وانكساراً، وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى أطراف الأنامل ورؤوس الأصابع، وندب له أن يسجد معه ثيابه وشعره فلا يكفه[٤]، وأن لا يكون بعضه محمولاً على بعض، وأن [يباشر][٥] التراب بجبهته، وينال [قبل][٦] وجهة المصلي، ويكون رأسه أسفل ما فيه تكميلاً للخضوع والتذلل لمن له العز كله والعظمة كلها. وهذا أيسر اليسير من حقه على عبده. فلو دام كذلك من حين خلق إلى أن يموت، لما أدى حقَّ ربه عليه.

ثم أمر أن يسبِّح ربَّه الأعلى[٧] فيذكر علوه سبحانه في حالة سفوله هو،

---

(١) شطر من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس كتاب (الصلاة) باب (النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود) ح(٤٧٩) ١/ ٣٤٨.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) في الأصل (ولا أنه) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر النبي ﷺ (أن يسجد على سبعة، ونهى أن يكف شعره وثيابه). أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (٤٤) ح (٤٩٠) ١/ ٣٥٤.

(٥) في ط (يتأسر) والصواب ما أثبته.

(٦) في الأصل، م (ثقل) الصواب ما أثبته من (ط).

(٧) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ قال رسول الله ﷺ =

وينزهه عن مثل هذه الحال. وإن من هو فوق كل شيء وعال على كل شيء يُنزّه عن السفول بكل معنى، بل هو الأعلى بكل معنى من معاني العلو.

ولما كان هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره، كان أقرب ما يكون الرب منه في هذه الحال[1]. فأمر أن يجتهد في الدعاء لقربه من القريب المجيب. وقد قال تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾[2] [العلق/ ١٩] وكأن الركوع كالمقدمة بين يدي السجود والتوطئة له. فينتقل من خضوع إلى خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأناً. وفصل بينهما بركن مقصود في نفسه، يجتهد فيه بالحمد والثناء والتمجيد، وجعل بين [خضوعين][3] خضوع قبله، وخضوع بعده، وجعل خضوع السجود بعد الحمد والثناء والمجد، كما جعل خضوع الركوع بعد ذلك.

فتأمل هذا الترتيب العجيب، وهذا التنقل في مراتب العبودية، كيف ينتقل من [مقام][4] الثناء على الرب بأحسن أوصافه وأسمائه، وأكمل محامده إلى

= « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ قال: اجعلوها في سجودكم. أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده) ح (٨٦٩) ١/ ٥٤٢). وأحمد من حديث ابن عباس ١/ ٣٧١.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء » . أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (ما يقال في الركوع والسجود) ح (٤٨٢) ١/ ٣٥٠.

(٢) في الأصل (واسجدوا) وفي م، ط (فاسجد).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) في الأصل (مكان) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

منزلة[(١)] خضوعه وتذلُّله [لمن][(٢)] له هذا الثناء، ويستصحب في مقام خضوعه [بما][(٣)] يناسب ذلك المقام ويليق به، فيذكر عظمة الرب في حال خضوعه وعلوه في حال سفوله.

ولما كان أشرف أذكار الصلاة القرآن، شرع في أشرف أحوال الإنسان، وهي هيئة القيام التي قد انتصب فيها قائماً على أحسن هيئة.

ولما كان أفضل أركانها الفعلية السجود، شرع فيها بوصف التكرار، وجعل خاتمة الركعة وغايتها التي انتهت إليها مطابق افتتاح الركعة بالقرآن، واختتامها بالسجود أول سورة افتتح بها الوحي، فإنها بدأت بالقراءة وختمت بالسجود[(٤)].

وشرع له بين هذين الخضوعين أن يجلس جلسة العبيد، ويسأل ربه أن يغفر له، ويرحمه ويرزقه ويهديه ويعافيه[(٥)]، وهذه الدعوات تجمع خير دنياه وآخرته.

---

(١) في (ط) (من له).

(٢) في (م، ط) (إن).

(٣) في الأصل (ثنا) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) يشير رحمه الله إلى سورة (العلق) فهي أول سورة افتتح بها الوحي، وأول ما نزل من القرآن بمكة، وقد بدأت بالقراءة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ وانتهت بالسجود بقوله سبحانه ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾.
انظر على أنها أول ما نزل من القرآن: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٧٣. الدر المنثور ٦/ ٣٦٨. فتح القدير ٥/ ٥٤٩.

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني». أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (الدعاء بين السجدتين) ح (٨٥٠) ١/ ٥٣٠ وابن ماجه في كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) باب =

ثم شرع له تكرار هذه الركعة مرةً بعد مرة، كما شرع تكرار الأذكار والدعوات مرة بعد مرة، ليستعد بالأول لتكميل ما بعده، ويجبر بما بعده ما قبله، وليشبع القلب من هذا الغذاء، وليأخذ رواه ونصيبه وافراً من الدواء ليقاومه، فإن منزلة الصلاة من القلب منزلة الغذاء والدواء. فإذا تناول الجائع الشديد الجوع من [الغذاء][(١)] اللقمة أو اللقمتين، كان غناؤه عنه وسدها من جوعه يسيراً جداً. وكذلك المرض الذي يحتاج إلى قدر [معين][(٢)] من الدواء، إذا أخذ منه المريض قيراطاً من ذلك لم يزل مرضه بالكلية، وأزال بحسبه، فما حصل الغذاء أو الشفاء للقلب بمثل الصلاة، وهي لصحته ودوائه بمنزلة غذاء البدن ودوائه.

ثم لما أكمل صلاته شـــرع له أن يقعد قعدة العبد الذليل المسكين لسيده، ويثني عليه بأفضل التحيات، ويسلم على من جاء بهذا الحظ الجزيل، ومن نالته الأمة على يديه، ثم يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله المشاركين له في هذه العبودية، ثم يتشهد شهادة الحق، ثم يعود فيصلي على من علم الأمة هذا الخير ودلهم عليه[(٣)].

= (ما يقول بين السجدتين) ح (٨٩٧) ١/ ٢٩٠ وأخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. انظر: مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ١/ ٤٠٣.

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في م، ط (يغني).

(٣) قال عليه الصلاة والسلام: «إذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (١٤٨) ١/ ٢٠٢.

ثم شرع له أن يسأل حوائجه ويدعو بما أحب ما دام بين يدي ربه مقبلاً عليه[١]. فإذا قضى ذلك أذن له في الخروج منها بالتسليم على المشاركين له في الصلاة.

هذا إلى ما تضمنته [من][٢] الأحوال والمعارف من أول المقامات إلى آخرها، فلا تجد منزلة من منازل السير إلى الله تعالى، ولا مقاماً من مقامات العارفين إلا وهو في ضمن الصلاة.

وهذا الذي ذكرناه من شأنها كقطرة من بحر، فكيف يقال: إنها تكليف محض لم يشرع لحكمة ولا لغاية قصدها الشارع، بل هي[٣] محض كلفة ومشقة مستندة إلى محضن المشيئة، لا لغرض ولا لفائدة البتة، بل مجرد قهر وتكليف، وليست سبباً لشيء من مصالح الدنيا (والآخرة)[٤]!!!

ثم تأمل أبواب الشريعة ووسائلها وغاياتها، كيف تجدها مشحونة بالحكم المقصودة، والغايات الحميدة، التي شرعت لأجلها، التي لولاها لكان الناس

---

(١) عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم...» الحديث.

أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (١٤٩) ١/ ٢٠٢ ومسلم بنحوه في كتاب (المساجد) باب (ما يستعاذ منه في الصلاة) ح (٥٨٨) ١/ ٤١٢.

(٢) ساقطة في م، ط.

(٣) في الأصل (بل هي تعد محض) ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل (ولا الآخرة) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

كالبهائم بل أسوأ حالاً. فكم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبدن، وتفريج للقلب، وتنشيط للجوارح، وتخفيف من أحمال ما أوجبته الطبيعة(١) وألقاه عن النفس من درن المخالفات، فهي منظفة للقلب والروح والبدن، وفي الجنابة من زيادة [التقوية](٢) والإخلاف على البدن نظير ما تحلل منه بالجنابة ما هو من أنفع الأمور.

وتأمل كون الوضوء في الأطراف التي هي محل الكسب والعمل، فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق. وهذه الأبواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها، فمنها يدخل إليها، ثم جعل في اليدين، وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطي، ثم في الرجلين اللتين بهما يمشي ويسعى، ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة جعل مكانه المسح، وجعل ذلك مخرجاً للخطايا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره، كما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة، قال: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع [آخر](٣) قطر الماء. فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر [الماء](٤)، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب**» رواه مسلم(٥).

---

(١) يظهر أن هذه العبارة ليست سائغة، فالطبيعة لا توجب شيئاً.

(٢) في ط (النعومة).

(٣) في الأصل زيادة (وجهه) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الطهارة) باب (خروج الخطايا مع ماء الوضوء) ح (٢٤٤) ١/ ٢١٥).

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أظفاره»**[١].

فهذا من أجل حكم الوضوء وفوائده. وقال نفاة الحكمة: إنه تكليف محض ومشقة وعناء لا مصلحة فيه، ولاحكمة شرع لأجلها. ولو لم تكن في مصلحته وحكمته إلا أنه سيماء هذه الأمة، وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم ليست لأحد غيرهم[٢]، ولو لم يكن [فيه][٣] من المصلحة والحكمة إلا أن [المتوضي][٤] يطهر [بدنه][٥] بالماء وقلبه بالتوبة، ليستعد [بذلك][٦] للدخول على ربه ومناجاته والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقلب، فأي حكمة ورحمة ومصلحة فوق هذا.

ولما كانت الشهوة تجري في جميع البدن، حتى إن تحت كل شعرة شهوة سرى غسل الجنابة إلى حيث سرت الشهوة، كما قال النبي ﷺ **«إن تحت كل**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (خروج الخطايا مع ماء الوضوء) ح (٢٤٥) ١/ ٢١٦.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»**. أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الوضوء) باب (فضل الوضوء والغر المحجلين من آثار الوضوء) ١/ ٤٣. ومسلم بنحوه في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ح (٢٤٦) ١/ ٢١٦.

(٣) في (م) (معه).

(٤) في الأصل (المتوضين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (يديه).

(٦) ساقطة من (ط).

شعرة جنابة »[١].

فأمر أن يوصل الماء إلى أصل كل شعرة [فيبرد][٢] حرارة الشهوة، فتسكن النفس وتطمئن إلى ذكر الله، والوقوف بين يديه. فوالله [لو][٣] أن أبقراط[٤] ومن دونه أوصوا بمثل هذا، لخضع أتباعهم لهم فيه، وعظموهم عليه غاية التعظيم، وأبدوا له من الحكم والفوائد ما قدروا عليه.

ثم لما كان العبد خارج الصلاة مهملٌ جوارحه، قد أسامها في مراتع الشهوات والحظوظ، أُمر بعبودية تجمع جوارحه كلها على ربه، وتأخذ بحظها

---

(١) شطر من حديث ضعيف أخرجه أبو داود في سننه في كتاب (الطهارة) باب (في الغسل من الجنابة) ح (٢٤٨) ١/ ١٧١.قال أبو داود: الحارث بن وجيه حديثه منكر وهو ضعيف. والترمذي في سننه في أبواب (الطهارة). باب (ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة) (١٠٦) ١/ ١٧٨.قال أبو عيسى: حديث الحارث بن وجيه حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديثه وهو شيخ ليس بذاك. وقد روى عنه غير واحد من الأئمة. وقد تفرد بهذا الحديث عن مالك بن دينار.

وابن ماجه في سننه في كتاب (الطهارة وسننها)، باب (تحت كل شعرة جنابة) ح (٥٩٧) ١/ ١٩٦. قال الخطابي في (معالم السنن): والحديث ضعيف، والحارث بن وجيه مجهول (١/ ١٦٤).

(٢) في الأصل (فيه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (لولا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) **أبقراط أو بقراط**: بن إبرقليس من أهل اسقلابيوس باليونان وعاش في مدينة قو على شاطىء الأناضول من آسيا الصغرى، طبيب ماهر، وله مؤلفات عديدة في الطب، عاش خمساً وتسعين سنة. توفي سنة (٣٥٧)ق. م على الأرجح. انظر: الفهرست لابن النديم ص (٣٤٦، ٣٤٧).

من عبوديته، فيسلم قلبه وبدنه وجوارحه وحواسه وقواه لربه عز وجل، واقفاً بين يديه، مقبلاً بكُلّه عليه، معرضاً [عما][1] سواه، متنصلاً [إليه][2] من إعراضه عنه، وجنايته على حقه.

ولما كان هذا بطبعه وذاته أمر أن يجدد هذا (الرجوع)[3] إليه والإقبال عليه وقتاً بعد وقت؛ لئلا يطول عليه الأمد، فينسى ربه، وينقطع عنه بالكلية، فكانت الصلاة من أعظم نعم الله عليه، وأفضل هداياه التي ساقها إليه. فأبى نفاه الحكمة إلا جعلها كلفة وعناءً وتعباً، لا لحكمة ولا لمصلحة البتة إلا مجرد القهر والمشيئة.

وقد فتح (لك الباب، فسُقِ)[4] الشريعةَ كلها من أولها إلى آخرها هذا المساق، واستدِلْ بما ظهر لك على ما خفي عنك. ولعل الحكمة فيما لم تعلمه أعظم منها فيما علمته، فإن الذي علمته على قدر عقلك وفهمك، وما خفي عنك قدر فهو فوق عقلك وفهمك. ولو تتبعنا تفصيل ذلك، لجاء عدة أسفار فيكتفى منه بأدنى بينه، والله المستعان.

الوجه الثالث والعشرون: أن هذه الجمادات، والحيوانات المختلفة الأشكال، والمقادير والصفات، والمنافع والقوى، والأغذية، والنباتات التي هي كذلك فيها من الحكم والمنافع ما قد أكثرت الأمم في وصفه وتجربته على

---

(١) ساقطة (م) وفي (ط) (عمن).

(٢) ساقطة من (م)، (ط).

(٣) في م، ط (الركوع).

(٤) في ط (ذلك الباب فساق).

ممر الدهور، ومع ذلك، فلم يصلوا منه [إلا][1] إلى أيسر شيء وأقله.

بل لو اتفق جميع الأمم لم يحيطوا علماً بجميع ما أودع واحد من ذلك النوع من الحكم والمصالح. هذا إلى ما في ضمن ذلك من الاعتبار والدلالة الظاهرة على وجود الخالق، ومشيئته، واختياره، وعلمه، وقدرته، وحكمته، فإن المادة الواحدة لا تحتمل بنفسها هذه الصور الغريبة والأشكال المتنوعة المنافع والصفات، ولو تركبت مع غيرها، فليس حدوث هذه الأنواع والصور بنفس التركيب أيضاً، ولا هو مفض له.

فحصول هذا التنوع والتفاوت والاختلاف في الحيوان والنبات من أعظم آيات الرب تعالى، ودلائل ربوبيته، وقدرته، وحكمته، وعلمه، وأنه فعال لما يريد اختياراً ومشيئة. فتنويع مخلوقاته، وحدوثها شيئاً بعد شيء من أظهر الدلالات.

وتأمل كيف أرشد القرآن إلى ذلك في غير موضوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الرعد/ ٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ (ٱلنَّاسَ)[2] وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ

---

(١) زيادة من (م، ط).

(٢) ساقطة من (م).

وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/ ١٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ (لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ)[1]﴾(الروم/ ٢٢).

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ (يُنۢبِتُ)[2] لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ١٠، ١١).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور/ ٤٥).

فتأمل كيف نبه سبحانه باختلاف الحيوانات في (آلة)[3] المشي مع اشتراكها في المادة على اختلاف فيما وراء ذلك من أعضائها، وأشكالها وقواها، وأفعالها، وأغذيتها ومساكنها، فنبه على الاشتراك والاختلاف، فنشير إلى يسير منه.

فالطير كلها تشترك في الريش والجناح، وتتفاوت فيما وراء ذلك أعظم تفاوت، واشتراك ذوات الحوافر في الحافر كالفرس والحمار والبغل

(١) في الأصل (لآيات لقوم يسمعون) والصواب ما أثبته.

(٢) في (م) (يخرج).

(٣) ساقطة من م، ط.

وتفاوتها[١] في ما وراء ذلك، واشتراك ذوات الأظلاف في الظلف (وتفاوتها)[٢] في غير ذلك، واشتراك ذوات القرون فيها (وتفاوتها)[٣] في الخلق والمنافع والأشكال، واشتراك حيوانات الماء في كونها سابحة تأوي (فيه)[٤] وتتكون (فيه)[٥] وتفاوتها أعظم تفاوت، عجز البشر إلى الآن عن حصره، واشتراك الوحوش في البعد عن الناس، (والنفار)[٦] عنهم وعن مساكنهم، وتفاوتها في صفاتها، وأشكالها، وطبائعها، وأفعالها، أعظم تفاوت يعجز البشر عن حصره، واشتراك الماشي منها على بطنه في ذلك وتفاوت نوعه، واشتراك الماشي على رجلين في ذلك وتفاوت نوعه أعظم تفاوت.

وكل من هذه الأنواع له علم وإدراك، وتحيل على جلب مصالحه، ودفع مضاره، يعجز (عن)[٧] كثير منها نوع الإنسان. فمن أعظم الحكم الدلالة الظاهرة على معرفة الخالق الواحد المستولي بقوته وقدرته وحكمته على ذلك كله، بحيث جاءت كلها مطيعة منقادة منساقة إلى ما خلقها له على وفق مشيئته وحكمته، وذلك أدل شيء على قوته (القاهرة)[٨]، وحكمته البالغة،

(١) في الأصل (وتفاوتهما) والصواب ما أثبته من (م،ط).

(٢) في الأصل (وتقاربها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (تقاربهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في م، ط، (فيها).

(٥) في م، ط، (فيها).

(٦) في (ط) (والتفاوت).

(٧) ساقطة من (ط).

(٨) في الأصل (الظاهرة) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وعلمه الشامل، فيعلم إحاطة قدرة واحدة، وعلم واحد، وحكمة واحدة، أعني بالنوع، من قادر واحد (عالم واحد)[1] حكيم واحد، بجميع هذه الأنواع وأضعافها مما لا تعلمه العقول البشرية، كما قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٨].

وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٨] فتجمع غايات فعله وحكمة خلقه وأمره إلى غاية واحدة، هي منتهى الغايات، (وهي إلهية الحق التي كل إلهية سواها فهي باطل ومحال، فهي غاية الغايات)[2] ثم ينزل منها إلى غايات أخر، هي وسائل بالنسبة إليها وغايات بالنسبة إلى ما دونها.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم/ ٤٢] فليس وراءه معلوم ولا مطلوب ولا مذكور إلا العدم المحض. وليس في الوجود إلا الله ومفعولاته، وهي آثار أفعاله، وأفعاله آثار صفاته، وصفاته قائمة به من لوازم ذاته.

والمقصود أن [الغايات][3] المطلوبة العلم بإحاطة علم واحد من عالم واحد، وفعل واحد من فاعل واحد، وقدرة واحدة من قادر واحد، وحكمة واحدة من حكيم واحد، بجميع (العالم)[4] على اختلاف ما فيه، واجتمعت غايات فعله وأمره إلى غاية واحدة، وذلك من أظهر أدلة توحيد الإلهية كما ابتدأت كلها من خالق واحد، وقادر واحد، ورب واحد.

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (من الآيات) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) في م، ط (مافيه).

ودل على الأمرين، أعني توحيد الربوبية والإلهية، النظام الواحد والحكمة الجامعة للأنواع المختلفة مع (كثرتها وتعددها)[1]. ودل افتقار بعضها إلى بعض، وتشبك بعضها ببعض، ومعاونة بعضها لبعض، وارتباطه به على أنها صنع فاعل واحد، ورب واحد. فلو كان معه آلهة وأرباب غيره (لذهب كل إله بخلقه، واستبد به، ولم يرض لنفسه أن يحتاج خلقه إلى خلق غيره)[2] كما لا يرضى ملوك الدنيا أن يحتاج مملوك أحدهم إلى مملوك (غيره)[3] لما في ذلك من النقص والعيب المنافي لكمال الاقتدار والغناء. ودل انتظامها في الوجود، ووقوعها ـ مع (تباينها)[4] واختلافها ـ على أكمل الوجوه وأحسنها، على انتهائها إلى غاية واحدة، ومطلوب واحد، هو إلهها الحق، ومعبودها الأعلى، الذي لا إله لها غيره، ولا معبود لها سواه.

فتأمل كيف دل اختلاف الموجودات (وتباينها)[5] واجتماعها فيما اجتمعت فيه، وافتراقها فيما افترقت (فيه)[6] على إله واحد، ورب واحد، ودلت على صفات كماله، ونعوت جلاله. فالموجودات بأسرها كعسكر واحد، له ملك واحد، وسلطان واحد، يحفظ بعضه ببعض، وينظم مصالح بعضه ببعض، ويسد خلل بعضه ببعض، فيمد هذا بهذا، ويقوي هذا بهذا،

---

(١) في ط (ضدها وتعذرها).

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) في (ط) (غيره مثله).

(٤) في (ط) (في ثباتها).

(٥) في (ط) (ثباتها).

(٦) ساقطة من (م، ط).

وينقص من هذا فيزيده في الآخر ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[فاطر/ ١٣]، [الحديد/ ٦] ، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس/ ٣١]، [الروم/ ١٩] ويبيد هذا، فينشىء مكانه من جنسه ما يقوم (مقامه)[١] ويسد مسده، فيشهد حدوث الثاني أن الذي أحدثه وأوجده هو الذي أحدث الأول لا غيره، وأن حكمته لم تتغير، وعلمه لم ينقص، وقدرته لم تضعف، وأنه لا يتغير ما تغير منها، ولا يضمحل باضمحلاله، ولا يتلاشى بتلاشيه، بل هو الحي القيوم العزيز الحكيم.

هذا إلى ما في لوازم مكبرها وانتظام بعضها ببعض، وما يصدر [عنها][٢] من الأفعال والآثار من حكم وأفعال أخرى، وغايات أخر حكمها موادها وحواملها، كما نشاهده في أشخاصها وأعيانها.

[مثال][٣] ذلك في (جزئية)[٤] واحدة: أنك ترى المعدة تشتاق الغذاء وتجتذبه إليها، فانظر لوازم ذلك قبل تناوله ولوازمه بعد تناوله، وما يترتب على تلك اللوازم من عمارة الدنيا، فإذا جذبته إليها أنضجته وطبخته كما تنضج القدر ما فيها، فتنضجه الإنضاج الذي تعده لتغذي جميع أجزاء البدن وقواه وأرواحه به، وهي (إن)[٥] أنضجته لأجل نصيبها الذي ينالها منه، فهو قليل

---

(١) في الأصل (مقام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (فيها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (قال) والصواب ما أثبته وهو من باقي النسخ.

(٤) في ط (أحدوثة).

(٥) في م، ط (إذا).

من كثير بالنسبة إلى انتفاع غيرها به، فيدفع ما فضل عن غذائها عنها إلى من هو شديد الحاجة إليه على قدر حاجته من غير أن يقصد ذلك أو يشعر به، ولكن قد قصده وأحكمه من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، [يدبره][(١)] بحكمته ولطفه، وساقه في المجاري التي لا تنفذ فيها الإبر لدقة مسالكها، حتى أوصله إلى المحتاج الذي لا صلاح له إلا بوصوله إليه.

وكانت طبيعة الكبد ومزاجها في ذلك [تلي][(٢)] طبيعة المعدة، وفعلها يلي فعلها.

وكذلك الأمعاء وباقي الأعضاء، كالكبد للقلب في إعداد الغذاء والقلب للرئة ، والرئة للقلب في إعداد الهواء وإصلاحه.

فالأعضاء الموجودة في الشخص إذا تأملتها، وتأملت أفعالها ومنافعها وما تضمنه كل واحد منها من حكمة اختصت به كشكله، ووصفه، ومزاجه، ووضعه من الشخص بذلك الموضع المعين، علمت علماً يقيناً أن ذلك صادر عن خالق واحد، ومدبر واحد، وحكيم واحد.

فانتقل من هذا إلى [أشخاص][(٣)] العالم شخصاً شخصاً من النوع الإنساني، تجد الحكمة الواحدة الظاهرة في تلك الأفراد الكثيرة قد نفعت بعضهم ببعض، وأعانت بعضهم ببعض، حارثاً لزراع، وزراعاً لحاصد، [وحائكاً][(٤)] لخياط، وخياطاً لنجار، ونجاراً لبناء، فهذا يعين هذا بيده، وهذا

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في الأصل (بل) والصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل (الخاص) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (وحائط) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

برجله، وهذا بعينه، وهذا بأذنه، وهذا بلسانه، وهذا بماله؛ إذ لا يقدر أحدهم على جميع مصالحه، ولا يقوم بحاجاته[١]، ولا توجد في كل واحد منهم جميع خواص نوعه، فهم بأشخاصهم الكثيرة كإنسان واحد، يقوم بعضه بمصالح بعض، قد كمل خواص الإنسانية في صفاته وأفعاله وصنائعه وما يراد منه. فإن الواحد منهم لا يفي بأن يجمع جميع الفضائل العلمية والعملية والقوة والبقاء، فجعل ذلك في النوع الإنساني بجملته.

والله سبحانه قد فرق كمالات النوع [في][٢] أشخاصه، وجعل لكل شخص منها ما هو مستعد قابل له، بحيث لو قبل أكثر من ذلك (لأعطاه)[٣] فإنه جواد لذاته، قد فاض جوده وخيره على العالم كله، وفضل عنه أضعاف ما فاض عليهم، فهو يفيضه على تعاقب الآنات أبداً، وكذلك يفضل في الجنة فضل على أهلها، فينشىء (الله)[٤] لها خلقاً يسكنهم فضلها.

إنما يتخصص فضله بحسب استعداد (القوابل)[٥] والمعدات، وذلك بمشيئته وحكمته، فهو الذي أوجدها، وهو الذي أعدها، وهو الذي أمدها، ولما كان جوده وفضله أوسع من حاجة الخلق، لم يكن بد من بقاء كثير [منه][٦] مبذولاً في الوجود مهملاً.

---

(١) في الأصل (بما جابه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (لا أعطيه).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في (ط) (العوامل).

(٦) زيادة من م، ط.

وهذا كضوء الشمس مثلاً، فإن مصالح الحيوان لا تتم إلا به، وهي تشرق على مواضع فضلت عن[1] حوائج بني [آدم][2] والحيوان.

وكذلك المطر والنبات وسائر النعم، ومع ذلك فلم يعطل وجودها عن حكم ومصالح وعبر ودلالات. وعطاء الرب ونعمه أوسع من حوائج خلقه، فلا بد أن يبقى في المياه والأقوات والنبات وغير ذلك أجزاء مهملة.

ولا يقال: ما الحكمة في خلقها؟ فإن هذا سؤال جاهل ظالم، فإن الحكمة في خلق الأرض وما عليها ظاهرة لكل بصير، والمعمور منها[3] بعضها لا كلّها، والرب تعالى واسع الجود دائمه، فجوده وخيره عام دائم، فلا يكون إلا كذلك، فإن ذلك من لوازم علمه وقدرته وحكمته. ولعلمه وقدرته وحكمته العموم والشمول والكمال المطلق بكل اعتبار.

فيعلم من استقراء العالم وأحواله انتهاؤه إلى عالم واحد، وقادر واحد، وحكيم واحد، (قد)[4] أتقن نظامه أحسن الإتقان، وأوجده على أتم (الوجوه)[5] وهو سبحانه ناظم أفعال الفاعلين مع كثرتها، ورابط بعضها ببعض، ومعين بعضها ببعض، وجاعل بعضها سبباً لبعض وغاية لبعض، وهذا من أدل الدليل على أنه خالق واحد، ورب واحد، وقادر واحد.

---

(١) في ط (فضلت على).

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في (ط) (الوجود).

دلَّ على قدرته كثرةُ أفعاله، وتنوعها في الوقت الواحد، وتعاقبها على تتالي الآنات، وتعين تصرفاته في مخلوقاته على كثرتها.

ودلَّ على علمه وحكمته كون كل شيء (صغير وكبير)[١]، ودقيق وجليل، داخلاً في النظام الحكمي، ليس منها شيء، حتى مسام الشعر في الجلد، ومراشح اللعاب في الفم، ومجاري الشعب الدقيقة هذا من العروق في أصغر الحيوانات التي تعجز عنها أبصارنا، ولا تنالها قدرتنا، وهذا فيما دق لصغره، وفيما جل لعظمه، كالرياح الحاملة للسحب إلى الأرض الجرز التي لا نبات بها، فيمطرها عليها فيخرج بها نباتاً، ويحيي بها حيواناً، ويجعل فيها (خزائن)[٢] من الطعام والشراب، والأقوات والأدوية (وغيرها)[٣] فوق ذلك من تسخير الشمس والقمر والنجوم، واختلاف مطالعها (ومغاربها)[٤]، لإقامة دولة الليل والنهار، وفصول العام التي بها نظام مصالح من عليها.

فإذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعد، فيه جميع (عتاده)[٥] فالسماء سقفه، والأرض بساطه، والنجوم زينته، والشمس سراجه، ومصالح سكانه، والليل سكنهم، والنهار معاشهم، والمطر سقياهم، والنبات غذاؤهم، ودواؤهم وفاكهتهم، والحيوان خدمهم، ومنه قوتهم ولباسهم، والجواهر

---

(١) في ط (كبير وصغير).

(٢) في (ط) (جزاين).

(٣) في م، ط (دع ما ......).

(٤) في الأصل (وتقاربها) والصواب ما أثبته هو ومن باقي النسخ.

(٥) في (ط) عباده.

كنوزهم وذخائرهم، كل شيء منها لما يصلح له، فضروب النبات (مهيأة)[1] لجميع حاجاتهم، وصنوف الحيوانات معدة لجميع مصالحهم. وذلك أدل دليل على وحدانية خالقه (وعلمه وحكمته)[2] وقدرته.

فلم يكن لون السماء أزرق اتفاقاً، [بل][3] لحكمة باهرة؛ فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر، حتى إن (من)[4] وصف الأطباء لمن أصابه ما أضر ببصره أو (كلّ)[5] بصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، فجعل أحكم الحاكمين أديم السماء بهذا اللون ليمسك الأبصار الراجعة (فيه)[6]، فلا ينكأ فيها، فهذا الذي أدركه الناس بعد الفكر والتجربة قد وجد مفروغاً في الخلقة.

ولم يكن طلوع الشمس وغروبها على هذا النظام لغير علة ولا حكمة مطلوبة. فكم من حكمة ومصلحة في ذلك من إقامة الليل والسكن فيه، والنهار والمعاش فيه، فلو جعل الله عليهم الليل سرمداً أو (النهار سرمداً)[7] لتعطلت مصالحهم وأكثر معايشهم، والحكمة في طلوعها أظهر من أن تنكر، ولكن تأمل الحكمة في غروبها، إذ لولا ذلك لم يكن للناس هدوء ولا قرار

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) ما بينهما ساقط من (م، ط).

(٣) زيادة من م، ط.

(٤) في (ط) (في).

(٥) في م، ط (كلم).

(٦) ساقطة من (ط).

(٧) ما بينهما ساقط من م، ط.

ولا راحة، وكان الكد الدائم (بتكافيء)[1] أبدانهم وتسرع فسادها، وكان ما على الأرض يحترق بدوام شروق الشمس من حيوان ونبات، فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ونظامه.

وكذلك الحكمة في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة، وما في ذلك من الحكمة، فإن في الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات، فيتولد من ذلك مواد الثمار، وتكيف الهواء، فتنشأ منه السحاب، ويحدث المطر الذي به حياة الأرض والحيوان، وتشتد أفعال الحيوان، وتقوى الأفعال الطبيعية.

وفي الربيع تتحرك الطبائع، وتظهر المواد الكامنة في الشتاء.

وفي الصيف يسخن الهواء، فتنضج الثمار، وتتحلل فضول الأبدان، ويجف وجه الأرض، فيتهيأ للبناء وغيره.

وفي الخريف يصفو الهواء ويعتدل، فيذهب بسَوْرَة حر [الصيف][2] وسمومه. إلى أضعاف ذلك من الحكم.

وكذلك الحكمة في تنقل الشمس، فإنها لو كانت واقفة في موضع واحد، لفاتت مصالح العالم، ولما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات، لأن الجبال والجدران (تحجبها)[3] عنها، فاقتضت الحكمة الباهرة أن جعلت تطلع أول

---

(١) في ك (بتكافؤ).

(٢) في الأصل (الشمس) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) م (م) (يحجبا) وفي (ط) (يحجبانها).

النهار من المشرق، وتشرق على ما قابلها من جهة الغرب، ثم لا تزال تغشي وجهاً بعد وجه حتى تنتهي إلى الغرب، فتشرق على ما استتر عنها أول النهار، فتأخذ جميع الجهات منها [قسطاً][1] من النفع.

وكذلك الحكمة الباهرة في انتهاء مقدار الليل والنهار إلى هذا الحد، فلو زاد مقدار أحدهما زيادة عظيمة، لتعطلت المصالح والمنافع وفسد النظام.

كذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقاً ثم أخذه في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى. فكم في ذلك من مصلحة ومنفعة (للخلق)[2]. (فإنهم)[3] بذلك يعرفون الشهور والسنين والآجال، وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الأعمال، ومدد الإجازات وغيرها، وهذا وإن كان يحصل بالشمس إلا أن معرفته بالقمر وزيادته ونقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم.

وكذلك الحكمة في إنارة القمر والكواكب في ظلمة الليل، فإنه مع الحاجة إلى الليل وظلمته لهدوء الحيوان وبرد الهواء عليه وعلى النبات، لم يجعل الليل ظلاماً محضاً لا ضياء فيه، فلا يمكن فيه سفر ولا عمل. وربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار، ولشدة الحر فيتمكنون في ضوء القمر من أعمال كثيرة، وجعل نوره بارداً ليقاوم حرارة نور الشمس (فيه وسمومه)[4] فتبرد سمومه فيعتدل الأمر، وتكسر كيفية كل منهما كيفية،

---

(١) في الأصل (قطعاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (في الخلق) الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في جميع النسخ (فإن) الصواب ما أثبته من (ط).

(٤) ما بينهما ساقط من م، ط.

الآخر وتزيل ضررها.

وكذلك الحكمة في خلق النجوم، فإن فيها من الهداية في البر والبحر، والاستدلال على الأوقات، وزينة السماء، وغير ذلك ما لم يكن حاصلاً بمجرد الاتفاق، كما يقوله نفاة الحكمة.

واقتضت هذه الحكمة أن جعلت نوعين: نوعاً منها يظهر وقتاً ويحتجب آخر، ونوعاً آخر لا يزال ظاهراً غير محتجب، بل جعل ظاهراً بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في الطرقات المجهولة، فهم ينظرون إليها متى أرادوا، ويهتدون بها إلى حيث شاؤوا.

وجعلت الحكمة في النوع الأول الاستدلال بظهوره على أمور (تقاربه)[1] متى طلع في وقت (معين)[2] دل على تلك الأمور، فقامت المصلحة والحكمة بالنوعين، مع ما في خلقها من حكم أخرى ومصالح لا يهتدي إليها العباد، فما خلق الله شيئاً سدى.

وقد نظم الله سبحانه الحوادث الأرضية بالأرواح والأجرام العلوية أكمل نظام تعجز عقول البشر عن الإحاطة ببعضه، وقد استفرغت الأمم (السالفة)[3] قوى أذهانها في إدراك ذلك، فلم تصل منه إلا إلى ما لا نسبة له إلى ما خفي عليها بوجه ما.

وقد جعل الخلاق العليم سبحـــانه النجوم فرقتين: فرقة منها [لازمة][4]

---

(١) في م، ط (تعاديه).

(٢) في م، ط (يعني).

(٣) في (ط) (السابقة).

(٤) في الأصل (لاترتم) والصواب ما أثبته.

مراكزها من الفلك، ولا تسير إلا بسيره، وفرقة أخرى مطلقة تنتقل في البروج، وتسير بأنفسها غير سيرها بفلكها[١] فلكل منها مسيران مختلفان؛ أحدهما عام مع الفلك نحو [المغرب][٢]، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق. وقد شبه هذا النوع بنملة تدب على رحىً، والرحى تدور ذات اليمين، والنملة تدور ذات الشمال، فللنملة في تلك الحال حركتان مختلفتان: إحداهما حركة بنفسها تتوجه أمامها، والأخرى بغيرها هي مقهورة عليها تبعاً للرحى تجذبها إلى خلفها، فلهذا النوع من النجوم حركتان مختلفتان على وزن وتقدير لا تعدوه، فزعم نفاة الحكمة أن ذلك أمر اتفاقي، لا لحكمة ولا لغرض مقصود.

فإن قلت: فما الغرض المقصود بذلك، وأي حكمة فيه؟ قيل: استدل بما عرفت من الحكمة على ما خفي (عليك)[٣] منها، ولا تجعل ما خفي عليك دليلاً على بطلانها، مع أن من بعض الحكم في ذلك أنها لو كانت كلها راتبة، لبطلت الدلالات التي تكون من تنقل (المتنقلة)[٤] منها، ومسيرها في كل واحد من البروج، كما يستدل على أمور كثيرة وحوادث جمة بتنقل الشمس والقمر والسيارات في منازلها. ولو كانت كلها متنقلة، لم يكن لمسيرها منازل تعرف، ولا رسم يقاس عليه؛ فإنه إنما يقاس مسير المتنقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يقاس سير السائر على الأرض بالمنازل التي يقطعها.

---

(١) في (ط) (سير فلكها).

(٢) في الأصل، م (الغرب) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في (ط) (عنك).

(٤) في م، ط (المتنقل).

وبالجملة، فلو كانت كلها بحال واحد لبطل النظام الذي اقتضته الحكمة التي جعلها هكذا، فذلك تقدير العزيز العليم وصنع الرب. وكيف يرتاب أن ذلك كله تقدير مقدر حكيم، أتقن ما صنعه، وأحكم ما دبره، ويعرف بما فيه من الحكم والمصالح والمنافع إلى خلقه، فشهدت العقول والفطر بأنه ذو الحكمة الباهرة، والقدرة القاهرة، والعلم التام المحيط، وأنه لم يخلق ذلك باطلاً ولا من الحكمة عاطلاً.

وكذلك الحكمة في تعاقب الحر والبرد على التدريج على أبدان الحيوان والنبات، فإن [قيامهما وكمالهما][1] لما كان بذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يدخل أحدهما على الآخر وَهْلَةً، فلا (يحتمله)[2] بل بالتدريج قليلاً قليلاً، إلى أن ينتهي منتهاه، ويحصل المقصود به من غير ضرر يعم. وهذا كله بأسباب هي منشأ الحكم والمصالح. فلا يبطل السبب بإثبات الحكمة، ولا الحكمة بالسبب، ولا السبب والحكمة بالمشيئة، فتكون من الذين (يبخس)[3] حظهم من العقل والسمع.

وكذلك الحكمة في خلق النار على ما هي عليه (كامنة)[4] في حاملها، فإنها لو كانت ظاهرة كالهواء والماء والتراب، لأحرقت العالم وما فيه. ولم يكن بد من ظهورها في الأحايين للحاجة إليها، فجعلت مخزونة في الأجسام، تورى عند الحاجة إليها، فتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها، ثم تخبو

---

(١) في الأصل (قيامها وكمالها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) يتحمله).

(٣) في الأصل (يحسن) والصواب ما أثبته.

(٤) في (ط) (كاملة).

إذا استغني عنها، فجعلت على خلقة وتقدير وتدبير حصل به الاستمتاع بها والانتفاع، مع [السلامة](١) من ضررها.

ثم في النار خلة أخرى، وهي أنها مما خص به الإنسان دون سائر الحيوان. فإن الحيوانات لا تستعمل النار، ولا تستمتع بها، ولما اقتضت الحكمة الباهرة ذلك، اغتنت الحيوانات عنها في لباسها وأقواتها، فأعطيت من الشعور والأوبار ما يغنيها عنها، وجعلت أغذيتها بالمفردات التي لا تحتاج إلى طبخ وخبز. ولما كانت حاجة (الإنسان)(٢) إليها شديدة، جعل (له)(٣) من الآلات والأسباب ما يتمكن به من (إثارتها)(٤) إذا شاء ومن إبطالها.

ومن حكمها هذه المصابيح التي يوقدها الناس، فيتمكنون بها من كثير حاجاتهم، ولولاها لكان نصف أعمارهم بمنزلة أصحاب القبور.

وأما منافعها في إنضاج الأغذية والأدوية والدفء فلا تخفى، وقد نبه تعالى على ذلك (كله)(٥) بقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣] [تذكر](٦) بنار الآخرة، فيحترز منها، ويستمتع بها المقوون، وهم

(١) في الأصل (الثلثة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل (إيرادها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) في الأصل (تذكرة) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

النازلون [بالفيفاء][(١)] وهي الأرض الخالية.

وخص هؤلاء بالذكر لشدة حاجتهم إليها في خبزهم وطبخهم حيث لا يجدون ما يشترونه، فيغنيهم عما يصنعون بالنار[(٢)].

وكذلك الحكمة في خلق (هذه)[(٣)] النسيم، وما فيه من المصالح والعبر؛ فإنه حياة هذه الأبدان وقوامها من داخل ومن خارج[(٤)]، وفيه طرد هذه الأصوات، فيؤديها إلى السامع. وهو الحامل لهذه الأراييح [يؤديها][(٥)] إلى المسام، وينقلها من موضع إلى موضع، [وهو][(٦)] الذي يزجي السحاب ويسوقه من مكان إلى مكان على ظهره كالروايا على ظهور الإبل، وهو الذي (يثير)[(٧)] السحاب أولاً، فيكون كسفاً متفرقة، فيؤلف بينه ثانياً، فيصير طبقاً واحداً، ثم (يلقحه)[(٨)] ثالثاً كما يلقح الفحل الأنثى، فيحمل الماء كما تحمل الأنثى من لقاح الفحل، ثم يسوقه رابعاً إلى أحوج الأماكن والحيوان إليه، ثم يعصره خامساً حتى يخرج ماؤه، ثم يذرو ماءه بعد عصره سادساً حتى لا يسقط جملة فيهلك ما يقع عليه، ثم يربي النبات سابعاً، فيكون له

---

(١) في الأصل (بالفي) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر: زاد المسير. ٨/ ١٤٩.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في (ط) (خارج ومن داخل).

(٥) في الأصل (يداولها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل، م (وهي) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في م، ط (يسير).

(٨) في (ط) (يلفحه).

بمنزلة الماء والغذاء (ثم)[١] يجففه بحرارته ثامناً لئلا يعفن ولا يمكن بقاؤه. ولهذا اقتضت الحكمة الباهرة أن تكون الرياح مختلفة المهاب والصفات والطبائع. فزعم نفاة الحكمة أن هذا كله أمر اتفاقي لا سبب ولا غاية.

وهذا (باب)[٢] لو تتبعناه لجاء عدة أسفار، بل لو تتبعنا خلقة الإنسان وحده وما فيها من الحكم والغايات، لعجزنا نحن وأهل الأرض عن الإحاطة بتفصيل ذلك[٣]، فلنرجع إلى جواب نفاة الحكمة والتعليل، فنقول:

في الوجه الرابع [والعشرين][٤]: قولهم: أي حكمة في خلق إبليس وجنوده؟ ففي ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله، فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه. وقد (قدَّمنا)[٥] أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

ومنها (أن)[٦] خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد (أن)[٧] شاهدوا من

---

(١) ساقطة في م، ط.

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) لابن القيم رحمه الله كلام نفيس في الجزء الأول من كتابه (مفتاح دارة السعادة) حول «الإنسان وما فيه من الحكم والأسرار» .

(٤) في الأصل (العشرون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) في (ط) (ما).

حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك؛ إذ رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه، فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

ومنها أن سبحانه جعله عبرةً لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته، وأصر على [معصية][١]، كما جعل ذنب أبي البشر عبرةً لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره، ثم تاب، وندم، ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب، وجعل هذا الأب عبرةً لمن أصر وأقام على ذنبه، وهذا الأب عبرةً لمن تاب ورجع إلى ربه. فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة[٢].

ومنها أنه محك امتحن الله به خلقه (ليتميز)[٣] به خبيثهم من طيبهم، فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن، والطيب

---

(١) في الأصل (ذاك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) قال سبحانه: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف١٩-٢٤].

(٣) ساقطة من م وفي (ط) (لتبين).

والخبيث، فلابد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم (الأصلية)[١] كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعاً: « **إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على مثل ذلك، منهم الطيب والخبيث، والسهل والحزن** »[٢] وغير ذلك.

فما كان في المادة الأصلية، فهو (كامن)[٣] في المخلوق منها، فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره. فلابد إذاً من سبب يظهر ذلك، فكان إبليس محكاً يميز [به][٤] الطيب من الخبيث، كما جعل أنبياءه ورسله محكاً لذلك التميز. **قال تعالى**: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران/ ١٧٩].

فأرسل رسله إلى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث، فاقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، ولهؤلاء داراً على حدة، حكمة بالغة وقدرة قاهرة.

ومنها أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه، فإنه خالق

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه بنحوه في كتاب (تفسير القرآن) باب (ومن سورة البقرة) ح (٢٩٥٥) ٥/ ٢٠٤ قال أبو عيسى (هذا حديث حسن صحيح). وأخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٤٠٦.

(٣) في (ط) (كائن).

(٤) زيادة من م، ط.

الأضداد؛ كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، (والحديد والهواء، والخير والشر)[١] (والحر والبرد)[٢]، والطيب والخبيث.

ومنها أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى، كما تقدم بيانه قريباً[٣].

ومنها أنه سبحانه يحب الشكر بحقيقة الشكر وأنواعه. ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده وامتحانهم به من [أنواع][٤] شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم ﷺ ـ وهو في الجنة قبل أن يخرج منها ـ وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه، ثم اجتباه وتاب عليه وقبله.

ومنها أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضاء ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه. وهذه العبودية (إلى الله سبحانه)[٥] إنما تتحق بالجهاد، وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه؛ فالجهاد ذروة سنام العبودية[٦]

---

(١) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) انظر ص (٣٥٢).

(٤) في الأصل (تنوع) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٦) دل على ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين طلب من النبي ﷺ أن يخبره عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار فكان مما قال ﷺ: «**ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟**» قلت بلى. قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**» . أخرجه الترمذي في كتاب (الإيمان) باب (ما جاء في حرمة =

وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله.

ومنها أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كما تقدم من ظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته. فلم يكن بد من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك كما تقدم.

ومنها أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض. فإخراج منها ذلك كله حكمة باهرة، وقدرة قاهرة، وآية دالة على أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى-١١].

ومنها أن من أسمائه الخافض الرافع، المعز والمذل، الحكم العدل المنتقم[١]، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها إحكامها كأسماء الإحسان والرزق والرحمة[٢] ونحوها. ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

= الصلاة) ح (٢٦١٦) ٥/ ١١ قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح). وأحمد ٥/ ٢٣١.

(١) انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٢)انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

ومنها أنه سبحانه الملك التام الملك[١]، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب، والإكرام والإهانة، والعدل والفضل، والإعزاز والإذلال. فلابد من وجود من يتعلق به أحد النوعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

ومنها أن من أسمائه الحكيم[٢]، والحكمة من صفاته سبحانه، وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواه[٣] فاقتضت خلق المتضادات وتخصيص كل واحد منها لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك، فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

ومنها أن حمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه. فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعه وإكرامه، (فله)[٤] الحمد التام الكامل على هذا، وهذا وهو يحمد نفسه على ذلك كله[٥]،

---

(١) انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٢) ورد ذلك في الكتاب والسنة قال سبحانه ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة/ ٣٢). وفي السنة في حديث التسعة والتسعين اسماً . انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٣) انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٤) في (ط) (فلله).

(٥) قال سبحانه ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنعام/ ٤٥) ، وقال سبحانه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ (الكهف/ ١).

ويحمده عليه ملائكته[(١)] ورسله[(٢)] وأولياؤه[(٣)]، ويحمده عليه أهل [الموقف][(٤)] جميعهم[(٥)(٦)]، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه، فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كما له عليه الحمد التام، فلا يجوز [تعطيل][(٧)] حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته.

ومنها أنه سبحانه يحب أن يظهر لعباده [حلمه][(٨)] وصبره وأناته وسعة رحمته وجوده، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجتهد في مخالفته، ويسعى في مساخطه، بل يشبهه سبحانه، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات، ويرزقه ويعاقبه، ويمكن له من أسباب ما يلتذ به من [أصناف][(٩)] النعم، يجيب دعاءه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءته. فلله كم في ذلك من حكمة وحمد.

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الزمر/ ٧٥).

(٢) قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ﴾ (إبراهيم/ ٣٩).

(٣) قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ (الزمر/ ٧٤).

(٤) في الأصل (الوقف) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) قال سبحانه: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الزمر/ ٧٥).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٠٤.

(٧) في الأصل (تعطل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) في الأصل (حكمه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٩) في الأصل (أصنام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

[ويتحبب][١] إلى أوليائه [ويتعرف][٢] (إليهم)[٣] بأنواع كمالاته. كما في الصحيح عنه ﷺ [أنه][٤] قال: «**لا أحد أصبر (على أذى يسمعه)[٥] من الله، يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم**»[٦].

وفي الصحيح عنه ﷺ فيما يروي عن ربه: «**شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك. أما شتمه إياي، فقوله: اتخذ ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن [لي][٧] كفواً أحد. وأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته**»[٨].

وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويعافيه، ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدله بسيئاته

---

(١) في الأص (م) (جيب) والصواب ما أثبته من (ط).

(٢) في الأصل، م (يعرف) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) ما بينهما ساقط من (م).

(٦) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (٣) قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ٨/ ١٦٥ ومسلم بنحوه في كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم). باب (لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل) ح(٢٨٠٤) ٣/ ٢١٦٠ .

(٧) في الأصل (له). والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب (تفسير القرآن)، باب (سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٦/ ٩٥ وبنحوه في كتاب (بدء الحق) باب (ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ٤/ ٧٣.

حسنات، [ويتلطف][١] به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله (إليه)[٢]، ويأمرهم بأن يلينوا له القول ويرفقوا به.

قال الفضيل بن عياض[٣]: «ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل جل جلاله: من أعظم مني جوداً؟ الخلائق لي عاصون وأنا أكلأهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، أجود بالفضل على العاصي، وأتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاني فلم ألبه؟ ومن ذا الذي سألني فلم أعطه؟ أنا الجواد، ومني الجود، أنا الكريم ومني الكرم، ومن كرمي أني أعطي العبد ما سألني، وأعطيه ما لم يسألني، ومن كرمي أني أعطي التائب كأنه لم يعصني، يهرب الخلق؟ وأين عن بابي يتنحى العاصون»[٤].

وفي [أثر][٥] إلهي: «إني والإنس والجن في نبأ عظيم. أخلُق ويُعبد غيري. وأرزُق ويُشكر سواي»[٦].

---

(١) في (ط) (ويلطف).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي أبو علي الزاهد الخراساني، روى عن الأعمش، ومنصور، وعبيدالله بن عمر، وهشام بن حسان، وعنه الثوري، وهو من شيوخه، وابن عيينة، وابن المبارك، كان فاضلاً ورعاً، قال النسائي: ثقة مأمون. مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: ست وثمانين. انظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦١.

(٤) انظر: حلية الأولياء ٨/ ٩٢-٩٣ باختلاف يسير.

(٥) في الأصل (أي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ح (٩٧٤) ٢/ ٩٣ ، والبيهقي في الشعب ح (٤٥٦٣) ٤/ ١٣٤. وأورده الألباني في الأحاديث الضعيفة ح/(٢٣٧١) ٥/ ٣٩٣. وعزاه إلى البيهقي في الشعب وابن عساكر والطبراني في مسند الشاميين، وضعّفه.

وفي أثر (آخر)[١] [حسن][٢] « ابن آدم ما أنصفتني. خيري إليك نازل، وشرك إليّ صاعد، كم أتحبب إليك وأنا غني عنك، وكم تتبغض إليّ بالمعاصي وأنت فقير إليّ، ولا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح» .

وفي الحديث الصحيح: « لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم »[٣].

فهو سبحانه [لكمال] محبته لأسمائه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن يخلق خلقاً يظهر فيهم أحكامها وآثارها. فلمحبته للعفو خلق من يحسن العفو عنه، ولمحبته للمغفرة خلق من يغفر له ويحلم عنه ويصبر عليه ولا يعاجله، بل يكون (يحب أمانه)[٤]، وإمهاله، ولمحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته، ولمحبته للجود والإحسان والبر خلق من يعامله بالإساءة والعصيان، وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان.

فلولا خلق من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات، لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها، فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين، ذو الحكمة البالغة والنعم السابغة، الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته، وله في كل شيء حكمة باهرة، كما أن له فيه قدرة قاهرة .

(وهذا باب)[٥] إنما ذكرنا منه قطرة من بحر، وإلا فعقول البشر أعجز

---

(١) ساقط من م، ط.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) سبق تخريجه ص ١١٤٠.

(٤) في الأصل (تحت آياته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (هدايات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

واضعف واقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شيء من خلقه. فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى، [يتصل][١] في حبه ما حصل به من مكروه. والحكيم الباهر الحكمة هو الذي يحصل أحب الأمرين إليه باحتمال المكروه الذي يبغضه ويسخطه إذا كان طريقاً إلى حصول ذلك المحبوب، ووجود الملزوم بدون لازمه محال، فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من (الشرور)[٢] والمعاصي ما حصل، فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله، ومخالفة هوى النفس وشهواتها له، وتحمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته. وأحب شيء للحبيب أن يرى محِبَّه يتحمل لأجله من الأذى والوصف ما يصدق محبته:

من أجلك قد جعلت خدي أرضا ... للشامت والحسود حتى ترضى[٣]

وفي أثر إلهي: « بغيتي ما يتحمل المتحملون من أجلي »[٤]. فلله ما أحب إليه احتمال محبيه أذى أعدائه لهم فيه وفي مرضاته! وما أنفع ذلك الأذى لهم وما أحمدهم لعاقبته. وماذا ينالون به من (كرامة)[٥] حبيبهم وقربه قرة عيونهم به، ولكن حرام على منكري محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك

---

(١) في الأصل (بتصال) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (السرور) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) لم أجد قائله.

(٤) ذكره ابن القيم في (روضة المحبين) ص ٤٦٠ ولم يخرجه، كما أشار إليه في قصيدته النونية ٢/ ٤٦٢ (شرح ابن عيسى).

(٥) في م (كرامته).

رائحة، أو يدخلوا من هذا الباب، أو يذوقوا من هذا الشراب:

فقل للعيون العمي للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلع

وسامح (نفوساً)[١] لم تؤهل لحبهم ... فما يحسن التخصيص في كل موضع[٢]

فإن أغضب هذا المخلوق ربه، فقد أرضاه فيه أنبياؤه ورسله وأولياؤه، وذلك الرضا أعظم من ذلك الغضب.

وإن أسخطه (ما يجري)[٣] (على يديه)[٤] من المعاصي والمخالفات، فإنه سبحانه أشد فرحاً بتوبة عبده (العاصي)[٥] من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه إذا وجدها في المفاوز المهلكات[٦].

وإن أغضبه ما جرى على أنبيائه ورسله من هذا العدو، فقد سره وأرضاه ما جرى على أيديهم من (خزيه)[٧] ومعصيته ومراغمته وكبته وغيظه، وهذا

---

(١) في م، ط (يوسا).

(٢) ذكر المؤلف هذين البيتين في (أعلام الموقعين) ٤/ ٣٢ ، (الصواعق المرسلة) ٣/ ١٢٠٠ باختلاف، ولم يعزهما لقائل.

(٣) في الأصل، م (ما يحتري) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) زيادة من م، ط.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: « لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه... » والحديث ورد بألفاظ عدة، أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (التوبة) باب (في الحض على التوبة والفرح بها) ح رقم ٢٧٤٤، ٢٧٤٥، ٢٧٤٦، ٢٧٤٧.

(٧) في (ط) (حربه).

الرضاء أعظم عنده وأبرأ لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضي المحبوب.

وإن أسخطه أكل آدم من الشجرة، فقد أرضاه توبته وإنابته وخضوعه وتذلُّله بين يديه وانكساره له[(١)].

وإن أغضبه إخراج أعدائه لرسوله من حرمه [وبلدته][(٢)] ذلك الخروج، فقد أرضاه أعظم الرضا دخوله إليها ذلك الدخول.

وإن أسخطه قتلهم أولياءه وأحبابه، وتمزيق لحومهم، وإراقة دمائهم، فقد أرضاه نيلهم الحياة التي لا أطيب منها ولا أنعم ولا ألذ في قربه وجواره .

وإن أسخطه معاصي عباده [وذنوبهم][(٣)] فقد أرضاه شهود ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة مغفرته وعفوه وبره وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك، وحمده [وتمجيده][(٤)] بهذه الأوصاف التي حمده بها [والثناء][(٥)] عليه أحب إليه وأرضى له من فوات تلك المعاصي وفوات هذه المحبوبات.

واعلم أن الحمد هو الأصل الجامع لذلك كله؛ فهو عقد نظام الخلق والأمر، والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه، فما

---

(١) قال سبحانه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف/ ٢٢، ٢٣) .

(٢) في الأصل (وندرته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل و (تحميده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (وأثنى) والصواب ما أثبته.

خلق شيئاً ولا حكم بشيء إلا وله فيه الحمد، فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره، حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه، والثناء عليه، والإقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به. فتعطيل حكمته (عين)[١] تعطيل حمده كما تقدم بيانه[٢]، فكما أنه لا يكون إلا حميداً، فلا يكون إلا حكيماً، فحمده وحكمته كعلمه وقدرته وحياته من لوازم ذاته، ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته وأسمائه عن مقتضياتها وآثارها؛ فإن ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله وكبرياءه وعظمته.

يوضحه الوجه الخامس والعشرون: أنه كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود[٣] ويعطي ويمنع[٤]، فمنها أن يعيذ[٥] وينصر[٦] ويغيث[٧]،

---

(١) في ط (غير).

(٢) انظر ص١٠٦٦.

(٣) قال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل رواه أبو ذر رضي الله عنه: «... ذلك بأني جواد أفعل ما أريد ..» إلخ. أخرجه الترمذي في كتاب (صفة القيامة)، باب (٤٨) ح (٢٤٩٣) ٤/ ٦٥٦ قال الترمذي: (هذا حديث حسن).
وابن ماجة في كتاب (الزهد) باب (٣٠) ح (٤٢٥٧) ٢/ ١٤٢٢.
وأحمد في مسنده ٥/ ١٥٤.

(٤) من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله، فإذا أطلق وحده أوْهَمَ نقصاً لله، تعالى الله عن ذلك. ومن ذلك: (المعطي المانع). انظر: معارج القبول ١/ ٧٦.

(٥) قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ (الفلق/ ١).

(٦) قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد/ ٧).

(٧) قال سبحانه: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ (الأنفال/ ٩).

فكما يجب أن يلوذ به اللائذون، يجب أن يعوذ به العائذون. وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم، كما قال: أحمد بن الحسين الكندي[1] في ممدوحه:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره[2]

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله.

والمقصود أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به مماليكه، وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله أن يستعيذ به من الشيطان [الرجيم][3] في غير موضع من كتابه[4].

وبذلك يظهر تمام نعمته على (عبده)[5] إذا أعاذه وأجاره من عدوه، فلم يكن إعاذته وإجارته منه بأدنى نعمتين، والله تعالى يجب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين، فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم، وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه.

---

(١) هو شاعر زمانه، أبو الطيب أحمد بن حسين الكندي، الأديب الشهير بالمتنبي، قتل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر: شذرات الذهب ٣/ ١٣-١٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٩.

(٢) ديوان المتنبي مع شرح العكبري، طبع بيروت ٢/ ١٢٢.

(٣) زيادة من (ط).

(٤) من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ (الأعراف/ ٢٠٠). وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (النحل/ ٩٨). وقوله: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ (غافر/ ٥٦).

(٥) في (ط) (عدوه).

ومـا مـنهما إلا لـه فـيه حكمـة يقصـر عـن إدراكهـا كل باحث[١]

الوجه السادس والعشرون: قوله: اي حكمة (يقصر عن إدراكها)[٢] في بقاء إبليس إلى آخر الدهر وإماتة الرسل؟ فكم لله في ذلك من حكمة تضيق بها الأوهام.

فمنها أنه سبحانه لما جعله محكاً ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث، ووليه من عدوه، اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم، فكما اقتضت حكمته امتحان أبي (البشر)[٣] امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، وينحاز إليه من وافقه ووالاه.

ومنها أنه لما سبق في (حكمه وحكمته)[٤] أنه لا نصيب له في الآخرة، وقد سبق له طاعةٌ وعبادةٌ، جزاه بها في الدنيا بأن البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم أحداً حسنة عملها، فأما المؤمن فيجزيه بحسناته في الدنيا وفي الآخرة، وأما الكافر فيجزيه بحسنات ما عمل في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له شيء، كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي ﷺ[٥].

---

(١) لم أجد قائله.

(٢) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٣) في الأصل (البشرية) والصواب ما أثبته، وهو من م، ط.

(٤) في م، ط (حلمه وحكمته).

(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة. يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمـل بها لله =

ومنها أن إبقاءه لم يكن كرامة في حقه، فإنه لو مات كان خيراً له، وأخف لعذابه، وأقل لشره. ولكن لما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية، ومخاصمة من ينبغي التسليم لحكمه، والقدح في حكمته، والحلف على اقتطاع عباده وصدهم عن عبوديته[1]، كانت عقوبة (هذا)[2] الذنب أعظم عقوبة بحسب (تغلُّظه)[3]. فأبقي في الدنيا وأملي له (ليزداد)[4] إثماً على إثم ذلك الذنب، فيوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر، (ولما)[5] كان مادة كل شر فعنه ينشأ، جُوزي في النار مثل فعله، فكل عذاب ينزل لأهل النار يبدأ به فيه، ثم يسري منه إلى أتباعه عدلاً ظاهراً وحكمةً بالغة.

ومنها أنه قال في مخاصمته لربه: ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٦٢].

وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا

= في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له حسنة يجزى بها ». أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم) باب (جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا) ح (٢٨٠٨) ٣/ ٢١٦٢.

(١) قال سبحانه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) في الأصل (تعطله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في ط زيادة (هذا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (وكما) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له، وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك، فاجلس في انتظارهم، وكلما مر بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لما مكنتك منه[1]، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت وليُّ المجرمين الذين (رغبوا)[2] عن موالاتي وابتغاء مرضاتي. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل/ ٩٩، ١٠٠].

فأما إماتة الأنبياء والمرسلين، فلم يكن ذلك لهوانهم عليه، ولكن ليصلوا إلى محل كرامته، ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها، ومقاساة أعدائهم وأتباعهم، وليحيى الرسل بعدهم تترى رسولاً بعد رسول، فإماتتهم أصلح لهم وللأمة، أما هم فلراحتهم من الدنيا ولحوقهم بالرفيق الأعلى في أكمل لذة وسرور، ولا سيما وقد خيرهم ربهم بين البقاء في الدنيا (واللحاق به)[3][4].

وأما الأمم، فتعلم أنهم لم يطيعوهم في حياتهم خاصةً، بل أطاعوهم بعد مماتهم كما أطاعوهم في حياتهم، وأن أتباعهم لم يكونوا يعبدونهم، بل (كانوا)[5]

---

(١) في (ط) (ملكتك).

(٢) في م، ط (غنوا).

(٣) مكررة في (م).

(٤) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة...**» إلخ الحديث. رواه البخاري في صحيحه في كتاب (تفسير القرآن) من سورة النساء باب (١٣) ٨/ ١٨١، ومسلم في كتاب (فضائل الصحابة) باب (١٣) ح (٢٤٤٤) ٢/ ١٨٩٣.

(٥) ساقطة من (ط).

يعبدون الله بأمرهم ونهيهم، (والله)[١] هو الحي الذي لا يموت، فكم في إماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمم. هذا وهم بشر ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف في الأرض، يخلف بعضهم بعضاً، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة (والحكمة في جعلهم خلائف، ولضاقت بهم الأرض)[٢] فالموت كمال لكل مؤمن، ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا (ولا هناء لأهلها بها)[٣]. فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة.

الوجه السابع والعشرون: قوله: وأي حكمة ومصلحة في إخراج آدم من الجنة[٤] إلى دار الابتلاء والامتحان؟

فالجواب أن يقال: كم لله سبحانه في ذلك من حكمة، وكم فيه من نعمة ومصلحة تعجز العقول عن معرفتها على التفصيل، ولو استفرغت قواها كلها في معرفة ذلك. وإهباط آدم وإخراجه من الجنة كان (سبب)[٥] كماله ليعود إليها على أحسن أحواله. وهو سبحانه إنما خلقه ليستعمره وذريته في الأرض، ويجعلهم (خلفاء)[٦] يخلف بعضهم بعضاً[٧]، فخلقهم سبحانه ليأمرهم وينهاهم ويبتليهم، وليست الجنة دار ابتلاء وتكليف، فأخرج

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) ما بينهما مكرر في (م).

(٣) قال الأصل (لا يهنأ أهلها بها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف/ ٢٧].

(٥) في ط (يعسر).

(٦) زيادة من (ط).

(٧) قال سبحانه :﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

الأبوين إلى الدار التي خلقوا منها وفيها، ليتزودوا منها إلى الدار التي خلقوها لها، فإذا (ذاقوا)[١] تعب دار التكليف ونصيبها (وأذاها)[٢] عرفوا تلك الدار وشرفها وفضلها، ولو نشؤوا في تلك الدار لما عرفوا قدر نعمته عليهم بها. فأسكنهم دار الامتحان، وعرضهم فيها لأمره ونهيه لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه وكرامته، وكان من الممكن أن يحصل لهم النعيم المقيم هناك، ولكن الحاصل عقب الابتلاء والامتحان، ومعاناة الموت وما بعده، وأهوال القيامة، والعبور على الصراط نوع آخر من النعيم لا يدرك قدره، وهو أكمل من نعيم من خلق في الجنة من الولدان والحور العين بما لا (نسبة)[٣] بينهما بوجه من الوجوه.

ومن الحكم في ذلك أنه سبحانه أراد أن يتخذ من ذرية آدم رسلاً وأنبياء[٤] وشهداء يحبهم ويحبونه، وينزل عليهم كتبه، ويعهد إليهم عهده، ويستعبدهم له في السراء والضراء، ويؤثرون محابه ومراضيه على شهواتهم وما يحبونه ويهوونه، فاقتضت حكمته أن (أنزلهم)[٥] إلى دار ابتلاهم فيها بما ابتلاهم، ليكملوا بذلك الابتلاء مراتب عبوديته، ويعبدونه بما تكرهه نفوسهم، وذلك محض العبودية، وإلا فمن (لا)[٦] يعبد الله إلا بما يحبه ويهواه، فهو في الحقيقة إنما يعبد نفسه، وهو سبحانه يحب من أوليائه أن

---

(١) في (ط) (وفوا).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في (ط) (يشبه).

(٤) قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ [الأعراف/ ٣٥].

(٥) في (الأصل) (أنزله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) ساقطة من م، ط.

يوالوا فيه ويعادوا فيه، ويبذلوا نفوسهم في مرضاته ومحابه، وهذا كله لا يحصل في دار النعيم المطلق.

ومن الحكمة في إخراجه من الجنة ما تقدم التنبيه عليه من اقتضاء أسماء الله الحسنى لمسمياتها ومتعلقاتها، كالغفور، الرحيم، التواب، العفو، المنتقم، الخافض، الرافع، المعز، المذل، المحيي المميت الوارث.

ولا بد من ظهور أثر هذه الأسماء ووجود ما يتعلق به، فاقتضت حكمته أن أنزل الأبوين من الجنة ليظهر مقتضى أسمائه وصفاته فيهما وفي ذريتهما، فلو تربت[١] الذرية في الجنة، لفاتت آثار هذه الأسماء وتعلقاتها، والكمال الإلهي يأبى ذلك، فإنه الملك الحق المبين، والملك هو الذي يأمر وينهى، ويكرم ويهين، ويثبت ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، فأنزل الأبوين والذرية إلى دار تجري عليهم فيها[٢] هذه الأحكام.

وأيضاً فإنهم أنزلوا إلى دار يكون إيمانهم (فيها)[٣] تاماً، فإن الإيمان قول وعمل وجهاد وصبر واحتمال[٤]، وهذا كله إنما يكون في دار الامتحان، لا في جنة النعيم، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ـ منهم أبو الوفاء بن عقيل[٥]

---

(١) في الأصل (تربة) والصواب ما أثبته وهو من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) أقوال السلف وأئمة السنة في (تفسير الإيمان) تارة يقولون: هو قول، وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح. انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ١٧٠.

(٥) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم، صاحب =

وغيره - أن أعمال الرسل والأنبياء والمؤمنين في الدنيا أفضل من نعيم الجنة[1]، قالوا: لأن نعيم الجنة حظهم وتمتعهم، فأين يقاس إلى الإيمان وأعماله، والصلوات، وقراءة القرآن، (والجهاد)[2] في سبيل الله، وبذل النفوس في مرضاته، وإيثاره على هواها وشهواتها.

فالإيمان متعلق به سبحانه، وهو حقه عليهم، ونعيم الجنة متعلق بهم، وهو حظهم، فهم إنما خلقوا للعبادة[3]، والجنة دار نعيم لا دار تكليف وعبادة.

وأيضاً فإنه سبحانه سبق حكمه وحكمته بأن يجعل في الأرض خليفة، وأعلَمَ بذلك ملائكتَه. فهو سبحانه قد أراد أن يكون هذا الخليفة وذريته في الأرض قبل خلقه لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة، فلم يكن بد من إخراجه من الجنة (إلى الدار التي قدر سكناه)[4] فيها قبل أن يخلقه. وكان ذلك التقدير بأسباب وبحكم. فمن أسبابه النهي عن تلك الشجرة، وتخليته بينه وبين عدوه، حتى وسوس إليه بالأكل، وتخليته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية، وكانت تلك الأسباب موصلة إلى غايات محمودة مطلوبة

= التصانيف، له كتاب الفنون في أزيد من أربعمائة مجلد، إلا أنه خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدة بدع، ثم تاب عن ذلك. نسأل الله العفو والسلامة. ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. انظر: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٦، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣.

(١) انظر: كتاب تفضيل العبادات على نعيم الجنات لابن عقيل، معجم المؤلفين ٢/ ٤٧٧.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.(الذاريات/ ٥٦).

(٤) في (ط) (دار قد سكناهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ترتبت[١] خروجه من الجنة، ثم ترتب على خروجه أسباب أخر جعلت غايات لحكم أخر. ومن تلك الغايات عوده إليها على أكمل الوجوه.

فذلك التقدير وتلك الأسباب وغاياتها صادرة عن محض الحكمة البالغة التي (يحمده)[٢] عليها أهل السماوات والأرض والدنيا والآخرة. فما قدر أحكم الحاكمين ذلك باطلاً، ولا دبره عبثاً، ولا أخلاه من حكمته البالغة وحمده التام.

وأيضاً، فإنه سبحانه قال لملائكته: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٣٠).

ثم أظهر سبحانه من علمه وحكمته الذي خفي على (ملائكته)[٣] من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه، بأن جعل من نسله من أوليائه وأحبابه ورسله وأنبيائه من يتقرب إليه بأنواع التقرب، ويبذل نفسه في محبته ومرضاته، يسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار، ويذكره قائماً وقاعداً وعلى جنبه، ويعبده ويذكره ويشكره في السراء والضراء، والعاقبة والبلاء، والشدة والرخاء، فلا يثنيه عن ذكره وشكره وعبادته شدة ولا بلاء، ولا فقر ولا مرض، ويعبده مع معارضة الشهوة (وغلبات) الهوى، (وتعاضد)[٤] الطباع لأحكامها، ومعاداة بني جنسه وغيرهم له، فلا يصده ذلك عن عبادته

---

(١) في (ط) (يترتب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (يحسده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (الملائكة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل، م (تقاضي) والصواب ما أثبته من (ط).

وشكره وذكره والتقرب إليه. فإن كانت عبادتكم لي بلا معارض ولا ممانع، فعبادة هؤلاء لي مع هذه المعارضات والموانع والشواغل.

وأيضاً فإنه سبحانه أراد أن يظهر لهم ما خفي عليهم من شأن (من)[١] كانوا يعظمونه ويجلونه، ولا يعرفون ما في نفسه من الكبر والحسد والشر، فذلك الخير وهذا الشر كامن في نفوس لا يعلمونها، فلا بد من إخراجه وإبرازه لكي يعلم حكمة أحكم الحاكمين في (معاملة)[٢] كل منهما بما يليق به.

وأيضاً فإنه سبحانه لما خلق خلقه أطواراً وأصنافاً، وسبق في حكمه وحكمته (تفضيل)[٣] آدم وبنيه على كثير ممن خلق تفضيلاً، جعل عبوديتهم أكمل من عبودية غيرهم، وكانت العبودية أفضل أحوالهم وأعلى درجاتهم، أعني العبودية الاختيارية التي يأتون بها طوعاً واختياراً لا كرهاً واضطراراً.

ولهذا أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إلى سيد هذا (النوع)[٤] يخيره بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً، فاختار بتوفيق ربه له أن يكون عبداً رسولاً[٥].

---

(١) في م، ط (ما) والصواب ما أثبته.

(٢) في م، ط (مقابلة).

(٣) في الأصل (نعطيل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (النوعي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال يا محمد. أرسلني إليك ربك، قال: أفملكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً. قال جبريل: تواضع لربك يا محمد قال: «بل عبداً رسولاً». أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٣١. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٨، ١٩) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى =

وذكره سبحانه (باسم)[1] العبودية في أشرف مقاماته وأفضل أحواله، كمقام الدعوة والتحدي والإسراء وإنزال القرآن، فقال ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن/ ١٩]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة/ ٢٣]، ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء/ ١) ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (الفرقان/ ١) فأثنى عليه، ونوّه به لعبوديته التامة له، ولهذا يقول أهل الموقف حين يطلبون الشفاعة: «اذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[2].

فلما كانت العبودية أشرف أحوال بني آدم وأحبها إلى الله، وكان لها لوازم وأسباب (وشروط)[3] لا تحصل إلا بها، كان من أعظم الحكمة أن أخرجوا إلى دار تجري فيها أحكام العبودية وأسبابها وشروطها وموجباتها، فكان إخراجهم من الجنة تكميلاً لهم، وإتماماً لنعمته عليهم، مع ما في ذلك من (حصول)[4] محبوبات الرب تعالى، فإنه يحب إجابات الدعوات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، ومغفرة الزلات، وتكفير السيئات، ودفع البليات، وإعزاز من يستحق العز، وإذلال من يستحق الذل، ونصر المظلوم، وجبر الكسير، ورفع بعض خلقه على بعض، وجعلهم درجات؛ ليعرف قدر

= ورجال الأولين رجال الصحيح. وعن عائشة بنحوه. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وإسناده حسن. (مجمع الزوائد ٩/ ١٩).

(١) في (ط) اتم.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) في (ط) (مشروط) والصواب ما أثبته.

(٤) ساقطة من (ط).

فضله وتخصيصه، فاقتضى ملكه التام وحمده الكامل أن يخرجهم إلى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه، وإن كان لكثير منها طرق وأسباب يكرهها، فالموقوف[١] على الشيء لا يكون[٢] بدونه، وإيجاد لوازم الحكمة من الحكمة، كما أن إيجاد لوازم العدل من العدل، كما (ستقف)[٣] عليه في فصل إيلام الأطفال إن شاء الله[٤].

الوجه الثامن والعشرون: أنه سبحانه أبرز خلقه من العدم إلى الوجود ليجري عليه أحكام أسمائه وصفاته، فيظهر كماله المقدس، وإن كان لم يزل كاملاً. فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره، وقضائه وقدره، ووعده ووعيده، (ومنعه)[٥] وإعطائه، وإكرامه وإهانته، وعدله وفضله، وعفوه (وانتقامه)[٦] وسعة حلمه، وشدة بطشه.

وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه أنه كل يوم هو في شأن، فمن جملة شؤونه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً، ويغيث ملهوفاً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويجيب دعوةً، ويقيل عثرةً، ويعز ذليلاً، ويذل متكبراً، ويقصم جباراً، ويميت ويحيي، ويضحك ويبكي، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع ، ويرسل رسله من الملائكة ومن البشر في تنفيذ أوامره، وسوق مقاديره التي قدرها إلى مواقيتها التي وقَّتها لها.

---

(١) في م، ط (فالوقوف) والصواب ما أثبته.
(٢) ساقطة من م، ط.
(٣) في (الأصل) (سبقت) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.
(٤) انظر الباب الثلاثين .
(٥) زيادة من م، ط.
(٦) في م، ط (وإنعامه).

وهذا كله لم يكن ليحصل في (دار)[1] البقاء، وإنما اقتضت حكمته البالغة حصوله في دار الامتحان والابتلاء.

يوضحه الوجه التاسع والعشرون: أن كمال ملكه التام اقتضى كمال تصرفه فيه بأنواع التصرف، ولهذا جعل (الله)[2] سبحانه الدور ثلاثة: داراً أخلصها للنعيم واللذة والبهجة والسرور، وداراً أخلصها للألم والنصب وأنواع البلاء والشرور، وداراً خلط خيرها بشرها، ومزج نعيمها بشقائها، ومزج لذتها بألمها، يلتقيان (ويتطالبان)[3]. وجعل عمارة (تينك)[4] الدارين من هذه الدار، وأجرى (أحكامه)[5] على خلقه في الدور الثلاثة بمقتضى ربوبيته وإلهيته (وعلمه)[6] وعزته وحكمته وعدله ورحمته. فلو أسكنهم كلهم دار البقاء من حين أوجدهم لتعطلت (أحكام)[7] هذه الصفات، ولم يترتب عليها آثارها.

يوضحه الوجه الثلاثون: أن يوم المعاد الأكبر يوم مظهر الأسماء والصفات وأحكامها، ولهذا يقول سبحانه: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر/ ١٦]، وقال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان/ ٢٦]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار/ ١٩] .

---

(١) في (ط) (ذات).

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) في م، ط (يطالبان).

(٤) في الأصل (تلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (من أحكامه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) في الأصل (إذاً قيام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

حتى إن الله سبحانه ليتعرف إلى عباده ذلك اليوم بأسماء وصفات لم يعرفوها في هذه الدار. فهو يوم ظهور المملكة العظمى والأسماء الحسنى والصفات العلا .

فتأمل ما أخبر به الله ورسوله من شأن ذلك اليوم وأحكامه، وظهور عزته تعالى وعظمته، وعدله، وفضله، ورحمته، وآثار صفاته المقدسة التي لو خلقوا في دار البقاء لتعطلت، وكماله سبحانه ينفي ذلك. وهذا دليل مستقل لمن عرف الله تعالى وأسماءه وصفاته على وقوع المعاد وصدق الرسل فيما أخبروا به عن الله (منه)[1]، (فيتطابق)[2] دليل العقل ودليل السمع على وقوعه .

الوجه الحادي والثلاثون: أن الله سبحانه يحب أن يعبد بأنواع التعبدات كلها، ولا يليق ذلك إلا بعظمته وجلاله، ولا يحسن ولا ينبغي إلا له وحده .

ومن [المعلوم][3] أن أنواع التعبد الحاصل في دار الابتلاء والامتحان لا تكون في دار المجازاة، وإن كان في هذه الدار بعض المجازاة، فكمالها وتمامها هو في تلك الدار، وليست دار عمل، وإنما هي دار جزاء وثواب. وأوجب كماله المقدس [أن][4] يجزي فيها الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فلم يكن بد من دار تقع فيها الإساءة والإحسان، ويجري على [أهلها][5] (فيها)[6]

---

(١) في (ط) (عنه) .

(٢) في (ط) (فتطابق) .

(٣) في الأصل (العلوم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل (أي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في (م) (أهلهما) .

(٦) ساقطة من م، ط .

أحكام الأسماء والصفات .

ثم يعقبها داراً يجازى فيها المحسن والمسيء، ويجري على [أهلها][(١)] فيها أحكام الأسماء والصفات. فتعطيل أسمائه وصفاته ممتنع مستحيل، وهو تعطيل لربوبيته وإلهيته وملكه وعزه وحكمته .

فمن فتح له باب من الفقه في أحكام الأسماء والصفات، وعلم [اختصاصها][(٢)] لآثارها ومتعلقاتها، واستحالة تعطيلها، علم أن الأمر كما أخبرت به الرسل، وأنه لا يجوز عليه سبحانه، ولا ينبغي له غيره، وأنه ينزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص. وهذا باب عزيز من أبواب الإيمان (يفتحه)[(٣)] الله على من يشاء من عباده ويحرمه من يشاء .

الوجه الثاني والثلاثون: أنه كم لله سبحانه من حكمة وحمد، وأمر ونهي، وقضاء وقدر، في جعل بعض عباده فتنة لبعض، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام/ ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان/ ٢٠].

فهو سبحانه جعل أولياءَه فتنةً لأعدائه، وأعداءَه فتنةً لأوليائه، والملوك فتنةً للرعية، والرعية فتنةً لهم، والرجال فتنة للنساء، وهُنَّ فتنةٌ لهم، والأغنياء فتنةً للفقراء، والفقراء فتنةً لهم، وابتلى كل أحد بضدٍ جعله (مقابله)[(٤)] .

فما استقرت أقدام الأبوين على الأرض إلا وضدهما مقابلهما، واستمر

---

(١) في (م) (أهلهما) .

(٢) في الأصل (اقتضاها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في (ط) (فيفتحه) .

(٤) في (ط) (متقابلا) .

الأمر في الذرية كذلك إلى أن يطوي الله الدنيا ومن عليها، وكم له سبحانه في [مثل][1] هذا الابتلاء والامتحان من حكمة بالغة، ونعمة سابغة، وحُكم نافذ، وأمر ونهي، وتصريفٍ دالٍ على ربوبيته وإلهيته وملكه وحمده، وكذلك ابتلاء عباده بالخير والشر في هذه الدار هو من كمال حكمته ومقتضى حمده التام .

الوجه الثالث والثلاثون: أنه لولا هذا الابتلاء والامتحان لما ظهر فضل الصبر، والرضاء، والتوكل، والجهاد، والعفة، والشجاعة، والحلم، والعفو، والصفح. والله سبحانه (يحب)[2] أن يكرم أولياءه بهذه الكمالات، ويحب ظهورها عليهم، ليُثنى بها عليهم هو وملائكته، وينالوا باتصافهم بها غاية الكرامة واللذة والسرور. وإن كانت مُرَّةَ المبادئ، فلا أحلى من عواقبها. ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع .

وقد أجرى الله سبحانه حكمته بأن كمال الغايات (تابع)[3] لقوة أسبابها وكمالها، ونقصانها لنقصانها، فمن كمل أسباب النعيم واللذة (والسرور)[4] كملت له غايتها، ومن حرمها حرمها، ومن نقصها نقص له من غاياتها. وعلى هذا قام الجزاء بالقسط والثواب والعقاب، وكفى بهذا العالم شاهداً لذلك، فرَبُّ الدنيا والآخرة واحد، وحكمته مطردة فيهما ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص/ ٧٠] .

ويوضحه **الوجه الرابع والثلاثون:** وهو أن أفضل العطاء وأجلّه على الإطلاق الإيمان وجزاؤه، وهو لا يتحقق إلا بالامتحان والاختبار، قال تعالى:

---

(١) زيادة من م، ط .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) في (ط) (تابعة) .

(٤) ساقطة من م، ط .

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت/ ١-٦].

فذكر سبحانه في هذه السورة أنه لابد أن يمتحن خلقه ويفتنهم، ليتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر، ومن يشكره ويعبده ممن يكفره ويعرض عنه ويعبد غيره. وذكر أحوال الممتحنين في العاجل والآجل، وذكر أئمة الممتحنين في الدنيا وهم الرسل وأتباعهم، وعاقبة أمرهم وما صاروا (إليه، ثم ذكر الممتحنين من أعدائهم ومكذبيهم وما صاروا إليه)[١] فافتتح (السورة)[٢] بالإنكار على من يحسب أنه يتخلص من الامتحان والفتنة في هذه الدار إذا [٣] ادعى الإيمان، وأن حكمته سبحانه (ومشيئته)[٤] في خلقه تأبى ذلك، وأخبر عن سر هذه الفتنة والمحنة، وهو تبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر، وهو سبحانه كان يعلم ذلك قبل وقوعه، ولكن اقتضى عدله وحمده أنه لن يجزي العباد بمجرد علمه فيهم، بل بمعلومه إذا وجد وتحقق، والفتنة هي التي أظهرته وأخرجته إلى الوجود، فحينئذ حسن وقوع الجزاء عليه.

ثم أنكر سبحانه على من لم يلتزم الإيمان به ومتابعة رسله خوف الفتنة والمحنة التي يمتحن بها رسله وأتباعهم ظنه وحسبانه أنه بإعراضه عن الإيمان

---

(١) ما بينها ساقط من م، ط .

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) زيادة من م ط .

(٤) في م، ط (شانه) .

(به)[١] وتصديق رسله يتخلص من الفتنة والمحنة، فإن بين يديه من الفتنة والمحنة والعذاب أعظم وأشق مما فر (منه)[٢] فإن المكلفين بعد إرسال الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنت، وإما لا يقول: بل يستمر على السيئات .

فمن قال: آمنت [امتحنه الرب تعالى وابتلاه ليتحقق (بالامتحان)[٣] حجة إيمانه وثباته عليه، وأنه ليس][٤] بإيمانه عافية ورخاء فقط، بل إيمان ثابت في حالتي النعماء والبلاء .

ومن لم يؤمن، فلا يحسب أنه يعجز ربه تعالى ويفوته، بل هو في قبضته، وناصيته بيده، فله من البلاء أعظم مما ابتلي به من قال: آمنت .

فمن آمن به وبرسله فلا بد أن يُبتلى من أعدائه وأعداء رسله بما يؤلمه ويشق عليه .

ومن لم يؤمن به وبرسله، فلا بد أن يعاقبه، فيحصل له من الألم والمشقة أضعاف ألم المؤمنين .

فلا بد من حصول الألم لكل نفس مؤمنةٍ أو كافرة، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا (ابتداء)[٥] ثم ينقطع، ويعقبه أعظم اللذة، والكافر يحصل له اللذة والسرور ابتداء ثم ينقطع ويعقبه أعظم الألم والمشقة . وهذا حال الذين يتبعون الشهوات فيلتذون بها ابتداءً، ثم تعقبها الآلام بحسب ما نالوه منها،

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) في (ط) (عنه) .

(٣) في (ط) (بالإيمان) .

(٤) ما بينها زيادة من م، ط .

(٥) في (ط) (أشد) .

والذين يصبرون عنها [يتألمون][١] بفقدها ابتداءً، ثم يعقب ذلك الألم من اللذة والسرور بحسب ما صبروا عنه وتركوه منها .

فالألم واللذة أمر ضروري لكل إنسان، ولكن الفرق بين العاجل المنقطع اليسير والآجل الدائم العظيم [فرق كبير][٢]، ولهذا كان خاصة العقل النظر في العواقب والغايات، فمن ظن أنه يتلخص من الألم بحيث لا يصيبه البتة، فظنه أكذب الحديث، فإن الإنسان خلق عرضة للذة والألم والسرور والحزن، والفرح والغم، وذلك في جهتين :

من جهة تركيبه (وطبعه)[٣] وهيئته، فإنه مركب من أخلاط (متعادية)[٤] متضادة، يمتنع أو يعز اعتدالها من كل وجه، بل لا بد أن يبغي بعضها على بعض، فتخرج عن حد الاعتدال، فيحصل الألم .

ومن جهة بني جنسه، فإنه مدني بالطبع، لا يمكنه أن يعيش وحده، بل لا يعيش إلا معهم، وله ولهم (إرادت)[٥] ومطالب متضادة ومتعارضة، لا يمكن الجمع (بينهما)[٦] بل إذا حصل منها شيء فات منها أشياء.

فهو يريد منهم أن يوافقوه على مطالبه وإرادته، وهم يريدون منه ذلك، فإن وافقهم حصل له من الألم والمشقة بحسب ما فاته من إرادته، وإن لم

(١) في جميع النسخ (ينالون) ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) ساقطة من الأصل، م وفي (ط) (بون) ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) في ط (وطبيعته) .

(٤) في ط (متفاوته) .

(٥) في م، ط (لذاذات) .

(٦) في م، ط (بينها) .

يوافقهم آذوه وعذبوه، وسعوا في تعطيل مراداته كما (لو)[1] لم يوافقهم على (إرادتهم)[2]، فيحصل له من الألم والتعذيب بحسب ذلك، فهو في ألم ومشقة على أمور يعلم أنها عقائد باطلة، وإرادات فاسدة وأعمال (مضرة)[3] في عواقبها؛ ففي موافقتهم أعظم الألم، وفي مخالفتهم حصول الألم .

فالعقل والدين والمروءة والعلم تأمره باحتمال أخف الألمين تخلصاً من أشدهما، وبإيثار المنقطع منهما لينجو من الدائم المستمر .

فمن كان ظهيراً للمجرمين من الظلمة على ظلمهم، ومن أهل الأهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم، ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم ليتخلص بمظاهرتهم من ألم أذاهم، أصابه من ألم الموافقة لهم عاجلاً (وآجلاً)[4] أضعاف أضعاف ما فر منه، وسنة الله في خلقه أن يعذبهم بأيدي من (أعانهم)[5] وظاهرهم. وإن صبر على ألم مخالفتهم ومجانبتهم أعقبه ذلك لذة عاجلة وآجله تزيد على لذة الموافقة بأضعاف مضاعفة . وسنة الله في خلقه أن يرفعه عليهم، ويذلهم له بحسب صبره وتقواه وتوكله وإخلاصه .

إذا كان لا [بد][6] من الألم والعذاب، فذلك في الله، وفي مرضاته ومتابعة رسله، أولى وأنفع منه في الناس (ومرضاتهم)[7] وتحصيل مراداتهم .

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) في ط (مراداتهم) .

(٣) في م، ط (تضره) .

(٤) في الأصل (أو آجلاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في ط (يعذبهم بإنذار من إيمانهم) .

(٦) ساقطة من م، ط .

(٧) في ط (ورضائهم) .

ولما كان زمن التألم والعذاب[1] فصبره طويل، وأنفاسه ساعات، وساعاته أيام، وأيامه شهور وأعوام. (سلى)[2] سبحانه الممتحن فيه بأن لذلك الابتلاء أجلاً ثم ينقطع، وضرب لأهله أجلاً للقائه يسليهم به و(تسكن)[3] نفوسهم، ويهون عليهم أثقاله؛ فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت/ ٥] .

فإذا تصور العبد أجل ذلك البلاء وانقطاعه وأجل لقاء المبتلى سبحانه وإثابته، هان عليه ما هو فيه، وخف عليه حمله .

ثم لما كان ذلك لا يحصل إلا بمجاهدة للنفس وللشيطان ولبني جنسه، وكان العامل إذا علم أن ثمرة عمله وتعبه تعود عليه وحده لا يشركه فيه غيره، كان أتم اجتهاداً وأوفر سعياً، قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦] .

وأيضاً، فلا يتوهم متوهم [أن][4] منفعة هذه المجاهدة والصبر والاحتمال تعود على الله سبحانه، فإنه غني عن العالمين، ولم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه إليهم، [و][5] لا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً منه عليهم، بل أمرهم بما يعود نفعه ومصلحته عليهم في معاشهم ومعادهم، ونهاهم عما تعود مضرته[6] عليهم في معاشهم ومعادهم، فكانت ثمرة هذا الابتلاء والامتحان

---

(١) الكلام هنا غير مستقيم، ولعل هناك سقطاً وهو كلمة (طويلاً) .

(٢) في ط (بلى) .

(٣) في ط (ويشكر) .

(٤) في الأصل (فلا منفعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) زيادة من م، ط .

(٦) في (ط) (عتيه) .

مختصة بهم .

[واقتضت][1] حكمته أن نصب ذلك سبباً مفضياً إلى تميز (الطيب من الخبيث)[2]، (والتقي)[3] من الغوي، ومن يصلح له ممن لا يصلح .

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران/ ١٧٩].

فابتلاهم سبحانه بإرسال (رسله)[4] إليهم بأوامره ونواهيه وامتيازه، فامتاز برسله طيبهم من خبيثهم، وجيدهم من رديئهم، فوقع الثواب والعقاب على معلوم أظهره ذلك الابتلاء والامتحان .

ثم لما كان الممتحن لا بد أن ينحرف عن طريق الصبر والمجاهدة لدواعي (طبعه)[5] وهواه، وضعفه عن مقاومة ما ابتُلي به، وعده سبحانه أن يتجاوز له عن ذلك ويكفر عنه، لأنه لما (آمن)[6] به والتزم طاعته، اقتضت رحمته أن كفر عنه سيئاته، وجازاه بأحسن أعماله[7] .

ثم ذكر سبحانه ابتلاء العبد بأبويه، وما أمر به من طاعتها، وصبره على

---

(١) في الأصل (واختصت) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في م، ط (الخبيث من الطيب) .

(٣) في م، ط (الشقي) .

(٤) في ط (الرسل) .

(٥) في (ط) (طبيعته) .

(٦) في (ط) (أمر) .

(٧) قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت/ ٧] .

مجاهدتهما له على (أن يشرك)[١] به، فيصبر على هذه المحنة والفتنة ولا يطيعهما، بل يصاحبهما على هذه الحال معروفاً، ويعرض عنهما إلى متابعة سبيل (رسله)[٢][٣] وفي الاعتراض عنهما وعن سبيلهما، والإقبال على من خالفهما، وعلى سبيله من الامتحان والابتلاء ما فيه .

ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الإيمان على ضعف عزم، وقلة (بصيرة)[٤] وعدم ثبات على المحنة والابتلاء، وأنه إذا أوذي في الله ـ كما جرت به سنة الله، واقتضت حكمته من ابتلاء أوليائه بأعدائه وتسليطهم عليهم بأنواع المكاره والأذى ـ لم يصبر على ذلك، وجزع منه، وفر منه ومن أسبابه كما يفر من عذاب الله، فجعل فتنة الناس له على الإيمان وطاعة رسله كعذاب الله (لمن)[٥] يعذبه على الشرك ومخالفة رسله، وهذا يدل على عدم البصيرة، وأن الإيمان لم يدخل قلبه، ولا ذاق حلاوته (حين)[٦] سوى بين عذاب (الناس)[٧] له على الإيمان بالله ورسله وبين [عذاب][٨] الله لمن يؤمن به وبرسله، وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد، ولم ترسخ قدمه

---

(١) في (ط) (أن لا يشرك) .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) قال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت/٨]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّۚ﴾ [لقمان/ ١٥] .

(٤) في (ط) (صبر) .

(٥) في (الأصل) (لم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في (ط) (حتى) .

(٧) في م، ط (الله) .

(٨) زيادة من م، ط .

في الإيمان وعبادة الله، فهو من المفتونين المعذبين، وإن فر من عذاب الناس له على الإيمان .

ثم ذكر حال هذا عند نصرة المؤمنين، وأنهم إذا نصروا لجأ إليهم، وقال كنت معكم، والله سبحانه يعلم من قلبه خلاف قوله[١] .

ثم ذكر سبحانه ابتلاء نوح بقومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه، فابتلاهم بالغرق ثم بعده بالحرق[٢][٣] .

ثم ذكر ابتلاء إبراهيم عليه السلام بقومه وما ردوا عليه، وابتلاءهم بطاعته ومتابعته[٤] .

ثم ذكر ابتلاء لوط عليه السلام بقومه وابتلاءهم به، وما صار إليه أمره وأمرهم[٥] .

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ١٠] .

(٢) قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٤] .

(٣) لعل قصد المصنف الحرق في النار بالآخرة لكفرهم وضلالهم .

(٤) قال سبحانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٦، ٢٥] .

(٥) قال سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٢٨-٣٤] .

ثم ذكر ابتلاء شعيب بقومه وابتلاءهم (به)[(١)] وما انتهت إليه حالهم وحاله[(٢)].

ثم ذكر ما ابتلى به عاداً وثمود وقارون وفرعون وهامان وجنودهم من الإيمان به وعبادته وحده، ثم ما ابتلاهم به من أنواع العقوبات[(٣)].

ثم ذكر ابتلاء (رسوله)[(٤)] ﷺ بأنواع الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وأمره أن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن[(٥)].

ثم أمر عباده المبتلين بأعدائه أن يهاجروا من أرضهم إلى أرضه الواسعة فيعبدونه فيها، ثم نبههم بالنقلة الكبرى من دار الدنيا إلى [دار][(٦)] الآخرة على نقلتهم الصغرى من أرض إلى أرض، وأخبرهم أن مرجعهم إليه

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) قال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٦ - ٣٧].

(٣) قال سبحانه: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٨-٤٠].

(٤) مكررة في (م).

(٥) قال سبحانه: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت/ ٤٦].

(٦) زيادة من م، ط.

[لا][(١)] قراراً لهم في (هذه)[(٢)] الدار دون لقائه[(٣)]. ثم بين لهم حال الصابرين على الابتلاء فيه بأنه يبوئهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيه، فسلاهم عن أرضهم ودارهم التي تركوها لأجله ـ وكانت مباءً لهم ـ بأن بواهم داراً أحسن منها، وأجمع لكل خير ولذة ونعيم مع خلود الأبد، (وأنهم)[(٤)] (نالوا)[(٥)] ذلك بصبرهم على الابتلاء وتوكلهم على ربهم، ثم أخبرهم بأنه ضامن لرزقهم في غير أرضهم كما كان يرزقهم في أرضهم، فلا يهتموا بحمل الرزق، فكم من دابة (إذا)[(٦)] سافرت من مكان إلى مكان لا تحمل رزقها[(٧)]، ثم أخبرهم أن مدة الابتلاء في هذه الدار قصيرة جداً بالنسبة إلى دار الحيوان والبقاء[(٨)].

ثم ذكر سبحانه عاقبة أهل الابتلاء ممن لم يؤمن به وأن مقامهم في هذه الدار تمتع، وسوف يعلمون عند النقلة منها ما فاتهم من النعيم المقيم، وما

---

(١) في الأصل (ولا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) قال سبحانه: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧ ﴾ [العنكبوت/ ٥٦، ٥٧].

(٤) في (ط) (وأن).

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠ ﴾ [العنكبوت/ ٥٨-٦٠].

(٨) قال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

حصلوا عليه من العذاب الأليم[١]. وذكر عاقبة أهل الابتلاء ممن آمن به وأطاع رسله وجاهد نفسه وعدوه في دار الابتلاء (بأنه)[٢] هاديه وناصره[٣]. فأخبر سبحانه أن أجل عطاء وأفضله في الدنيا والآخرة هو لأهل الابتلاء، الذين صبروا على ابتلائه وتوكلوا عليه. وأخبر أن أعظم عذابه وأشقه هو للذين لم يصبروا على ابتلائه، وفروا منه وآثروا النعيم العاجل عليه .

فمضمون هذه السورة[٤] هو سر الخلق والأمر، فإنها سورة الابتلاء والامتحان، وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها (وخاتمتها)[٥] وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر. والله المستعان[٦] .

ويوضحه الوجه الخامس والثلاثون: وهو أنه سبحانه أخبر (أنه)[٧] خلق السماوات والأرض، والعالم العلوي والسفلي [ليبلونا أينا][٨] أحسن عملاً[٩]. وأخبر أنه زين الأرض بما عليها من حيوان، ونبات ومعادن وغيرها لهذا

---

(١) قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٥، ٦٦] .

(٢) في (ط) (ما به) .

(٣) قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

(٤) سورة العنكبوت .

(٥) في م، ط (خاتمها) .

(٦) انظر: تفسير هذه السورة: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٤٤-٦٧٢) .

(٧) في الأصل (أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٨) في الأصل (أينا ليبلونا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٩) قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ [هود/ ٧] .

الابتلاء [١] وأنه خلق الموت والحياة لهذا الابتلاء [٢] فكان هذا الابتلاء غاية الخلق والأمر، فلم يكن بد من دار يقع فيها هذا الابتلاء، وهي دار التكليف.

ولما سبق في حكمته أن الجنة دار نعيم[٣] لا دار ابتلاء وامتحان، جعل قبلها دار الابتلاء[٤] جسراً يعبر عليه إليها، ومزرعة يبذر فيها، وميناء يزود منها، وهذا هو الحق الذي خلق الخلق به ولأجله، وهو أن يعبد وحده بما أمر به على ألسنة رسله، فأمر ونهى على ألسنة (رسله)[٥]، (ووعد)[٦] بالثواب والعقاب، ولم يخلق الخلق سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم[٧]، ولا تركهم هملاً لا يثيبهم ولا يعاقبهم، بل خلقوا للأمر والنهي والثواب والعقاب، ولا يليق بحكمته وحمده غير ذلك .

فصل

وقد عرف من هذا الجواب عن قولهم أي حكمة في خلق النفس مريدةً للخير والشر؟ وهلا خلقت مريدة للخير وحده؟ وكيف اقتضت الحكمة تمكينها من الشر مع القدرة على منعها منه؟ وأي حكمة في إعطائها قوةً

---

(١) قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف/ ٧].

(٢) قال سبحان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك/ ٢] .

(٣) قل سبحانه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة/ ٢١] .

(٤) قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٢] .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في (ط) (ووعدنا) .

(٧) قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة/ ٣٦] .

وأسباباً يعلم المعطي أنها لا يفعل بها إلا الشر وحده؟ وأي حكمة في إقرار هذه النفوس على غيها وظلمها وعدانها ؟.

ومعلوم أن من يفعل لحكمةٍ لا يفعل ذلك، وأن من يفعل لحكمة إذا رأى عبيده يقتل بعضهم بعضاً، ويفسد بعضهم بعضاً، ويظلم بعضهم بعضاً، وهو قادر على منعهم، فلا تدعه[١] حكمته إهمالهم [بحيث يتركهم][٢] كذلك. فإما أن (لا)[٣] يكون عالماً بما يأتون، أو لا يكون قادراً على منعهم، أو لا يكون ممن يفعل لغرض وحكمة، والأولان مستحيلان في حق الرب تعالى، فتعين الثالث .

ومبنى هذه الشبهة على أصل فاسد، وهو قياس الرب تعالى على خلقه، (وتشبيهه)[٤] (بهم)[٥] في أفعاله بحيث يحسن منه ما يحسن منهم، ويقبح ما يقبح منهم، ولهذا كانت القدرية[٦] مشبهة الأفعال، ومتأخروهم جمعوا بين هذا التشبيه وبين تعطيل الصفات، فصاروا معطلين للصفات مشبهين في الأفعال.

وهذا الأصل الفاسد مما رده عليهم سائر العقلاء[٧]، وقالوا: قياس أفعال الرب على أفعال العباد من أفسد القياس، وكذلك قياس حكمته على حكمتهم، وصفاته على صفاتهم، ومن المعلوم أن الرب تعالى علم أن عباده

---

(١) في (ط) (فلا بدعه) .

(٢) في الأصل، م (فحيث تركهم) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) في (ط) (تشبيههم) .

(٥) ساقطة من (ط) .

(٦) سبق تعريفها .

(٧) ساقطة من م، ط .

يقع منهم الكفر والظلم والفسوق، وكان قادراً على أن لا يوجدهم، وأن يوجدهم كلهم أمةً واحدةً على ما يحب ويرضى، وأن يحول بينهم وبين بغي بعضهم على (بعض)[١]، ولكن حكمته البالغة أبت ذلك، واقتضت إيجادهم على الوجه الذي هم عليه .

وهو سبحانه خلق النفوس أصنافاً، فصنف (منها) [٢] مريد للخير وحده، وهي نفوس الملائكة، وصنف مريد للشر وحده، وهي نفوس الشياطين، وصنف فيه إرادة النوعين، وهي النفوس البشرية (فالأولى)[٣] الخير لهم طباع، وهي محمودة عليه، والشر للنفوس الثانية طباع وهي مذمومة عليه، والصنف الثالث بحسب الغالب عليه من الوصفين .

فمن غلب عليه وصف الخير التحق بالصنف الأول، ومن غلب (عليه)[٤] وصف الشر التحق بالصنف [الثاني] [٥] .

فإذا اقتضت الحكمة وجود هذا الصنف [الثاني][٦] [فإن][٧] وجود [الأول][٨] أولى وأحرى، والرب تعالى اقتضت قدرته وعزته وحكمته إيجاد المتقابلات في الذوات والصفات والأفعال كما تقدم[٩] وقد نوع خلقه تنويعاً

---

(١) ساقط من م، ط .

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في جميع النسخ (الثالث) ولعل الصواب ما أثبته .

(٦) في جميع النسخ (الثالث) ولعل الصواب ما أثبته .

(٧) في الأصل و(م) (فإنه تقتضي) وفي ط (فإن يقتضي) ولعل الصواب ما أثبته .

(٨) في جميع النسخ الثاني والصواب ما أثبته .

(٩) انظر: الصفحات (١١٨٧-١١٩٨) .

دالاً على كمال قدرته وربوبيته، فمن أعظم الجهل والضلال أن يقول القائل: هلا كان خلقه كلهم نوعاً واحداً، فيكون العالم علواً كله، أو نوراً كله، أو الحيوان ملكاً كله، وقد يقع في الأوهام الفاسدة أن هذا كان أولى وأكمل، ويفرض الوهم الفاسد ما ليس ممكناً كاملاً .

الوجه السادس والثلاثون: قوله: وأي حكمة في إيلام الحيوانات غير المكلفة؟ فهذه مسألة تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً، وتباينت طرقهم في الجواب عنها.

فالجاحدون للفاعل المختار، الذي يفعل بمشيئته وقدرته يحيلون ذلك على الطبيعة المجردة، وأن ذلك من لوازمها ومقتضياتها، ليس بفعل فاعل، ولا قدرة قادر، ولا إرادة مريد .

ومنكروا الحكمة والتعليل يردون ذلك إلى محض المشيئة وصرف الإرادة (التي)[1] تخصص مثلاً على مثل بلا موجب ولا غاية ولا حكمة مطلوبة، ولا سبب أصلاً، وظنوا أنهم بذلك يتخلصون من السؤال ويسدون على نفوسهم باب المطالبة، وإنما سدوا على نفوسهم باب معرفة الرب وكماله، وكمال أسمائه وأوصافه وأفعاله، فعطلوا حكمته وحقيقة إلهيته وحمده، فكانوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار .

وأما من أثبت حكمة وتعليلاً لا يعود إلى الخالق بل إلى المخلوق، [فقد][2] سلكوا طريقة التعويض على تلك الآلام في حق من يبعث للثواب والعقاب. وقالوا: قد يكون ذلك إثابة لإثابتهم بصبرهم وتألمهم، وإثابة لهم وتعويضاً في

---

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) لا توجد في جميع النسخ .

القيامة بما نالهم من تلك الآلام، فلما أورد عليهم إيلام الحيوانات التي لا تثاب ولا تعاقب ....(١) .

وأما المثبتون لحقائق أسماء الرب وصفاته وحكمته، التي هي وصفه، ولأجلها يسمى بالحكيم، وعنها صدر خلقه وأمره، فهم أعلم الفرق بهذا الشأن، ومسلكهم فيه أصح المسالك، وأسلم من التناقض والاضطراب.

فإنهم جمعوا بين إثبات القدرة والمشيئة العامة، والحكمة الشاملة، التي هي غاية الفعل، وربطوا ذلك بالأسماء والصفات، فتصادق عندهم السمع والعقل والشرع والفطرة. وعملوا أن ذلك مقتضى الحكمة البالغة وأنه من لوازمها، وأن الحق حق، ولازم العدل عدل، ولوازم الحكمة من الحكمة (٢) .

فاعلم أن هاهنا أمرين: نفساً متحركة بالإرادة والاختيار، وطبيعة متحركة بغير الاختيار والإرادة. وأن الشر منشؤه من [هذين](٣) المتحركين عن هاتين الحركتين. وخُلقت هذه النفوس وهذه الطبيعة على هذا الوجه، فهذه تتحرك لكمالها، وهذه تتحرك لكمالها، وينشأ عن الحركتين خير وشر، كما ينشأ عن

---

(١) سقط في جميع النسخ .

(٢) وهم أهل السنة والجماعة السلف الصالح رحمهم الله، أصحاب رسول الله ﷺ خير القرون، وأفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين، الملتزمون باتباع نصوص الكتاب والسنة، وكذا من تبعهم بإحسان ممن جاء بعدهم، قال سبحانه: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة/ ١٠٠] فرضي عن الساقين الأولين رضاً مطلقاً، ورضي عن التابعين بإحسان .

انظر: القضاء والقدر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٨٠ .

(٣) في الأصل (هذه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

حركة الأفلاك الشمس والقمر، وحركة الرياح الماء والنار خير وشر، فالخيرات الناشئة عن هذه الحركات مقصودة بالقصد الأول، إما لذاتها، وإما لكونها وسلية إلى خيرات أتم منها، والشرور الناشئة عنها غير مقصودة بالذات، وإن قصدت الوسائل واللوازم التي لا بد منها. فما جلبت عليه النفس من الحركة هو من لوازم ذاتها، فلا تكون النفس البشرية نفساً إلا بهذا اللازم .

فإذا قيل: لم خلقت متحركة على الدوام؟ (فهي)[1] بمنزلة أن يقال: لم كانت [النفس][2] نفساً، ولم[3] كانت النار ناراً، والريح ريحاً؟ فلو لم تخلق (هكذا)[4] ما كانت نفساً، ولو لم تخلق الطبيعة هكذا ما كانت طبيعة، فلو لم يخلق الإنسان على هذه الصفة والخلقة ما كان إنساناً .

فإن قيل: فلم خلقت النفس على هذه الصفة؟ قيل: من كمال الوجود خلقها على هذه الصفة كما تقدم. وكذلك كمال فاطرها ومبدعها اقتضى خلقها على هذه الصفة؛ لما في ذلك من الحكم التي لا يحصيها إلا مبدعها سبحانه. وإن كان في إيجاد هذه النفس شر، فهو شر جزئي بالنسبة إلى الخير الكلي الذي [هو سبب][5] (في)[6] إيجادها، فوجودها خير من أن لا توجد. فلو لم يخلق مثل هذه النفس، لكان في الوجود نقص وفوات حكم ومصالح

---

(١) في م، ط (فهو) .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في الأصل (لما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م (هذا) .

(٥) زيادة من (ط) .

(٦) ساقطة من م، ط .

عظيمة موقوفة على خلق مثل هذه النفس .

ولهذا لما اعترضت الملائكة على خلق الإنسان، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾ [البقرة/ ٣٠] أجابهم سبحانه بأن في خلقه من الحكم والمصالح ما لا تعلمه الملائكة، والخالق سبحانه يعلمه[١]، وإذا كانت الملائكة لا تعلم ما في خلق (هذا)[٢] الإنسان الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء من الحكم والمصالح (فغيرهم)[٣] أولى أن لا يحيط به علماً .

فخلق هذا الإنسان من تمام الحكمة والرحمة والمصلحة، وإن كان وجوده مستلزماً لشر فهو شر مغمور بما في إيجاده من الخير كإنزال المطر والثلج، وهبوب الرياح، وطلوع الشمس، وخلق الحيوان والنبات والجبال والبحار. وهذا كما أنه في خلقه، فهو في شرعه ودينه وأمره. فإن ما أمر به من الأعمال الصالحة خيره ومصلحته راجح، وإن كان فيه شر فهو مغمور جداً بالنسبة إلى خيره، وما نهى عنه من الأعمال والأقوال القبيحة، فشره ومفسدته راجح، والخير الذي فيه مغمور جداً بالنسبة إلى شره.

فسنته سبحانه في خلقه وأمره هو فعل الخير الخالص والراجح والأمر بالخير الخالص والراجح، فإذا تناقضت أسباب الخير والشر ـ والجمع بين النقيضين محال ـ قدم أسباب الخير الراجحة على المرجوحة، ولم يكن تفويت المرجوحة شراً، ودفع أسباب الشر الراجحة بالأسباب المرجوحة، ولم يكن حصول المرجوحة شراً بالنسبة إلى ما اندفع بها من الشر الراجح .

وكذلك سنته في شرعه وأمره، فهو يقدم الخير الراجح، وإن كان في ضمنه

---

(١) قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠] .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) مكررة في الأصل .

شر مرجوح، [ويعطل الشر الراجح، وإن فات بتعطيله خير مرجوح، هذه سنته][١] فيما يحدثه ويبدعه في سماواته وأرضه، وما يأمر به وينهى عنه، وكذلك سنته في الآخرة، وهو سبحانه وتعالى قد أحسن كل شيء خلقه، وقد أتقن كل ما صنع، وهذا أمر يعلمه العالمون بالله جملة، ويتفاوتون في العلم بتفاصيله .

وإذا عُرف ذلك، فالآلام والمشاق إما إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإما لدفع ألم هو أصعب منها، وإما لتولدها عن لذات [ونعيم][٢] يولدها عنها أمر لازم لتلك اللذات، وإما أن تكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والإحسان، فتكون من لوازم الخير، التي إن عُطلت (عُطلت)[٣] ملزوماتها، وفات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام .

والشرع والقدر أعدل شاهد بذلك، فكم في طلوع الشمس من ألم لمسافر حاضر، وكم في نزول الغيث والثلوج من أذى كما سماه الله تعالى بقوله: ﴿إِن (كَانَ)[٤] بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء/ ١٠٢]، وكم في هذه الحر والبرد والرياح من أذى موجب لأنواع من الآلام لصنوف الحيوانات. وأعظم لذات الدنيا لذة الأكل والشرب والنكاح واللباس والرياسة، ومعظم [آلام][٥] أهل الأرض أو كلها ناشئة عنها ومتولدة منها، بل الكمالات الإنسانية لا

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) في م، ط (ونعم) .

(٣) ساقطة من (ط) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في الأصل (الآلام) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

تنال[1] إلا بالآلام والمشاق، كالعلم والشجاعة والزهد والعفة والحلم والمروءة والصبر والإحسان، كما قال:

لـولا المشـقة سـاد الـناس كـلهم ... الجـودُ يفقـر والإقـدامُ قـتَّال[2]

وإذا كانت الآلام أسباباً للذاتٍ أعظم منها وأدوم، كان العقل يقتضي باحتمالها، وكثيراً ما تكون الآلام أسباباً لصحة، لولا تلك الآلام لفاتت. وهذا شأن (أكثر)[3] أمراض الأبدان، فهذه الحمى فيها من المنافع للأبدان ما لا يعلمه إلا الله، وفيها من إذابة الفضلات وإنضاج المواد الفجة وإخراجها ما لا يصل إليه دواء غيرها، وكثير من الأمراض إذا عرض لصاحبها الحمى استبشر بها الطبيب، وأما انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض، فأمر لا يحس به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها، وقد أحصيت فوائد الأمراض فزادت على مائة فائدة .

وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بأنواع المكاره، وجعلها جسراً موصولاً إليها، [كما حجب أعظم الآلام بالشهوات واللذات، وجعلها جسراً موصولاً إليه][4] ولهذا (كانت)[5] العقلاء قاطبة: على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن الراحة لا تنال بالراحة، وأن من آثر اللذات فاتته اللذات.

فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم، إذ هي أسباب النعم، وما ينال الحيوانات غير المكلفة منها، فمغمور جداً بالنسبة إلى مصالحها

---

(١) في الأصل (لأتين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) القائل المتنبي. انظر ديوانه مع شرح العكبري طبع بيروت ٣/ ٢٧٨ .

(٣) في م، ط (أكبر) .

(٤) ما بينهما من م، ط .

(٥) ط (قالت) .

ومنافعها، كما ينالها من حر الصيف وبرد الشتاء، وحبس المطر والثلج، وألم الحمل والولادة، والسعي في طلب أقواتها، وغير ذلك. ولكن لذاتها أضعاف أضعاف آلامها، وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام.

فسنة الله في خلقه وأمره هي التي أوجبها كمال علمه وحكمته وعزته. ولو اجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقترحوا أحسن منها لعجزوا عن ذلك، وقيل لكل منهم ارجع بصر العقل هل ترى من خلل ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ [خَاسِئًا][1] وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك/ ٤].

فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها، والأشياء من (خلافها)[2]، فأخرج الحي من الميت، والميت من الحي، والرطب من اليابس، واليابس من الرطب. فكذلك أنشأ اللذات من الآلام، والآلام من اللذات، فأعظم اللذات ثمرات الآلام ونتائجها، وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها.

وبعد فاللذة والسرور، والخير (والنعيم)[3]، والعافية والصحة، والرحمة في هذه الدار المملوءة بالمحن والبلاء أكثر من أضدادها بأضعاف مضاعفة. فأين آلام الحيوان من لذاته؟ وأين سقمه من صحته؟ وأين جوعه وعطشه من شبعه وريه؟ وتعبه من راحته؟ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ

(١) في الأصل (خاشعاً).

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) في (ط) (النعم).

يُسْرًا ﴾ [الشرح٥، ٦] ولن يغلب عسر يسرين[(١)] .

وهذا لأن الرحمة [غلبت][(٢)] الغضب، والعفو سبق العقوبة، والنعمة تقدمت المحنة، والخير في الصفات والأفعال، والشر في المفعولات لا في الأفعال، فأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها خيرات، فإن آلَمَ الحيوان لم يعدم بألمه عافية من ألم هو أشد من ذلك الألم، أو تهيئة لقوة وصحة وكمال، أو عوضاً لا نسبة لذلك الألم إليه بوجه ما، فآلام الدنيا جميعها نسبتها إلى لذات الآخرة وخيراتها أقل من نسبة ذرة إلى جبال الدنيا بكثير، وكذلك لذات الدنيا جميعها إلى آلام الآخرة .

والله سبحانه لم يخلق الآلام (واللذات)[(٣)] سدى، ولم يقدرهما عبثاً . ومن كمال قدرته وحكمته أن جعل كل واحدة منهما تثمر الأخرى، هذا ولوازم الخلقة يستحيل ارتفاعها كما يستحيل ارتفاع الفقر والحاجة والنقص عن المخلوق. فلا يكون المخلوق إلا فقيراً محتاجاً ناقص العلم والقدرة، فلو كان

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم ٥٢٨/٢، ومالك في الموطأ (٤٤٦/٢) ح ٦، والبيهقي في الشعب (٢٠٦/٧) ح ١٠٠١٣ عن الحسن مرسلاً، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، وقال: وفي الباب عن عمر موقوفاً . وذكره مالك في الموطأ عن زيد بن اسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب بلغه أن أبا عبيدة حصر بالشام.. فذكر القصة. ثم قال: ومن طريقه رواه الحاكم، وهذا أصح طرقه. أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب ... انظر: المقاصد الحسنة ص ٣٣٨-٣٣٩ ح ٨٧٧. وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢١٣/٢) ح ٢٠٧٩ وعزاه إلى الموطأ والحاكم وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب .

(٢) في الأصل (علقت) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) ساقطة من (م) .

الإنسان وغيره من الحيوان لا يجوع ولا يعطش ولا (يألم)[1] في عالم الكون والفساد لم يكن حيواناً، ولو كانت هذه الدار دار بقاء ولذة مطلقة كاملة، والله لم يجعلها كذلك، وإنما جعلها داراً ممتزجاً ألمها بلذاتها، وسرورها بأحزانها، وغمومها وصحتها بسقمها، حكمة منه بالغة .

فصل

ولما كانت الآلام (كالأدوية)[2] للأرواح والأبدان كانت (كمالاً)[3] للحيوان، خصوصاً لنوع الإنسان؛ فإن فاطره وبارءه إنما أمرضه ليشفيه، وإنما ابتلاه ليعافيه، وإنما أماته ليحييه. فهو سبحانه يسوق الحيوان والإنسان، في مراتب (الكمال)[4] [طوراً بعد طور][5] إلى آخر كماله بأسباب لا بد (له)[6] منها، وكماله موقوف على تلك الأسباب، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع، كوجود المخلوق بدون الحاجة والفقر والنقص، ولوازم ذلك ولوازم تلك اللوازم .

ولكن [أكثر][7] النفوس جاهلة بالله وحكمته وعلمه وكماله [فتفرض][8] أموراً ممتنعة، وتقدرها تقديراً ذهنياً، وتحسب أنها أكمل من الممكن الواقع،

---

(١) في (ط) (يتألم) .

(٢) في (ط) (أدوية) .

(٣) في (الأصل) (كما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في (ط) (كماله) .

(٥) في (الأصل) (ظهوراً بعد ظهور) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) ساقطة من م، ط .

(٧) زيادة من م، ط .

(٨) في الأصل، م (فتعرض) والأولى ما أثبته من (ط) .

ومع هذا فربها يرحمها لجهلها وعجزها ونقصها، فإن اعترفت بذلك واعترفت له بكماله وحمده، وقامت بمقتضى هذين الاعترافين، كان نصيبها من الرحمة أوفر .

والله سبحانه افتتح الخلق بالحمد، وختم أمر هذا العالم بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام/ ١] وقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر/ ٧٥] . وأنزل كتابه بالحمد، وشرع دينه بالحمد، وأوجب ثوابه وعقابه بالحمد، فحمده من لوازم ذاته، إذ يستحيل أن يكون إلا محموداً .

فالحمد سبب الخلق وغايته، بالحمد أوجده وللحمد وجد، فحمده واسع لما وسعه علمه ورحمته، وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلماً، فلم يوجد شيئاً، ولم يقدره لو لم يشرعه إلا بحمده ولحمده، وكل ما خلقه وشرعه فهو متضمن للغايات الحميدة، ولا بد من لوازمها ولوازم لوازمها، ولهذا ملأ حمدُه سماواته وأرضه وما بينهما، وما شاء من شيء بعد مما خلقه، (ويخلقه)[1] بعد هذا الخلق، فحمده ملأ ذلك كله .

وحمده تعالى أنواع: حمدٌ على ربوبيته، وحمدٌ على تفرده بها، وحمدٌ على الوهيته وتفرده (بها)[2]، وحمدٌ على نعمته، وحمدٌ على منته، وحمدٌ على حكمته، وحمدٌ على عدله في خلقه، وحمدٌ على غناه عن إيجاد الولد والشريك والولي من الذل، وحمدٌ على كماله الذي لا يليق بغيره.

فهو محمودٌ على كل حال، وفي كل آن ونفس، وعلى كل ما فعل، وكل ما شرع، وعلى كل ما هو متصف به، وعلى كل ما هو منزه عنه، وعلى كل ما

---

(١) في الأصل (ويخلقه هناك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من م، ط .

في الوجود من خير وشر، ولذة وألم، وعافية وبلاء .

فكما أن الملك كله له، والقدرة كلها له، والعزة كلها له، والعلم كله له، والجمال كله له، فالحمد كله له، كما في [الدعاء][1] المأثور: « **اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، وأنت أهل [لأن][2] تحمد** »[3] .

وما عُمرت الدنيا إلا بحمده، ولا الجنة إلا بحمده، ولا النار إلا بحمده حتى إن أهلها ليحمدونه، كما قال الحسن[4]: « لقد دخل أهلُ النارِ النارَ [وإن قلوبهم لتحمده ما وجدوا عليه من حجة ولا سبيل][5] » .

فصل

فإن قيل: فأي لذة وأي خير ينشأ من العذاب الشديد الدائم، الذي لا ينقطع ولا يفتر عن أهله، بل أهله فيه أبد الآباد، كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها، لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم طرفة عين؟[6] .

---

(١) في الأصل (دعاء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في الأصل، م (أن) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد بنحوه في مسنده ٥/ ٣٩٦ وورد بنحوه من حديث ابن عباس أخرجه البخاري في كتاب (التهجد) باب (التهجد بالليل)٢/ ٤١ ومسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (الدعاء في صلاة الليل) ح (٧٦٩)/١/ ٥٣٢ .

(٤) هو الحسن البصري سبقت ترجمته انظر: ص (١٤٧).

(٥) ما بينهما زيادة م، ط .

(٦) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ٥٦]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر/ ٣٦] .

قيل: لعَمر الله هذا السؤال يقلقل الجبال، فضلاً عن قلوب الرجال. وعن هذا السؤال أنكر من أنكر (من المقرين)[1] حكمة العزيز الحكيم وردَّ الأمر إلى مشيئة محضة لا سبب لها ولا غاية، وجوَّز على الله أن يعذب أهل طاعته وأولياءه وينزلهم إلى أسفل الجحيم، وينعم أعداءه المشركين به، ويرفعهم إلى أعلى جنات النعيم أبد الآباد، وأن يدخل النار من شاء بغير سبب ولا عمل أصلاً، وأن يفاوت بين أهلها مع (تساويهم)[2] في الأعمال، ويسوي بينهم في العذاب مع تفاوتهم في الأعمال، وأن يعذب الرجل بذنب غيره، وأن يبطل حسناته كلها، فلا يثيبه بها أو يثيب بها غيره، كل ذلك جائز عليه، لا يعلم أنه لا يفعله إلا بخبر صادق، إذ نسبة ذلك وضده إليه [على][3] حد سواء. وقالوا: لا مخلص [عن][4] هذا السؤال إلا بهذا الأصل، وربما تمسكوا بظاهر من القول لم يضعوه على مواضعه، ولم يجمعوا بينه وبين أدلة العدل والحكمة وتعليق الأمور بأسبابها، وترتيبها عليها (وآيات)[5] الموازنة والمقابلة، وأخطؤوا في فهم القرآن كما أخطؤوا في وصف الرب بما يليق به، وفي التجويز عليه بما لا يجوز عليه[6].

وقابلهم مثبتو الأسباب والحكم من القدرية، وزعموا أنهم يتخلصون من

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) في م، ط (مساويهم) .

(٣) زيادة من م، ط .

(٤) في الأصل (في) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في (ط) (وآثار) .

(٦) هذا مذهب الجبرية من الجهمية والأشاعرة. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٥٦، ٥١٨، ٥١٩ .

(قبح)[١] (هذا)[٢] القول بما أثبتوه من الحكمة والتعليل. ولكن وقعوا في نظيره، أو ما هو شر منه، حيث أوجبوا على الله سبحانه تخليد من أفنى عمره في طاعته، ثم ارتكب كبيرة واحدة ومات مصراً عليها في النار مع أعدائه الكفار أبد الآباد[٣]، ولم يرقبوا له طاعة ولم يرعوا له إسلاماً، وهم في هذا المذهب شر قولاً من إخوانهم الجبرية، فإن أولئك لم يوجبوا على الله ذلك الحكم، وإنما جوزوه عليه، وجوزوا أن لا يفعله، وهؤلاء أوجبوا عليه تخليد أهل الكبائر مع الكفار، ولم يجوزوا عليه إخراجهم منها، وأصابهم في غلطهم على القرآن والسنة وما يجوز على الرب وما لا يجوز عليه ما أصاب إخوانهم من الجبرية .

ولما ظن غيرهم من أهل النظر والبحث أن هذا هو (المعاد)[٤] الذي أخبرت به الرسل، وعلموا أن هذا مناف للحكمة والرحمة والعدل والمصلحة، قالوا: إن ذلك تخويف وتخيل لا حقيقة له، يزع النفوس السبعية والبهمية عن عدوانها وشهواتها، فتقوم بذلك مصلحة الوجود .

وكان من أكبر أسباب إلحاد هؤلاء وكفرهم بالله واليوم الآخر نسبة أولئك مذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة إلى الرسل، وإخبارهم أنهم دعوا إلى الإيمان بها، كما أصابهم معهم[٥] في مسألة[٦] حدوث العالم؛ حيث أخبروهم

---

(١) في (ط) (قبيح) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٥٦، ٥١٩ .

(٤) في م، ط (الفساد) .

(٥) في م، ط (تعميم) .

(٦) في م، ط (باب مسئلة) .

أن الرسل أخبرت عن الله أنه لم يزل معطلاً عن الفعل غير ممكن منه، ثم انقلب من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي عند ابتدائه بلا تجدد سبب، ولا أمر قام بالفاعل، وقالوا: من لم يعتقد هذا، فليس بمؤمن ولا مصدق للرسل، فهذا في المبدأ وذاك في المعاد .

ثم جاءت طائفة أخرى، فطووا بساط الخلق والأمر جملة، وقالوا: كل هذا محال وتلبيس، وما ثم وجودان بل الوجود كله واحد، ليس هناك خالق ومخلوق، ورب ومربوب، وطاعة ومعصية، وما الأمر إلا نسق[1] واحد، والتفريق من أحكام الوهم والخيال، فالسماوات والأرض والدنيا والآخرة والأزل والأبد والحسن والقبيح كله شيء واحد، وهو من عين واحدة، ثم استدركوا فقالوا: لا بل هو العين (الواحدة)[2][3] .

ونشأ الناس ـ إلا من شاء الله ـ بين هؤلاء الطوائف الأربع، لا يعرفون سوى أقوالهم ومذاهبهم؛ فعظمت البلية، واشتدت المصيبة، وصار (أذكياء العالم زنادقة الناس)[4]، وأدناهم إلى إخلاص أهل البلادة والبله والعقل والسمع عن هذه الفرق بمعز، ومنازلهم منها أبعد منزل .

[فنقول والله المستعان وعليه التكلان وبيده التوفيق][5]:

(قد)[6] دل القرآن والسنة والفطرة وأدلة العقول أنه سبحانه خلق

---

(١) في الأصل (فتق واح) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) هؤلاء هم الاتحادية .

(٤) في (ط) (... أذكياء الناس زنادقة العالم) .

(٥) في م، ط (وبالله التوفيق والله المستعان ..إلخ) .

(٦) ساقطة من (ط) .

السماوات والأرض وما بينهما بالحق [١]، ولم يخلق (ذلك)[٢] عبثاً ولا سدى ولا باطلاً، وإنما أوجد العالم العلوي والسفلي ومن فيهما بالحق، الذي هو وصفه [٣] واسمه [٤] وقوله [٥] وفعله [٦]، وهو سبحانه الحق المبين، فلا يصدر عنه إلا حق، ولا يقول إلا حقاً، ولا يفعل إلا حقاً، ولا يأمر إلا (بحق)[٧]، ولا يجازي إلا بحق .

فالباطل لا يضاف إليه، بل الباطل ما لم يضف إليه، كالحكم الباطل، والدين الباطل الذي لم يأذن فيه، ولم يشرعه على ألسنة رسله، والمعبود الباطل الذي لا يستحق العبادة وليس أهلاً لها، فعبادته باطلة ودعوته باطلة، والقول الباطل هو الكذب والزور والمحال من القول، الذي لا يتعلق بحق موجود، بل متعلقه باطل لا حقيقة له .

وهو سبحانه إنما خلق (خلقه)[٨] لعبادته ومعرفته. وأصل عبادته محبته على آلائه ونعمه، وعلى كماله وجلاله. وذلك أمر فطري ابتدأ الله عليه خلقه، وهي فطرته التي فطر الناس عليها، كما فطرهم على الإقرار به؛ قال

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر/ ٨٥]، وقال: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم/ ٨] .

(٢) ساقطة من (م) وفي (ط) (شيئاً) .

(٣) قال سبحانه: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام / ١٦٢] .

(٤) قال سبحانه: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس/ ٣٢] .

(٥) قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام/ ٧٣] .

(٦) قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس / ٣٥] .

(٧) في م، ط (بالحق) .

(٨) في ط (الخلق) .

الرسل صلوات الله عليهم لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم/ ١٠] .

فالخلق مفطورون على معرفته وتوحيده، فلو خلوا هذه الفطرة لنشؤوا على معرفته وعبادته وحده. وهذه الفطرة أمر خلقي خلقوا عليه، ولا تبديل لخلقه . فمضى الناس على هذه الفطرة قروناً عديدة، ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة، بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة مما يوجب (خروجهما)[1] عن الصحة إلى الانحراف. فأرسل (الله)[2] رسله ترد الناس إلى فطرتهم الأولى التي فطروا عليه، فانقسم الناس (عنهم)[3] ثلاثة أقسام:

منهم من استجاب لهم كل الاستجابة، وانقاد إليهم كل الانقياد، فرجعت فطرته إلى ما كانت عليه مع ما حصل لها من الكمال والتمام في قوتي العلم النافع والعمل الصالح، فازدادت (فطرهم)[4] كمالاً إلى (الكمال)[5] فهؤلاء لا يحتاجون في المعاد إلى تعذيب وتأديب ونار تذيب فضلاتهم الخبيثة، وتطهرهم من الأدران والأوساخ، فإن انقيادهم للرسل أزال عنهم ذلك كله .

وقسم استجابوا لهم من وجه دون وجه، فبقيت عليهم بقية من الأدران والأوساخ التي تنافي الحق الذي خلقوا له، فهيأ لهم (الحكيم العليم)[6] من

---

(١) في الأصل (خروجها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في م، ط (معهم) .

(٤) في م، ط (فطرتهم) .

(٥) في م، ط (كمالها) .

(٦) في (ط) (العليم الحكيم) .

(أدوية)[١] الابتلاء والامتحان بسبب تلك الأدواء التي قامت بهم، فإن وفت بالخلاص منها في هذه الدار، وإلا ففي البرزخ، فإن وفت بالخلاص، وإلا ففي موقف القيامة وأهوالها ما يخلصهم من تلك البقية، فإن وفى بها، وإلا فلا بد من المداوة بالدواء الأعظم، وآخر الطب الكي، فيدخلون كير التمحيص والتخليص، حتى إذا هذبوا (ونقوا)[٢] ولم يبق للدواء فائدة أخرجوا من مارستان المرضى إلى دار أهل العافية كما دلت على ذلك السنة المتواترة عن النبي ﷺ وصرح به في قوله: «حتى هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر/ ٧٣] فلم يأذن لهم في دخولها إلا بعد طيبهم، فإنها دار الطيبين، فليس فيها شيء من الخبث أصلاً، ولهذا يلبث هؤلاء في النار على قدر حاجتهم إلى التطهر وزوال الخبث.

القسم الثالث: قوم لم يستجيبوا للرسل، ولا انقادوا لهم، بل استمروا على الخروج عن الفطرة ولم يرجعوا إليها، واستحكم فسادها فيهم أتم استحكام (بحيث)[٤]، لا يرجى لهم صلاح. فهؤلاء لا يفي مجيء الدنيا ومصائب الموت وما بعده وأهوال القيامة بزوال أوساخهم وأدرانهم، ولا يليق بحكمة العليم الحكيم أن يجاور بهم الطيبين في دارهم، ولم يخلقوا للفناء، فهؤلاء أهل دار

---

(١) في م، ط (الأدوية) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (المظالم) باب (قصاص المظالم) ٣/ ٩٧ من حديث أبي سعيد الخدري، وفي كتاب (الرقاق) باب (القصاص يوم القيامة) ٧/ ١٩٧ من حديث (الصلت بن محمد) .

(٤) ساقطة من م، ط .

الابتلاء والامتحان، باقون فيها ببقاء ما معهم من درن الكفر والشرك، والنار إنما أوقدت عليهم بأعمالهم الخبيثة فعذبهم بنفس أعمالهم (أنشئ لهم منها صورتها من العذاب شبهها وشاكلها)[١]، فالعذاب باق عليهم ما بقيت حقائق تلك الأعمال وما تولد منها، فما دامت موجبات العذاب باقية فالعذاب باق .

يبقى أن يقال: فهل ذهب أثر الفطرة الأولى بالكلية بحيث صارت كأن لم تكن وبطلت بالكلية، وانتقل الأمر إلى العارض المفسد لها؟ وعلى هذا فلا سبيل إلى خلاصهم من العذاب؛ إذ هو أثر ذلك الفساد الذي أزال الفطرة؟ أو يقال: الفطرة لم تذهب بالكلية، وإنما استحكم مرضها وفسادها وأصلها باق، كما يستحكم مرض البدن وفساده والحياة قائمة به، لكنها حياة لا تنفع، فإذا قدر دواء كريه صعب التناول لا سبيل إلى الصحة إلا [بتكرير][٢] تناوله مراراً كثيرة العدد جداً [يزيل][٣] ذلك المرض العارض، فيظهر أثر الفطرة الأولى، فلا يحتاج بعده إلى الدواء، هذا سر المسألة .

ومن يذهب إلى هذا التقدير الثاني، فإنه يقول: العقل لا يدل [على][٤] امتناع ذلك؛ إذ ليس فيه ما يحيله .

ونقول: [بل][٥] قد دل العقل والنقل والفطرة على أن الرب تعالى حكيم

(١) في م، ط (التي لهم منها صور من العذاب يناسبها ويشاكلها) .

(٢) في الأصل (بتكرر) والصواب ما أثبته من م، ط .

(٣) في الأصل (يزيد) والصواب ما أثبته من م، ط .

(٤) زيادة من (ط) .

(٥) زيادة من م، ط .

رحيم[١]، والحكمة والرحمة تأبى بقاء هذه النفوس في العذاب سرمداً أبد الآباد، بحيث يدوم عذابها بدوام الله، فهذا ليس [من][٢] الحكمة والرحمة[٣].

قالوا: وقد دلت الدلائل الكثيرة من النصوص والاعتبار على أن ما شرعه الله في هذه الدار وقدره من العذاب والعقوبات، فإنما [هو][٤] لتهذيب

---

(١) قال سبحانه: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢] وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة/ ٣]. ومن السنة: ورد (الحكيم) من أسماء الله في حديث التسعة والتسعين اسماً.

و(الرحيم) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (تفسير القرآن) باب (١) ٥/ ١٤٦، ومسلم في صحيحه في كتاب (الذكر) ح(٢٧٠٥) ٣/ ٢٠٧٨.

(٢) في الأصل، م (في) والصواب ما أثبته من ط.

(٣) هذا الكلام يوهم القول بفناء النار على الإطلاق، ولعل الإمام ابن القيم رحمه الله لا يقصد ذلك؛ لأن له كلاماً آخر في بعض كتبه يقيد ذلك بطبقة العصاة من المسلمين. قال رحمه الله في (الوابل الصيب) ص ٢٩ : «وأما النار، فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء المتراكم بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث. ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبيث وطيب كانت لهم دور ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض» انتهى. وقد تم في قسم الدراسة مناقشة المسألة وبيان الصواب فيها.

(٤) في الأصل (هي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

النفوس وتصفيتها من الشر الذي فيها، ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ، وفطماً للنفوس عن المعاودة، وغير ذلك من الحكم التي إذا حصلت خلا التعذيب عن الحكمة والمصلحة فيبطل، فإنه تعذيب عليم حكيم رحيم لا يعذب سدى، ولا لنفع يعود إليه بالتعذيب، بل كلا الأمرين محال، فإذاً لا يقع التعذيب إلا لمصلحة المعذب أو مصلحة غيره . ومعلوم أنه لا مصلحة له ولا لغيره في بقائه في العذاب سرمداً أبد الآباد.

قالوا: فمما دل عليه القرآن والسنة أن جنس الآلام لمصلحة بني آدم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ (ظَمَأٌ)[1] وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة/ ١٢٠] .

وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران/ ١٤١].

فأخبر أن ألم القتل والجرح في سبيله تمحيص، أي تطهير وتصفية للمؤمنين[2] وبشر الصابرين على ألم الجوع والخوف والفقر وفقد الأحباب وغيرهم بصلاته عليهم ورحمته وهدايته. وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء/ ١٢٣] قال أبو بكر الصديق[3] رضي الله عنه: يا رسول الله: جاءت قاصمة الظهر، وإننا لم نعمل سوءاً. فقال: «يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) انظر: تفسير البغوي ٢/ ١١٢ .

(٣) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعدة بن مرة التميمي أبو بكر بن قحافة الصديق صاحب رسول الله ﷺ وخليفته، أحد الخلفاء الراشدين. توفي سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة . انظر: حلية الأولياء ١/ ٢٨-٣٨، تقريب التهذيب ١/ ٤٣٢، العبر ١/ ١٣ .

تحزن؟ أليس يصيبك الأذى؟ » قال: بلى. قال: « فذلك مما تجزون به »[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى/ ٣٠] وفي هذا تبشير وتحذير؛ إذ علمنا أن مصائب الدنيا عقوبات لذنوبنا [٢]، وهو أرحم [من][٣] أن يثني العقوبة على عبده بذنب قد عاقبه به في الدنيا، كما قال ﷺ: « من بُلي بشيء من هذه القاذورات فستره الله فأمره [إلى][٤] الله إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له. ومن عوقب به في الدنيا فالله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده»[٥].

وفي الحديث: « الحدود كفارت لأهلها » [٦].

وفي الصحيحين من حديث عبادة[٧]: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٦، والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٤ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه سعيد بن منصور، وأبو بكر بن مردويه وغيرهم. انظر: تفسير القرآن العظيم / ابن كثير١/ ٨٤٦-٨٤٩ .

(٢) انظر: زاد المسير ٧/ ٢٨٨ .

(٣) ساقطة من جميع النسخ والصواب ما أثبته .

(٤) زيادة من م، ط .

(٥) رواه الترمذي بنحوه في كتاب (الإيمان) باب (ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن) ح(٢٦٢٦)٥/ ١٦ قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب صحيح. قال الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٢٣): ضعيف، لكن روى الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢١٤، ٢١٥ عن خزيمة بن ثابت عن النبي ﷺ قال: « من أصاب ذنباً أقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته » . قال الألباني في صحيح الجامع (٥٩١٥): صحيح .

(٦) لم أجده بهذا اللفظ كما ذكر المصنف . لكن الإمام سلماً في صحيحه ٢/ ١٣٣٣ح (١٧٠٩) جعلها عنوان باب، كما ورد بنحوه في المستدرك ١/ ٦٢، ٢/ ١٧ .

(٧) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف، الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً، وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة. روى عن =

به في الدنيا، فهو كفارة له »[١].

وفي الصحيح عنه ﷺ: « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه »[٢].

وقال: « لا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة »[٣].

وفي حديث آخر: «إن المؤمن إذا مرض خرج مثل البردة في صفائها ولونها »[٤].

النبي ﷺ كثيراً. مات سنة أربع وثلاثين. وقيل: سنة خمس وثلاثين، وقيل: عاش إلى سنة خمس وأربعين.

انظر: الإصابة ٢/ ٢٦٨. تقريب التهذيب ١/ ٣٩٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٥-١١.

(١) جزء من حديث رواه البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب (الحدود) باب (الحدود كفارة) ٨/ ١٥. ومسلم بنحوه في كتاب (الحدود) باب (الحدود كفارات لأهلها) ح (١٧٠٩) ٢/ ١٣٣٣.

(٢) رواه البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب (المرضى) باب (ما جاء في كفارة المرض) ٧/ ٢. ومسلم في صحيحه بنحوه في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها) ح(٢٥٧٢، ٢٥٧٣) ٣/ ١٩٩١، ١٩٩٢.

(٣) رواه الترمذي في مسنده ١/ ١٧٣ بنحوه في كتاب (الزهد) باب (ما جاء في الصبر على البلاء) ح (٢٣٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح. قال الألباني في صحيح الجامع (٥٦٩١): صحيح.

(٤) رواه الترمذي في كتاب (الطب) باب (التداوي بالرماد) ح(٢٠٨٦) ٤/ ٤١١ ولم يتكلم عليه. وفي سنده (الوليد بن محمد الموقري) قال عنه ابن حجر في التقريب ص ٥٨٣: متروك.

وفي الحديث الآخر: «إن الحمى تنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[١].

وفي حديث آخر: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم»[٢]. ومن أسماء الحمى (مكفرة الذنوب).

وفي الحديث الصحيح يقول الله عز وجل يوم القيامة: «عبدي مرضت فلم تعدني. قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده»[٣].

وهذا أبلغ من قوله في الإطعام والإسقاء: «لوجدت ذلك عندي»[٤].

فهو سبحانه عند المبتلى بالمرض رحمة منه له وخيراً وقرباً منه لكسر قلبه بالمرض، فإنه عند المنكسرة قلوبهم (وهذا)[٥] (أكثر)[٦] من أن يذكر. ورب الدنيا والآخرة [واحد، وحكمته ورحمته موجودة في الدنيا والآخرة][٧]، بل

---

(١) رواه ابن ماجة بنحوه في كتاب (الطب) باب (الحمى) ح(٣٤٦٩) وفي سنده موسى ابن عبيدة وهو ضعيف، لكن ورد عند مسلم بنحوه كما سيأتي في الحديث الذي بعده.

(٢) شطر من حديث رواه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ح(٢٥٧٥) ٣/ ١٩٩٣ وتمامه: «كما يذهب الكير خبث الحديد».

(٣) شطر من حديث رواه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (فضل عيادة المريض) ح(٢٥٦٩)٣/ ١٩٩٠.

(٤) جزء من الحديث السابق.

(٥) مكررة في (م).

(٦) في م، ط (أكبر).

(٧) زيادة من م، ط.

ظهور رحمته في الآخرة أعظم، فعذاب المؤمنين بالنار في الآخرة هو من هذا الباب، كعذابهم في الدنيا بالمصائب والحدود، وكذلك حبسهم بين الجنة والنار حتى يهذبوا وينقوا[١] .

وقد علم بالنصوص الصحيحة الصريحة أن عذابهم في النار متفاوت قدراً ووقتاً بحسب ذنوبهم، وأنهم لا يخرجون منها جملة واحدة، بل شيئاً بعد شيء، حتى يبقى رجل هو آخرهم خروجاً (منها)[٢][٣] وكذلك عذاب الكفار فيها متفاوت تفاوتاً عظيماً. فالمنافقون في دركها الأسفل[٤] وأبو طالب[٥] أخف

---

(١) عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة ... » الخ .

سبق تخريجه ص (١٤٢٧) ، انظر: شرح الطحاوية ٤٢٠ .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) يشير إلى قول النبي ﷺ: « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً ... » إلى آخر الحديث. أخرجه البخاري في كتاب (الرقاق) باب (صفة الجنة والنار) ٧/ ٢٠٤ ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (آخر أهل النار خروجاً) ح(١٨٦).

(٤) قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء/ ١٤٥] .

(٥) هو: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، عم النبي ﷺ كفل النبي ﷺ بعد وفاة والده وجده عبد المطلب، وأحسن إليه، وكان يقدمه على أبنائه. اجتهد النبي ﷺ في دعوته للإسلام ليقابل إحسانه بالإحسان، لكن العليم الخبير لم يرد هدايته، فمات كافراً، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.

انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٦٢، ٣/ ١٢٠ .

أهلها عذاباً، في ضحضاح من (نار)[١] يغلي منه دماغه[٢] وآل فرعون في أشد العذاب[٣] .

قالوا: فإذا كان العذاب في الدار التي فيها رحمة واحدة من مائة رحمة هو رحمة بأهله ومصلحة لهم ولطف بهم، فكيف في الدار التي يظهر فيها مائة رحمة، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض؟ وقد قال تعالى: ﴿(وَلَنُذِيقَنَّهُم)[٤] مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة/ ٢١] .

فأخبر أنه يعذبهم رحمة ليردهم العذاب إليه كما يعذب الأب الشفيق (الرحيم)[٥] ولده إذ فر منه إلى عدوه ليرجع إلى بره وكرامته[٦] .

وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء/ ١٤٧] .

وأنت تجد تحت هذه الكلمات أن تعذيبه لكم لا يزيد في ملكه، ولا ينتفع به، ولا هو سدى خال من حكمة ومصلحة، وأنكم إذا بدلتم الشكر والإيمان بالكفر كان عذابكم منكم، وكن كفركم هو الذي عذبتم به، وإلا فأي شيء

---

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) يشير إلى قوله ﷺ في حديث ابن عباس: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه». رواه مسلم في كتاب (الإيمان) باب (أهون أهل النار عذاباً) ح(٢١٢) ١/ ١٩٦ .

(٣) قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر/ ٤٦] .

(٤) في الأصل (ولنذيقهم) والصواب ما أثبته .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) انظر: تفسير البغوي ٦/ ٣٠٨ .

يلحقه (سبحانه)[1] من عذابكم ؟ وأي نفع يصل إليه منه ؟[2]

قالوا: وحينئذ فالحكمة تقتضي أن النفوس الشريرة لا بد لها من عذاب يهذبها (بسب)[3] (ذنوبها)[4] كما دل على ذلك السمع[5] والعقل، وذلك يوجب الانتهاء لا الدوام .

قالوا: والله تعالى لم يخلق الإنسان [عبثاً][6] وإنما خلقه ليرحمه لا ليعذبه، وإنما اكتسب موجب العذاب بعد خلقه له، فرحمته له سبقت غضبه، وموجب الرحمة فيه سابق على موجب الغضب وغالب له، وتعذيبه ليس هو الغاية لخلقه، وإنما تعذيبه لحكمة ورحمة، والحكمة والرحمة تأبى ان يتصل عذابه سرمداً إلى غير نهاية. أما الرحمة فظاهر، وأما الحكمة فلأنه إنما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها، ولم يخلق عليه من أصل الخلقة، ولا خلق له، فهو لم يخلق للإشراك ولا للعذاب، وإنما خلق للعبادة والرحمة، ولكن طرأ عليه موجب العذاب، فاستحق عليه العذاب، وذلك الموجب لا دوام له فإنه باطل، بخلاف الحق الذي هو موجب الرحمة فإنه [دائم][7] بدوام الحق سبحانه، وهو

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٣٤٢-٣٤٣ .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) في م، ط (وقوعها) .

(٥) قال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران/ ١١]، وقال سبحانه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

(٦) زيادة من م، ط .

(٧) في الأصل (دام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

الغاية، وليس موجب العذاب غاية، كما أن العذاب ليس بغاية، بخلاف الرحمة فإنها غاية وموجبها غاية، فتأمله حق التأمل فإنه [سر][١] (والمسألة)[٢].

قالوا: والرب تعالى تسمى بالغفور الرحيم، ولم يتسم بالمعذب ولا بالمعاقب، بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ [لَسَرِيعُ][٣] ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف/ ١٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج/ ١٢-١٤].

وقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر/ ١-٣].

وهذا كثير في القرآن، فإنه سبحانه يمتدح العفو والمغفرة والرحمة والكرم، والحلم، ويتسمى (بها)[٤]، ولم يمتدح بأنه [المعاقب][٥] ولا الغضبان ولا المعذب ولا (المنتقم)[٦] إلا في الحديث الذي فيه تعديد الأسماء الحسنى، ولم

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في الأصل (من المسألة) والصواب ما أثبته من م، ط.

(٣) في جميع النسخ (سريع) والصواب ما أثبته.

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في الأصل (العاقب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) (المقسم).

يثبت[١]. وقد كتب على نفسه كتاباً أنَّ رحمته سبقت غضبه[٢]، وكذلك هو في أهل النار، فإن رحمته فيهم سبقت غضبه؛ فإنه رحمهم [أنواعاً من الرحمة قبل أن أغضبوه بشركهم، ورحمهم في حال شركهم، ورحمهم] [٣] بإقامة الحجة عليهم، ورحمهم بدعوتهم إليه بعد أن أغضبوه وآذوا رسله وكذبوهم، وأمهلهم ولم يعاجلهم، بل وسعتهم، فرحمته غلبت غضبه، ولولا ذلك لخرب العالم، وسقطت السماوات على الأرض، وخرت الجبال. وإذا كانت الرحمة غالبة للغضب [سابقة][٤] عليه، امتنع أن يكون موجب الغضب دائماً بدوامه غالباً لرحمته .

قالوا: والتعذيب إما أن يكون عبثاً، أو لمصلحة وحكمة، وكونه عبثاً مما ينزه أحكم الحاكمين عنه، ونسبته إليه نسبة لما هو من أعظم النقائص إليه. وإن كان لمصلحة، فالمصلحة هي المنفعة ولوازمها وملزوماتها، وهي إما أن تعود على الرب تعالى، وهو يتعالى عن ذلك ويتقدس عنه، وإما أن تعود إلى المخلوق، (وذلك المخلوق)[٥]، إما نفس المعذب وإما غيره أو هما. والأول

---

(١) سبق تخريج الحديث الذي فيه تعديد الأسماء الحسنى وإيضاح أنه ضعيف .
انظر: ص (٩٧٦) .

(٢) قال سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام/ ١٢]، وقال: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام/ ٥٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش».
البخاري كتاب (التوحيد) باب (٥٥) ٨/ ٢١٦ .

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٤) في الأصل (مانعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط .

ممتنع؛ إذ لا[١] مصلحة له في دوام العقوبة بلا نهاية .

وأما مصلحة غيره، فإن كانت هي الاتعاظ والانزجار فقد حصلت، وإن كانت تكميل لذاته وبهجته وسروره بأن يرى عدوه في تلك الحال وهو في غاية النعيم، فهذا لو كان أقسى الخلق لرق لعدوه من طول عذابه ودوام ما يقاسيه. فلم يبق إلا كسر تلك النفوس الجبارة العتيدة ومداواتها (بما)[٢] يصل إلى مادة أدوائها وأمراضها فتحسمها . تلك المادة شر طارئ على خير خلقت عليه في ابتداء فطرتها .

قالوا: والأقسام الممكنة في الخلق خمسة لا مزيد عليها: خير محض ومقابله، وخير راجح ومقابله، وخير وشر متساويان، والحكمة تقتضي إيجاد قسمين منها، وهما الخير الخالص والراجح. وأما الشر الخالص أو الراجح، فإن الحكمة لا تقتضي وجوده، بل تأبى ذلك، فإن كل ما خلقه الله سبحانه، فإنما خلقه لحكمة وجودها أولى من عدمها . وخلق [الدواب][٣] الشريرة والأفعال التي هي شر لما يترتب على خلقها من الخير المحبوب، فلم يخلق لمجرد الشر الذي لا يستلزم خيراً بوجه ما .

وهذا غاية المحال، فالخير هو المقصود بالذات [بالقصد][٤] الأول، والشر إنما قصد الوسائل والمبادئ لا قصد الغايات والنهايات .

وحينئذ، فإذا حصلت الغاية المقصودة بخلق بطل وزال كما تبطل الوسائل عند الانتهاء إلى غاياتها، كما هو معلوم بالحس والعقل. وعلى هذا فالعذاب

---

(١) في م، ط (ولا) .

(٢) في م، (إنما) وفي (ط) (كيما) .

(٣) في الأصل (الدوات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل (وما يقصد) والأولى ما أثبته من باقي النسخ .

شر، وله غاية تطلب به، وهو وسيلة إليها، فإذا حصلت غايته كان بمنزلة الطريق الموصلة إلى القصد، فإذا [وصل بها السائر][1] إلى مقصده لم يبق لسلوكها فائدة .

وسر المسألة أن الرحمة غاية الخلق والأمر لا العذاب[2]، فالعذاب من مخلوقاته، وذلك (يقتضي)[3] أنه خلقه لغاية محمودة، ولا بد من ظهور أسمائه وأثر صفاته عموماً وإطلاقاً، فإن هذا هو الكمال، والرب جل جلاله موصوف بالكمال، منزه عن النقص .

قالوا: قد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا[4] ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ (فِيهَا)[5] مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٧] .

قال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام/ ١٢٨] .

قال أبو سعيد الخدري[6]: هذه تقضي على كل آية في القرآن. ذكره البيهقي[7]

---

(١) في الأصل (دخل فيها المسافر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) تعذيب الكفار في النار وخلودهم فيها لا يناقض الرحمة. بل إن من رحمته وفضله وجوده إخراج عصاة الموحدين منها وإبقاء الكافرين فيها، وهذا غاية العدل وكماله.

(٣) في (ط) (مقتضى) .

(٤) في جميع النسخ (وأما) والصواب ما أثبته .

(٥) ساقطة من (ط) .

(٦) سبقت ترجمته ص (٣٢٩) .

(٧) هو: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي الشافعي، صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، كان فقيهاً أصولياً. أخذ العلم عن الحاكم النيسابوري وغيره، له مصنفات. منها: كتاب السنن الكبير، وشعب الإيمان ،

وحرب[١] وغيرهما[٢].

قال عبد الله بن مسعود[٣]: «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً»[٤].

وعن عمر بن الخطاب[٥] وأبي هريرة[٦] رضي الله عنهما مثله[٧]. وذكره

ودلائل النبوة، وغيرها كثير. توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: البداية والنهاية ١٢/ ١٠٠، العبر ٢/ ٣٠٨.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٥٠، وقال: (أخرجه عبد الرزاق وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله وعن أبي سعيد الخدري.

(٣) هو: عبد الله بن مسعود بن غافر، فقيه الأمة من السابقين الأولين، روى علماً كثيراً حدث عنه أبو موسى، وأبو هريرة، وابن عباس، وجابر، وأنس، وغيرهم. مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: حلية الأولياء ١/ ١٢٤-١٣٩، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١-٥٠٠.

(٤) قول ابن مسعود رضي الله عنه (ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها) في الدر المنثور ٣/ ٣٥٠، وعزاه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ. وذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٢٠٢، وقال الألباني في تخريج (رفع الأستار): « وهذا إسناد مظلم ». رفع الأستار ٧٦.

(٥) سبقت ترجمته انظر: ص (١٧١).

(٦) سبق ترجمته انظر :ص (١٤٤).

(٧) ما قاله عمر رضي الله عنه هو: (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه) الدر المنثور ٣/ ٣٥٠. وأما ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه فهو: (سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ.. ﴾ (الآية الدر المنثور ٣/ ٣٥٠.

=

جماعة من المصنفين في السنة. وهذا يقتضي أن الدار لا يبقى فيها أحد هي التي يلبث فيها أهلها أحقاباً .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [(١)] «أخبرنا الله [بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/ ١٠٨] ولم يخبرنا [(٢)]] بالذي يشاء لأهل النار »[(٣)] .

قالوا: ويكفينا ما في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[(٤)]﴾ [الأنعام/ ١٢٨] إلى قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ

= قال الصنعاني رحمه الله في (كشف الأستار) ص٨٠: (إن هؤلاء الأربعة من الصحابة الذين هم عمر، وابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد، الذين عين شيخ الإسلام أسماءهم في صدر المسالة، وذكر أنه نقل عنهم القول بفناء النار وذهابها وتلاشيها هم بريئون من هذا القول، وحينئذ يعلم أنه ليس معه في دعواه فناء النار أحد من الصحابة الذين عينهم) .

قلت: وابن القيم نقل ذلك عن شيخه رحمهم الله. وقد أوضحت في الدراسة ما نسب إلى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ومدى صحة ذلك .

(١) سبقت ترجمته ص (١٠١٨) .

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره قال: حدثني يونس قال: أخبرنا وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ، ثم ذكره . تفسير الطبري ١٥/ ٤٨٤، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٥٠، قال (أخرج ابن جرير عن ابن زيد ...) ثم ذكره .

(٤) في (م) (عليم حكيم) .

وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾[الأنعام/ ١٣٠]. وهذا خطاب (للكفار)[1] من الجن والإنس من وجوه:

أحدها: (استكثارهم)[2] منهم، أي من إغوائهم وإضلالهم. وإنما (استكثروا)[3] من الكفار.

القول الثاني: قوله: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام/ ١٢٨]، وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٧] . فحزب الشيطان هم أولياؤه.

الثالث: قوله: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام/ ١٣٠]، ومع هذا فقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام/ ١٢٨].

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[4]﴾ [الأنعام/ ١٢٨] فتعذيبهم متعلق بعلمه وحكمته. وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة، (فهو عليم بما يفعل بهم، حكيم في ذلك[5]) .

---

(١) في الأصل (الكفار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في (ط) (استكبارهم) .

(٣) في (ط) (استكبروا) .

(٤) في الأصل ن م (عليم حكيم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ما بينهما مكررة في الأصل .

قالوا: وقد (كثر)[1] في القرآن أنه سبحانه إذا ذكر جزاء أهل رحمته وأهل غضبه معاً أبّدَ [جزاء][2] أهل الرحمة وأطلق جزاء أهل الغضب، كقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ][3] عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٨] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ (أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ)[4] تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة٦-٨].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧] .

وقد (يفرق)[5] بينهما في الذكر ويقضي لهم بالخلود؛ كقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن/ ٢٣] .

وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا

(١) ساقطة من (م) وفي (ط) (ورد) .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٤) ما بينهما سقط من م، ط .

(٥) في م، طن (يقرن) .

وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾[الأنعام/ ١٣٠]. وهذا خطاب (للكفار)[١] من الجن والإنس من وجوه :

أحدها: (استكثارهم)[٢] منهم، أي من إغوائهم وإضلالهم. وإنما (استكثروا)[٣] من الكفار .

القول الثاني: قولـه: ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ [الأنعام/ ١٢٨]، وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٧] . فحزب الشيطان هم أولياؤه .

الثالث: قولـه: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام/ ١٣٠]، ومع هذا فقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام/ ١٢٨] .

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ عَلِيمٞ)[٤]﴾ [الأنعام/ ١٢٨] فتعذيبهم متعلق بعلمه وحكمته. وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة، (فهو عليم بما يفعل بهم، حكيم في ذلك[٥]) .

---

(١) في الأصل (الكفار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في (ط) (استكبارهم) .

(٣) في (ط) (استكبروا) .

(٤) في الأصل ن م (عليم حكيم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ما بينهما مكررة في الأصل .

قالوا: وقد (كثر)[١] في القرآن أنه سبحانه إذا ذكر جزاء أهل رحمته وأهل غضبه معاً أبّدَ [جزاء][٢] أهل الرحمة وأطلق جزاء أهل الغضب، كقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ][٣] عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٨] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ (أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ)[٤] تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة٦-٨].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧] .

وقد (يفرق)[٥] بينهما في الذكر ويقضي لهم بالخلود؛ كقولـه: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن/ ٢٣] .

وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا

(١) ساقطة من (م) وفي (ط) (ورد) .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٤) ما بينهما سقط من م، ط .

(٥) في م، طن (يقرن) .

خَـٰلِدًا فِيهَـا ﴾ [النساء/ ١٤] .

ولكن مجرد ذكر الخلود والتأبيد لا يقتضي عدم النهاية، بل الخلود هو المكث الطويل، كقوله: قيد مخلد وتأبيد كل شيء بحسبه، فقد يكون التأبيد لمدة الحياة، وقد يكون لمدة الدنيا، وقال تعالى عن اليهود: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة / ٩٥] .

ومعلوم أنهم يتمنون في النار حيث يقولون: ﴿ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف/ ٧٧]، وإنما استفيد عدم انتهاء نعيم الجنة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص/ ٥٤]، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/ ١٠٨] وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [الانشقاق/ ٢٥] أي (غير)[1] مقطوع [2]، ومن قال: لا يمن به عليهم، فقد أخطأ أقبح الخطأ [3]، ولم يجيء مثل ذلك في عذاب أهل النار .

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة/ ١٦٧]، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر/ ٤٨] .

وقولـه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر/ ٣٦] .

وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ [السجدة/ ٢٠] في موضعين من القرآن[4] .

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) انظر: زاد المسير ٩/ ٦٩ .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٧٣ .

(٤) الموضع الثاني في سورة الحج آية (٢٢) قال سبحانه: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ .

وقوله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء/ ٥٦] .

غير مصروف عن ظاهره، وحقيقته على الصحيح .

وقد زعمت طائفة أن إطلاق هذه الآيات مقيد بآيات التقييد بالاستثناء بالمشيئة، فيكون من باب تخصيص العموم، وهذا كأنه قول من قال من السلف في آية الاستثناء إنها على كل وعيد في القرآن [١] .

والصحيح أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها، ولكن ليس فيها ما يدل على أن نفس النار دائمة بدوام الله لا انتهاء لها، هذا ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه بوجه ما. وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائماً بدوامها وبين أن تكون هي أبدية لا انقطاع لها، فلا تستحيل ولا تضمحل، فهذا شيء وهذا شيء. ولا يقال: فلا فرق على هذا بين عذاب الدنيا [وعذاب][٢] الآخرة إذا كان كل منهما يضمحل وينقطع. قيل: ما أظهر [الفروق][٣] بينهما، والأمر أبين من أن يحتاج إلى فرق .

وأيضاً فعذاب الدنيا ينقطع بموت المعذب وإقلاع العذاب عنه، وأما عذاب الآخرة، فلا يموت من استحق الخلود فيه، ولا يقلع العذاب عنه، ولا يدفعه عنه أحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور/ ٧، ٨] وهو لازم لا يفارق، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان/ ٦٥] أي لازماً[٤] ومنه سمي الغريم (لملازمته)[٥] غريمه .

---

(١) سبق هذا القول انظر: ص (١٢٦١) هامش (٢)

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في الأصل (الفرق) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) انظر: الدر المنثور ٥/ ٧٧ .

(٥) في (ط) (لملازمة) .

فصل

وأما الآثار في هذه المسألة؛ فقال: الطبراني: حدثنا عبد الرحمن بن سلم[١] حدثنا سهل بن عثمان[٢] حدثنا عبد الله بن مسعر بن كدام[٣] عن جعفر بن الزبير[٤] عن القاسم[٥] عن أبي أمامة[٦] عن النبي ﷺ « ليأتين على جهنم يوم

---

(١) عبد الرحمن بن سلم: بفتح المهملة وسكون اللام، شامي مجهول من السادسة. انظر: تقريب التهذيب ١/ ٤٨٢ .

(٢) هو الإمام الحافظ المجود، أحد الأئمة أبو مسعود العسكري، سمع حماد بن زيد وشريكاً القاضي، وأبا الأحوص وغيرهم. حدث عنه مسلم، وعبيد بن محمد الغزال، وعلي بن أحمد بن بسطام وغيرهم. وذكره ابن حبان في تاريخ الثقات، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: صدوق . انظر: شذرات الذهب ٢/ ٧٨، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٥٤ .

(٣) عبد الله بن مسعر بن كدام، عن أبيه. قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال العقيلي في (الضعفاء): عن أبيه لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به . انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٣٠٤، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٢ .

(٤) جعفر بن الزبير: عن القاسم أبي عبد الرحمن وجماعة، وعنه وكيع، ويزيد بن هارون. كذبه شعبه، وقال ابن معين: ليس ثقة، وقال البخاري: تركوه، وقال ابن عدي: الضعف على حديثه بين . انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٦ .

(٥) القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الدمشقي، مولى آل معاوية، وصاحب أبي أمامة، قال الإمام أحمد: روى عنه علي بن يزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قبل القاسم. وقال ابن حبان: كان يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات. وثقه ابن معين من وجه عنه، وقال الجوزجاني: كان خياراً فاضلاً، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار. وقال الترمذي: ثقة. مات سنة اثنتي عشرة ومائة . انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٧٣ .

(٦) أبو أمامة صدي ـ بالتصغير ـ ابن عجلان الباهلي، صحابي مشهور، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين. انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٦٦ .

كأنها ورق هاج وحمر تخفق أبوابها »[١] .

وقال حرب[٢] في مسائله: سألت إسحاق[٣] قلت: قول الله عز وجل: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ﴾ [هود/ ١٠٧] .

قال: أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن[٤] .

حدثنا عبد الله بن معاذ[٥] حدثنا معتمر بن سليمان[٦] قال: قال

---

(١) ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ١٠/ ٣٦٠ وعزاه للطبراني، وقال: (وفيه جعفر بن الزبير، وهو ضعيف) و(جعفر) قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (١/ ١٣٠): متروك الحديث. كما ضعفه عدد من أهل العلم. انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٦، قال الذهبي في الميزان ١/ ٤٠٧: (ويُروى بإسناد مظلم عنه حديث متنه ..) ثم ذكر الحديث بنحوه. كما ضعّف سند الحديث ابن كثير في تفسيره ٢/ ٧١٢. قال الألباني: (هذا الحديث لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً). سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/ ٧٢. فالحديث ضعيف جداً . والله أعلم .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) سبق تخريجه انظر: ص (١٢٦١) .

(٥) عبد الله بن معاذ الصنعاني: كان عبد الرازق يكذبه، قال البخاري. غمزه عبدالرزاق. وقال هشام بن يوسف: صدوق، وقال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: هو أوثق من عبد الرزاق. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٦ .

(٦) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري. روى عن أبيه وحميد الطويل وغيرهم. وعنه الثوري وابن المبارك وعبد الرزاق وغيرهم. وقال ابن سعد: كان ثقة. ولد سنة مائة، ومات سنة سبع وثمانين ومائة . انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٧ .

أبي[(١)]: حدثنا أبو نضرة[(٢)] عن جابر[(٣)]، أو أبي سعيد[(٤)]، أو بعض أصحاب النبي ﷺ قال: هذه الآية تأتي على القرآن كله/ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ[(٥)] لِّمَا يُرِيدُ﴾[(٦)]. قال المعتمر: قال [أي][(٧)] كل وعيد في القرآن، ثم تأول حربٌ ذلك، فقال: معناه عندي والله أعلم: أنها تأتي على كل وعيد في القرآن لأهل التوحيد .

---

(١) هو: سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر البصري. روى عن أنس بن مالك، وطاوس وأبي إسحاق السبيعي وغيرهم. وعنه ابنه معتمر، وشعبة، والسفيانان، وغيرهم. قال الربيع بن يحيى عن سعيد: ما رأيت أصدق من سليمان التيمي. وقال عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه: ثقة. توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة . انظر: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠١ .

(٢) أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي ثم البصري. أدرك طلحة، وروى عن علي وأبي موسى الأشعري، وأبي ذر الغفاري وغيرهم. وعنه سليمان التيمي وأبو مسلم سعيد ابن يزيد، وحميد الطويل، وغيرهم. مات سنة ثمان أو تسع ومائة .
انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٢، شذرات الذهب ١/ ١٣٥ .

(٣) هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن، وهو أحد المكثرين عن النبي ﷺ وروى عن أبي بكر وعمر وعلي، كما روى عنه ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وغيرهم خلق كثير. مات سنة ثمان وسبعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٣١٢، العبر ١/ ٦٥ .

(٤) سبقت ترجمته انظر ص (٣٢٩) .

(٥) في (ط) (أنه فعال).

(٦) سبق تخريجه انظر ص (١٢٦٠) .

(٧) في ط (أي) .

وكذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود/١٠٧] استثنى من أهل القبلة الذين يخرجون من النار[١].

وهذا التأويل لا يصح؛ لأن الاستثناء إنما هو في وعيد الكفار[٢]، فإنه سبحانه قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ [هود/ ١٠٥-١٠٦] الآية ثم قال: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [هود/١٠٨] فأهل التوحيد من الذين سعدوا (لا من الذين)[٣] شقوا[٤]، وآية الأنعام صريحة في حق الكفار كما تقدم بيانه[٥]. قال حرب[٦]: حدثنا عبيد الله بن معاذ[٧] حدثنا

---

(١) انظر: زاد المسير ٤/ ١٦٠-١٦١.

(٢) قال البغوي رحمه الله في تفسيره ٤/ ٢٠٢: (ومعناه عند أهل السنة - إن ثبت - أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان، وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً).

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٤) اختلف المفسرون - رحمهم الله - بالمراد في هذا الاستثناء على أقوال كثيرة، والذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين. وممن اختار ذلك الإمامان ابن جرير وابن كثير.
انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٤٨٤ - تفسير ابن كثير ٢/ ٧١٢.

(٥) انظر: ص (١٢٦٠) وما بعدها.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) عبيد الله بن معاذ بن نصر بن حسان، الحافظ الثقة، أبو عمر العنبري البصري، حدث عن أبيه، ومعتمر بن سليمان، ويحيى القطان وغيرهم، حدث عنه مسلم وأبوداود، والبخاري، وأبو حاتم وغيرهم خلق كثير. قال أبو داود: كان فصيحاً يحفظ نحو أربعة آلاف حديث. انظر: العبر ١/ ٣٣٤، شذرات الذهب ٢/ ٨٨.

أبي[١] ثنا (سعيد)[٢][٣] عن أبي مليح[٤] سمع عمر بن ميمون[٥] يحدث عبد الله ابن عمرو[٦] قال : « ليأتين على جهنم يوم تصطفق فيه أبوابها ، ليس فيها

---

(١) معاذ بن نصر بن حسان العنبري التميمي الحافظ البصري. روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وابن عون، وروى عنه أبوه عبيدالله، والمثنى، وأحمد، وإسحاق. قال المروزي عن أحمد: معاذ بن معاذ (إليه المنتهى في التثبت بالبصرة). توفي سنة ست وتسعين ومائة . انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٤ .

(٢) سعيد بن جبير أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام . روى عن ابن عباس، وعبد الله بن مغفل، وعائشة وغيرهم. حدث عنه أبو صالح السمان، وآدم بن سليمان، وبكير بن شهاب، وخلق سواهم. قال عنه الذهبي: الفقيه المفسر. أحد الأعلام الحجاج سنة خمس وتسعين. انظر: العبر ١/ ٨٤، شذرات الذهب ١/١٠٨ .

(٣) في من ط (شعبه) .

(٤) أبو المليح: هو الحسن بن عمر الرقي، ويقال: الحسن بن عمرو، سمع ميمون بن مهران وابن شهاب الزهري، وعبد الله بن محمد بن عقيل وطائفة. وروى عنه: عبدالله بن جعفر الرقي، وعمر بن خالد الحراني، وإبراهيم بن مهدي المصيصي وغيرهم . وثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة. توفي سنة إحدى وثمانين ومائة .
انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٤، شذرات الذهب ١/ ٢٩٥ .

(٥) هو عمر بن ميمون بن بحر بن سعد بن الرماح البلخي، أبو علي قاضي بلخ. روى عن كثير بن زياد العتكي، وسهيل بن أبي صالح وخالد بن ميون وغيرهم. روى عنه ابنه عبد الله قاضي نيسابور وسلم بن سليمان البلخي، ويونس المؤدب وغيرهم . توفي سنة إحدى وتسعين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٤٩٨ .

(٦) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه. روى عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ وغيرهم. حدَّث عنه ابنه محمد، ومولاه أبو قابوس، وحفيده شعيب بن محمد، وأنس بن مالك، وخلق سواهم. مات سنة خمس وستين. انظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٣، حلية الأولياء ١/ ٢٨٣ .

أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً»[١] .

حدثنا عبيد الله، ثنا شعبة[٢] عن يحيى بن أيوب[٣] عن أبي زرعة[٤] عن أبي هريرة[٥] قال: أما الذي أقول إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾[٦] [هود/١٠٦]. قال عبيد الله: كان

---

(١) أورد البغوي هذا الأثر بنحوه في تفسيره ٤/ ٢٠٢ وقال: « ومعناه عند أهل السنة إن ثبت». فلم يقطع بثبوته، كما نقل الألباني عن الذهبي في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) ٢/ ٧٢ قال: (وهو منكر)، ثم قال الألباني: « وجملة القول أن هذا الحديث لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً»، وقال الألباني في تعليقه على (رفع الأستار) ص٨١: (هذا الأثر عن ابن عمرو ضعيف الإسناد)

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم الواسطي، شيخ البصرة روى عن معاوية بن قرة، وعمرو بن مرة وخلق من التابعين. قال الشافعي: (لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق) روى عنه أيوب السختياني، والأعمش، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة. توفي سنة ستين ومائة. انظر: حلية الأولياء ٧/ ١٤٤، شذرات الذهب ١/ ٢٤٧ .

(٣) يحيى بن أيوب: هو ابن أبي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، حدث عن جده أبي زرعة، والشعبي، وعنه ابن المبارك، ومروان بن معاوية، وأبوقتيبة، وأبو احمد الزبيري، قال ابن معين: (هو ضعيف)، وقال يعقوب بن سفيان: (لا بأس به) قال البزار: ثقة. انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٨٦، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٦٢ .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود : ١٠٦-١٠٧] .

أصحابنا يقولون: يعني بها الموحدين. قد تقدم أن هذا التأويل لا يصح[١] .

وقال (عبد)[٢] بن حميد[٣] في تفسيره :

أخبرنا سليمان بن حرب[٤] حدثنا حماد بن سلمة[٥] عن ثابت[٦] عن الحسن[٧] قال: قال عمر[٨] رضي الله عنه: « لو لبث أهل النار في النار بقدر رمل (عالج)[٩] لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه »[١٠] .

---

(١) انظر: ص (١٢٧٠) .

(٢) في الأصل (عبيد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) هو: أبو أيوب سليمان بن حرب الواشحي، الأزدي، البصري، الحافظ، سمع شعبة وحويش بن عقيل، والأسود بن شيبان، ويزيد بن إبراهيم، وغيرهم. وعنه البخاري وأبو داود والحميدي وغيرهم. توفي سنة أربع وعشرين ومائتين .
انظر: شذرات الذهب ٢/ ٥٤ . سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٠ .

(٥) سبق ترجمته ص (١٨١) .

(٦) ثابت بن أسلم أبو محمد البناني، مولاهم البصري. ثقة كبير القدر، حدث عن عبد الله ابن عمر، وعبد الله بن مغفل المزني، وعبد الله بن الزبير وغيرهم. حدث عنه عطاء بن أبي رباح، وقتادة، ويونس بن عبيد، وحماد بن سلمة، وكان من أئمة العلم. توفي سنة سبع وعشرين ومائة . انظر: تقريب التهذيب ١/ ١١٥. سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠ .

(٧) هو: الحسن البصري سبقت ترجمته ص (١٤٧) .

(٨) سبقت ترجمته ص(١٧١) .

(٩) ساقطة من (م) .

(١٠) إسناده ضعيف لانقطاعه كما أوضحه الصنعاني رحمه الله في كتاب (رفع الأستار) ص (٦٥و٦٦) حيث قال: (من حيث الرواية، فإنه منقطع لنص شيخ الإسلام بأنه لم يسمعه الحسن من عمر ...) ثم قال: (والحسن البصري معروف عند أئمة هذا الشأن =

وقال: أخبرنا حجاج بن منهال[١] عن حماد بن سلمة[٢] عن حميد[٣] عن الحسن[٤] أن عمر بن الخطاب[٥] رضي الله عنه قال: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه»[٦] ورواة هذا الأثر أئمة ثقات كلهم، والحسن سمعه من بعض التابعين، ورواه غير منكر له فدل على (أن)[٧] هذا

= بأنه لا يؤخذ بمراسيله، قال الدارقطني في السنن: وقد روى عاصم الأحول عن ابن سيرين، وكان عالماً بأبي العالية وبالحسن، قال: لا تأخذوا بمراسيل الحسن ولا أبي العالية، فإنهما لا يباليان عمن أخذا عنه. انتهى .

قال الألباني في تعليقه على (رفع الأستار) ص (٦٥): (إسناده ضعيف لانقطاعه) وقال في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) ٢/ ٧٣: قال الحافظ ابن حجر في أثر الحسن هذا نفسه: (فهو منقطع ومراسيل الحسن عندهم واهية لأنه كان يأخذ من كل أحد).

(١) حجاج بن منهال أبو محمد البصري الأنماطي الحافظ. سمع شعبة وقرة بن خالد، وهمام بن يحيى، ويزيد بن إبراهيم التستري. حدث عنه البخاري، وأبو محمد الدارمي، وعبد ابن حميد وغيرهم . قال العجلي: ثقة رجل صالح، وتوفي سنة ست عشرة ومائتين . انظر: العبرة ١/ ٢٩٢، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٥٢ .

(٢) سبقت ترجمته ١٨١ .

(٣) حميد بن حميد الطويل أبو عبيدة البصري، ثقة جليل، يدلس. سمع أنساً وطائفة، وعنه شعبة، ومالك، ويحيى بن سعيد وخلق كثير . مات سنة اثنتين وأربعين ومائة، وقيل: غير ذلك . انظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٠٢ . ميزان الاعتدال ١/ ٦١٠ .

(٤) سبقت ترجمته ص (١٤٧) .

(٥) سبقت ترجمته ص (١٧١) .

(٦) سبق تخريجه في الصفحة السابقة ت(١٠) .

(٧) ما بينهما ساقط من م،ط .

الحديث (كان)[1] متداولاً بين هؤلاء الأئمة لا ينكرونه، فقد كانوا ينكرون على من خرج عن السنة أدنى شيء، ويروون الأحاديث المبطلة (لقوله)[2]، وكان الإمام أحمد[3] يقول: « أحاديث حماد بن سلمة هي الشجا[4] في حلوق المبتدعة »[5]، فلو كان هذا القول عندهم من البدع المخالفة للسنة والإجماع لسارعوا إلى رده وإنكاره[6] .

---

(١) في ط، (أنه كان) .

(٢) في م،ط (لفعله) .

(٣) سبقت ترجمته ص (١٤٠) .

(٤) الشجا: هو ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. (مختار الصحاح / ٢٩٠) .

(٥) انظر: ثناء الإمام أحمد على حماد بن سلمة في ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٠.

(٦) بل ثبت أن سند الحديث ضعيف بسبب الانقطاع، ولذلك رده الإمام الصنعاني في كتابه: (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) ص٦٥ حيث قال: وأقول فيه شيئان: الأول: من حيث الرواية؛ فإنه منقطع، لنص شيخ الإسلام بأنه لم يسمعه الحسن من عمر.

والثاني: من حيث الدراية؛ فإنه لو ثبت صحته عن عمر، لكان يدل على المدعى، فإن أصل المدعي هو: فناء النار، وأن لها مدة تنتهي إليها. وليس في أثر عمر هذا، إلا أنه يخرج أهل النار من النار، والخروج لا يكون إلا وهي باقية، فإنك لو قلت: لو لبث زيد في الدار كذا وكذا ثم خرج منها، لم يدل هذا على فناء الدار، لا مطابقة ولا تضمناً ولا تلازماً. فإن قيل: بل هو يدل على فنائها التزاماً؛ لأنه تعالى إنما خلقها ليعذب بها من عصاه، فبعد خروجهم لم يبق لها حاجة. فالحكمة تقتضي فناءها.

قلت: هذا دور؛ فإنه لا يثبت أن الحكمة تقتضي فناءها، إلا إذا لم يبق فيها أحد ولا يخرج أحد من أهلها إلا بعد فنائها كما تسمع تصريح ابن تيمة بذلك، حيث قال: (وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضي عليهم =

وفي تفسير علي بن أبي طلحة [١] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام/ ١٢٨] قال: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه (لا ينزلهم)[٢] جنةً ولا ناراً[٣] .

قال الطبري[٤]: وروي عن ابن عباس أنه كان يتأمل في هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته[٥] .

وهذا التفسير من ابن العباس يبطل قول من تأمل الآية على أن معناها سوى ما شاء الله من أنواع العذاب، أو قال: المعنى: إلا مدة مقامهم قبل الدخول من حين بعثوا إلى أن دخلوا، أو أنها في أهل القبلة وما بمعنى من، أو أنها بمعنى من؛ أو أنها بمعنى الواو، أي: وما شاء الله. وهذه كلها تأويلات باردة ركيكة لا تليق بالآية، ومن تأملها جزم ببطلانها[٦] .

= فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها البتة. هذا لفظه .

(١) سبقت ترجمته ص (٣١٠) .

(٢) في الأصل (ولا يميز) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) ذكر هذا القول عن ابن عباس ابنُ جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١١٨) والأثر منقطع؛ لأن علي بن طلحة لم يسمع من ابن عباس فهو ضعيف، وإن كان المعنى صحيحاً. انظر: تعليق الألباني على رفع الأستار ص (٧١) .

(٤) انظر: ترجمته ص (٤٩٤) .

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١١٨ .

(٦) انظر: زاد المسير ٤/ ١٦٠ .

وقال السدي[١] في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ [النبأ/ ٢٣] قال: ([سبعمائة][٢] حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون)[٣]. وتقييد لبثهم فيها الأحقاب يدل على مدة مقدورة يحصرها العدد. هذا قول الأكثرين[٤].

ولهذا تأول الزجاج[٥] الآية على أن الأحقاب تقييد لقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ/ ٢٤] وأما مدة (لبثهم)[٦] فيها، فلا تقدر بالأحقاب[٧]، وهذا تأويل فاسد. فإنه يقتضي أن يكونوا بعد الأحقاب ذائقين للبرد والشراب.

وقالت طائفة أخرى: الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾

---

(١) سبقت ترجمته ص (١٩٠).

(٢) في الأصل (سبع آية).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٧٢٨.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٧٢٧-٧٢٨ لكن قال الحسن: (إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود). انظر: تفسير البغوي ٨/ ٣١٥. وانظر في كون الأحقاب لا تدل على مدة مقدرة: زاد المسير ٩/ ٨.

(٥) الزجّاج هو: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي. لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً، فنصحه وعلمه. له مصنفات؛ منها (معاني القرآن وإعرابه) و(الإنسان وأعضاؤه) و(الاشتقاق) أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي وغيره جماعة. توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر: العبر ١/ ٤٦١. سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٠.

(٦) في م، ط (مكثهم).

(٧) انظر: زاد المسير ٩/ ٨.

[الحجر/ ٤٨]، وقوله: ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٩] وهذا فاسد أيضاً إن أرادوا بالنسخ الرفع، فإنه لا يدخل في الخبر إلا إذا كان بمعنى الطلب، وإن أرادوا بالنسخ البيان فهو صحيح .

وهو إنما يدل على أن عذابهم دائم مستمر ما دامت باقية، فهم فيها خالدون، وما هم بمخرجين، وهذا حق معلوم دلالة القرآن والسنة عليه، لكن الشأن في أمر آخر، وهو أن النار أبدية دائمة بدوام الرب، فأين الدليل على هذا من القرآن أو السنة بوجه من الوجوه[1]؟ .

وقالت طائفة: هي في أهل التوحيد[2]. وهذا أقبح مما قبله، وسياق الآيات يرده رداً صريحاً .

ولما رأى غيرهم بطلان هذه التأويلات قال: لا يدل ذكر الأحقاب على النهاية، فإنها غير مقدرة بالعدد، فإنه لم يقل: عشرة ولا مائة، ولو قدرت بالعدد لم يدل على النهاية إلا بالمفهوم، فكيف إذا لم تقدر ؟

قالوا: ومعنى الآية أنه كلما مضى حقب تبعه حقب لا إلى نهاية[3]. وهذا الذي قالوه لا تدل الآية عليه بوجه .

وقولهم: إن الأحقاب فيها غير مقدرة فيقال: لو أريد بالآية بيان عدم انتهاء مدة العذاب لم يقيد بالأحقاب، فإن ما لا نهاية له لا يقال هو باق أحقاباً ودهوراً وأعصاراً أو نحو ذلك، ولهذا لا يقال ذلك في نعيم أهل الجنة، ولا يقال للأبدي الذي لا يزول: هو باق أحقاباً أو آلافاً من السنين،

---

(١) انظر: الأدلة من الكتاب والسنة في قسم الدراسة .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٢٨. الدر المنثور ٦/ ٣٠٨ . فتح القدير ٥/ ٣٦٨ .

(٣) انظر: تفسير البغوي ٨/ ٣١٥ . زاد المسير ٩/ ٨ .

فالصحابة أفهم (الأمة)[١] لمعاني القرآن .

وقد فهم منها عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلاف فهم هؤلاء، كما فهم ابن عباس من آية الاستثناء خلاف فهم أولئك، وفهم الصحابة في القرآن هو الغاية التي عليها المعول، وقد قال ابن مسعود: « ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً »[٢][٣] .

(وقال)[٤] ابن جرير[٥]: حديث عن المسيب[٦] عمن ذكره عن ابن عباس[٧]: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود/ ١٠٧] قال: أمر الله النار أن تأكلهم .

قال: وقال ابن مسعود[٨]: فذكره.

---

(١) في م، ط (آية) والصواب ما أثبته .

(٢) سبق أن أوضحت أن الصنعاني في (كشف الأستار) ذكر أن هؤلاء الصحابة بريئون من القول بفناء النار. انظر: ص (١٢٦١) .

(٣) سبق تخريجه: انظر ص (١٢٦٥) .

(٤) مكررة في (م) .

(٥) سبقت ترجمته انظر: ص (٤٩٤) .

(٦) المسيب: هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن مخزوم بن يقظة، عالم أهل المدينة، سمع من عثمان وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وغيرهم. وروى عنه أبي بن كعب وبلال وسعد بن عبادة وآخرون. توفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: خمس وتسعين . انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧ .

(٧) سبقت ترجمته ص (١٤٢) .

(٨) سبقت ترجمته ص (١٤٩) .

وقال: حدثنا محمد بن حميد[١] ثنا جرير[٢] عن بيان[٣] عن الشعبي[٤] قال: « جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً »[٥] .

قلت: لا يدل قوله: أسرعهما خراباً على خراب الدار الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان/ ٢٤] .

وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل/ ٥٩] .

وقوله في الحديث: « الله أعلى وأجل »[٦] .

---

(١) محمد بن حميد بن حيان. العلامة، الحافظ الكبير، أبو عبد الله الرازي، حدث عن يعقوب القمي، وابن المبارك، وجرير بن عبد الحميد، وغيرهم. وحدث عنه أبوداود، والترمذي، وأحمد بن حنبل وغيرهم. مات سنة ثمان وأربعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٩، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٠٣ .

(٢) جرير بن عبد الحميد بن يزيد. الإمام، الحافظ، القاضي، أبو عبد الله، الضبي الكوفي حدث عن عبد الملك بن عمير وبيان بن بشرن وغيرهم. حدث عنه ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وخلق كثير. مات سنة ثمان وثمانين ومائة .
انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨١ – ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٤ .

(٣) بيان: هو بيان بن بشر الأحمس البجلي أبو بشر، الكوفي، روى عن أنس والشعبي، وعكرمة وغيرهم. وعنه شعبة والسفيانان، وغيرهم انظر: تهذيب ١/ ٥٠٦ .

(٤) هو: عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمر، ثقة، مشهور، فقيه، فاضل، من الثالثة. قال مكحول ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة . انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٨٧ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده ١٢/ ١١٨ .

(٦) جزء من حديث ابن عباس الطويل في موقعة أحد عندما أشيع أن رسول الله ﷺ قتل، فصاح أبو سفيان في أسفل الجبل: اعْلُ هبل مرتين ... فقال عمر: « والله أعلى وأجل ..» أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٨٧). والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٦) وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي .

وقوله: أسرعهما عمراناً يحتمل معنين: أحدهما مسارعة الناس إلى الأعمال التي يدخلون بها جهنم، وإبطاؤهم عن أعمال الدار الأخرى. والثاني أن أهلها يدخلونها قبل أهل الجنة إليها، فإن أهل الجنة إنما يدخلونها بعد عبورهم على الصراط، وبعد حبسهم على القنطرة التي وراءه، وأهل النار قد تبؤوا منازلهم منها، فإنهم لا يجوزون على الصراط ولا يحبسون على تلك القنطرة.

وأيضاً ففي الحديث الصحيح أنه «لما ينادي المنادي: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع المشركون أوثانهم وآلهتهم فتتساقط بهم في النار، وتبقى هذه الأمة في الموقف حتى يأتيها ربها عز وجل، ويقول: إلا تنطلقون حيث انطلق الناس»[1].

وقد ذكر الخطيب[2] في تاريخه[3] في (ترجمة)[4] سهل بن عبيد الله بن داود ابن سليمان أبو نصر البخاري: حدثنا محمد بن نوح الجندسابوري: حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الناقد: حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبد الله بن مسعر بن كدام، عن جعفر بن [الزبير][5]، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل .. أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقاق) باب (الصراط جسر جهنم) ٧/ ٢٠٥. ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (معرفة طريق الرؤية) ١/ ١٦٣ من حديث أبي هريرة .

(٢) أبوبكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أحد الأئمة الأعلام ، روى عن أبي عمر ابن مهدي وابن الصلت الأهوزي وطبقتهما. توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. انظر: شذرات الذهب ٣/ ٣١١، العبر ٢/ ٣١٤ .

(٣) ٩/ ١٢٢ .

(٤) ساقطة من (م) وفي الأصل (وجه) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٥) ساقطة من الأصل، (م) والصواب ما أثبته من (ط) .

آدم أحد، تخفق أبوابها كأنها أبواب الموحدين »[١] وليس العمدة على هذا وحده، فإن إسناده ضعيف .

وقد روي من وجه آخر عن ابن مسعود، وقد تقدم[٢] .

فصل

والذين قطعوا بأبدية النار وأنها لا تفنى لهم طرق:

أحدها: الآيات والأحاديث الدالة على خلودهم فيها، وأنهم لا يموتون[٣]، وما هم منها بمخرجين[٤]، وأن الموت يذبح بين الجنة والنار[٥]، وأن الكفار لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[٦] وأمثال هذه النصوص[٧] .

وهذه الطريق لا تدل على ما ذكروه، وإنما تدل على أنها ما دامت باقية فهم فيها، فأين فيها ما يدل على عدم فنائها؟[٨] .

الطريق الثاني: دعوى الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا من أقوال الصحابة

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٦٧) وهو حديث ضعيف كما ذكر المصنف .

(٢) وكذا أثر ابن مسعود سبق بيان ضعفه. انظر: ص (١٢٦٠).

(٣) قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر/ ٣٦] .

(٤) قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة ١٦٧] وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٧] .

(٥) رواه البخاري في كتاب (الرقاق) باب (صفة الجنة والنار) ٧/ ٢٠٠ من حديث ابن عمر .

(٦) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف/ ٤٠] .

(٧) انظر: جملة من تلك النصوص في (شرح الطحاوية) ص ٤٣٠ .

(٨) للرد على ذلك انظر: قسم الدارسة .

والتابعين ما يدل على أن الأمر بخلاف ما قالوا، حتى لقد ادعى إجماع الصحابة من هذا الجانب استناداً إلى تلك النقول التي لا يعلم عنهم خلافها[١].

الطريق الثالث: أنه كالمعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الجنة والنار لا تفنيان، بل هما باقيتان، ولهذا أنكر أهل السنة كلهم على أبي الهذيل[٢] وجهم[٣] وشيعتهما ممن قال بفناء (الجنة والنار)[٤][٥] وعدوا أقوالهم من أقوال أهل البدع التي خرجوا بها عن السنة، ولكن من أين تصح دعوى العلم النظري أن النار باقية ببقاء الله دائمة بدوامه، فضلاً عن العلم الضروري. فأين في الأدلة الشرعية أو العقلية دليل واحد يقتضي ذلك؟[٦].

الطريق الرابع: أن السنة المستفيضة أو المتواترة أخبرت بخروج أهل التوحيد من النار دون الكفار، وهذا معلوم من السنة قطعاً.

وهذا الذي قالوه حق لا ريب فيه، ولكن أهل التوحيد خرجوا منها وهي باقية لم تفن ولم تعدم، والكفار لا يحصل لهم ذلك، بل هم باقون فيها ما بقيت[٧].

---

(١) انظر: الدراسة، فقد نقلت أقوال عدد من الأئمة الذي أوضحوا أن القول بعدم فناء النار وأنها دائمة أبداً قد وصل إلى حد الإجماع.

(٢) سبقت ترجمته ص (١١١٧).

(٣) سبقت ترجمته ص (١١١٧).

(٤) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٥) انظر: شرح الطحاوية ص (٤٢٤-٤٢٥).

(٦) انظر: في إيضاح هذه المسألة قسم الدراسة.

(٧) انظر: في إيضاح هذه المسألة قسم الدارسة.

الطريق الخامس: أن العقل يدل على خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها، فإن نفوسهم غير قالبة للخير، فإنهم لو أخرجوا منها لعادوا كفاراً كما كانوا، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام/ ٢٨]. وهذا يدل على غاية عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجوه، فلا تصلح نفوسهم الشريرة الخبيثة إلا للعذاب، ولو صلحت لصلحت على طول العذاب، فحيث لم يؤثر عذابهم تلك الأحقاب الطويلة في نفوسهم ولم يطيبها، علم أنه (لا)[1] قابلية فيهم للخير أصلاً، وأن أسباب العذاب لم تطفأ من نفوسهم، فلا يطفأ العذاب المترتب عليها .

وهذه الطريق، وإن أنكرت ببادئ الرأي، فهي طريق قوية، وهي ترجع إلى طريق الحكمة، وأن الحكمة التي اقتضت دخولهم هي التي اقتضت دخولهم.

ولكن هذه الطريق محرم سلوكها على نفاة الحكمة، وعلى مثبتيها من المعتزلة[2] والقدرية[3]. أما النفاة فظاهر، وأما المثبتة فالحكمة عندهم أن عذابهم لمصلحتهم، وهذا إنما يصح إذا كان لهم حالتان، حالة (يعذبون)[4] فيها لأجل مصلحتهم، وحالة يزول عنهم العذاب ليحصل لهم تلك المصلحة، وإلا فكيف تكون مصلحتهم في عذاب لا انقطاع له أبداً .

وأما من يثبت حكمة راجعة إلى الرب تعالى، فيمكنهم سلوك هذه الطريق، لكن يقال: الحكمة لا تقتضي دوام عذابهم بدوام بقائه سبحانه، وهو لم يخبر بأنه خلقهم لذلك، وإنما يعذبون لغاية محمودة إذا حصلت حصل المقصود

---

(١) في م (أن) .

(٢) سبق تعريفها .

(٣) سبق تعريفها .

(٤) في الأصل (يعدمون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

من عذابهم، وهو سبحانه لا يعذب خلقه سدى، وهو قادر على أن ينشئهم بعد العذاب الطويل نشأة أخرى مجردة عن تلك الشرور والخبائث التي كانت في نفوسهم، وقد أزالها طول العذاب [فإنهم خلقوا قابلين للخير على الفطرة. وهذا القبول لازم لخلقتهم، وبه أقروا][1] بصانعهم وفاطرهم، وإنما طرأ عليه ما أبطل مقتضاه، فإذا زال ذلك الطارئ بالعذاب الطويل، بقي أصل القبول بلا معارض. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام/ ٢٨] فهذا قبل (مباشرتهم)[2] للعذاب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا[3] عَلَى النَّارِ (فَقَالُوا)[4] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام ٢٧-٢٨]، فتلك الخبائث والشرور قائمة بنفوسهم لم تزلها النار، فلو ردوا لعادوا لقيام المقتضى للعود، ولكن أين أخبر سبحانه أنه لو ردهم بعد العذاب الطويل (السرمد)[5] لعادوا لما نهوا عنه[6].

وسر المسألة أن الفطرة الأصلية لا بد أن تعمل عملها كما عمل الطارئ

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) في م، ط (مثابرتهم) .

(٣) قال ابن جرير في معنى ﴿وُقِفُوا﴾ ستة أقوال: أرجحها: (أنهم دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها) فعلى هذا لا يستقيم ما ذكره المصنف. انظر: تفسير الطبري ١١/ ٣١٦ . زاد المسير ٣/ ٢٢ .

(٤) في م، ط (قالوا) .

(٥) في (ط) (السرمدي) .

(٦) في هذا الكلام تكلف ظاهر؛ لأن الله سبحانه ذكر أنهم لو ردوا لعادوا إلى ذلك، ولم يقيد ذلك بوقت. فرحم الله الإمام ابن القيم وعفا عنه .

عليها عمله، وهذه الفطرة عامة لجميع بني آدم، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة [١] عن النبي ﷺ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة » . وفي لفظ « على هذه الملة » [٢] .

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي [٣] عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه، قال: «وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينه، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به » [٤] .

فأخبر أن الأصل فيهم الحنيفية، وأنهم خلقوا عليها، وأن ضدها عارض فيهم باقتطاع الشياطين لهم عنها، فمن الممتنع أن يعمل أثر اقتطاع الشياطين (عمله)[٥] ولا يعمل أثر خلق الرحمن جل جلاله عمله والكل (يخلقه)[٦] سبحانه، فلا خالق سواه، ولكن ذاك خلق يحبه ويرضاه ويضاف أثره إليه، وهذا خلق يبغضه ويسخطه ولا يضاف أثره إليه، فإن الشر ليس إليه، والخير كله في يديه.

فإن قيل: فقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال/ ٢٣] وهذا يقتضي أنه لا قابلية فيهم ولا خير عندهم البتة، ولو كان عندهم (خير)[٧] لخرجوا به من النار مع الموحدين، فإنه سبحانه يخرج من النار من

---

(١) سبق ترجمته ص (١٤٤) .

(٢) سبق تخريجه ص (٣٣٠) .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) سبق تخريجه ص (١٣٠) .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في م، ط (خلقه) .

(٧) ساقطة من (ط) .

في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير[1]، فعلم أن هؤلاء ليس معهم هذا القدر اليسير من الخير .

قيل: الخير في هذا الحديث هو الإيمان بالله ورسله كما في اللفظ الآخر: «**أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان**»[2] وهو تصديق رسله، والانقياد لهم بالقلب والجوارح .

وأما الخير في الآية، فالمراد به القبول والزكاء، ومعرفة قدر النعمة، وشكر المنعم عليها. فلو علم (الله)[3] سبحانه ذلك فيهم، لأسمعهم إسماعاً ينتفعون به، فإنهم قد سمعوا سماعاً تقوم به عليهم الحجة، فتلك القابلية ذهب أثرها، وتعطلت بالكفر والجحود، وعادت كالشيء المهدوم الذي لا ينتفع به، وإنما ظهر أثرها في قيام الحجة عليهم، ولم يظهر أثرها في انتفاعهم بما (علموه)[4] وتيقنوه .

فإن قيل فالغلام الذي قتله الخضر طبع يوم [طبع] كافراً[5] .

---

(١) يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب(زيادة الإيمان ونقصانه) ١/ ١٦ . ومسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ح(٣٢٥) ١/ ١٨٢ .

(٢) جزء من حديث الشفاعة. رواه البخاري في كتاب (التوحيد) باب (كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) ٨/ ٢٠٠. ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ح (٣٢٦) ١/ ١٨٣ .

(٣) في م، ط (عملوه) .

(٤) زيادة من م، ط .

(٥) سبق تخريجه ص (٢٥٨، ١٢٨٧) .

وقال نوح ﵇ عن قومه: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[١] [نوح/ ٢٧]، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٢] والترمذي[٣] مرفوعاً: «إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت كافراً» الحديث[٤].

قيل: هذا لا يناقض كونه مولوداً على الفطرة، فإنه طبع وولد مقدراً كفره إذا عقل، وإلا ففي حال [ولادته][٥] لا يعرف كفراً ولا إيماناً، فهي حال مقدرة لا مقارنة للعامل، فهو مولود على الفطرة، ومولود كافراً باعتبارين صحيحين ثابتين له: هذا بالقبول وإيثار الإسلام ولو خلي، وهذا بالفعل والإرادة إذا عقل. فإذا جمعت بين الفطرة السابقة، والرحمة السابقة الغالبة، والحكمة البالغة، والغنى التام، وقرنت بين فطرته ورحمته وحكمته وغناه تبين لك الأمر.

---

(١) قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحاً أنهم لا يلدون مؤمناً، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة . انظر: زاد المسير ٨/ ٣٧٥ .

(٢) سبقت ترجمته ص (١٤٠) .

(٣) محمد بن عيسى بن الضحاك السلمي (أبو عيسى الترمذي) الضرير، تلميذ أبي عبدالله البخاري، ومشاركه فيما يرويه، وأحد الأئمة الأعلام. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. انظر: شذرات الذهب ٢/ ١٧٤-١٧٥- تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٧-٣٨٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٩. والترمذي في كتاب (الفتن) باب (ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة)٤/ ٤٨٣، قال أبو عيسى: (وفي الباب عن حذيفة وأبي مريم وأبي زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة. وذكروا أن النبي ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. وهذا حديث حسن صحيح) .

(٥) في الأصل و م : (ولاده) والصواب ما أثبته من ط .

الطريق السادس: قياس دار العدل على دار الفضل، وأن هذه كما أنها أبدية فالأخرى كذلك، لأن هذه توجب (رحمته وهذه توجب)[١] عدله، وعدله ورحمته من لوازم ذاته .

وهذه الطريق غير نافذة، فإن العدل (حقه)[٢]سبحانه لا يجب عليه أن يستوفيه، ولا يلحقه بتركه نقص ولا ذم بوجه من الوجوه، والفضل وعده الذي وعد به عباده، وأحقه على نفسه .

والفرق بين الدارين من وجوه عديدة شرعاً وعقلاً :

أحدها: أن الله سبحانه أخبر بأن نعيم الجنة ما له من نفاد[٣]، وأن عطاء أهلها غير مجذوذ[٤]، وأنه غير ممنون[٥]، ولم يجيء ذلك في عذاب أهل النار.

الثاني: أنه أخبر بما يدل على انتهاء عذاب أهل النار في عدة آيات كما تقدم، ولم يخبر بما يدل على انتهاء نعيم أهل الجنة، ولهذا احتاج القائلون بالتأبيد الذي لا انقطاع له إلى تأويل تلك الآيات، ولم يجيء في نعيم أهل الجنة ما يحتاجون إلى تخصيصه بالتأويل .

الثالث: أن الأحاديث التي جاءت في انتهاء عذاب النار لم يجيء شيء منها في انتهاء نعيم الجنة .

الرابع: أن الصحابة والتابعين إنما ذكروا انقطاع العذاب ولم يذكر أحد

---

(١) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٢) في الأصل (لله) والصواب ما أثبته من (م، ط) .

(٣) قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص / ٥٤] .

(٤) قال سبحانه: ﴿۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/١٠٨] .

(٥) قال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق/ ٢٥] .

منهم انقطاع النعيم .

الخامس: أنه ثبت أن الله سبحانه يدخل الجنة [بلا][1] عمل أصلاً[2] بخلاف النار .

السادس: أنه سبحانه ينشئ في الجنة خلقاً (ينعمهم)[3] فيها، ولا ينشئ في النار خلقاً يعذبهم بها[4] .

السابع: أن الجنة من مقتضى رحمته والنار من مقتضى غضبه، وأن الذين يدخلون النار أضعاف أضعاف الذين يدخلون الجنة، فلو دام عذاب هؤلاء كدوام نعيم هؤلاء لغلب غضبه رحمته، فكان الغضب هو الغالب السابق، وهذا ممتنع .

الثامن: أن الجنة دار فضله والنار دار عدله، وفضله يغلب عدله.

---

(١) في الأصل (بما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) يشير إلى ما ورد في حديث أبي سعيد لخدري رضي الله عنه الطويل، وفيه: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون. فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا ...» الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣]، ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (معرفة طريق الرؤية) ح(١٨٣)١/ ١٧٠ .

(٣) في (ط) (ينعمهم) .

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « تحاجت الجنة والنار ...»، وفيه: «وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً » وأنس أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (تفسير القرآن) باب (قوله. وتقول هل من مزيد)٦/ ٤٨ . ومسلم في صحيحه في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب (النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) ح(٢٨٤٦)٣/ ٢١٨٧ من حديث أبي هريرة وحديث أنس .

التاسع: أن النار دار استيفاء حقه الذي له، والجنة دار وفاء حقه الذي أحقه هو على نفسه، وهو سبحانه يترك حقه، ولا يترك الحق الذي أحقه على نفسه .

العاشر: أن الجنة هي الغاية التي خلقوا لها في الآخرة، وأعمالها هي الغاية التي خلقوا لها في الدنيا، بخلاف النار؛ فإنه سبحانه لم يخلق خلقه للكفر به والإشراك، وإنما خلقهم لعبادته ليرحمهم .

الحادي عشر: أن النعيم من موجب أسمائه وصفاته، والعذاب إنما هو من أفعاله، قال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠] .

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ (لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1]﴾ [الأعراف/ ١٦٧] .

وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامه.

فإن قيل: فالعذاب صادر عن عزته وحكمته وعدله، وهذه أسماء حسنى وصفات كمال فيدوم ما صدر عنها بدوامها.

قيل: لعمر الله إن العذاب صدر عن عزة وحكمة وعدل، وانتهاؤه عند حصول المقصود منه يصدر عن عزة وحكمة وعدل، فلم يخرج العذاب ولا انقطاعه عن عزته وحكمته وعدله، ولكن عند انتهائه تكون عزةً مقرونةً برحمة وحكمةً مقرونةً بجود وإحسان وعفو وصفح، فالعزة والحكم لم

---

(١) في الأصل(هو الغفور الرحيم) والصواب ما أثبته .

(يزولا)[١] ولم ينقصا، بل (يصدر)[٢] جميع ما خلقه ويخلقه وأمر به ويأمر به عن عزته وحكمته .

الثاني عشر: أن العذاب مقصود لغيره لا لنفسه، وأما الرحمة والإحسان والنعيم، فمقصود لنفسه، (فالنعيم والإحسان)[٣] غاية، والألم وسيلة، فكيف (يقابل)[٤] أحدهما بالآخر .

الثالث عشر: أنه سبحانه أخبر أن رحمته وسعت كل شيء[٥] وأن رحمته سبقت غضبه[٦]، وأنه كتب على نفسه الرحمة[٧]، فلابد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وهذا ظاهر جداً .

فإن قيل: فقد قال سبحانه عقيبها: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف/ ١٥٦] إلى آخر الآية، فخرج غيرهم منها لخروجهم من الوصف الذي يستحق به .

---

(١) في (ط) (يزول) .

(٢) في م، ط (صدر) .

(٣) في م، ط (فالإحسان والنعيم) .

(٤) في م، ط (يقاس) .

(٥) قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف/ ١٥٦] .

(٦) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (ص/ ١٨٧)، وأخرجه مسلم بنحوه من حديث أبي هريرة في كتاب (التوبة) باب (في سعة رحمة الله) ح (٢٧٥١) ٣/ ٢١٠٧ .

(٧) قال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

قيل: الرحمة المكتوبة لهؤلاء هي غير الرحمة الواسعة لجميع الخلق، بل هي رحمة خاصة خصهم بها دون غيرهم، وكتبها لهم دون من سواهم، وهم أهل الفلاح الذي لا يعذبون، بل هم أهل الرحمة والفوز والنعيم. وذكر الخاص بعد العام استطراداً، وهو كثير في القرآن. بل قد يستطرد من الخاص إلى العام كقوله: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٩-١٩٠] .

فهذا استطراد من ذكر الأبوين إلى ذكر الذرية. ومن الاستطراد قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ (ٱلدُّنْيَا)[1] بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات/ ٦]، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك/ ٥].

فالتي جعلت رجوماً ليست هي التي زينت بها السماء، ولكن استطرد من ذكر النوع إلى نوع آخر، وأعاد ضمير الثاني على الأول لدخولها تحت جنس واحد .

فهكذا قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف/ ١٥٦] فالمكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة، والمقصود أن الرحمة لا بد أن تسع أهل النار[2]، ولا بد أن تنتهي حيث ينتهي

---

(١) ساقطة من (م) .

(٢) في هذا الكلام من التكلف ما هو ظاهر وواضح. وحسبه رحمه الله أنه مجتهد في ذلك حيث ظن رحمه الله أن الرحمة لا تكون متحققة إلا إذا شملت الكفار. وهذا الأمر غير صحيح؛ فقد روى ابن جرير الطبري أنها لما نزلت ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ =

العلم، كما قالت الملائكة: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر/ ٧].

الرابع عشر: أنه قد صح عنه ﷺ (في)[1] حديث الشفاعة قول أولي العزم[2]: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله»[3].

وهذا صريح في أن ذلك الغضب العظيم لا يدوم، ومعلوم أن أهل النار إنما دخلوها بذلك الغضب، فلو دام ذلك الغضب (العظيم)[4] لدام عذابهم، إذ هو موجب ذلك الغضب. فإذا رضي الرب تبارك وتعالى وزال ذكر الغضب زال موجبه، وهذا كما أن عقوبات الدنيا العامة وبلاءها آثار غضبه، فإذا استمر غضبه استمر ذلك البلاء، فإذا رضي وزال غضبه زال البلاء وخلفته الرحمة .

= قال إبليس: أنا من ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال الله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية. فقالت اليهود: ونحن نتقي ونؤتي الزكاة، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ قال: نزعها الله عن إبليس، وعن اليهود، وجعلها لأمة محمد. سأكتبها للذين يتقون من قومك. انظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٥٧ .

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) أولو العزم: هم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم: نبينا محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى. عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم. وقد ذكرهم الله سبحانه على انفرادهم في موضعين من كتابه في [الأحزاب/ ٧] و[الشورى/ ١٣] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الأنبياء) باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى آخر السورة، ٤/ ١٠٥ من حديث أبي هريرة. ومسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزل فيها) ح(٣٢٧) ٤/ ١٨٤ من حديث أبي هريرة .

(٤) ساقطة من م، ط .

الخامس عشر: أن رضاه أحب إليه من غضبه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، ورحمته أحب إليه من عذابه، وعطاءه أحب إليه من منعه. وإنما يقع الغضب والعقوبة والمنع بأسباب تناقض موجب تلك الصفات والأسماء، وهو سبحانه كما يحب أسماءه وصفاته، فإنه [1] يحب آثارها وموجبها كما في الحديث أنه: « وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة، عفو يحب العفو »[2].

وهو شكور يحب الشاكرين، عليم يحب العالمين، (جواد يحب أهل الجود)[3]

(١) ساقطة من (ط).

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، إنما كل جزء منه ورد في حديث مستقل. قوله: « وتر يحب الوتر» : أخرجه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (لله عز وجل مائة اسم غير واحد) ٧/ ١٦٩، ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب (في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) ح(٢٦٧٧) ٣/ ٢٠٦٢.

قوله: «جميل يحب الجمال»: رواه مسلم في كتاب (الإيمان) باب (تحريم الكبر وبيانه) ح(١٤٧) ١/ ٩٣.

قوله: «نظيف يحب النظافة»: رواه الترمذي في كتاب (الأدب) باب (ما جاء في النظافة) ح (٢٧٩٩) ٥/ ١١١ من حديث سعيد بن المسيب، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف).

قوله: «عفو يحب العفو» : أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب (الدعوات) باب (٨٥) ح(٣٥١٣)٥/ ٥٣٤، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأحمد في مسنده من حديث عائشة ٦/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٣، وابن ماجة في سننه في كتاب (الدعاء) باب (الدعاء بالعفو والعافية) ح(٣٨٥٠)٢/ ١٢٦٥.

(٣) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب (الأدب) باب (ما جاء في النظافة) ح(٢٧٩٩) ٥/ ١١١ من حديث سعيد بن المسيب، قال أبو عيسى (هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف).

(حَيِيٌّ [سِتِّير][١] يحب أهل الحياء والستر)[٢]، صبور يحب الصابرين[٣]، رحيم يحب الرحماء. فهو يكره ما يضاد ذلك، ولذلك كره الكفر والفسوق والعصيان[٤] والظلم والجهل، لمضادة هذه الأوصاف لأوصاف كماله، (فلا بد أن يكون المترتب على هذه الأوصاف أكره إليه من الأثر الذي يترتب على الأوصاف)[٥] الموافقة لأسمائه وصفاته، ولكن يريده سبحانه لاستلزامه ما يحبه ويرضاه، فهو مراد له إرادة اللزوم المقصودة لغيرها، إذ هي مفضية إلى ما يحب، فإذا حصل بها ما يحبه وأدت إلى الغاية (المقصودة)[٦] له سبحانه، لم تبق مقصودة لا لنفسها ولا لغيرها، فتزول وتخلفها أضدادها التي هي أحب إليه سبحانه منها، وهي موجب أسمائه وصفاته. فإن فهمت سر هذا الوجه، وإلا فجاوزه إلى ما قبله، ولا تعجل بإنكاره .

هذا وسر المسألة أنه سبحانه حكيم رحيم، إنما يخلق بحكمة ورحمة، فإذا عذب من يعذب لحكمة كان هذا جارياً على مقتضاها، كما يوجد في الدنيا

---

(١) في الأصل (ستار) والصواب ما أثبته من (م) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب (الحمام) باب (النهي عن التعري) ح(٤٠١٢)٤/ ٣٠٤.
وأخرجه النسائي بنحوه في كتاب (الغسل والتيمم) باب (الاستتار عند الاغتسال) ح(٧) ١/ ٢٠٠، قال الألباني (صحيح) انظر: (صحيح الجامع الصغير وزيادته) ح (١٧٥٢) ٢/ ١٠٨ .

(٣) قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٦] .

(٤) قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات/ ٧] .

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٦) في الأصل (أي المقصودة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

من العقوبات الشرعية والقدرية (إذ فيها)[(١)] من التهذيب والتأديب والزجر والرحمة واللطف ما يزكي النفوس ويطيبها، ويمحصها من شرها وخبثها .

والنفوس الشريرة الظالمة التي لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب، لعادت لما نهت عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام [(٢)] التي تنافي الكذب والشر والظلم. فإذا عذبت هذه النفوس بالنار عذاباً يخلصها من ذلك الشر ويخرج خبثها كان هذا معقولاً في الحكمة، كما يوجد في عذاب الدنيا، وخلق من فيه الشر يزول بالتعذيب من تمام الحكمة .

أما خلق نفوس شريرة لا يزول شرها البتة، وإنما خلقت للشر المحض وللعذاب السرمد الدائم بدوام خلقها سبحانه، فهذا لا يظهر موافقته للحكمة والرحمة، وإن دخل تحت القدرة، فدخوله تحت الحكمة والرحمة ليس بالبين[(٣)].

فهذا ما وصل إليه النظر في هذه المسألة التي [تكع][(٤)] [(٥)] فيها عقول العقلاء، وكنت سألت عنها شيخ الإسلام قدس الله روحه، فقال لي: (هذه [المسألة][(٦)] عظيمة كبيرة)، ولم يجب فيها بشيء، فمضى على ذلك زمن

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس/ ٢٥].

(٣) قلت: لا يلزم أن تظهر الحكمة في كل أمر يأمر الله به أو نهي ينهى عنه، بل يكفي أن نعرف حكم الله سبحانه في هذه المسألة أو غيرها، ثم علينا التصديق والانقياد لأمر الله سبحانه، سواء ظهرت لنا الحكمة أم لا. ولا شك أن النقل الصحيح يوافق العقل الصحيح.

(٤) في الأصل (بلغ) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) (تكع) أي تضعف وتجبن .

(٦) في الأصل (مسألة) .

حتى رأيت في تفسير [عبد][(١)] بن حميد الكشي[(٢)] بعض تلك الآثار التي ذكرت، فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير، وعلَّمت على ذلك الموضع، وقلت [للرسول][(٣)]: قل له (إن)[(٤)] هذا الموضع (مشكل)[(٥)] عليه، ولا يدري ما هو، فكتب فيها مصنفه المشهور[(٦)] رحمه الله عليه، فمن كان عنده فضل علم فليحدثه، فإن فوق كل ذي علم عليماً .

وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[(٧)] [رضي الله عنه][(٨)]، فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة، ثم قال: « ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء »[(٩)] .

وعلى مذهب عبد الله بن عباس[(١٠)] رضي الله عنهما حيث يقول: « لا

---

(١) في الأصل (عبيد) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) في (الأصل) (للرسل) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من م، ط .

(٥) في م، ط، (يشكل) .

(٦) يعني كتاب شيخ الإسلام (الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك) مطبوع عام ١٤١٥هـ تحقيق د/ محمد السمهري .

(٧) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة، من السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في رمضان سنة أربعين. انظر: شذرات الذهب ١/ ٤٩، الإصابة ٢/ ٥٠٧ .

(٨) في الأصل (كرم الله وجهه) ولعل الأولى ما أثبته .

(٩) لم أعثر عليه. وقد ذكره الألباني في مقدمة كتاب (رفع الأستار) ص٣٦ ولم يخرجه .

(١٠) سبق ترجمته ص (١٤٢) .

ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً»[١] . وذكر في تفسير قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام/ ١٢٨] .

وعلى مذهب أبي سعيد الخدري[٢] حيث يقول: انتهى القرآن كله إلى هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧][٣] .

وعلى مذهب قتادة[٤] حيث يقول في قوله :﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود/ ١٠٨] الله أعلم بتبيينه على ما وقعت[٥] .

وعلى مذهب ابن زيد[٦] حيث يقول: «أخبرنا الله الذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/١٠٨] ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار»[٧] .

والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله عز وجل بما يفعله،

---

(١) سبق بيان أن هذا الأثر منقطع . انظر: ص (٣٢٩) .

(٢) سبقت ترجمته ص (٣٢٩) .

(٣) أورد السيوطي هذا الأثر في تفسيره، وقال: أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي. الدر المنثور ٣/ ٣٥٠ .كما أورده الشوكاني في تفسيره. انظر فتح القدير ٢/ ٥٢٧ .

(٤) سبقت ترجمته ص(٣٢٦) .

(٥) أورده السيوطي باختلاف يسير في (الدر المنثور) ٣/ ٣٥٠، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٦) سبقت ترجمته ص (١٠١٨) .

(٧) ذكره ابن جرير في تفسيره قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا وهب، قال: قال ابن زيد في يقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ، ثم ذكره. كما ذكره السيوطي في (الدر المنثور) ٣/ ٣٥٠ قال: «أخرج ابن جرير عن ابن زيد ...» ثم ذكره .

فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك، وإلا كان قولاً بغير علم، والنصوص لا تفهم ذلك[١] . والله أعلم .

فصل

وهاهنا مذاهب أخرى باطلة، منها قول من قال: إنهم يعذبون في النار مدة لبثهم في الدنيا[٢] . وقول من قال: إنها تتقلب عليهم طبيعة نارية يلتذون بها كما يلتذ صاحب الجرب بالحك[٣] .

وقول من يقول: إنها تفنى هي والجنة جميعاً، ويعودان عدماً (محضاً)[٤][٥]

وقول من يقول: تفنى حركتهما، ويبقى (أهلها)[٦] في سكون دائم[٧]. ولم يوفق للصواب في هذا الباب غير الصحابة رضوان الله عليهم ومن سلك سبيلهم، وبالله التوفيق .

فصل

فإن قيل: فما الحكمة في كون الكفار أكثر من المؤمنين، وأهل النار أضعاف أضعاف أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ

---

(١) للرد على ذلك راجع الدراسة .

(٢) ذكره الزجاج عن أهل المعاني . انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٠٠ .

(٣) هذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي. انظر: شرح الطحاوية ص ٤٢٧، وحادي الأرواح ص ٢٤٨ .

(٤) ساقطة من م، ط .

(٥) وهذا قول جهم وشيعته . انظر: شرح الطحاوية ص٤٢٧ وحادي الأرواح ص٢٤٩ .

(٦) في الأصل (أهلهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٧) هذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة . انظر: شرح الطحاوية ص٤٢٧، وحادي الأرواح ص ٢٤٩. وهناك أقوال أخرى في المسألة . انظر: حادي الأرواح ص ٢٤٨-٢٤٩ .

حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٣] ، وقال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ / ١٣] .

وبَعْثُ النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وواحد إلى الجنة[1] وكيف نشأ هذا عن الرحمة (الواسعة)[2] الغالبة وعن الحكمة البالغة؟ وهلا كان الأمر بضد من ذلك؟

قيل: هذا السؤال من أظهر الأدلة على قول الصحابة والتابعين في هذه المسألة، وأن الأمر يعود إلى الرحمة التي وسعت كل شيء وسبقت الغضب وغلبته، وعلى هذا فاندفع السؤال بالكلية .

ثم نقول: المادة الأرضية اقتضت حصول التفاوت في النوع الإنساني، كما في المسند والترمذي عنه ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فكان منهم الخبيث والطيب، والسهل والحزن»[3]، وغير ذلك .

فاقتضت مادة النوع الإنساني تفاوتهم في أخلاقهم وإراداتهم وأعمالهم، ثم اقتضت حكمة العزيز الحكيم أن ابتلى المخلوق من هذه المادة بالشهوة والغضب، والحب والبغض، ولوزامها، وابتلاه بعدوه الذي لا يألوه خبالاً، ولا يغفل عنه، ثم ابتلاه مع ذلك بزينة الدنيا، وبالهوى الذي أمر بمخالفته، وهذا على ضعفه وحاجته .

وزُيِّن له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب

---

(١) تقدم تخريجه وهو صحيح .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٦، وأبو داود في كتاب (السنة) باب (في القدر) ح(٤٦٩٣) ٥/ ٦٧، والترمذي في كتاب (تفسير القرآن) باب (ومن سورة البقرة) ح(٢٩٥٥) ٥/ ٢٠٤ وقال: (هذا حديث حسن صحيح). وقد تقدم ص١١٨٨ .

والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث[1]، وأمره بترك قضاء أوطاره وشهواته في هذه الدار الحاضرة العتيدة المشاهدة إلى دار أخرى، غايته إنما تحصل فيها بعد طي الدنيا والذهاب بها .

وكان مقتضى الطبيعة الإنسانية أن لا يثبت على هذا الابتلاء أحد، وأن يذهب الناس كلهم مع ميل الطبع ودواعي الغضب والشهوة، فلم يحل بينهم وبين ذلك خالقهم وفاطرهم، بل أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبيَّن لهم مواقع رضاه وغضبه، ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم أكمل اللذات في دار النعيم، فلم تقو عقول الأكثرين على إيثار الآجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا (الحاضر العاجل)[2] المشاهد، وقالوا: كيف يباع نقد حاضر، وهو قبض باليد، بنسيئة مؤخرة وعدنا بحصولها عد طي الدنيا وخراب العالم؟ ولسان حال أكثرهم يقول: خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به. فساعد التوفيق الإلهي من علم أنه يصلح لمواقع فضله، فأمده بقوة إيمان وبصيرة، رأى في ضوئها حقيقة الآخرة ودوامها، وما أعد الله فيها لأهل طاعته وأهل معصيته، ورأى حقيقة الدنيا وسرعة انقضائها، وقلة وفائها، وظلم شركائها، وأنها كما وصفها الله تعالى لعب ولهو وزينة وتفاخر بين أهلها وتكاثر في الأموال والأولاد، وأنها كغيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفراً، ثم يكون حطاماً[3] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران/ ١٤] .

(٢) في (ط) (العاجل الحاضر) .

(٣) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد/ ٢٠] .

فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لا نألف غيرها. وحكمت العادات (فظهر)[١] سلطان الهوى. وساعده داعي النفوس وتقاضاه موجب الطباع، وغلب الحس على العقل، وكانت الدولة له والناس على دين الملك .

ولا ريب أن الذي يخرق هذه الحجب (كلها)[٢]، ويقطع هذه العلائق، ويخالف [العوائد][٣]، ولا يستجيب (لدواعي)[٤] الطبع، ويعصي سلطان الهوى، ولا يكون إلا الأقل. ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاءً لهذا الصنف من المادة الترابية، لخفة النار وطيشها، وكثرة [تنقلها][٥] وسرعة حركتها، وعدم ثباتها، (وأما)[٦] المادة الملكية (فبريئة)[٧] من ذلك، فلذلك كان المخلوق (منها)[٨] خيراً كله، فالعقلاء المخاطبون مخلوقون من هذه المواد الثلاث .

واقتضت الحكمة أن يكونوا على هذه الصفة والخلقة، ولو كانوا على غير ذلك، لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء، وتنوع العبودية، وظهور آثار الأسماء والصفات .

فلو كان أهل الإيمان والخير هم الأكثرين الغالبين، لفاتت مصلحة الجهاد وتوابعه، التي هي من أجلِّ أنواع العبودية، وفات الكمال المترتب على ذلك،

---

(١) في م، ط (قهر) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في الأصل (العوائق) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (الدواعي) .

(٥) في الأصل (تغلبها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في م، ط (الماء) .

(٧) في (ط) (فتربه) .

(٨) ساقطة من م، ط .

فلا أحسن مما (اقتضته)[1] حكمة أحكم الحاكمين في المخلوق من هذه المواد .

ثم إنه سبحانه يخلِّص ما في المخلوق من [تينك][2] المادتين من الخبث والشر ويمحصه، ويستخرج طيِّبه إلى دار الطيبين، ويُلقي (خبيثه)[3] حيث تلقى الخبائث والأوساخ. وهذا غاية الحكمة، كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد والصفر .

[فخلاصة][4] هذه المواد وطيبها أقل من وسخها و[خبثها][5] والناس زرع الأرض، والخير الصافي من الزرع بعد [زوانه وقصله][6] (وعصفه)[7] وتبنه أقل من بقية الأجزاء، وتلك الأجزاء [كالسور][8] له والوقاية، كالحطب والشوك للثمر، والتراب والحجارة للمعادن النفيسة .

فصل

الوجه السابع والثلاثون: قوله: وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب؟ فكم لله في ذلك من حكم باهرة. منها حصول

---

(١) في ط (اقتضاه) .

(٢) في الأصل (تلك) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) في الأصل (الخلاصة) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في الأصل (خبثها) .

(٦) زوانه: الزوان بالكسر حب يخالط البر، والزوان بالضم مثله، وقد يهمز المضموم.
قصله: بسكون الصاد وفتحها: تنقيته. تقول: قصلت البر: إذا نقيته، والقُصالة بالضم: ما يعزل من البر إذا نُقي. انظر: مختار الصحاح ص (٢٤٥، ٤٧٤) .

(٧) عصفه: العصف بقل الزرع. عن الفراء، وقال الحسن: في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه . انظر: مختار الصحاح (٣٨٤) .

(٨) في جميع النسخ (كالصور) ولعل الصواب ما أثبته .

فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لا نألف غيرها. وحكمت العادات (فظهر)[1] سلطان الهوى. وساعده داعي النفوس وتقاضاه موجب الطباع، وغلب الحس على العقل، وكانت الدولة له والناس على دين الملك .

ولا ريب أن الذي يخرق هذه الحجب (كلها)[2]، ويقطع هذه العلائق، ويخالف [العوائد][3]، ولا يستجيب (لدواعي)[4] الطبع، ويعصي سلطان الهوى، ولا يكون إلا الأقل. ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاءً لهذا الصنف من المادة الترابية، لخفة النار وطيشها، وكثرة [تنقلها][5] وسرعة حركتها، وعدم ثباتها، (وأما)[6] المادة الملكية (فبريئة)[7] من ذلك، فلذلك كان المخلوق (منها)[8] خيراً كله، فالعقلاء المخاطبون مخلوقون من هذه المواد الثلاث .

واقتضت الحكمة أن يكونوا على هذه الصفة والخلقة، ولو كانوا على غير ذلك، لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء، وتنوع العبودية، وظهور آثار الأسماء والصفات .

فلو كان أهل الإيمان والخير هم الأكثرين الغالبين، لفاتت مصلحة الجهاد وتوابعه، التي هي من أجلِّ أنواع العبودية، وفات الكمال المترتب على ذلك،

---

(١) في م، ط (قهر) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في الأصل (العوائق) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (الدواعي) .

(٥) في الأصل (تغلبها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في م، ط (الماء) .

(٧) في (ط) (فتربه) .

(٨) ساقطة من م، ط .

فلا أحسن مما (اقتضته)[1] حكمة أحكم الحاكمين في المخلوق من هذه المواد .

ثم إنه سبحانه يخلِّص ما في المخلوق من [تينك][2] المادتين من الخبث والشر ويمحصه، ويستخرج طيِّبه إلى دار الطيبين، ويُلقي (خبيثه)[3] حيث تلقى الخبائث والأوساخ. وهذا غاية الحكمة، كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد والصفر .

[فخلاصة][4] هذه المواد وطيبها أقل من وسخها و[خبثها][5] والناس زرع الأرض، والخير الصافي من الزرع بعد [زوانه وقصله][6] (وعصفه)[7] وتبنه أقل من بقية الأجزاء، وتلك الأجزاء [كالسور][8] له والوقاية، كالحطب والشوك للثمر، والتراب والحجارة للمعادن النفيسة .

فصل

الوجه السابع والثلاثون: قوله: وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب؟ فكم لله في ذلك من حكم باهرة. منها حصول

---

(١) في ط (اقتضاه) .

(٢) في الأصل (تلك) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) في الأصل (الخلاصة) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في الأصل (خبثها) .

(٦) زوانه: الزوان بالكسر حب يخالط البر، والزوان بالضم مثله، وقد يهمز المضموم. قصله: بسكون الصاد وفتحها: تنقيته. تقول: قصلت البر: إذا نقيته، والقُصالة بالضم: ما يعزل من البر إذا نُقي. انظر: مختار الصحاح ص (٢٤٥، ٤٧٤) .

(٧) عصفه: العصف بقل الزرع. عن الفراء، وقال الحسن: في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه . انظر: مختار الصحاح (٣٨٤) .

(٨) في جميع النسخ (كالصور) ولعل الصواب ما أثبته .

محبوبه من عبودية الصبر والجهاد، وتحمل الأذى فيه، والرضا عنه في السراء والضراء، والثبات على عبوديته وطاعته مع قوة (المعارض)[1] وغلبته وشوكته، وتمحيص أوليائه من أحكام البشرية ودواعي الطباع ببذل نفوسهم له وأذى أعدائه لهم، وتمييز الصادق من الكاذب، ومن يريد (الله)[2] ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حرف[3]، وليحصل له مرتبة الشهادة التي هي من أعلى المراتب[4] .

ولا شيء أبر عند الحبيب من بذل محبة نفسه في مرضاته ومجاهدة عدوه، (فلله كم) [5] في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة .

وإذا شئت أن تعلم ذلك، فتأمل الآيات من أواخر آل عمران من قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران/ ١٣٧] إلى قوله: ﴿[إِنَّمَا][6] ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٧٥] إلى قوله: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ

---

(١) في الأصل (العارض) ولوع الصواب ما أثبته من (ط) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج/ ١١] .

(٤) ورد من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة. أراه قال: وفوقه عرش الرحمن ..» الحديث أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد والسير) باب (درجات المجاهدين في سبيل الله) ٣/ ٢٠١ .

(٥) في (ط) (فكم الله) .

(٦) ساقطة من الأصل .

يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران/ ١٧٩] .

فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط، ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والعفو والحِلم وكظم الغيظ، ولا حلاوة النصر والظفر والقهر، فإن الأشياء يظهر حسنها بأضدادها، ولولا ذلك التسليط لم يستوجب الأعداء المحقَ والإهانة والكبت، فاستخرج ذلك من القوة إلى الفعل ما عند أوليائه، فاستحقوا كرامتهم عليه، وما عند أعدائه فاستحقوا عقوبتهم عليه، فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين، وهو العزيز الحكيم .

الوجه الثامن والثلاثون: قوله: وأي حكمة في تكليف الثقلين وتعرضهم بذلك للعقوبة وأنواع المشاق؟

فاعلم أنه لولا التكليف، لكان خلق الإنسان عبثاً وسدى، والله يتعالى عن ذلك. وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون / ١١٥] .

وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة / ٣٦] .

قال الشافعي[١]: « لا يؤمر ولا ينهى »[٢] .

---

(١) هو: محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله، الشافعي. ولد بغزة من بلاد الشام، وقيل بعسقلان، وقيل باليمن، ونشأ بمكة. أحد أئمة المذاهب الأربعة، سمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم. حدث عنه الحميدي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وسليمان بن داود الهاشمي، وخلق سواهم. توفي سنة أربع ومائتين. انظر: حلية الأولياء ٩/ ٦٣، طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠، الوافي بالوفيات ٢/ ١٩١ .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٠٨ وهو مروي أيضاً عن مجاهد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (انظر المصدر السابق) .

ومعلوم أن ترك الإنسان كالبهائم مهملاً معطلاً مضاد للحكمة، فإنه خلق لغاية كماله، وكماله أن يكون عارفاً بربه، محباً له، قائماً بعبوديته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/ ٥٦]. وقال: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق/ ١٢]. وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٧] .

فهذه المعرفة وهذه العبودية هما غاية الخلق والأمر، وهما أعظم كمال الإنسان، والله تعالى من عنايته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال، وهيأ له أسبابه الظاهرة والباطنة، ومكنه منها .

ومدار التكليف على الإسلام والإيمان والإحسان، وهي ترجع إلى شكر النعم[١] كلها، دقيقها وجليلها منه، وتعظيمه وإجلاله ومعاملته، بما يليق أن يعامل به، فتذكر آلاؤه، ويشكر فلا يكفر، ويطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، هذا مع تضمن التكليف لاتصاف العبد بكل خلق جميل، (وإتيانه)[٢] بكل فعل (حسن)[٣] وقول سديد، واجتنابه لكل خلق سيئ، وترك كل فعل قبيح وقول زور. فتكلفه متضمن لمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال وصدق القول، والإحسان إلى الخليقة، وتكميل نفسه بأنواع الكمالات، وهجر أضداد ذلك والتنزه عنها، مع تعويضه بذلك التكليف للثواب الجزيل الدائم، ومجاورة ربه في دار البقاء.

---

(١) في ط (المنعم) .

(٢) في (ط) (إثباته) .

(٣) في م، ط (جميل) .

فأي الأمرين أليق بالحكمة، هذا أو إرساله [هملاً][1] كالخيل والبغال والحمير يأكل ويشرب وينكح كالبهائم؟ (وهل يقتضي)[2] كماله المقدس ذلك؟ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

وكيف يليق بذلك الكمال طي بساط الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وترك إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع، وتقرير الأحكام؟ وهل عرف الله من جوز عليه خلاف ذلك؟ وهل ذلك إلا من سوء الظن به؟ قال تعالى: ﴿وَمَا [قَدَرُواْ][3] ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام/ ٩١] .

فحسن التكليف في العقول كحسن الإحسان والإنعام والتفضل والطول، بل هو من أبلغ أنواع الإحسان والإنعام. ولهذا (سمى سبحانه)[4] ذلك نعمة ومنة وفضلاً ورحمةً، وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعم المشتركة بين الأبرار والفجار. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم/ ٢٨]. فنعمة الله هاهنا (هي)[5] نعمته بمحمد ﷺ وما بعثه به من الهدى ودين الحق.

وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ (أَنفُسِهِمْ)[6] يَتْلُواْ

---

(١) في الأصل (عملاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من (م) وفي (ط) (أيقتضي) .

(٣) في الأصل (قدر) .

(٤) في الأصل (سبحانه سمى) والأولى ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في م، ط (منهم) .

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ (لَمَّا)[1] يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة/ ٢-٤] .

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ (وَبِرَحْمَتِهِۦ)[2] فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس/ ٥٨] .

وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة/ ٣] .

وقال: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة/ ٢٣١] .

وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ [لَعَنِتُّمْ][3] وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات/ ٧، ٨] .

---

(١) في (ط) (لما لم) .

(٢) في من ط (ورحمته) .

(٣) في الأصل (لعندتم) والصواب ما أثبته .

وقال لرسوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣].

وهل النعمة والفضل في الحقيقة إلا ذلك وتوابعه وثمراته في القلوب والأبدان والدنيا[١] والآخرة؟ وهل في العقول السليمة والفطر المستقيمة أحسن من ذلك وأليق بكمال الرب وأسمائه وصفاته؟.

الوجه التاسع والثلاثون: قوله في مناظرة الأشعري[٢] للباجي[٣] في الإخوة الثلاثة الذين مات أحدهم صغيراً، وبلغ الآخر كافراً، والثالث مسلماً[٤]، إنها مناظرة كافية (في)[٥] إبطال الحكمة والتعليل ورعية الأصلح. فلعمر الله إنها مبطلة لطريقة أهل البدع من المعتزلة[٦] والقدرية[٧] الذين يوجبون على ربهم مراعاة الأصلح لكل عبد، وهو الأصلح عندهم (وفي ظنهم)[٨]، فيشرعون له شريعة بعقولهم، ويحجرون عليه، ويحرمون عليه أن يخرج عنها، ويوجبون عليه القيام بها، ولذلك كانوا من أحمق الناس وأعظمهم تشبيهاً للخالق بالمخلوق في أفعاله، وأعظمهم تعطيلاً (له)[٩] عن

(١) في (ط) (في الدنيا) .

(٢) سبقت ترجمته ص (١٠٩٤) .

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) انظرك الملل والنحل بهامش الفصل ١/ ١١٨-١١٩ . طبقات الشافعية ٢/ ٢٥٠-٢٥١ .

(٥) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) سبق تعريفهم .

(٧) سبق تعريفهم .

(٨) ما بينهما ساقط من (ط) .

(٩) ساقطة من م، ط .

صفات كماله، فنزهوه عن صفات الكمال، وشبهوه بخلقه في الأفعال، وأدخلوه تحت الشريعة الموضوعة بآراء الرجال، وسموا ذلك عدلاً وتوحيداً بالزور والبهتان، وتلك تسمية ما أنزل الله بها من سلطان [(١)] .

فالعدل قيامه بالقسط في أفعاله، والتوحيد إثبات صفات كماله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨-١٩] .

فهذا التوحيد والعدل الذي جاء به المرسلون، وذلك التوحيد والعدل الذي جاء به المعطلون .

والمقصود أن هذه المناظرة ، وإن أبطلت قول هؤلاء وزلزلت قواعدهم، فإنها لا تبطل حكمة الله التي اختص بها دون خلقه، وطوى بساط الإحاطة بها عنهم، ولم يطلعهم منها إلا على ما نسبته إلى ما خفي عنهم كقطرة من بحار الدنيا[(٢)] . فكم [لله][(٣)] سبحانه من حكمة في ذلك الذي (اخترمه)[(٤)(٥)] صغيراً، وحكمة في الذي مد له في العمر [حتى][(٦)] بلغ وأسلم، وحكمة في

---

(١) انظر: الملل والنحل بهامش الفصل ١/ ٥٤-٥٦ .

(٢) يشير إلى حديث أبي بن كعب الطويل، وفيه: « .. قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر». الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب (الأنبياء) باب (حديث الخضر مع موسى) ١٢٨/٤ .

(٣) في الأصل (فكم له). والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في (ط) (أخرمه) .

(٥) (أخرمه صغيراً) أي أماته، يقال: اخترمته المنية: أي أخذته، ويقال: اخترم الوباء ونحوه القوم: خرمهم: أي استأصلهم وأفناهم. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٣٠ .

(٦) في الأصل (حين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

الذي أبقاه حتى بلغ وكفر .

ولو كان كل من علم أنه إذا بلغ يكفر يخترمه صغيراً، لتعطل الجهاد والعبودية التي يحبها [الله][1] ويرضاها، ولم يكن هناك (معارض)[2] وكان الناس أمة واحدة، ولم تظهر آياته وعجائبه في الأمم، ووقائعه وأيامه في أعدائه، وإقامة الحجج وجدال أهل الباطل [بما يدحض][3] شبههم[4] وينصر الحق ويظهره على الباطل، وإلى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم التي لا يحصيها إلا الله .

والله سبحانه يحب ظهور (أثر)[5] أسمائه وصفاته في الخليقة. فلو اخترم كل من علم أنه يكفر إذا بلغ لفات ذلك، وفواته مناف لكمال تلك الأسماء والصفات واقتضائها لآثارها، وقد تقدم بسط ذلك أتم من هذا[6] .

الوجه الأربعون: قوله: إنه سبحانه رد الأمر إلى محض (مشيئته)[7] بقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت/ ٢١]، وقوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة/ ٢٨٤]، وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر/٨] وقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٣] .

---

(١) زيادة من م، ط .

(٢) في الأصل (تعارض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (فاندحض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (شبهتهم) .

(٥) ساقطة من (ط) .

(٦) انظر: مثلاً الباب الحادي والعشرين .

(٧) في (ط) (مشيئة) .

فهذا كله حق، ولكن أين فيه إبطال حكمته وحمده والغايات المحمودة المطلوبة بفعله، وأنه لا يفعل شيئاً لشيء، ولا يأمر بشيء لأجل شيء، ولا سبب لفعله ولا غاية ؟ .

أفترى أصحاب الحكمة والتعليل يقولون: إنه لا يفعل بمشيئته، أو إنه يسأل عما يفعل؟ بل يقولون: إنه يفعل (بمشيئته مقارنة)[1] للحكمة والمصلحة، ووضع الأشياء مواضعها، وإنه يفعل ما يشاء بأسباب وحكم، ولغايات مطلوبة وعواقب حميدة، فهم مثبتون لملكه (وحمده)[2]، وغيرهم يثبت ملكاً بلا حمد، أو نوعاً من الحمد مع هضم الملك. (والرب)[3] تعالى له كمال الملك وكمال الحمد، [فكونه][4] يفعل ما يشاء [لا][5] يمنع أن يشاء بأسباب وحكم وغايات، وأنه لا يشاء إلا ذلك .

وأما قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٣]، فهذا لكمل علمه وحكمته، لا لعدم ذلك .

وأيضاً فسياق الآية في معنى آخر، وهو إبطال إلهية من سواه، وإثبات (الألهية)[6] له وحده. فإنه سبحانه قال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٢١-٢٣] .

---

(١) في م، ط (بمشيئته مقارناً) .

(٢) في م، ط (وحده) .

(٣) في م، ط (إذ الرب) .

(٤) في الأصل (وكونه) .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في (ط) (الألوهية) .

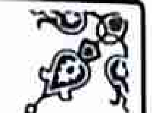
فأين في هذا ما يدل على إبطال (الحكمة)[1] والتعليل بوجه من الوجوه؟ ولكن أهل الباطل يتعلقون بألفاظ نزلوها على باطلهم لا (تدل) [2] عليهم، وبمعان متشابهة يشتبه فيها الحق بالباطل، فعمدتهم المتشابه من الألفاظ والمعاني، فإذا فصلت وبينت يتبين أنها لا دلالة فيها، وأنها مع ذلك تدل على نقض مطلوبهم. وبالله التوفيق .

* * *

(١) ساقطة من م، ط .

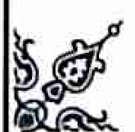
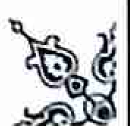
(٢) في (ط) (تنزل)





الباب الرابع والعشرون

في معنى قول السلف: من أصول الإيمان الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره



الباب الرابع والعشرون
(في معنى)[1] قول السلف، من أصول الإيمان (الإيمان)[2] بالقدر خيره وشره حلوه ومره

قد تقدم أن القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه[3]، فإنه علم الله وقدرته (وكتابته)[4] ومشيئته، وذلك خير محض وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه[5]، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر، ويكون شراً بالنسبة [إلى محل، وخيراً بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيراً بالنسبة][6] إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود، وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم[7] لما

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في الأصل (والإيمان) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) انظر: الباب الحادي والعشرين.

(٤) في م، ط (وكتابه).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وفيه): «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك» سبق تخريجه. انظر: ص (٩٧٦).

(٦) ما بينهما زيادة من (م)، (ط).

(٧) قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٩].

فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض[١].

وكذلك الآلام والأمراض، وإن كانت شروراً من وجه، فهي خيرات من وجوه عديدة، وقد تقدم تقرير ذلك[٢]. فالخير والشر من جنس اللذة والألم والنفع والضرر، وذلك في المقتضى المقدر، لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به، فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه، فعدل وخير وحكمة ومصلحة، كما يأتي في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله.

فإن قيل: فما الفرق بين كون القدر خيراً وشراً، وكونه حلواً ومراً؟ قيل: الحلاوة والمرارة تعود إلى مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشر يرجع إلى حسن العاقبة وسوئها. فهو حلو ومر في مبدئه وأوله، وخير وشر في منتهاه وعاقبته.

وقد أجرى الله سبحانه سنته وعادته أن حلاوة الأسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل، ومرارتها تعقب الحلاوة، فحلو الدنيا مر الآخرة. وقد اقتضت حكمته [سبحانه][٣] أن جعل اللذات تثمر الآلام، والآلام تثمر اللذات. والقضاء والقدر منتظم لذلك انتظاماً لا يخرج (عنه)[٤] شيء البتة. والشر مرجعه إلى (اللذات)[٥] وأسبابها. (والخير مرجعه إلى

(١) قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة/ ٢٥١].

(٢) انظر: الباب الحادي والعشرين.

(٣) زيادة من م، ط.

(٤) في الأصل (منه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (الآلام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

[الآلام[1]] و(أسبابها)[2] .

والخير المطلوب هو اللذات الدائمة، والشر المرهوب هو الآلام الدائمة. فأسباب هذه شرور [وإن][3] اشتملت على لذة ما، وأسباب تلك خيرات وإن اشتملت على ألم [ما][4]، فألم يعقب اللذة الدائمة أولى بالإيثار والتحمل من لذة تعقب الألم الدائم . فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلا لذة، وآلام ساعة في جنب لذة طويلة كلا ألم .

* * *

(١) في الأصل (اللذات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٣) في الأصل (ولذة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) زيادة من (ط) .





الباب الخامس والعشرون

في امتناع إطلاق القول نفيا وإثباتا
إن الرب مريدٌ للشر وفاعلٌ له






الباب الخامس والعشرون
في امتناع إطلاق القول نفيا وإثباتا
إن الرب تعالى مريد للشر وفاعل له

هذا موضع اختلف فيه مثبتو القدر ونفاته. فقال النفاة[١]: لا يجوز أن يقال: إن الله سبحانه مريد للشر أو فاعل له، قالوا: (لأن مريد)[٢] الشر وفاعله شرير. هذا هو المعروف لغة وعقلاً وشرعاً، كما أن الظالم فاعل الظلم، والفاجر فاعل الفجور ومريده، والرب يتعالى ويتنزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له، فإن أسماءه كلها حسنى، وأفعاله كلها خير. فيستحيل أن يريد الشر (أو يفعل الشر)[٣] فالشر ليس بإرادته ولا بفعله .

قالوا: وقد قام الدليل على أن فعله سبحانه (عين)[٤] مفعوله، والشر ليس بفعل له، فلا يكون مفعولاً له .

وقابلهم الجبرية، فقالوا: بل الرب سبحانه يريد الشر ويفعله. وقالوا: لأن الشر موجود، فلا بد له من خالق، ولا خالق إلا الله، وهو سبحانه إنما يخلق بإرادته، فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله. ووافقوا إخوانهم على أن الفعل [عين][٥] المفعول، والخلق نفس المخلوق .

ثم قالوا: والشر مخلوق له ومفعول، فهو فعله وخلقه وواقع بإرادته. قالوا: وإنما لم يطلق القول إنه يريد الشر ويفعل الشر أدباً لفظياً فقط، كما لا

---

(١) يعني القدرية النفاة .

(٢) ما بينهما في م، ط (لا يريد) .

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٤) في ط (غير) .

(٥) في الأصل (غير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

يطلق القول بأنه رب الكلاب والخنازير، ويطلق القول بأنه رب كل شيء وخالقه.

قالوا: وأما قولكم: إن الشرير مريد الشر وفاعله، فجوابه من وجهين:

أحدهما: إنما (يمتنع)[1] ذلك بأن الشرير من قام به الشر، وفعل الشر لم يقم بذات الرب، فإن أفعاله لا تقوم به؛ إذ هي نفس مفعولاته، وإنما هي قائمة بالخلق، ولذلك اشتقت لهم منها الأسماء، كالفاجر والفاسق والمصلي والحاج والصائم ونحوها.

الجواب الثاني: أن أسماء الرب تعالى توقيفيةٌ. ولم يسم نفسه إلا بأحسن الأسماء. قالوا: والرب تعالى أعظم من أن يكون في ملكه ما لا يريده ولا يخلقه، فإنه في الغالب غير المغلوب.

وتحقيق القول في ذلك أنه يمتنع إطلاق إرادة الشر عليه وفعله، نفياً وإثباتاً لما في إطلاق لفظ الإرادة والفعل من إيهام المعنى الباطل، ونفي المعنى الصحيح؛ فإن الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا.

فالأول: كقوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود/ ٣٤].

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ [الأنعام/ ١٢٥]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ الإسراء/ ١٦].

الثاني: كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء/ ٢٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

فالإرادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد، ولا تستلزم محبته والرضا به، وبالمعنى الثاني لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته (والرضا به، هذا إذا

---

(١) في م، ط (يمنع).

تعلقت الإرادة بأفعال العباد، وأما إذا تعلقت بأفعاله هو سبحانه)[١] فإنها لا تنقسم، بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له، ففرق بين إرادة أفعاله وإرادة مفعولاته، فإن أفعاله خير كلها، وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه.

وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام.

وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة: إن الفعل غير المفعول، والخلق غير المخلوق، كما هو الموافق للعقول، والفطر، واللغة، ودلالة القرآن والحديث، وإجماع أهل السنة، كما حكاه البغوي[٢] في شرح السنة عنهم.

وعلى هذا، فهاهنا إرادتان ومرادان: إرادة أن يفعل، ومرادها فعله القائم به. وإرادة أن يفعل عبده، ومرادها مفعوله المنفصل عنه. وليسا بمتلازمين، فقد يريد من عبده أن يفعل، ولا يريد من نفسه إعانته على الفعل، وتوفيقه له وصرف موانعه عنه، كما أراد من إبليس أن يسجد لآدم[٣] ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود، ويوافقه له، ويثبت قلبه عليه، ويصرفه إليه. ولو أراد ذلك منه لسجد له لا محالة .

وقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود/ ١٠٧، البروج/ ١٦] إخباره عن إرادته لفعله لا لأفعال عبيده. وهذا الفعل والإرادة لا ينقسم إلى خير وشر

---

(١) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٢) البغوي هو الإمام العلامة المفسر المحدث الفقيه، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. توفي سنة ٥١٦هـ . انظر: العبر ٢/ ٤٠٦، شذرات الذهب ٤/ ٤٨ .

(٣) قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤] .

كما تقدم[1].

وعلى هذا فإذا قيل هو مريد للشر أوهم أنه محب له وراض به. وإذا قيل: إنه لم يرده أوهم أنه (لم)[2] يخلقه ولا كونه، وكلاهما باطل.

وكذلك إذا قيل: إن الشر فعله، أو إنه يفعل الشر، أوهم أن الشر فعله القائم به، وهذا محال. وإذا قيل: لم يفعله، أو ليس بفعل له، أوهم أنه لم يخلقه ولم يكونه، وهذا محال. فانظر ما في إطلاق هذه الألفاظ في النفي والإثبات من الحق والباطل الذي يتبين بالاستفصال والتفصيل.

وإن الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى: (وصفاً)[3] ولا فعلاً، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق/ ١-٢] فـ (ما) هاهنا موصولة أو مصدرية. والمصدر بمعنى المفعول، أي: من شر الذي خلقه، أو من شر مخلوقه.

وقد يحذف فاعله، كقوله حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن / ١٠]، وقد يسند إلى محله القائم به؛ كقول إبراهيم الخليل[4]: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ

---

(١) انظر: ص (١٢٠٥).

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) في ط (لا وصفاً).

(٤) إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، كان يكنى أبا الضيفان، ولد إبراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها (برزة) في جبل يقال له (قاسيون) وقيل: (ببابل) =

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء/ ٧٨-٨٠].

وقول الخضر(١): ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف/ ٧٩]، وقال في بلوغ الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف/ ٨٢].

وقد جمع الأنواع الثلاثة في الفاتحة في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٦-٧].

والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ [إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ](٢)﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وأخطأ من قال: المعنى: بيدك الخير والشر(٣) لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف. بل ترك ذكره قصداً وبياناً أنه ليس بمراد .

الثاني: أن الذي بيد الرب تعالى نوعان، فضل وعدل، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل

= وهو من أولي العزم من الرسل دعا قومه إلى توحيد الله فكذبوه، وكسر أصنامهم، فقذفوه في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً كما قص الله ذلك في كتابه .

انظر: البداية والنهاية ١/ ١٣٢ .

(١) سبقت ترجمته .

(٢) ما بينهما زيادة من (م)، (ط) .

(٣) انظر: زاد المسير ١/ ٣٦٩ .

والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنه لم يغض ما في يمينه، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»[1]. فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى، وكلاهما خير لا شر فيه بوجه.

الثالث: أن قول النبي ﷺ: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»[2] كالتفسير للآية. ففرق بين الخير والشر، وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء.

فصل

والرب تعالى يشتق له من أوصافه (ومن)[3] أفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته، فكل اسم من أسمائه، فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به[4]، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق والمنفصل (لسمي)[5] متكوناً وساكناً ومتحركاً وطويلاً وأبيض وغير ذلك؛ لأنه خالق هذه الصفات.

فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك ـ مع أنه خالقه ـ علم (أنه)[6] إنما يشتق أسماءه من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق

---

(١) سبق تخريجه ص (٩٩٦).

(٢) سبق تخريجه ص (٩٧٦).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) لكن هذا مشروط بورود تسمية الله تعالى بذلك بنص من الكتاب والسنة أو أحدهما؛ وذلك لأن أسماء الله توقيفية. فما ورد به نص أطلقناه على الله، وما لم يرد تسميته به، ولكن ورد ذكره كصفة له تعالى نطلقها عليه كصفة، ولا نشتق له تعالى منها اسماً.

(٥) في (ط) (يسمى).

(٦) ساقطة من م، ط.

منفصل عنه، ولا يتسمى باسمه .

ولهذا كان قول من قال: إنه يسمى متكلماً بكلام منفصل عنه خلقه في غيره[١]، ومريداً (بإرادة)[٢] منفصلة عنه، وعدلاً بعدل مخلوق منفصل، (وخالقاً بخلق منفصلاً عنه هو المخلوق)[٣] قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل واللغة، مع تناقضه في نفسه (فإنه إن)[٤] اشتق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم طرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه، وإن خص ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض [كان][٥] تحكماً لا معنى له. وحقيقة قول هؤلاء أنه لم يقم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا إرادة، ولا فعل البتة، ومن تَجَهَّم[٦] منهم نفي حقائق الصفات، وقال: لم تقم به صفة ثبوتية، فنفوا صفاته وردوها إلى (السلوب)[٧][٨] والإضافات[٩].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص (١٦٩) .

(٢) في الأصل (بإرادته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (هو المخلوق وخالقاً بخلق منفصل عنه مخالفاً ...) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (فإن) .

(٥) في الأصل (كما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) أي اعتقد مذهب الجهمية .

(٧) في (م) (السكوت) .

(٨) السلوب: هو النفي كنفي الأسماء والصفات. انظر: التعريفات للجرجاني ص(١٢١)، المعجم الوسيط (١/ ٤٤٠) .

(٩) الإضافات: هي اعتقادهم أن الصفات منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه لا أنها صفات قائمة به. ولهذا يقول كثير منهم، إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات). مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية (٥/ ٤١١-٤١٢). فهم يجعلونها إما من باب السلوب =

والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنه لم يغض ما في يمينه، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»[١]. فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى، وكلاهما خير لا شر فيه بوجه.

الثالث: أن قول النبي ﷺ: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»[٢] كالتفسير للآية. ففرق بين الخير والشر، وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء.

فصل

والرب تعالى يشتق له من أوصافه (ومن)[٣] أفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته، فكل اسم من أسمائه، فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به[٤]، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق والمنفصل (لسمي)[٥] متكوناً وساكناً ومتحركاً وطويلاً وأبيض وغير ذلك؛ لأنه خالق هذه الصفات.

فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك ـ مع أنه خالقه ـ علم (أنه)[٦] إنما يشتق أسماءه من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق

---

(١) سبق تخريجه ص (٩٩٦).

(٢) سبق تخريجه ص (٩٧٦).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) لكن هذا مشروط بورود تسمية الله تعالى بذلك بنص من الكتاب والسنة أو أحدهما؛ وذلك لأن أسماء الله توقيفية. فما ورد به نص أطلقناه على الله، وما لم يرد تسميته به، ولكن ورد ذكره كصفة له تعالى نطلقها عليه كصفة، ولا نشتق له تعالى منها اسماً.

(٥) في (ط) (يسمى).

(٦) ساقطة من م، ط.

منفصل عنه، ولا يتسمى باسمه .

ولهذا كان قول من قال: إنه يسمى متكلماً بكلام منفصل عنه خلقه في غيره[١]، ومريداً (بإرادة)[٢] منفصلة عنه، وعدلاً بعدل مخلوق منفصل، (وخالقاً بخلق منفصلاً عنه هو المخلوق)[٣] قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل واللغة، مع تناقضه في نفسه (فإنه إن)[٤] اشتق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم طرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه، وإن خص ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض [كان][٥] تحكماً لا معنى له. وحقيقة قول هؤلاء أنه لم يقم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا إرادة، ولا فعل البتة، ومن تَجَهَّمَ[٦] منهم نفي حقائق الصفات، وقال: لم تقم به صفة ثبوتية، فنفوا صفاته وردوها إلى (السلوب)[٧][٨] والإضافات[٩].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص (١٦٩) .

(٢) في الأصل (بإرادته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (هو المخلوق وخالقاً بخلق منفصل عنه مخالفاً ...) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (فإن) .

(٥) في الأصل (كما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) أي اعتقد مذهب الجهمية .

(٧) في (م) (السكوت) .

(٨) السلوب: هو النفي كنفي الأسماء والصفات. انظر: التعريفات للجرجاني ص(١٢١)، المعجم الوسيط (١/ ٤٤٠) .

(٩) الإضافات: هي اعتقادهم أن الصفات منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه لا أنها صفات قائمة به. ولهذا يقول كثير منهم، إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات). مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية (٥/ ٤١١-٤١٢). فهم يجعلونها إما من باب السلوب =

ونفوا أفعاله، وردوها إلى المصنوعات المخلوقات .

وحقيقة هذا أن أسماءه تعالى ألفاظ فارغة عن المعاني لا حقائق لها، وهذا من الإلحاد فيها، وإنكار أن تكون حسنى. وقد قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وقد دل القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصفاً؛ كقوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨] .

وقوله: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود/ ١٤] .

وقوله ﷺ: « **لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلق** »(١).

وقول عائشة(٢): « **الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات** »(٣) .

= السلوب أو الإضافة فيقولون مثلاً (معنى كونه مريداً أنه غير مغلوب ولا مكره، أو بمعنى كونه خالقاً وآمراً) المصدر السابق (٥/ ٣٥٥) .

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (في قوله عليه السلام: « **إن الله لا ينام** ») ح(١٧٩)١/ ١٦١ .

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، روت عن النبي ﷺ كثيراً وعن أبيها وعمر وحمزة بن عمرو الأسلمي وسعد بن أبي وقاص، وروت عنها أختها أم كلثوم بنت أبي بكر، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث، وغيرهم . توفيت في السابع عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين، ودفنت بالبقيع. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥، طبقات ابن سعد ٨/ ٥٨، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٣٣ .

(٣) جزء من حديث رواه البخاري تعليقاً في كتاب (التوحيد) باب ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ ٨/ ١٦٧، ووصله النسائي في كتاب (النكاح) باب (الظهار) ٦/ ١٦٧، =

وقوله ﷺ: «أعوذ برضاك من سخطك»[1].

وقوله: «أسألك (بعلمك)[2] الغيب وقدرتك على الخلق»[3].

وقوله: «أعوذ بعزتك أن تضلني»[4].

ولولا هذه المصادر لانتفت حقائق الأسماء والصفات والأفعال، فإن أفعاله [غير][5] صفاته وأسماؤه [غير][6] أفعاله وصفاته، فإذا لم يقم به فعل ولا صفة، فلا معنى للاسم المجرد، وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئاً، وهذا غاية الإلحاد.

* * *

= وأحمد في المسند ٦/ ٤٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨١، وصححه ووافقه الذهبي. كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٧٣.

(١) سبق تخريجه ص (١٣١).

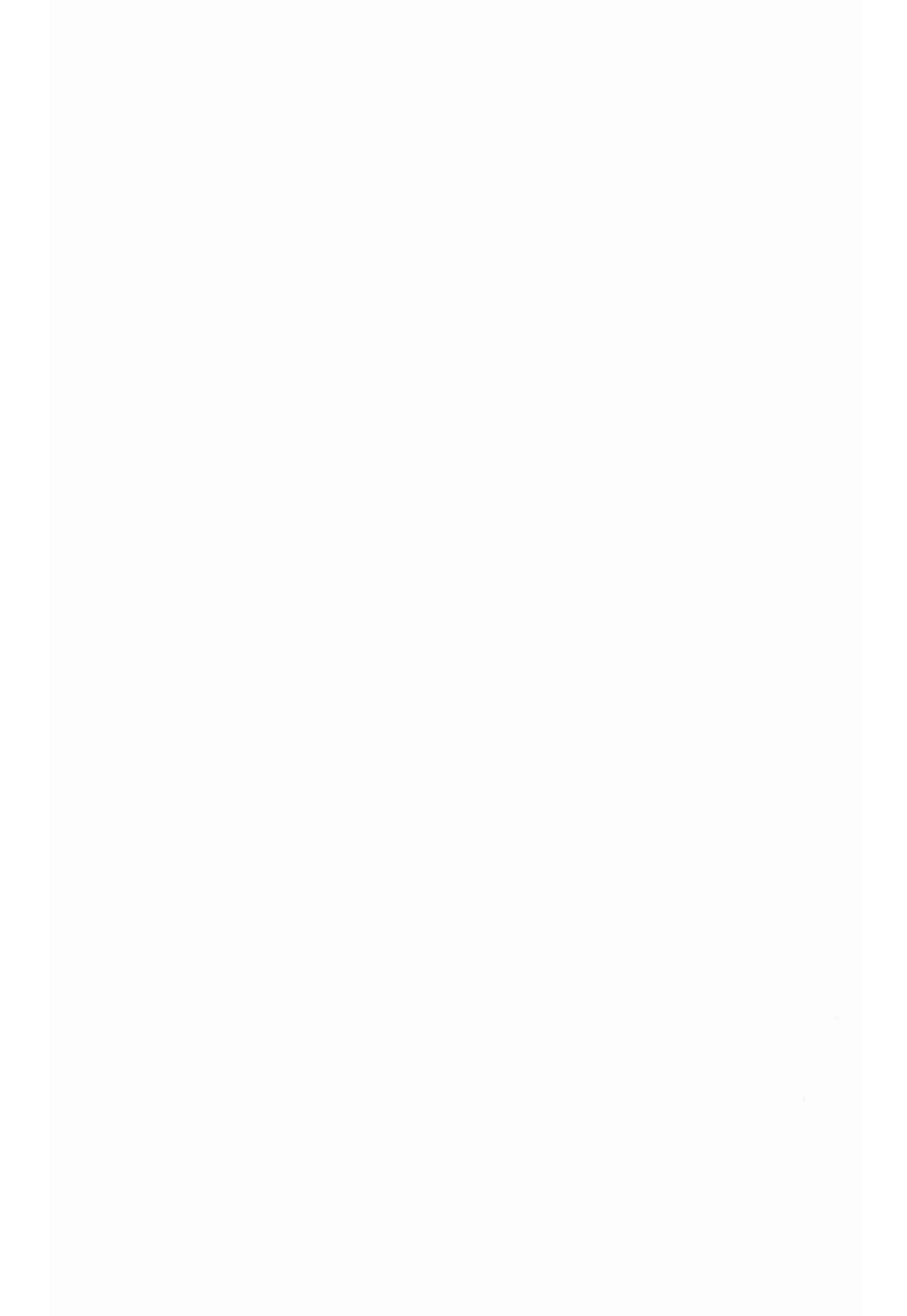
(٢) ساقط من (ط).

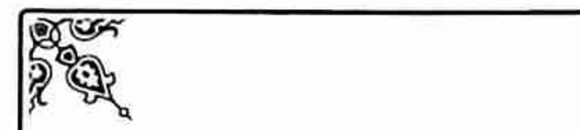
(٣) جزء من حديث رواه النسائي ٣/ ٥٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٢٤، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ٨/ ١٦٧.
ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل) ح(٢٧١٧)٣/ ٢٠٨٦.

(٥) في الأصل (عن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل (عن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.






الباب السادس والعشرون

فيما دلَّ عليه قوله ﷺ: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك ... »




الباب السادس والعشرون

فيما دل عليه قوله ﷺ: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[(١)] من تحقيق القدر وإثباته وما تضمنه الحديث من الأسرار العظيمة

وقد دل هذا الحديث (الشريف)[(٢)] العظيم على أمور: منها أنه يستعاذ بصفات الرب تعالى كما يستعاذ بذاته. وكذلك يستغاث بصفاته كما يستغاث بذاته. كما في الحديث « يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى (أحد)[(٣)] من خلقك »[(٤)].

وكذلك قوله في الحديث الآخر: « أعوذ بعزتك أن تضلني »[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في (ط) (حد) .

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٢٠، ١٥٨) وأبو داود في كتاب (الصلاة) باب (الدعاء) ح(١٤٩٥) من حديث أنس. والترمذي في كتاب (الدعوات) باب (خلق الله مائة رحمة) ح (٣٥٤٤)٥/ ٥٥٠، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس، وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس). والنسائي في كتاب (السهو) باب (الدعاء بعد الذكر) ٣/ ٥٢ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٣-٥٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، كما صححه ابن القيم. انظر: ص (١٣٥٦ و١٣٥٧) .

(٥) سبق تخريجه ص (١٣٣١) .

وكذلك استعاذته بكلمات الله التامات[١] وبوجهه الكريم (ويعظمته)[٢][٣].

وفي هذا ما يدل على أن هذه صفات ثابتة وجودية، إذ لا يستعاذ بالعدم، وأنها قائمة به غير مخلوقة، إذ لا يستعاذ بالمخلوق (وبهذا احتج الإمام أحمد[٤] وغيره من أئمة السنة على أن كلمات الله غير مخلوقة)[٥] وهو احتجاج صحيح، فإن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق، ولا يستغيث به، ولا يدل أمته على ذلك.

ومنها: أن العفو من صفات الفعل القائمة به، وفهي رد على من زعم أن فعله عين مفعوله[٦]، فإن المفعول مخلوق، ولا يستعاذ به.

ومنها: أن بعض صفاته وأفعاله سبحانه أفضل من بعض، فإن المستعاذ به (منها)[٧] أفضل من المستعاذ منه، وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل (من صفة الغضب)[٨]، ولذلك كان لها الغلبة والسبق، وكذلك كلامه سبحانه هو

---

(١) استعاذته ﷺ بكلمات الله التامات رواها الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب (الذكر) باب (في التعوذ من سوء القضاء) ح(٢٨٠٩) ٣/ ٢٠٨١.

(٢) في ط (وتعظيمه).

(٣) الاستعاذة بوجه الله الكريم، وبوجه الله العظيم. رواها الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤١٩) والإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٥١) في كتاب (الشعر) باب (ما يؤمر به من التعوذ) وقد ذكره الإمام مالك مرسلاً.

(٤) سبقت ترجمته ص(١٤٠).

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٦) ومن هؤلاء القدرية والجبرية.

(٧) ساقطة من (ط).

(٨) في الأصل زيادة (من بعض فإن المستعاذ به صفة الغضب) لا حاجة لها فيما يظهر، ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

صفته، ومعلوم أن كلامه الذي يثني به على نفسه، ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم .

ولهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تبت، وكانت تعدل ثلث القرآن[١] دونها، وكانت آية الكرسي[٢] أفضل آية في القرآن، ولا تصغ إلى قول من غلظ حجابه إن الصفات قديمة، والقديم لا يتفاضل، فإن الأدلة السمعية والعقلية تبطل قوله .

وقد جعل سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير وأهل السعادة بيده اليمنى، وما كان من العدل والقبض بيده الأخرى، ولهذا جعل أهل السعادة في قبضته اليمنى، وأهل الشقاوة في القبضة الأخرى، والمقسطون على منابر من نور عن يمينه، والسماوات مطويات بيمينه، والأرض (باليد الأخرى)[٣][٤] .

---

(١) ورد في ذلك عدة أحاديث صحيحة، منها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له. وكأن الرجل يتقالها. فقال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن** » رواه البخاري في كتاب (فضائل القرآن) باب (فضل قل هو الله أحد) ٦/ ١٠٥ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة قيمة في ذلك بعنوان (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن﴿قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن .

(٢) ورد في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القويم﴾ فضرب في صدري، وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**». صحيح مسلم. كتاب (في صلاة المسافرين) باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي) ح (٨١٠/ ٥٥٦) .

(٣) في م، ط (بالأرض) .

(٤) قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

ومنها أن الغضب والرضا، والعفو والعقوبة، لما كانت متقابلة استعاذ بأحدهما من الآخر، فلما جاء إلى الذات المقدسة التي لا ضد لها ولا مقابل، قال: «وأعوذ بك منك» فاستعاذ بصفة الرضا من صفة الغضب، وبفعل العفو من فعل العقوبة، والموصوف بهذه الصفات والأفعال منه. وهذا يتضمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره، فإن الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره، وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فالمستعاذ منه إما وصفه، وإما فعله، وإما مفعوله الذي هو أثر فعله، والمفعول ليس إليه نفع ولا ضر ولا يضر إلا بإذن خالقه، كما قال تعالى في أعظم ما يتضرر به العبد وهو السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة/ ١٠٢] .

فالذي يستعاذ منه هو بمشيئته وقضائه وقدرته، وإعاذته منه وصرفه عن المستعيذ إنما هو بمشيئته أيضاً وقضائه وقدرته، فهو المعيذ من قدره بقدره، ومما يصدره عن مشيئته (وإرادته)[1] بما يصدره عن مشيئته (وإرادته)[2]، والجميع واقع بإرادته الكونية والقدرية، فهو يعيذ منه هو، بل المستعاذ منه خلق له، فهو الذي يعيذ عبده من نفسه بنفسه، فيعيذه مما يريده به (بما)[3] يريده (منه)[4] .

فليس هناك أسباب مخلوقة لغيره يستعيذ منها المستعيذ به كما يستعيذ من

---

(١) في الأصل (وأذنه) ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) في الأصل (وأذنه) ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) في الأصل (ربما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل، (ط) (به) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(رجل ظلمه)[١] وقهره برجل أقوى (منه)[٢] أو نظيره، فالمستعاذ منه الذنوب وعقوباتها، والآلام وأسبابها، والسبب من قضائه، والمسبب من قضائه، [والإعاذة][٣] بقضائه، فهو الذي يعيذ من قضائه بقضائه، فلم يعذ إلا بما قدره. وشاءه (قدر)[٤] الاستعاذة منه وشاءها، وقدر الإعاذة وشاءها.

فالجميع قضاؤه وقدره وموجب مشيئته (فتنجت)[٥] هذه الكلمة التي لو قالها غير الرسول ﷺ لبادر (المتكلم)[٦] الجاهل إلى إنكارها وردها، إنه لا يملك الضر والنفع والخلق والأمر والإعاذة غيرك، وأن المستعاذ منه بيدك وتحت تصرفك، ومخلوق من خلقك فما استعذت إلا بك، ولا استعذت إلا منك، وهذا نظير قوله في الحديث الآخر: « **لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك** »[٧].

فهو الذي ينجي من نفسه بنفسه، ويعيذ من نفسه بنفسه، وكذلك الفرار، يفر عبده منه إليه، وهذا كله تحقيق للتوحيد والقدر، وأنه لا رب غيره، ولا

---

(١) في الأصل (ظلمه رجل) ولعل الصواب ما أثبته من (ط) .

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) في الأصل (الإيمان) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (وذلك) .

(٥) في الأصل (فتحت) ولعل الصواب ما أثبته من (ط) .

(٦) في الأصل (المتعلم) ولعل الصواب ما أثبته من (ط) .

(٧) جزء من حديث دعاء النوم رواه البراء بن عازب رضي الله عنه: **أن النبي ﷺ أوصى رجلاً، فقال: «إذا أردت مضجعك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك...»** الحديث رواه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (ما يقول إذا نام) ٧/ ١٤٧ . ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) ح(٢٧١٠) ٣/ ٢٠٨١ .

خالق سواه، ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل الأمر كله لله ليس لأحد سواه منه شيء، كما قال تعالى لأكرم خلقه عليه (وأحبهم)[1] إليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران/ ١٢٨] .

وقال جواباً لمن قال: ﴿هَل لَّنَا (مِنَ)[2] ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[3] [آل عمران/ ١٥٤]، فالملك كله له، والأمر كله له، والحمد كله له، والشفاعة كلها له، والخير كله في يديه، وهذا تحقيق تفرده بالربوبية والإلهية[4]، فلا إله غيره، ولا رب سواه ﴿قُلْ (أَفَرَءَيْتُم)[5] مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر/ ٣٨].

---

(١) في (ط) (وأحسنهم)

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) قال ابن جرير: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج، قال: قيل لعبدالله بن أُبَيٍّ: قتل بنو الخزرج اليوم! قال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ قيل: إن الأمر كله لله. انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٢٢ .
وقال في (زاد المسير) (قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ عبدُالله بن أُبي، والذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ معتب بن قشير). انظر: زاد المسير ١/ ٤٨٢ .

(٤) في (ط) (الألوهية) .

(٥) في م، ط (أريتم) .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام/ ١٧].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فاطر/ ٢].

فاستعِذْ به منه، وفِر منه إليه، واجعل لجأك منه إليه، فالأمر كله له، لا يملك أحد معه منه شيئاً، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بإذنه مشيئته، يصيب بذلك من يشاء، ويصرفه عمن يشاء.

فأعرف الخلق به (وأقواهم)[1] بتوحيده من قال في دعائه «أعوذ بك منك»، فليس للخلق معاذ سواه، ولا مستعاذ منه إلا وهو ربه، وخالقه ومليكه، وتحت قهره وسلطانه .

ثم ختم (هذا)[2] الدعاء بقوله: **«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»** اعترافاً بأن شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيه أحد من الخلق، أو بلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه، (فهذا)[3] توحيد في الأسماء والصفات والنعوت، وذاك توحيد في العبودية والتأله، وإفراده تعالى بالخوف والرجاء والاستعاذة، وهذا (يضاده)[4] الشرك، وذاك مضاده التعطيل، وبالله التوفيق .

---

(١) في (الأصل) (وأقومهم) ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في (ط) (فهو) .

(٤) في م، ط (مضاده) .



الباب السابع والعشرون

في دخول الإيمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد والحكمة تحت قول النبي ﷺ: « ماضٍ فيَّ حُكمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤك »، وبيان ما في هذا الحديث من القواعد







الباب السابع والعشرون
في دخول الإيمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد والحكمة تحت قول النبي ﷺ : « ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك » وبيان ما في هذا الحديث من القواعد

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « ما أصاب عبداً قط هَمٌّ ولا غَمٌّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته [في][1] كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همَّـه وغمَّه، وأبدله مكانـه فرحاً ». قالوا: يا رسول الله: أفلا تعلمهن؟ قال: «بلى ينبغي لمن سمعهن[2] أن يتعلمهن»[3] .

فقد دل هذا الحديث الصحيح على أشياء: منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب، فالهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب، والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب أو حصول مكروه، إذا تذكره أحدث له حزناً. والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم.

فهذه المكروهات (الثلاث)[4] هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه، وقد

(١) في الأصل (على) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في (ط) (يسمعهن) .

(٣) سبق تخريجه ص (١٣٣) .

(٤) ساقطة من م، ط .

تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تبايناً لا يحصيه إلا الله، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها .

وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة، (كمن)[1] يتداوى منها بالمعاصي على (اختلاف أنواعها)[2] من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الأصوات المطربة، وغير ذلك .

فأكثر سعي بني آدم أو كله إنما هو هذه الأمور، والتخلص منها كلها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي (وضعه)[3] الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره. وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد/ ١٩]. وفي الحديث: (قال[4] الشيطان: أهلكت)[5] بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك بثيت فيهم الأهواء»، فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد، وهو: « **لا إله إلا الله العظيم الحليم لا**

---

(١) في (ط) (لمن) .

(٢) في م، (ط) (اختلافها) .

(٣) في (ط) (وصفه) .

(٤) في (ط) (فإن الشيطان يقول أهلك) .

(٥) ساقطة من (م) .

إله إلا (الله)[١] رب العرش العظيم لا إله إلا (الله)[٢] رب السموات (السبع)[٣] ورب الأرض رب العرش الكريم »[٤] .

وفي الترمذي[٥] وغيره عن النبي ﷺ: « دعوة أخي ذي النون (ما دعا بها)[٦] مكروب إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين »[٧] .

فالتوحيد يدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة ترفع المانع، وتزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، وإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه، وإذا انقطع عنه حصرته الهموم والغموم والأحزان، وأتته من كل طريق، ودخلت عليه من كل باب.

فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب للهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقاً منه ومن آياته .

ثم أتبع ذلك باعترافه بأنه في قبضته وملكه، وتحت تصرفه، ويكون ناصيته

---

(١) في (ط) هو .

(٢) في (ط) هو .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) رواه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (الدعاء عند الكرب)٧/ ١٥٤. ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (دعاء المكروب) حديث (٢٧٣٠).

(٥) سبقت ترجمته ص (١٤٢، ١٢٨٨) .

(٦) في (ط) (ما دعاها) .

(٧) رواه الترمذي في كتاب (الدعوات) باب (٨٢) ح(٣٥٠٥) ٥/ ٥٢٩، وأحمد في المسند (١/ ١٧٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٢) وصححه، ووافقه الذهبي. قال الألباني في « صحيح الجامع » (٣٣٧٨) : صحيح .

في يده يصرفه كيف يشاء. كما [يقاد][(١)] من أمسك بناصيته شديد القوى لا يستطيع إلا الانقياد له .

ثم أتبع ذلك بإقراره له بنفاد حكمه فيه، وجريانه عليه شاء أم أبى، وإذا حكم فيه بحكم لم يستطع غيره رده أبداً، وهذا اعتراف لربه بكمال القدرة عليه، واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف، فكأنه قال: أنا عبد ضعيف مسكين يحكم فيه قوي قاهر غالب، وإذا حكم فيه بحكم مضى حكمه فيه ولا بد .

ثم أتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل (معصية)[(٢)] ينفذها (ويفعلها)[(٣)] فيه هذا الحاكم فهي عدل محض (بمشيئته)[(٤)] لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه، فقال: «**ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك**» وهذا يعم جميع أقضيته سبحانه في عبده، قضاؤه السابق فيه قبل إيجاده، وقضاؤه فيه المقارن لحياته، وقضاؤه فيه بعد مماته، وقضاؤه فيه يوم معاده .

ويتناول قضاءه فيه بالذنب، وقضاءه فيه بالجزاء عليه. ومن لم يثلج صدره لهذا ويكون له كالعلم الضروري، لم يعرف ربه وكماله (ولا)[(٥)] نفسه (وعيبه)[(٦)] ولا عدل في حكمه، بل هو جهول ظلوم، فلا علم ولا إنصاف .

وفي قوله عليه السلام: «**ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك**» رد على

---

(١) في الأصل (يعتاد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في م، ط (قضية) .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) في (ط) (منه) .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في (ط) (عينه) .

طائفتي القدرية[1] والجبرية[2]، وإن اعترفوا بذلك بألسنتهم فأصولهم تناقضه. فإن القدرية تنكر قدرته سبحانه على خلق ما به يهتدي العبد غير ما خلقه فيه [وجبله][3] عليه، فليس عندهم لله حكم نافذ في عبده غير الحكم الشرعي بالأمر والنهي .

ومعلوم أنه لا يصح حمل الحديث على هذا الحكم، فإن العبد يطيعه تارة ويعصيه تارة، بخلاف الحكم الكوني القدري فإنه ماض في العبد ولا بد [فإنه][4] بكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر .

ثم قوله بعد ذلك: « عدل فيَّ قضاؤك » دليل على (أنه)[5] سبحانه عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله، وخيره وشره، وحلوه ومره، فعله وجزائه؛ فدل الحديث على الإيمان بالقدر، والإيمان بأن الله عادل فيما قضاه، فالأول التوحيد، والثاني العدل .

وعند القدرية النفاة لو كان حكمه فيه ماضياً، لكان ظالماً بإضلاله وعقوبته[6]. أما القدرية الجبرية فعندهم الظلم لا حقيقة له، بل هو الممتنع لذاته، الذي لا يدخل تحت القدرة. فلا يقدر الرب تعالى عندهم على ما

---

(١) سبق تعريفهم .

(٢) سبق تعريفهم .

(٣) في الأصل م ، (وجعله) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٤) في (ط) (قائمة) وفي (م) (فاتمه) .

(٥) في م ، ط (أن الله) .

(٦) انظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٤٠٢ – مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٠-٥١٢) .

يسمى ظلماً، حتى يقال ترك الظلم وفعل العدل[١]. فعلى قولهم لا فائدة من قوله: « **عدلٌ فيَّ قضاؤك** »، بل هو بمنزلة أن يقال نافذ في قضاؤك ولابد. وهو معنى قوله: « **ماضٍ في حكمك** »، فيكون [تكريراً][٢] لا فائدة فيه .

وعلى قولهم، فلا يكون ممدوحاً بترك الظلم، إذ لا يمدح بترك المستحيل لذاته، ولا فائدة في قوله: « **إني حرمت الظلم على نفسي** »[٣] (أو يصير)[٤] معناه: إني حرمت على نفسي ما لا يدخل تحت قدرتي وهو المستحيلات، ولا فائدة في قوله: ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه/ ١١٢]، فإن كل أحد لا يخاف من المستحيل لذاته أن يقع، ولا فائدة في قوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر/ ٣١] ولا في قوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق / ٢٩] [فنفوذ][٥] حكمه في عباده بملكه، وعدله فيهم بحمده، وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود ﷺ أنه قال: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٤٠٣ – مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٠-٥١٢) .

(٢) في الأصل (بكرى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) يشير إلى الحديث القدسي الطويل عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه : « **قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...** » الحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تحريم الظلم) ح(٢٥٧٧) ٣/ ١٩٩٤. وهذا الحديث من الأصول العظيمة التي عليها مدار الإسلام.

(٤) في (ط) (يظن) .

(٥) في الأصل (فيعود) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود/ ٥٦]، فقوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود/ ٥٦] مثل قوله: « ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك »، وقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ مثل قوله: عليه السلام: « عدلٌ فيَّ قضاؤك » أي: لا يتصرف في تلك النواصي إلا بالعدل والحكمة والمصلحة والرحمة، لا يظلم أصحابها، ولا يعاقبهم بما لم [يعملوه][1] ولا يهضمهم حسنات ما عملوه، فهو سبحانه على الصراط المستقيم في قوله وفعله، يقول الحق ويفعل الخير والرشد، وقد أخبر سبحانه في هود أنه على صراط مستقيم في سورة هود وفي سورة النحل[2]، فأخبر في هود أنه على صراط مستقيم في تصرفه في النواصي، التي هي في قبضته وتحت يده، وأخبر في النحل أنه يأمر بالعدل ويفعله.

وقد زعمت الجبرية أن العدل هو المقدور .

وزعمت القدرية أن العدل إخراج أفعال الملائكة والجن والإنس عن قدرته وخلقه، وأخطأت الطائفتان جميعاً في ذلك .

والصواب أن العدل[3] وضع الأشياء في مواضعها التي تليق بها وإنزالها منازلها، كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقد تسمى بالحكم

---

(١) في الأصل ، ط (يعلموه) والصواب ما أثبته من (م) .

(٢) قال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل/ ٧٦] .

(٣) قال في المعجم الوسيط ص ٥٨٨ (العدل): الإنصاف. وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه. وقال في (مختار الصحاح)ص٣٦٧ (العدل) ضد الجور .

العدل[١].

والقدرية تنكر حقيقة اسم الحكم، وترده إلى الحكم الشرعي الديني، وتزعم أنها تثبت حقيقة العدل، والعدل عندهم إنكار القدر، ومع هذا فينسبونه إلى غاية الظلم؛ فإنهم يقولون: إنه يخلد في العذاب الأليم من أفنى عمره في طاعته ثم فعل كبيرة (ومات عليها)[٢].

فإن قيل: فالقضاء بالجزاء عدل هو عقوبة على الذنب (فكيف يكون)[٣] القضاء بالذنب عدلاً على أصول أهل السنة، وهذا السؤال لا يلزم القدرية ولا الجبرية، وأما القدرية فعندهم أنه لم يقض المعصية، وأما الجبرية فعندهم أن كل مقدور عدل، وإنما يلزمكم أنتم هذا السؤال.

قيل: نعم. كل قضائه عدل في عبده، فإنه وضع له في موضعه الذي لا يحسن في غيره، فإنه وضع العقوبة في (موضعها)[٤]، ووضع القضاء بسببها وموجبها في موضعه. فإنه سبحانه كما يجازي بالعقوبة، فإنه يعاقب بنفس قضاء الذنب، فيكون حكمه بالذنب عقوبة على ذنب سابق، فإن الذنوب تكسب بعضها بعضاً، وذلك السابق عقوبة على غفلته عن ربه وإعراضه عنه، وتلك الغفلة والإعراض هي في أصل الجبلة والنشأة، فمن أراد (أن)[٥]

---

(١) ورد تسمية الله سبحانه بذلك في حديث (التسعة والتسعين اسماً) الذي سبق تخريجه في ص (٩٧٦).

(٢) في الأصل (ومات واحدة عليها) ولعل الصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (فيكون).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) زيادة من (ط).

يكمله أقبل بقلبه إليه وجذبه إليه، وألهمه رشده [وألقى][١] فيه أسباب الخير، ومن لم يرد [أن][٢] يكمله تركه وطبعه، وخلى بينه وبين نفسه، لأنه لا يصلح للتكميل، وليس محله أهلاً ولا قابلاً لما (يوضع)[٣] فيه من الخير. وهاهنا انتهى علم العباد بالقدر.

وأما كونه تعالى جعل هذا يصلح وأعطاه ما يصلح له، وهذا لا يصلح، فمنعه ما لا يصلح له، فذاك موجب ربوبيته وإلهيته وعلمه وحكمته، فإنه سبحانه خالق الأشياء وأضدادها، وهذا مقتضى كماله وظهور أسمائه وصفاته كما تقدم تقريره. والمقصود أنه أعدل العادلين في قضائه بالسبب وقضائه بالمسبب. فما قضى في عبده بقضاء إلا وهو واقع في محله الذي لا يليق به غيره، إذ هو الحكم العدل الغني الحميد [٤] .

فصل

قوله: «أسألك بكل اسم (هو لك)[٥] سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[٦] إن كانت الرواية محفوظة هكذا، ففيها إشكال، فإنه جعل ما أنزله في كتابه، أو علمه أحداً من خلقه، أو استأثر به في علم الغيب عنده، قسماً لما سمى به

---

(١) في الأصل (الفي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في م، ط (وضع) .

(٤) قال سبحانه : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحج/ ٦٤] .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) سبق تخريج الحديث بتمامه .

نفسه. ومعلوم أن هذا تقسيم وتفصيل لما سمى به نفسه، فوجه الكلام أن يقال: «سميت به نفسك، فأنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك». فإن هذه الأقسام الثلاثة تفصيل لما سمى به نفسه.

وجواب هذا الإشكال أن ((أو)) حرف عطف، والمعطوف بها أخص مما قبله، فيكون من باب عطف الخاص على العام، فإن ما سمى به نفسه يتناول جميع الأنواع المذكورة بعده، فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام.

فإن قيل: المعهود من عطف الخاص على العام [أن][1] يكون بالواو دون سائر حروف العطف.

قيل: المسوغ لذلك في الواو هو تخصيص المعطوف [بالذكر][2] لمرتبته من بين الجنس واختصاصه بخاصة تميزه[3] منه حتى كأنه غيره، أو (إرادة)[4] لذكره مرتين باسمه الخاص وباللفظ العام، وهذا لا فرق فيه بين العطف بالواو أو بأو، مع أن في العطف بأو على العام فائدة أخرى، وهي بناء لكلام على التقسيم والتنويع كما بني عليه تاماً، فيقال: سميت به نفسك، فإما أنزلته في كتابك، وإما علمته أحداً من خلقك[5].

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في الأصل (بالواو) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (وغيره).

(٤) في م، ط (أو إرادتين).

(٥) قال صاحب كتاب (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه) محمد أمان ص١٨٧ بعد أن نقل هذا الكلام. (قلت: ولا يستبعد لو قيل: إن «أو» هنا بمعنى الواو، وهو أسلوب متبع معروف عند أهل اللغة).

وقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة، بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه. ولهذا لم يقل: بكل اسم خلقته لنفسك. ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها. فإن الله (لا)[1] يقسم عليه بشيء من خلقه.

فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم. وأيضاً فإن أسماءه مشتقة من صفاته، وصفاته قديمة (قائمة)[2] به، فأسماؤه غير مخلوقة .

(فإن قيل: فالاسم عندكم هو المسمى أو غيره؟ قيل: طالما غلط الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى .

وإذا قلت: قال الله كذا، واستوى الله على عرشه، وسمع الله، ورأى وخلق، فهذا المراد به المسمى نفسه .

وإذا قلت: الله [اسم][3] عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، والرحمن وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة، ونحو ذلك، فالاسم هاهنا للمسمى، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال. فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والإلحاد)[4]، فقوله في الحديث: «**سميت به نفسك**» لم يقل: خلقته

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في الأصل (اسمه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) نقل شارح الطحاوية هذا النص بكامله. انظر: شرح الطحاوية ص(١٢٧). وانظر: في بحث مسألة (هل الاسم المسمى أو غيره) فتح الباري (١١/ ٢٢١، ٢٢٢).

لنفسك، ولا قال: سماك به خلقك، دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه، كما سمى نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة بأسمائه.

وقوله: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك» دليل على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماءً وصفاتٍ استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره .

وعلى هذا، فقوله عليه السلام: « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة »[(١)] لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة (أي)[(٢)] له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال: لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدها للجهاد، وهذا قول الجمهور[(٣)]. وخالفهم ابن حزم[(٤)] فزعم أن أسماءه تعالى تنحصر في هذا العدد[(٥)] .

وقد دل الحديث على أن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث، كما في حديث (اسم الله)[(٦)] الأعظم: « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت (الحنان)[(٧)] المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) في الأصل (آن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) انظر: فتح الباري ١١/ (٢٢٠، ٢٢١).

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) انظر: الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل ٢/ ١٦٥ - فتح الباري ١١/ ٢٢١.

(٦) في م، ط (الاسم) .

(٧) ساقطة من م، ط .

حي يا قيوم »[١] .

وفي الحديث الآخر: «أسألك باني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »[٢] .

وفي الحديث الآخر: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق»[٣]. وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان[٤] والإمام أحمد[٥] والحاكم[٦].

---

(١) سبق تخريجه ص (١٣٣٥) .

(٢) رواه أحمد ٤/ ٣٣٨، وأبو داود في كتاب (الصلاة) باب (الدعاء) ح(١٤٩٣) من حديث عبد الله بن بريدة. ورواه الترمذي في كتاب (الدعوات) باب (جامع الدعوات عن النبي ﷺ) ح (٣٤٧٥). قال أبو عيسى : (هذا حديث حسن غريب)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٤)، وقال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي. كما صححه ابن القيم كما ترى في المتن بعد هذا .

(٣) رواه أحمد في مسنده ٤/ ٢٦٤ ، والنسائي في كتاب (السهو) باب (نوع آخر من الدعاء) (٦٢)(٣/ ٥٤ ، وابن أبي شيبــة في المصنف كتاب (الدعــاء) باب (١٦٠٦) (١٠/ ٢٦٤) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٤، ٥٢٥) وقال : هذا (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي .

(٤) هو: محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن مرة، أبو حاتم التميمي البستي الحافظ العلامة صاحب التصانيف، سمع من أبي عبد الرحمن النسائي، وإسحاق بن يونس المنجنيقي، ومحمد بن خزيمة وغيرهم. وحدث عنه أبو عبد الله بن منده وأبو عبد الله الحاكم، ومنصور بن عبد الله الخالدي، وخلق كثير. توفي سنة أربع وخمسين وثلاث مائة بسجستان بمدينة بست. انظر: الوافي بالوفيات ٢/ ٣١٧، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢ .

(٥) سبقت ترجمته ص (١٤٠) .

(٦) هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله الحاكم الضبي الطهماني النيسابوري، الحافظ الكبير، ويعرف بابن البيع، صاحب كتاب =

وهذا تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وقوله: « **أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري** » يجمع أصلين: الحياة والنور، فإن الربيع هو المطر الذي يحيى الأرض، فينبت الربيع، فيسأل الله بعبوديته (له)[١] وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحاً للعالمين ونوراً حياة لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيى به الأرض، ونوراً له بمنزلة الشمس [التي][٢] تستنير بها الأرض، والحياة والنور جماع الخير كله .

قال تعالى: ﴿ (أَوَ)[٣] مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى/ ٥٢] .

فأخبر أنه روح تحصل به الحياة، ونور تحصل به الهداية. فأتباعه لهم الحياة والهداية، ومخالفوه لهم الموت والضلال. وقد ضرب سبحانه المثل لأوليائه وأعدائه بهذين الأصلين في أول سورة البقرة[٤]، وفي وسط سورة النور[٥]،

= (المستدرك) حدث عن الأصم وعثمان بن السماك، وأخذ عنه الحافظ أبوبكر البيهقي، وغيره خلق كثير. مات سنة خمس وأربعمائة. انظر: شذرات الذهب ٣/ ١٧٤ ، العبر ٢/ ٢١٠ ، البداية والنهاية ١١/ ٣٧٩ .

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في الأصل (الذي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) الآيات (١٧-٢٠) من سورة البقرة .

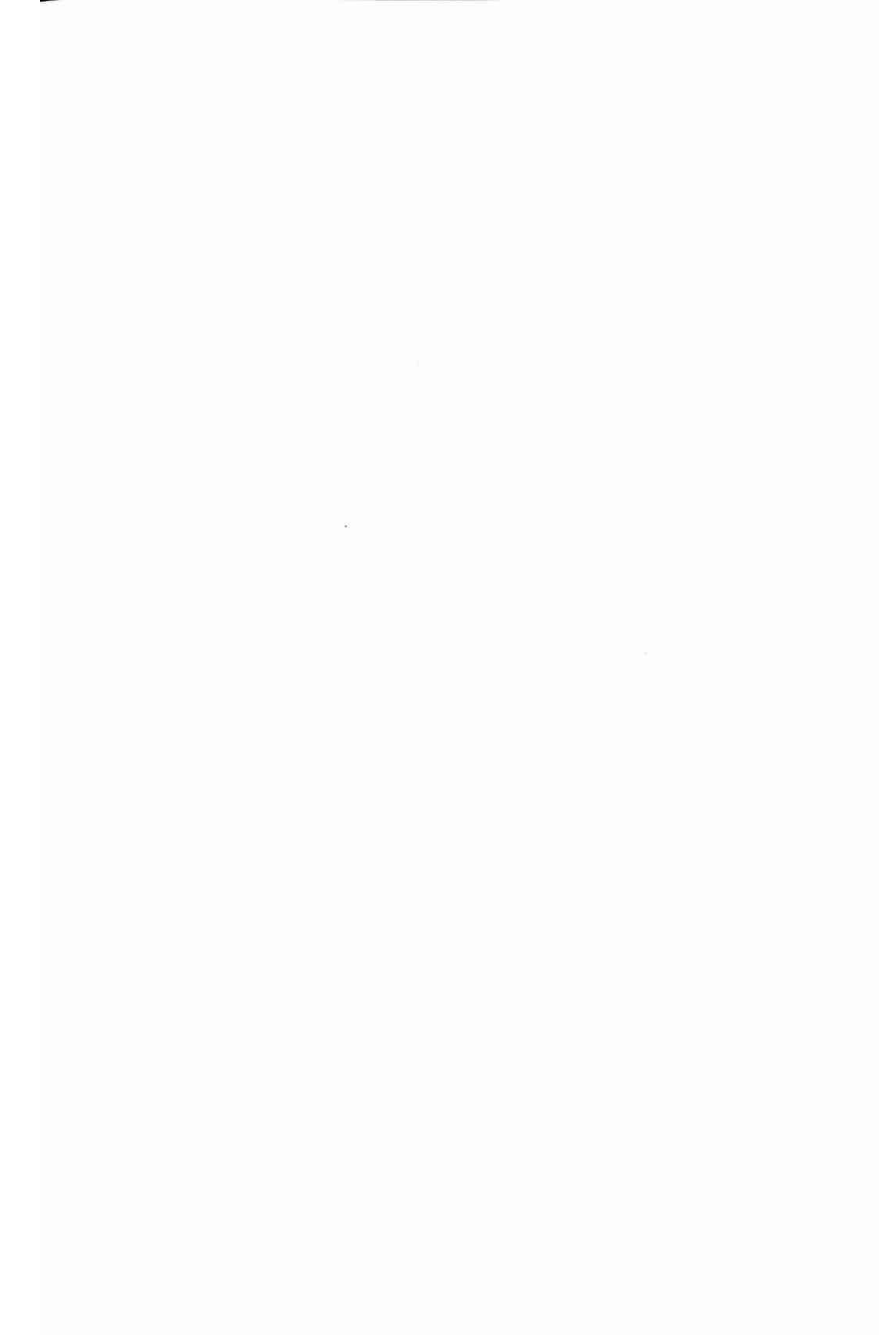
(٥) الآيات (٣٤-٣٥) من سورة النور .

وفي سورة الرعد [١]، وهما المثل المائي والمثل الناري .

وقوله عليه السلام: « **وجلاء حزني وذهاب همي وغمي** » إن جلاء هذا يتضمن إزالة المؤذي الضار، وذلك يتضمن تحصيل النافع السار، فتضمن الحديث طلب أصول الخير كله ودفع الشر، وبالله التوفيق .

* * *

(١) الآيات (١٦-١٧) من سورة الرعد .





الباب الثامن والعشرون

في أحكام الرضا بالقضاء
واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه






الباب الثامن والعشرون
في أحكام الرضا بالقضاء، واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه

هذا الباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، وقد تنازع الناس [فيه][1] هل هو واجب أو مستحب على قولين: هما وجهان لأصحاب أحمد؛ فمنهم من أوجبه، واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله رباً، وذلك واجب. واحتج بأثر إسرائيلي: « من لم يرضَ بقضائي ولم يصبر على بلائي، فليتخذ له رباً سواي » .

ومنهم من قال: هو مستحب غير واجب؛ فإن الإيجاب يستلزم دليلاً شرعياً، ولا دليل يدل على الوجوب، وهذا القول أرجح، فإن الرضا من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات. وقد غلط في هذا الأصل طائفتان أقبح غلط، فقالت القدرية النفاة: الرضا بالقضاء طاعةٌ وقربةٌ، والرضا بالمعاصي لا يجوز، فليست بقضائه وقدره .

وقالت غلاة الجبرية الذين طووا بساط الأمر والنهي: المعاصي بقضاء الله وقدره. والرضا بالقضاء قربة وطاعة. فنحن نرضى بها ولا نسخطها .

واختلفت طرق أهل الإثبات في جواب الطائفتين، (فأجابتهم)[2] طائفة بأن لها وجهين: وجهاً يرضى بها منه، وهو إضافتها إلى الله سبحانه خلقاً ومشيئة، ووجهاً يسخط منه، وهو إضافتها إلى العبد فعلاً واكتساباً .

وهذا جواب جيد، لو وفوا به، فإن الكسب الذي أثبته كثير منهم لا

---

(١) زيادة من (ط) .

(٢) في ط (فأجابهم) .

حقيقة له، إذ هو عندهم مقارنة الفعل للإرادة والقدرة (الحادثة)[١] من غير أن يكون لهما (منه)[٢] تأثير بوجه ما. وقد تقدم الكلام في ذلك بما فيه كفاية.

وأجابهم طائفة أخرى بأن نرضى بالقضاء الذي (هو)[٣] فعل الرب، ونسخط المقضي الذي هو فعل العبد. وهذا جواب جيد لو لم يعودوا عليه بالنقض والإبطال، فإنهم قالوا: الفعل عين المفعول، فالقضاء عندهم نفس المقضي. فلو قال الأولون بأن للكسب تأثيراً في إيجاد الفعل، وإنه سبب لوجوده، وقال الآخرون بأن الفعل غير المفعول لأصابوا في الجواب .

(وأجابهم)[٤] طائفة أخرى بأن من القضاء ما يؤمر بالرضا به .

ومنه ما ينهي عن الرضا به؛ فالقضاء الذي يحبه الله ويرضاه نرضى به والذي يبغضه ويسخطه لا نرضى به .

وهذا كما أن من المخلوقات ما يبغضه ويسخطه وهو خالقه، كالأعيان المسخوطة له، فهكذا الكلام في الأفعال والأقوال سواء .

وهذا جواب جيد غير، أنه يحتاج إلى تمام، فنقول:

الحكم والقضاء نوعان: ديني وكوني :

فالديني: يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام.

والكوني: منه ما يجب الرضا به، كالنعم التي يجب شكرها، ومن تمام

---

(١) في ط (إيجادبه) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) في (ط) (أجابتهم) .

شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا [به][1] كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله، وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب. وفي وجوبه قولان. هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي.

وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابته[2] وتقديره ومشيئته، فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً. فبهذا التفصيل يتبين الصواب، ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس .

فإن قيل: كيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها؟ وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كاره له، والألم يقتضي الكراهة والبغض المضاد للرضا، واجتماع الضدين محال؟.

قيل: الشيء قد يكون محبوباً مرضياً من جهة، ومكروهاً من جهة أخرى، كشرب الدواء النافع الكريه، فإن المريض يرضى به مع شدة كراهته له، وكصوم اليوم الشديد الحر، فإن الصائم يرضى به(مع كراهته) [3] له، وكالجهاد للأعداء، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

فالمجاهد المخلص يعلم أن القتال خير له (فيرضى)[4] به، وهو يكرهه لما فيه من التعرض لإتلاف النفس وألمها ومفارقة المحبوب، ومتى قوي الرضا بالشيء وتمكن انقلبت كراهته محبة، وإن لم يخل من الألم، فالألم بالشيء لا ينفي الرضا

---

(١) زيادة من م، ط .

(٢) في (ط) (وكتابه) .

(٣) في (ط) مع شدة كراهته) .

(٤) في (ط) (فرضى) .

به، وكراهته من وجه لا تنافي محبته وإرادته الرضا به من وجه آخر .

فإن قيل: فهذا في حكم رضا العبد بقضاء الرب، فهل يرضى سبحانه ما قضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه؟ .

قيل: هذا الموضع أشكل من الذي قبله. (وقد)[١] قال كثير من الأشعرية[٢] بل جمهورهم ومن اتبعهم: أن الرضا والمحبة والإرادة في حق الرب تعالى بمعنى واحد، وإن كل ما شاءه وأراده، فقد أحبه ورضيه .

ثم أوردوا على أنفسهم هذا السؤال، وأجابوا بأنه لا يمتنع أن يقال: إنه يرضى بها، ولكن لا على وجه التخصيص، بل [يقال][٣]: يرضى بكل ما خلقه وقضاه وقدره، لا نفرد من ذلك الأمور المذمومة، كما يقال: هو رب كل شيء، ولا يقال: رب كذا وكذا للأشياء الحقيرة الخسيسة .

وهذا تصريح منهم بأنه راض بها في نفس الأمر، وإنما امتنع الإطلاق أدباً واحتراماً فقط. فلما أورد عليهم: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[الزمر/ ٧] أجابوا عنه بجوابين :

أحدهما: (لا يرضاه)[٤] ممن لم يقع منه، وأما من وقع منه فهو يرضاه، إذ هو بمشيئته وإرادته .

الثاني: لا يرضاه لهم ديناً، أي لا يشرعه لهم، ولا يأمرهم به، ويرضاه منهم كوناً .

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) الأشعرية أو الأشاعرة سبق تعريفهم انظر: ص (١٠٩٤) .

(٣) في الأصل (تعالى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من (ط) .

وعلى قولهم، فيكون معنى الآية: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ حيث لم يوجد منهم، فلو وجد منهم أحبه ورضيه. وهذا في البطلان والفساد كما تراه[١].

وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى ما وجد من ذلك، وإن وقع بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء/ ١٠٨] فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره، وقد أخبر [سبحانه][٢] أنه لا يرضاه .

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة/ ٢٠٥] فهو سبحانه لا يحبه (لا)[٣] كوناً ولا ديناً وإن وقع بتقديره[٤]، كما لا يحب إبليس وجنوده وفرعون وحزبه، وهو ربهم وخالقهم، فمن جعل المحبة والرضا بمعنى الإرادة

---

(١) قال ابن جرير في تفسير قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ قال: (ولا يرضى لعباده أن يكفروا به) (تفسير الطبري). وقال ابن كثير في تفسير الآية: (أي لا يحبه ولا يأمر بـه) (تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧١). وقال السيوطي: (أخرج عبد بن حميد عن قتادة رحمه الله قال: والله ما رضي الله لعبده ضلالة ولا أمره بها. ولا دعاه إليها، ولكن رضي لكم طاعته وأمركم بها، ونهاكم عن معصيته) (الدر المنثور ٥/ ٣٢٣) .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) قال ابن الجوزي في (زاد المسير١/ ٢٢٢) في قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ قال ابن عباس: (لا يرضى بالمعاصي، وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية، فأجاب أصحابنا بأجوبة؛ منها: أنه لا يحبه ديناً، ولا يريده شرعاً، فأما أنه لم يرده وجوداً، فلا ...). وقال القرطبي في (الجامع الأحكام٣/ ١٨) (قيل: معنى ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ أي لا يحبه من أهل الصلاح، أو لا يحبه ديناً، ويحتمل أن يكون المعنى لا يأمر به والله أعلم) .

والمشيئة، لزمه أن يكون الله سبحانه محباً لإبليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار وكفرهم، والظلمة وفعلهم .

وهذا كما أنه خلاف القرآن والسنة والإجماع المعلوم بالضرورة، فهو خلاف ما عليه فطر العالمين التي لم تغير بالتواطؤ والتواصي بالأقوال الباطلة، وقد أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالاً كثيرةً ويكرهها ويبغضها ويسخطها، فقال تعالى: ﴿(وَلَا)[1] تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا [وَسَآءَ][2] سَبِيلًا ﴾ [النساء/ ٢٢]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾ [محمد/ ٢٨] .

وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف/ ٣] .

وقال: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة/ ٤٦] .

ومحالٌ حمل هذه الكراهة (على الكراهة)[3] الدينية الأمرية، لأنه أمرهم بالجهاد وقال: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء/ ٣٨] .

فأخبر أنه يكره ويبغض ويمقت ويسخط ويعادي ويذم ويلعن، ومحالٌ أنه يحب ذلك ويرضى به، وهو سبحانه (يتنزه)[4] ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به، بل لا يليق ذلك بعبده، فإنه نقص وعيب في المخلوق أنه يحب الفساد والشر، والظلم والبغي، والكفر ويرضاه، فكيف يجوز نسبة ذلك الله تبارك وتعالى .

---

(١) ساقطة من (م) .

(٢) في الأصل (ولا) والصواب ما أثبته .

(٣) في ط (غير الكراهة) .

(٤) في (ط) (يكره) .

وهذا الأصل من أعظم ما غلط فيه كثير من مثبتي القدر، وغلطهم فيه (يوازي)[١] غلط النفاة في إنكار القدر، أو هو أقبح منه، وبه تسلط عليهم النفاة (وثاروا)[٢] على قبح قولهم، وأعظموا [الشناعة][٣] عليهم، فهؤلاء قالوا: يحب الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغي والفساد[٤]. وأولئك قالوا: لا يدخل تحت مشيئته وقدرته وخلقه[٥]. وأولئك قالوا: لا يكون في ملكه إلا ما يحبه ويرضاه[٦]. وهؤلاء قالوا: يكون في ملكه ما لا يشاء، وما لا يكون[٧].

فسبحان الله وتعالى عما يقول الفريقان علواً كبيراً، والحمد لله الذي هدانا لما أرسل به رسله، وأنزل به كتابه، وفطر عليه عباده، وبرأنا من بدع هؤلاء وهؤلاء، فله الحمد والمنة، والفضل والنعمة والثناء الحسن (الجميل)[٨] ونسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأن يجنبنا مضلات البدع والفتن.

* * *

---

(١) في (ط) (يوازن).

(٢) في م، ط (وتمادوا).

(٣) في الأصل (الإشاعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) من أقوال الجبرية. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١.

(٥) من أقوال القدرية النفاة. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١.

(٦) من أقوال الجبرية. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١.

(٧) من أقوال القدرية النفاة. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١.

(٨) ساقطة من (م، ط).





في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم والإنشاء إلى كونيٍّ متعلقٍ بخلقه، وإلى دينيٍّ متعلقٍ بأمره، وما في تحقيق ذلك من إزالة اللبس والإشكال






الباب التاسع والعشرون
في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم [والإنشاء][(١)] إلى كوني متعلق بخلقه، وإلى ديني متعلق بأمره. وما في (تحقيق)[(٢)] ذلك من إزالة اللبس والإشكال

هذا الباب متصل بالباب الذي قبله، وكل منهما يقرر لصاحبه، فما كان من [الكوني][(٣)] (فهو متعلق)[(٤)] بربوبيته وخلقه، وما كان من الديني فهو متعلق بإلهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه ودينه، فهو الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قدراً وشرعاً، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري .

وأما حكمه الديني الشرعي [فيعصيه][(٥)] الفجار والفساق. والأمران غير متلازمين، فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره. ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي .

---

(١) في الأصل (الإفناء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في م (وما تحقيق) وفي (ط) (وما يحقق) .

(٣) في (ط) (كوني) .

(٤) ما بينهما ساقط من (م) .

(٥) في الأصل (بغضه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

إذا عرف ذلك، فالقضاء في كتاب الله نوعان: كوني وقدري: كقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ/ ١٤] وقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر/ ٦٩].

وشرعي ديني: كقوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء/ ٢٣] أي أمر وشرع[1] ولو كان قضاء كونياً لما غير الله.

والحكم أيضاً نوعان:

فالكوني كقوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء/ ١١٢] أي: افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك.

والديني كقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة/ ١٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة/ ١].

وقد [يرد][2] بالمعنيين معاً، كقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ٢٦]. فهذا يتناول حكمه الكوني، وحكمه الشرعي.

والإرادة أيضاً نوعان: [فالكونية][3] كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧] وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الإسراء/ ١٦]، وقوله: ﴿إِن كَانَ (ٱللَّهُ)[4] يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود/ ٣٤]. وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص/ ٥].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٧ - فتح القدير ٣/ ٢٤٦.

(٢) في الأصل (قدير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (فالكوني) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من (م).

والدينية كقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة/ ١٨٥]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء/ ٢٧] فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا، ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين .

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة: هل هما متلازمان أم لا ؟ .

فقالت القدرية: الأمر يستلزم الإرادة، واحتجوا بحجج لا تندفع .

[وقالت المثبتة: الأمر لا يستلزم الإرادة. واحتجوا بحجج لا تندفع][١] .

والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية، ولا يستلزم الإرادة الكونية؛ فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعاً وديناً، وقد يأمر بما لا يريده كوناً وقدراً، كإيمان من أمره، ولم يوفقه للإيمان، مراد له ديناً لا كوناً، لذلك أمر خليله بذبح ابنه[٢]، ولم يرده كوناً وقدراً، وأمر رسوله بخمسين صلاة[٣]، ولم يرد ذلك كوناً وقدراً. وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق؛ فإنه سبحانه لم يحب من إبراهيم ذبح ولده، وإنما أحب منه عزمه على الامتثال (وتوطين)[٤] نفسه عليه.

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات/ ١٠٢] .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب (الصلاة) باب (كيف فرضت الصلاة في الإسراء)١/ ٩١ من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) في (ط) (وأن يوطن) .

وكذلك[أمر][١] محمداً ﷺ ليلة الإسراء بخمسين صلاة .

وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان، فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله، ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره (به)[٢] ووفقه له، وخذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه، فلم تحصل مصلحة الأمر منهم، وحصلت من الأمر بالذبح .

فصل

وأما الكتابة: فالكونية كقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة/ ٢١] .

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥] .

وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج/ ٤] .

والشرعية الأمرية كقوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة/ ١٨٣] .

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء/ ٢٣]، إلى قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء/ ٢٤] .

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ [بِٱلنَّفْسِ][٣]﴾ [المائدة/ ٤٥].

---

(١)في (ط) (أمره).

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) ساقطة من الأصل والصواب ما أثبته .

[فالأولى][(١)] كتابة بمعنى القدر، والثانية كتابة بمعنى الأمر .

فصل

والأمر الكوني كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس/ ٨٢] .

وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر/ ٥٠] .

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ [مَفْعُولًا][(٢)]﴾ [النساء/ ٤٧] .

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم/ ٢١] .

وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟﴾ [الإسراء/ ١٦] .

فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء. والمعنى: قضينا ذلك وقدرناه .

وقالت طائفة: بل أمر ديني. والمعنى: أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا .

والقول الأول أرجح لوجوه:

أحدها: أن الإضمار على خلاف [الأصل][(٣)] فلا يصار إليه إلا إذا لم [يمكن][(٤)] تصحيح الكلام بدونه .

الثاني: أن ذلك يستلزم إضمارين، أحدهما: أمرناهم بطاعتنا، والثاني: فخالفونا، أوعصونا، ونحو ذلك .

---

(١) في الأصل (فالأول) .

(٢) في الأصل (مفعولان) .

(٣) في الأصل (الأصلي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل (يكن). والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

الثالث: ان ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه. كقولك أمرته ففعل، وأمرته فقام، وأمرته فركب، لا يفهم المخاطب غير هذا .

الرابع: أن سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور. ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون (سبباً للهلاك)[١] بل هو سبب [للنجاة][٢] والفوز .

فإن قيل: أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك .

قيل: هذا يبطل بالوجه **الخامس:** وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين، بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم، فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين .

يوضحه الوجه السادس: أن الأمر لو كان بالطاعة، لكان هو نفس إرسال رسله إليهم، ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال: أرسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها، فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل إلينا .

السابع: أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما تكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم، لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ (رَبُّكَ)[٣] لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا (مُصْلِحُونَ)[٤]﴾ [هود/ ١١٧] .

فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها، فأمر رؤساءها ومترفيهم أمراً

---

(١) في (ط) (سبب الهلاك) .

(٢) في الأصل ، م (النجاة) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٣) في م، ط (الله) .

(٤) في جميع النسخ (غافلون) والصواب ما أثبته .

كونياً قدرياً، لا شرعياً دينياً، بالفسق في القرية، (فاجتمع على أهلها)[(١)] تكذيبهم وفسق رؤسائهم، فحينئذ جاءها أمر الله، وحق عليها قوله بالإهلاك.

والمقصود ذكر الأمر الكوني والديني. ومن الديني قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل/ ٩٠] .

وقوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ (ٱلْأَمَٰنَٰتِ)[(٢)] إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء/ ٥٨]. وهو كثير .

فصل

وأما الإذن الكوني، فكقوله تعالى (في السحر)[(٣)] : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة/ ١٠٢] أي بمشيئته وقدره[(٤)] .

وأما الديني، فكقوله: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر/ ٥] أي بأمره ورضاه[(٥)] .

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ (لَكُم)[(٦)] مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس/ ٥٩] .

وقولـه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى/ ٢١] .

---

(١) في (ط) (فاجتمع أهلها على) .

(٢) في (م) (الأمات) .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٤٥٠ - فتح القدير ١/ ٢١٥ .

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٠ ، تفسير أبي السعود ٥/ ٣٠١ .

(٦) ساقطة من (م) .

فصل

أما الجعل الكوني فكقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ [يس/ ٨-٩] وقوله: [﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾][1] [يونس/ ١٠٠] .

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النحل/ ٧٢] ، وهو كثير.

وأما الجعل الديني فكقوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ﴾ [المائدة/ ١٠٣] أي ما شرع ذلك ولا أمر به[2]. إلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته .

وأما قوله ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة/ ٩٧] فهذا يتناول الجعلين فإنه جعلها كذلك بقدره وشرعه، وليس هذا استعمالاً للمشترك في معينه، بل إطلاق اللفظ وإرادة القدر المشترك بين معينه ، فتأمله.

فصل

وأما الكلمات الكونية؛ فكقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس/ ٣٣] .

وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ ﴾ [الأعراف/ ١٣٧] .

وقول ﷺ: **« أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من**

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/ ١٠٧ – تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٧٥ .

شر ما خلق»[1].

فهذه كلماته الكونية التي يخلق بها ويكون، ولو كانت الكلمات الدينية التي يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار .

وأما الديني، فكقوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة/ ٦]. والمراد به القرآن[2] .

وقوله ﷺ في النساء: «واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[3] أي إباحته ودينه .

(وهي)[4] قوله: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[5] [النساء/ ٣] .

وقد اجتمع النوعان في قوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم/ ١٢] فكتبه كلماته التي يأمر بها وينهى، ويحل ويحرم. وكلماته التي

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه انظر: ص (١٣٣٦) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٢٨ – الدر المنثور ٣/ ٢١٣ .

(٣) جزء من حديث حجة الوداع: أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الحج) باب (حجة النبي ﷺ) ح(١٢١٨) ١/ ٨٨٩ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) ساقطة من م، ط .

(٥) قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (٨/ ١٨٣) في قوله ﷺ «واستحللتم فروجهن بكلمة الله» قال: قيل معناه قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ﴾، وقيل: المراد كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم، وقيل: المراد بإباحة الله والكلمة قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وهذا الثالث هو الصحيح، وبالأول قال الخطابي والهروي وغيرهما. وقيل: المراد بالكلمة الإيجاب والقبول. ومعناه على هذا بالكلمة التي أمر الله تعالى بها. والله أعلم) انتهى.

يخلق بها ويكون[١]، فأخبر أنها ليست جهمية[٢] تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه، وتجعلها خلقاً من جملة مخلوقاته[٣].

فصل

وأما البعث الكوني فكقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [الإسراء/ ٥]. وقوله: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة/ ٣١] .

وأما البعث الديني فكقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة/ ٢] وقوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة/ ٢١٣] .

فصل

وأما الإرسال الكوني، فكقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم/ ٨٣] وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان/ ٤٨] .

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٦ ، فتح القدير ٥/ ٢٥٦ .

(٢) سبق تعريفها .

(٣) انظر: الملل والنحل بهامش الفصل ١/ ١١٢ .

وأما الديني، فكقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح/ ٢٨] وقوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل/ ١٥] .

فصل

وأما التحريم الكوني، فكقوله : ﴿۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [بالقصص/ ١٢]. وقوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [المائدة/ ٢٦]. وقوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٩٥] .

وأما التحريم الديني، فكقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء/ ٢٣] و﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ [المائدة/ ٣] و﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ ﴾ [المائدة/ ٩٦]، ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة/ ٢٧٥] .

فصل

وأما الإيتاء الكوني، فكقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [البقرة/ ٢٤٧]. وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران/ ٢٦]. وقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٥٤] .

وأما الإيتاء الديني، فكقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر/ ٧] وقوله: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة/ ٦٣، ٩٣]، [الأعراف/ ١٧١] .

وأما قوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة/ ٢٦٩]. فهذا يتناول النوعين، فإنه يؤتيها من يشاء أمراً وديناً وتوفيقاً وإلهاماً [(١)] .

فصل

وأنبياؤه ورسله وأتباعهم من هذه الأمور الديني منها، وأعداؤه واقفون مع (الكوني القدري)[(٢)]، فحيث ما مال القدر مالوا معه. فدينهم دين القدر، ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر، فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره، وخصماء الله يعصون أمره، ويحتجون بقدره، (ويقولون)[(٣)] نحن واقفون مع مراد الله. نعم مع مراده [الكوني لا الديني][(٤)] ، ولا ينفعكم وقوفكم مع المارد الكوني، ولا يكون ذلكم عذراً لكم عنده، إذ لو عذر بذلك لم يذم أحداً من خلقه، ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر، ومن زعم ذلك، فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله. وبالله التوفيق .

* * *

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٧٦-٥٧٩) .

(٢) في (ط) (القدري الكوني) .

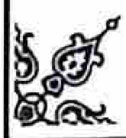
(٣) في (ط) (لا يقولون) .

(٤) في جميع النسخ (الديني أو الكوني) ولعل الصواب ما أثبته .



الباب الموفي ثلاثين

في ذكر الفطرة الأولى ومعناها واختلاف الناس في المراد بها وأنها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال






الباب الموفي ثلاثين

في ذكر الفطرة الأولى ومعناها واختلاف الناس في المراد بها وأنها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) ﴾[الروم/ ٣٠-٣١]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة[١] عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجِّسانه، كما تنتج[٢] البهيمة جمعاء[٣] هل تحسون فيها من جدعاء[٤] حتى تكونوا أنتم تجدعونها» ثم قرأ أبوهريرة: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم/ ٣٠] وفي لفظ آخر: «ما من مولود إلا يولد على هذه الملة»[٥] وقد اختلف الناس في معنى هذه الفطرة والمراد بها؛ فقال القاضي أبو يعلى[٦] في معنى الفطرة: ها هنا روايتان عن أحمد[٧]: إحداهما الإقرار بمعرفة الله تعالى، وهو العهد الذي أخذه

---

(١) سبقت ترجمته انظر ص(١٤٤).

(٢) (تنتج) أنتجت البهيمة إذا ولدت. انظر: التعليق على الموطأ ١/٢٤١. المعجم الوسيط ص ٨٩٩.

(٣) سبق تعريفها انظر: ص٣٣٠.

(٤) سبق تعريفها انظر: ص٣٣٠.

(٥) سبق تخريجه ص٣٣٠.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته. انظر ص١٤٠.

[الله][١] عليهم في أصلاب آبائهم حتى مسح ظهر آدم، (فأخرج)[٢] من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ (شَهِدْنَآ)[٣]﴾ [الأعراف/ ١٧٢] فليس أحد إلا وهو [يقر][٤] بأن له صانعاً ومدبراً، وإن سماه بغير اسمه، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف/ ٨٧] فكل مولود يولد على ذلك الإقرار الأول[٥][٦].

قال: وليس الفطرة هنا الإسلام؛ لوجهين:

أحدهما: أن معنى الفطرة ابتداء الخلقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام/ ١٤] أي مبتدئها[٧]، وإذا كانت الفطرة هي الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقعت لأول الخليقة، وجرت في فطرة المعقول، وهو استخراجهم ذرية؛ لأن تلك حالة ابتدائهم، ولأنه لو كانت الفطرة هنا الإسلام، لوجب إذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثهما ولا

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في الأصل (فاجتمع) الصواب ما أثبته من م، ط. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٥٩.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل (مقر) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن درء التعارض ٨/ ٣٥٩.

(٥) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٥٩.

(٦) تم في قسم الدراسة مناقشة مسألة الفطرة وأقوال الناس فيها، وأصح الأقوال في ذلك.

(٧) تفسير الطبري ١١/ ٢٨٣.

يرثانه ما دام طفلاً لأنه مسلم، واختلاف الدين يمنع الإرث، ولوجب أن لا يصح استرقاقه ولا يحكم بإسلامه بإسلام أبيه لأنه مسلم.][(١)] [قال: وهذا تأويل ابن قتيبة][(٢)(٣)]. وذكره ابن بطة[(٤)] في الإبانة[(٥)] قال: وليس كل من ثبت له المعرفة حكم بإسلامه كالبالغين من الكفار، فإن المعرفة حاصلة (لهم)[(٦)]، وليسوا بمسلمين.

قال: وقد أومأ أحمد[(٧)] إلى هذا التأويل في رواية الميموني[(٨)]، فقال: «الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها»، فقال [له][(٩)] الميموني: الفطرة [الدين][(١٠)].

---

(١) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٥٩-٣٦٠.

(٢) سبقت ترجمته ص٣٦١.

(٣) انظر: (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة ص (٨٧، ٨٨).

(٤) سبق ترجمته .

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤١٧.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) سبقت ترجمته انظر ص١٤٠ .

(٨) الميموني: هو الإمام عبدالملك بن عبدالحميد بن عبدالحميد بن ميمون بن مهران الميموني الرقي، الحافظ، الفقيه، صحب الإمام أحمد، وروى عنه، وعن أبيه عبدالحميد ومحمد بن عبيد الطنافسي، وحجاج بن محمد. وعنه النسائي، وأبو حاتم، وأبو عوانة، وأبو علي محمد بن سعيد الحراني، ومحمد بن المنذر، وخلق كثير. مات سنة أربع وسبعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٠، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٩.

(٩) زيادة من م، ط.

(١٠) في الأصل (الديني) والصواب ما أثبته من م، ط. وانظر: الدرء ٨/ ٣٦٠.

قال: نعم[١]. قال القاضي[٢]. وأراد أحمد [بالدين][٣] المعرفة التي ذكرناها[٤].

قال: والرواية الثانية: الفطرة هنا: ابتداء خلقه في بطن أمه، لأن حمله على العهد الذي أخذه عليهم وهو الإقرار بمعرفته حمل (للفطرة)[٥] على الإسلام، لأن الإقرار بالمعرفة إقرار بالإيمان، والمؤمن مسلم، ولو كانت الفطرة الإسلام لوجب إذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثانه ولا يرثهما، قال: ولأن ذلك يمنع أن يكون الكفر خلقاً لله، وأصول أهل السنة بخلافه][٦].

[قال: وقد أومأ أحمد إلى هذا في رواية علي بن سعيد[٧] وقد سأله عن قوله: «كل مولود يولد على الفطرة» فقال: [على][٨] الشقاوة والسعادة. وكذلك نقل محمد بن يحيى الكحال[٩] أنه سأله

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٩٥) أحكام أهل الملل ص١٦.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في الأصل(الديني) والصواب ما أثبته من م، ط. وانظر: الدرء ٨/ ٣٦٠.

(٤) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٦٠.

(٥) في الأصل (الفطرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٦٠.

(٧) هو علي بن سعيد بن جرير بن ذكوان النسائي أبو الحسن. روى عن عبدالصمد بن عبدالوارث، وأبي عامر العقدي، وعثمان بن عمر بن فارس، وغيرهم. وعنه النسائي، وابن ماجه، وابنه خزيمة، وابنه محمد، وكان محدث عصره. مات سنة ست وخمسين ومائتين، وقيل: سبع وخمسين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٣٢٦.

(٨) زيادة من م، ط.

(٩) هو: محمد بن يحيى الكحال أبو جعفر البغدادي المتطبب، قال أبو بكر الخلال: كانت عنده عن أبي عبد الله – يعني الإمام أحمد – مسائل حسان مشبعة، وكان من كبار أصحاب أبي عبد الله. وكان يقدمه ويكرمه. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٨.

(عن ذلك)[١] : فقال هي التي فطر الناس عليها شقي أو سعيد. وكذلك نقل حنبل[٢] عنه قال: الفطرة التي فطر الله عليها العباد من الشقاوة والسعادة.

قال: وهذا كله يدل من كلامه على أن المراد بالفطرة ها هنا ابتداء خلقه في بطن أمه][٣] .

قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية[٤]: [أحمد لم يذكر العهد الأول، وإنما قال: الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، وهي الدين، و(قد)[٥]، قال في غير موضع: إن الكافر إذا مات أبواه أو أحدهما حكم بإسلامه.

واستدل بهذا الحديث حكم فدل على أنه فسر الحديث بأنه يولد على فطرة الإسلام كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث، ولو لم تكن الفطرة عنده الإسلام، لما صح استدلاله بالحديث. وقوله في موضع آخر: « يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة » لا ينافي ذلك، فإن الله سبحانه قدر الشقاوة والسعادة وكتبهما، وقدر أنها تكون بالأسباب التي تحصل بها، كفعل

---

(١) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٢) هو: حنبل بن إسحاق أبوعلي ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، سمع أبا نعيم، والحميدي، وسليمان بن حرب، والإمام أحمد وغيرهم، كان ثقة، ثبتاً. قال الدارقطني: كان صدوقاً. توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين. انظر: شذرات الذهب (٢/ ١٦٣-١٦٤)، البداية والنهاية ١١/ ٥٥ ، العبر ١/ ٣٩٤.

(٣) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٦١، طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٨ ، أحكام أهل الملل بتصرف ص ١٧.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ساقطة من م، ط.

الأبوين، [فتهويد الأبوين][١] وتنصيرهما وتمجيسهما هو مما قدره الله تعالى أنه يفعل بالمولود، والمولود يولد على الفطرة سليماً، وولد على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الأبوان كما قدر سبحانه ذلك وكتبه، كما مثل النبي ﷺ ذلك بقوله « كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » . فبين أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس، وذلك بقضاء الله وقدره، فكذلك المولود يولد على الفطرة سليماً ثم يفسده أبواه، وذلك أيضاً بقضاء الله وقدره][٢]. وإنما قال أحمد وغيره من الأئمة (ولد)[٣] على ما فطر عليه من شقاوة أو سعادة؛ [لأن][٤] القدرية يحتجون بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليس بقضاء الله وقدره، بل مما ابتدأ الناس إحداثه، ولهذا قالوا لمالك بن أنس[٥]: إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث، فقال: احتجوا عليهم بآخره[٦] وهو قوله: « الله أعلم بما كانوا عاملين »[٧][٨].

فبين الإمام أحمد وغيره (أنه لا حجة فيه للقدرية. فإنهم لا يقولون: إن

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) انظر درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٦١-٣٦٢.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل، م (أن) والصواب ما أثبته من (ك) ومن درء التعارض ٨/ ٣٦٢.

(٥) سبق ترجمته انظر: ص ١٧٠.

(٦) سنن أبي داوود كتاب (السنة) باب (في ذراري المشركين) ح (٤٧١٥) ٥/ ٨٩ باختلاف يسر من رواية ابن وهب.

(٧) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٦٢.

(٨) سبق تخريجه .

نفس الأبوين خلقا تهويده وتنصيره، بل هو تهود وتنصر باختياره، ولكن كانا سبباً في حصول ذلك بالتعليم [والتلقين][(١)]. فإذا أضيف إليهما هذا الاعتبار، فلأن يضاف إلى الله الذي هو خالق كل شيء بطريق الأولى، لأنه سبحانه وإن كان خلقه مولوداً على الفطرة سليماً، فقد قدر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره، وعلم ذلك، كما في الحديث الصحيح: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً، ولو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[(٢)].

فقوله: «طبع يوم طبع» أي قدر وقضى في الكتاب أنه يكفر، لا أن كفره كان موجوداً قبل أن يولد، ولا في حال (ولادته)[(٣)] فإنه [يولد][(٤)] على الفطرة السليمة، وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر. ومن ظن أن الطبع على قلبه هو الطبع المذكور على (قلوب)[(٥)] الكفار فهو غالط، فإن ذلك لا يقال فيه «طبع يوم طبع»، إذ كان الطبع على قلبه إنما يوجد بعد كفره. وقد ثبت في صحيح مسلم[(٦)] عن عياض بن (حمار)[(٧)(٨)] عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك

---

(١) في الأصل (التقلين).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الأصل، م (ولاده) والصواب ما أثبته من (ك).

(٤) في م، ط (مولود).

(٥) في (ط) (قلب).

(٦) هو الإمام مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري الحافظ، صاحب الصحيح، أحد أئمة الحديث. سمع من يحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. توفي سنة إحدى وستين ومائتين. انظر: شذرات الذهب ٢/ ١٤١، العبرة ١/ ٣٧٥.

(٧) في (ط) (حماد).

(٨) سبقت ترجمته انظر: ص ١٢٨٦.

وتعالى أنه قال: « خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»[١].

هذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية، وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك. وكذلك في حديث الأسود بن سريع[٢] الذي رواه أحمد وغيره، قال: بعث النبي ﷺ سرية، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فقال لهم النبي ﷺ: « ما حملكم على قتل الذرية؟ » قالوا: يا رسول الله، أليسوا أولاد المشركين؟ قال: «أوَليس خياركم [أولاد][٣] المشركين؟ » ثم قام النبي ﷺ خطيباً، فقال: «ألا إن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه »[٤] فخطبته لهم بهذا الحديث عقب نهيه عن قتل أولاد المشركين، وقوله لهم: « أوَليس خياركم أولاد المشركين » نص على أنه أراد [أنهم][٥] ولدوا غير كفار، [ثم الكفر طرأ بعد ذلك. ولو أراد أن المولود حين يولد يكون][٦] إما مسلماً [وإما كافراً][٧] على ما سبق له به القدر، لم يكن فيما ذكر حجة على قصده

---

(١) سبق تخريجه ص١٢٨٦ .

(٢) الأسود بن سريع: بن حمير عبادة التميمي السعدي، روى عنه الأحنف بن قيس، والحسن البصري، وعبدالرحمن بن أبي بكرة. توفي سنة اثنتين وأربعين. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٣٨.

(٣) في الأصل (أولى).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٤٣٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٢٣، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) برقم ٤٤٣٥ من حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه .

(٥) في (ط) (بهم).

(٦) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن درء التعارض ٨/ ٣٦٤.

(٧) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن درء التعارض ٨/ ٣٦٤.

[ﷺ][1] من نهيه عن قتل أولاد المشركين، وقد ظن بعضهم أن معنى قوله «أوليس خياركم أولاد المشركين» أنه قد يكون (سبق)[2] في علم الله لو [بقوا][3] لآمنوا، فيكون النهي راجعاً إلى هذا المعنى من التجويز، وليس هذا معنى الحديث، لكن ما معناه أن خياركم [هم][4] السابقون الأولون [من المهاجرين والأنصار][5]، وهؤلاء من أولاد المشركين، فإن آباءهم كانوا كفاراً، ثم إن البنين أسلموا بعد ذلك، فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين إذا كان مؤمناً، فإن الله إنما يجزيه بعمله لا بعمل أبويه، وهو سبحانه (يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي))[6].

فصل

وهذا الحديث قد روي بألفاظ يفسر بعضها بعضاً، ففي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن شهاب[7] عن أبي سلمة[8] عن أبي هريرة[9]

(١) ما بينهما من درء التعارض ٨/ ٣٦٤

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في الأصل (بقيوا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٤) زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٥) ما بينهما من الدرء ٨/ ٣٦٤

(٦) انظر درء التعارض باختلاف يسير ٨/ ٣٦٤.

(٧) سبقت ترجمته ص ١٤٥ .

(٨) أبو سلمة: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله. أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة . روى عن النبي ﷺ وعنه أم سلمة. مات سنة أربع، وقيل: ثلاث. انظر: حلية الأولياء ٢/ ٣ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٨٧.

(٩) سبقت ترجمته ص١٤٤ .

قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمةُ (بهيمةً)[١] جمعاء،، هل تحسون فيها من جدعاء». ثم يقولُ أبو هريرة: اقرأوا: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم/ ٣٠]. قالوا: يا رسول الله: أفرأيت من يموت صغيراً؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[٢].

وفي الصحيح قال الزهري[٣]: [يصلى على كل مولود يتوفى، وإن كان [لغية][٤][٥] من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام إذا استهل صارخاً ولا يصلى على من لم يستهل من أجل أنه سقط. فإن أبا هريرة كان يحدث أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟». ثم يقول أبو هريرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم/ ٣٠][٦].

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبقت ترجمته ص١٤٥.

(٤) في (ط) (نصلي على مولود يتوفى وإن كان) والصواب ما أثبته من الأصل والدرء.

(٥) معنى (لغيه) قال ابن حجر في (فتح البارىء) ٣/ ٢٢١ في شرح (لغية) وقول ابن شهاب: [لغية] بكسر اللام والمعجمة، وتشديد التحتانية، أي من زنا، ومراده: أنه يصلي على ولد الزنا ولا يمنع ذلك من الصلاة عليه؛ لأنه محكوم بإسلامه تبعاً لأمه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز) باب (إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلي عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟) ٢/ ٩٧ من رواية ابن شهاب الزهري.

وفي الصحيحين[(١)] من رواية الأعمش[(٢)] : « ما من مولود (يولد)[(٣)] إلا وهو على الملة» .

وفي رواية ابن معاوية[(٤)] عنه: «إلا على هذه الملة حتى يعرب عنه لسانه»[(٥)].

فهذا صريح أنه يولد على ملة الإسلام كما فسره ابن شهاب[(٦)] راوي الحديث، واستشهاد أبي هريرة بالآية يدل على ذلك][(٧)] .

(قال ابن عبد البر[(٨)] : وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة:

---

(١) في درء التعارض (وفي الصحيح).

(٢) هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، روى عن أنس، ولم يثبت له منه سماع ،وعبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن وهب، وأبي وائل، وأبي عمرو الشيباني، وغيرهم. وعنه الحكم بن عتيبة وأبو إسحاق السبيعي، وسليمان التيمي وسهيل بن أبي صالح، وخلق كثير. مات سنة سبع وأربعين ومائة، وقيل: ثمان وأربعين ومائة. انظر: العبر ١/ ١٦٠، البداية والنهاية ١٠/ ١٠٨، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٢.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) هو: الإمام المحدث، أبو جعفر الجمحي، سمع من حماد بن سلمة، والقاسم الحدائي ومحمد بن راشد، ومهدي بن ميمون. وعنه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد ابن عمرو البزار، وأبو يعلى، وخلق كثير. توفي ثلاث وأربعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٣٥ ، شذرات الذهب ٢/ ١٠٤.

(٥) سبق تخريجه .

(٦) سبقت ترجمته انظر ص١٤٥ .

(٧) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٦٢-٣٦٦).

(٨) سبقت ترجمته ص١٧١ .

أيجزىء [الصبي][(١)] [عنه][(٢)] أن يعتقه وهو رضيع؟ قال : نعم، لأنه ولد على الفطرة)[(٣)].

قال أبو عمر[(٤)(٥)] ـ وقد ذكر النزاع في تفسير الحديث ـ وقال آخرون: الفطرة ها هنا الإسلام. قالوا : وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل، وقد أجمعوا في تأويل قول الله عز وجل : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ قالوا : فطرة الله: دين الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وذكروا عن عكرمة[(٦)] ومجاهد[(٧)] والحسن[(٨)] وإبراهيم[(٩)] والضحاك[(١٠)] وقتادة[(١١)] في قوله عز وجل : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ قالوا : (فطرة الله) دين الله الإسلام[(١٢)]، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ قالوا : لدين الله. واحتجوا بحديث

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) انظر : التمهيد ١٨/ ٧٦-٧٧، درء التعارض ٨/ ٣٦٧

(٤) أبو عمر ابن عبد البر : سبقت ترجمته ص١٧١ .

(٥) في الدرء ص ٣٦٧ قال ابن عبد البر.

(٦) سبقت ترجمته ص٣٠١ .

(٧) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

(٨) سبقت ترجمته ص١٤٧ .

(٩) سبقت ترجمته .

(١٠) سبقت ترجمته ص١٩٩ .

(١١) سبقت ترجمته ص٣٢٦ .

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٨٨، ٦٨٩) ، فتح القدير ٤/ ٢٥٧.

محمد بن إسحاق[١] : عن ثور بن يزيد[٢] عن يحيى بن جابر[٣] عن عبدالرحمن ابن عائذ الأزدي[٤] عن عياض بن (حمار)[٥] المجاشعي[٦] أن رسول الله ﷺ قال للناس يوماً: «ألا أحدثكم بما حدثني الله في الكتاب: إن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالاً لا [حرام فيه][٧]، فجعلوا ما

---

(١) هو: محمد بن إسحاق بن راهويه، الإمام، الحافظ، سمع من أبيه، وعلي بن حجر، وأحمد ابن حنبل، وغيرهم. وروى عنه إسماعيل الخطبي، وابن قانع، وأحمد بن خزيمة، وأبوالقاسم الطبراني، وآخرون. قتلته القرامطة بطريق مكة سنة أربع وتسعين ومائتين. انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٥، الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٦، شذرات الذهب ٢/ ٢١٦.

(٢) هو: ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي، المحدث، الفقيه، حدث عن خالد بن معدان، وراشد بن سعد، ونافع، والزهري، وحدث عنه ابن إسحاق رفيقه، وسفيان الثوري، وغيرهم. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقيل: خمس وخمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٤ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٣٣.

(٣) يحيى بن جابر بن حسان الطائي، أبو عمرو الحمصي، القاضي، روى عن عبدالرحمن ابن جبير بن نفير، وصالح بن يحيى بن المقدام، ويزيد بن شريح، وغيرهم. وروى عنه الترمذي، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وحبيب بن صالح، وسليمان بن سليم، وصفوان بن عمرو. مات سنة ست وعشرين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٩١ ، العبر ١/ ١٢٥

(٤) عبدالرحمن بن عائذ الأزدي الثمالي، حدث عن عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي ذر وجماعة، وحدث عنه محفوظ بن علقمة، وراشد بن سعد، وثور بن يزيد، ويحيى بن جابر، وغيرهم. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٧ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٠٣.

(٥) في (ط) (حماد).

(٦) سبقت ترجمته ص١٢٨٦ .

(٧) في الأصل (حراماً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء (٨/ ٣٦٨).

أعطاهم الله حراماً وحلالاً » الحديث[١].

قال: وكذلك روى بكر بن مهاجر[٢] عن ثور بن يزيد[٣] بإسناده مثله في هذا الحديث «حنفاء» : مسلمين. قال أبو عمر: روى هذا الحديث (قتاده)[٤] عن مطرف بن عبد الله[٥] عن عياض[٦] ولم يسمعه قتاده من مطرف، ولكن قال: حدثني ثلاثة: عقبة بن عبد الغافر[٧]، ويزيد بن عبد الله بن الشخير[٨]،

---

(١) سبق تخريجه ص١١٣ .

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) سبق ترجمته في الصفحة السابقة .

(٤) سبقت ترجمته ص٣٢٦ .

(٥) هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير، الإمام القدوة الحجة، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري. حدث عن أبيه ﷺ، وعلي وعمار وأبي ذر وعثمان وغيرهم. وحدث عنه الحسن البصري، وأخوه يزيد بن عبدالله، ويزيد بن حميد، وثابت البناني، وخلق سواهم. توفي سنة ست وثمانين. انظر: حلية الأولياء ٢/ ١٩٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٨

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) عقبة بن عبد الغافر الأزدي، العوذي، أبو نهار البصري. روى عن أبي سعيد، وعبدالله بن مغفل، وأبي أمامة، وأبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود. وعنه يحيى بن أبي كثير، وقتادة، ويحيى بن أبي أسحاق الحضرمي، وسليمان التيمي، وابن عون، وغيرهم. قتل يوم الزاوية سنة اثنتين وثمانين، وقيل: ثلاث وثمانين. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٦.

(٨) يزيد بن عبد الله الشخير بن عوف كعب بن وقدان بن الحريش ويكنى أبا العلاء، حدث عن أبيه، وأخيه مطرف بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعائشة أم المؤمنين، وعثمان بن أبي العاص، وأبي هريرة. وحدث عنه قتادة، وسعيد الجريري، وخالـــد

والعلاء بن زياد[1] كلهم يقول: حدثني مطرف[2] عن عيـاض[3] عن النبي ﷺ، فقال فيه: « وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم » لم يقل: « مسلمين ».

وكذلك رواه الحسن[4] عن مطرف، ورواه ابن إسحاق[5] عمن لا يتهم عن قتادة بإسناده. قال: فدل [هذا][6] على حفظ محمد بن إسحاق وإتقانه وضبطه، لأنه ذكر « مسلمين » في روايته عن ثور بن يزيد[7] لهذا الحديث، وأسقطه من رواية قتادة[8] (وكذلك رواه الناس عن قتادة)[9] وقصر فيه عـن قوله: « مسلمين »، وزاده ثور بإسناده، فالله أعلم][10].

الحذاء، وسليمان التيمي، وآخرون. مات سنة إحدى عشرة ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٥، شذرات الذهب ١/ ١٣٥.

(١) هو: العلاء بن زياد بن مطر بن شريح العدوي، أبو النصر البصري، أرسل عن النبي ﷺ وحدث عن عمران بن حصين، وعياض بن حمار، وأبي هريرة، ومطرف بن الشخير، وغيرهم. وعنه الحسن، وقتادة، ومطر الوراق، وأوفى بن دلهم، وإسحاق ابن سويد، وآخرون. مات سنة أربع وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٢ - تهذيب التهذيب ٨/ ١٨١

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة السابقة.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) في الأصل (بذا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء ٨/ ٣٦٩.

(٧) سبقت ترجمته ص١٣٩٩.

(٨) سبقت ترجمته ص٣٢٦.

(٩) ما بينهما ساقط من (ط)

(١٠) انظر: التمهيد (١٨/ ٧٢-٧٥)، درء التعارض (٨/ ٣٦٧-٣٦٩).

[قال[1]: والحنيف في كلام العرب: المستقيم المخلص، ولا استقامة (أكثر)[2] من الإسلام. قال: وقد روي عن الحسن قال: «الحنيفية: حج البيت». وهذا يدل أنه أراد الإسلام. وكذلك روي عن الضحاك[3] والسدي[4] قال: حنفاء: حجاجاً. وعن مجاهد[5]: حنفاء قال: متبعين)[6]. (قال: وهذا كله يدل على أن الحنيفية الإسلام. قال: وقال أكثر العلماء: الحنيف: المخلص[7]. وقال الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران/ ٦٧]. وقال تعالى : ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[8] [آل عمران/ ٩٥] وقال : ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج/ ٧٨].

وقال الشاعر، وهو الراعي[9]:

---

(١) يعني ابن عبد البر .

(٢) في الأصل (أكبر) والأولى ما أثبته من م، ط ومن الدر ٨/ ٣٦٩ .

(٣) سبقت ترجمته ص١٠١٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

(٥) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

(٦) انظر: التمهيد ص٧١، ٧٥ .

(٧) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٠٧، الدر المنثور ١/ ١٥٠، تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٧٨.

(٨) هذه الآية لا ترد في « درء التعارض » ، ولا في « التمهيد » .

(٩) هو حصين بن معاوية، من بني نمير، وكان يقال لأبيه في الجاهلية: معاوية الرئيس، وكان سيداً. وإنما قيل له: الراعي؛ لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشراف، ويقال: هو عبيد بن حصين، ويكنى أبا جندل، وكان أعور وهجاه جرير؛ لأنه اتهمه بالميل إلى الفرزدق. انظر: طبقات الشعراء لابن قتيبة الدينوري ص ٢٠١.

أخليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلاً

عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلاً تنزيلاً[(١)]

قال : فهذا وصف الحنيفية بالإسلام، وهو أمر واضح لا خفاء به)[(٢)].

قال: ومما احتج به من ذهب في هذا الحديث إلى أن الفطرة في هذا الحديث الإسلام، قوله ﷺ : « **خمس من الفطرة** »[(٣)]. ويروى : « **عشر من الفطرة**»[(٤)]][(٥)]. قال شيخنا : [والدلائل][(٦)] على ذلك كثيرة، [ولو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام لما سألوا عقب ذلك «أرأيت من يموت من أطفال المشركين؟»؛ لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوه، والعلم القديم وما يجري مجراه لا يتغير.

وقوله: « **فأبواه يهودانه** » بين فيه أنهم يغيرون الفطرة التي فطر عليها.

وأيضاً إنه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق لا نقص فيها ثم تجدع بعد ذلك (فعلم أن [التغيير][(٧)] وارد على الفطرة السليمة التي ولد العبد عليها.

---

(١) ذكره في أحكام أهل الذمة ٢/ ٩٦١ وذكر أنه للراعي.

(٢) انظر: التمهيد ١٨(٧٢-٧٦) وفي درء التعارض ٨/ (٣٦٧-٣٧١)

(٣) رواه البخاري في كتاب (اللباس) باب (قص الشارب) ٧/ ٥٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم في كتاب (الطهارة) باب (خصال الفطرة) ح (٢٦١) ١/ ٢٢٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٦٩/ ٣٧١)

(٦) في الأصل (والدليل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء ٨/ ٣٧١ .

(٧) في الأصل (التغير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

أيضاً فإن الحديث مطابق للقرآن كقوله : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وهذا يعم جميع الناس)[١]. فعلم أن الله سبحانه فطر الناس كلهم على فطرته المذكوره. وأيضاً فإنه أضاف الفطرة إليه إضافة مدح لا إضافة ذم، فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة، كدين الله وبيته وناقته.

وأيضاً فإنه قال : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم/ ٣٠] (وهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الأول عند سيبويه[٢] وأصحابه، فدل على أن إقامة الوجه لله حنيفاً هو فطرة الله التي فطر الناس عليها)[٣][٤]. وأيضاً فإن هذا تفسير السلف (كما تقدم)[٥].

[قال ابن جرير[٦]: يقول: « فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك الله يا محمد[٧] (لطاعته)[٨] وهي الدين. حنيفاً : يقول : مستقيماً لدينه وطاعته. فطرة الله: يقول: (صنعة)[٩] الله التي خلق الناس عليها. ونصب[١٠] فطرة

---

(١) ما بينهما مكرر في الأصل.

(٢) سبقت ترجمته ص١٠٤٤ .

(٣) ما بينهما ساقط من (ط).

(٤) انظر التعارض بتصرف (٨/ ٣٧١-٣٧٢).

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) سبقت ترجمته ص٤٩٤ .

(٧) في تفسير الطبري: الذي وجهك إليه ربك يا محمد.

(٨) في (ط) (بطاعته).

(٩) في (الأصل) (صبغة) والأولى ما أثبته من (ط) ومن درء التعارض ٨/ ٣٧٣

(١٠) تفسير الطبري: ونصبت

على المصدر (من معنى)[1] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [أي][2] المعنى: فطر الله الناس على ذلك فطرة. قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ثم روى عن [ابن][3] زيد[4] قال: فطرة الله التي فطر الناس عليها: قال: الإسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعاً يقرون بذلك[5].

[وعن مجاهد[6]: فطرة الله: قال: الدين: الإسلام. ثم روى عن يزيد بن أبي مريم[7]. قال (مر)[8] عمر (بمعاذ)[9] بن جبل[10] فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن المنجيات، الإخلاص – وهو الفطرة – فطرة

(١) في (ط) (معنى).

(٢) في (ط) (لأن).

(٣) في الأصل (أبي زيد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن درء التعارض ٨/ ٣٧٣.

(٤) سبقت ترجمته ص١٠١٨ .

(٥) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٧٣.

(٦) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

(٧) هو: يزيد بن أبي مريم، ويقال: يزيد بن ثابت أبو عبد الله الدمشقي. روى عن أبيه ومجاهد، ومسلم بن مشكم وغيرهم. وعنه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، والوليد بن مسلم، ويحيى بن حمزة وغيرهم. مات سنة أربع وأربعين ومائة. وقيل: مات سنة خمس وأربعين، وجزم ابن حبان بأنه مات سنة خمس. انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٥٩.

(٨) ساقطة من م، ط

(٩) في ط (لمعاذ).

(١٠) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن الخزرج، الإمام أبو عبدالرحمن، روى عن النبي ﷺ وعنه ابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وابن عمرو، وابن عمر، وجابر، وأنس. مات سنة عشرة، وقيل: ثمان عشرة. انظر: حلية الأولياء ١/ ٢٢٨، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٣، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٦

الله التي فطر الناس عليها، والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت.

وقوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: لا تغيير لدين الله، أي: لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل. قال ابن أبي نجيح[1] عن مجاهد: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (قال)[2] لدين الله.

ثم ذكر أن مجاهداً أرسل إلى عكرمة[3] [يسأله][4] عن قوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ قال: هو الخصماء. فقال مجاهد: أخطأ، ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ إنما هو الدين. ثم (قرأ)[5]: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم/ ٣٠].

وروي عن عكرمة ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ قال: لدين الله. (وعنه: فطرة الله، قال: الإسلام. وقال قتادة[6] لا تبديل لخلق الله، قال: لدين الله)[7] وهو

---

(١) هو: عبد الله بن أبي نجيح، الإمام، الثقة، المفسر، أبو يسار الثقفي المكي. حدث عن مجاهد، وطاوس، وعطاء، ونحوهم. وحدث عنه شعبة، والثوري، وعبد الوارث، وسفيان بن عيينة، وابن علية، وآخرون. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.
انظر: العبر ١/ ١٣٣، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٢٥، شذرات الذهب ١/ ١٨٢

(٢) في ط (أي).

(٣) سبق ترجمته ص٣٠١.

(٤) في الأصل (سأله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن درء التعارض ٨/ ٣٧٥

(٥) في (ط) (قال).

(٦) في (ط) (قال).

(٧) ما بينهما ساقط من (ط).

قول سعيد بن جبير[١] والضحاك[٢] وإبراهيم النخعي[٣] وابن زيد[٤]. وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد: هو الخصاء»[٥]. ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء/ ١١٩] فتغيير ما فطر الله عباده من الدين تغيير لخلقه. والخصاء وقطع آذان الأنعام تغيير لخلقه أيضاً، ولهذا شبه النبي ﷺ أحدهما بالآخر. فأولئك يغيرون [الشريعة][٦]، وهؤلاء يغيرون الخلقة (فذاك تغيير)[٧] ما خلقت عليه نفسه وروحه، وهذا (تغيير)[٨] ما خلق عليه بدنه][٩].

فصل

[ولما صار القدرية يحتجون بهذا الحديث على قولهم، صار الناس يتأولونه على تأويلات يخرجونه بها عن مقتضاه. فقالت القدرية[١٠]: كل مولود يولد على الإسلام والله سبحانه لا يضل أحداً، وإنما أبواه يضلانه[١١].

---

(١) سبقت ترجمته ص١٨٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص١٩٩ ، ١٠١٨ .

(٣) سبقت ترجمته ص١٣٩٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص٣٨٩، ١٠١٨ .

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠-٤٢) بتصرف

(٦) في الأصل (الشرعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في (ط) (فذلك يغير).

(٨) في (ط) (يغير).

(٩) درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٧٤-٣٧٧

(١٠) سبق تعريفها .

(١١) انظر: مقالات الإسلاميين ص٥٤٩ ، الفرق بيت الفرق ص١١٤.

قال لهم أهل السنة: أنتم لا تقولون بأول الحديث ولا بآخره. أما أوله، فإنه لم يولد أحد عندكم على الإسلام أصلاً، ولا جعل الله أحداً مسلماً ولا كافراً عندكم، (بل)[١] هذا أحدث لنفسه الكفر، وهذا أحدث لنفسه الإسلام، والله لم يخلق واحداً منهما، ولكن دعاهما إلى الإسلام، وأزاح عللهما، وأعطاهما قدرة (مماثلة فيهما)[٢] تصلح للضدين، ولم يخص المؤمن بسبب يقتضي حصول الإيمان، فإن ذلك عندكم غير مقدور له، ولو كان مقدوراً لكان منع الكافر منه ظلماً.

هذا قول عامة القدرية[٣]، وإن كان أبو الحسين[٤] يقول: إنه خص المؤمن بداعي الإيمان، ويقول: عند الداعي والقدرة يجب وجود الإيمان. وهذا في الحقيقة موافق لقول أهل السنة. قالوا: وأيضاً تقولون: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل. ويستحيل أن تكون المعرفة عندكم ضرورةً أو تكون من فعل الله][٥].

وأما كونكم لا تقولون بآخره، فهو أن ينسب فيه التهويد والتنصير إلى الأبوين وعندكم أن المولود هو الذي أحدث لنفسه التهويد والتنصر دون

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في (الأصل) (متماثلة) والصواب ما أثبته من (ط) ودرء التعارض ٨/ ٣٧٨.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ص ٢٧٣، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٩٢

(٤) هو : شيخ المعتزلة محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين البصري المتكلم، صاحب التصانيف على مذهب المعتزلة. مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة. انظر: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠ ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٠

(٥) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٧٧/ ٣٧٨)

الأبوان، والأبوان لا قدرة لهما على ذلك البتة.

وأيضاً فقوله: « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » [دليل على أن الله يعلم ما يصيرون إليه بعد ولادتهم على الفطرة، هل يبقون عليها فيكونون مؤمنين، أو يغيرونها فيصيرون كفاراً][١]. فهو دليل على تقدم العلم الذي ينكره غلاة القدرية، واتفق السلف على تكفيرهم بإنكاره.[٢] [فالذي][٣] استدللتم به من الحديث على قولكم الباطل ـ وهو قوله: « **فأبواه يهودانه وينصرانه** » ـ لا حجة لكم (فيه)[٤]، بل هو حجة عليكم، [فغير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد، بل المراد بالحديث دعوة الأبوين إلى ذلك (وترغيبهما فيه)[٥] وترتيبهما على ذلك مما يفعله المعلم والمربي، وخص الأبوين بالذكر (بناء)[٦] على الغالب (إذ لكل طفل)[٧] أبوان، وإلا فقد يقع (ذلك)[٨] من أحداهما (أو)[٩] من غيرهما][١٠].

---

(١) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٧٨)

(٢) انظر: السنة للإمام عبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ١٠٤، ٢/ ٣٨٥)، الإيمان لابن تيمية ص (٣٦٨، ٣٦٩)، حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم ص ٣٦٥.

(٣) في الأصل (فالذين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) زيادة من م، ط، ومن الدرء ٨/ ٣٧٩.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) ساقطة م (م) وفي (ط) (أنه جعل).

(٨) ساقطة من م، ط.

(٩) في الأصل (و).

(١٠) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٧٨، ٣٧٩)

فصل

[قال أبو عمر بن عبد البر[(١)] : اختلف العلماء في الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلافاً كثيراً. وكذلك اختلفوا في الأطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة. فسئل عنه ابن المبارك[(٢)] فقال: يفسره آخر الحديث: قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين» . هكذا ذكر أبو عبيد[(٣)] عن ابن المبارك لم يزد شيئاً.

وذكر أنه سأل محمد بن الحسن[(٤)] عن تأويل هذا الحديث. فقال: كان هذا القول من النبي ﷺ قبل أن يؤمر الناس بالجهاد. هذا ما ذكره أبو عبيد.

قال أبو عمر: أما ما ذكره عن ابن المبارك، فقد روي عن مالك نحو ذلك، وليس فيه مقنع من التأويل، ولا شرح موعب في أمر الأطفال، ولكنها تؤدي إلى الوقوف عن القطع فيهم بكفر أو إيمان، أو جنة أو نار ما لم يبلغوا العمل.

قال: وأما ما ذكره عن محمد بن الحسن، فأظن محمداً حاد عن الجواب

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الإمام، صاحب التصانيف، سمع شريكاً، وابن المبارك وظبقتيهما، وحدث عنه الدارمي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وعلي بن عبد العزيز البغوي، ولد بهراة سنة سبع وخمسين ومائة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين. انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٤ ، شذرات الذهب ٢/ ٥٤

(٤) محمد بن الحسن بن فرقد العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني الكوفي، صاحب أبي حنيفة، أخذ الفقه عن أبي حنيفة وأبي يوسف، كما روى عن أبي حنيفة والأوزاعي ومالك بن أنس. أخذ عنه الشافعي، وأبو عبيد، وهشام بن عبيد، وغيرهم كثير. توفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٤ ، شذرات الذهب ١/ ٣٢١

فيه، إما لإشكاله عليه، أو لجهله به، أو لما شاء الله.

وأما قوله : إن ذلك من النبي ﷺ قبل أن يؤمر بالجهاد. (فلا أدري ما هذا. فإن كان أراد أن ذلك منسوخ، فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في أخبار الله ورسوله، إذ المخبر بشيء كان أو يكون إذ رجع عن ذلك لم يخل رجوعه من تكذيبه لنفسه، أو غلطة فيما أخبر به، أو نسيانه. وقد جل الله عن ذلك، وعصم رسوله منه، وهذا لا يجهله ولا يخالف فيه أحد)[١].

وقول محمد بن الحسن إن هذا كان قبل أن يؤمر الناس بالجهاد، ليس كما قال، (لأن)[٢] في حديث الأسود بن سريع[٣] ما يتبين أن ذلك كان منه بعد الأمر بالجهاد. ثم روى بإسناده عن الحسن: عن الأسود بن سريع، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان؟» فقال رجل: أوَليس إنما هم أولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أوليس خياركم أولاد المشركين؟ إنه ليس من [مولود][٤] يولد إلا على الفطرة حتى (يبلغ)[٥] فيعبر عنه لسانه، ويهوده أبواه أو ينصرانه»[٦].

قال : وروى هذه الحديث عن الحسن جماعة؛ منهم بكر المزني[٧] والعلاء بن

---

(١) ما بينهما لم أجده في التمهيد.

(٢) في (ط) (أن).

(٣) سبقت ترجمته ص١٣٩٤ .

(٤) زيادة من (ط) ومن درء التعارض ٨/ ٣٨١.

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) سبق تخريجه انظر: ص ١٣٩٤.

(٧) بكر المزني: هو بكر بن عبد الله المزني، الإمام، القدوة، الواعظ، الحجة، أبو عبد الله المزني، البصري، أحد الأعلام، يذكر مع الحسن وابن سيرين. حدث عن المغيرة بن=

زياد[١]، [والسري][٢] بن يحيى[٣].

وقد روي عن الأحنف[٤] عن الأسود بن سريع، قال: وهو حديث بصري صحيح.

قال: وروى عوف [الأعرابي][٥][٦] عن سمرة بن

= شعبة، وابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وحدث عنه ثابت البناني، وعاصم الأحول، وسليمان التيمي، وحبيب العجمي، وحميد الطويل، وغيرهم. مات سنة ست ومائة، وقيل: ثمان ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٤٨٤ ، حلية الأولياء ٢/ ٢٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢.

(١) سبقت ترجمته انظر: ص١٤٠١ .

(٢) في (ط) (المسري).

(٣) هو: السري بن يحيى بن إياس بن حرملة بن إياس الشيباني، أبو الهيثم، ويقال: أبو يحيى، البصري، روى عن الحسن البصري، وثابت البناني، وابن شوذب، وهشام الدستوائي، وغيرهم. وروى عنه حماد بن زيد، وحمزة بن ربيعة، وابن المبارك، وابن وهب، وآخرين. مات سنة سبع وستين ومائة. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ١١٨، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٦٠ .

(٤) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، العالم النبيل أحد من يضرب بحلمه المثل، كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ حدث عن عمر، وعلي، وأبي ذر، والعباس، وابن مسعود، وغيرهم. وعنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما. قيل: مات سنة سبع وستين، وقيل: إحدى وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٦، شذرات الذهب ١/ ٧٨ .

(٥) في الأصل (العرابي) والصواب (الأعرابي) كما في التمهيد (١٨/ ٦٨) ودرء التعارض (٨/ ٣٨٢).

(٦) هو: عوف بن أبي جميلة الحافظ الأعرابي البصري، ولم يكن أعرابياً، بل شهر به.=

جندب[1] عن النبي ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة» فناداه الناس: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ قال: «وأولاد المشركين»[2]][3].

قال شيخنا: [أما ما ذكره أبو عمر عن مالك وابن المبارك، فيمكن أن يقال: إن المقصود أن آخر الحديث يبين أن (الأولاد)[4] قد سبق علم الله (ما)[5] يعملون إذا بلغوا، وأن منهم من يؤمن فيدخل الجنة، ومنهم من يكفر فيدخل النار. فلا يحتج بقوله: «**كل مولود يولد على الفطرة**» على نفي القدر، كما احتجت القدرية به، ولا[6] على أن أطفال الكفار كلهم في الجنة

ولد سنة ثمان وخمسين. حدث عن أبي العالية، وزارة بن أوفى، وابن سيرين، وخلق كثير. وحدث عنه شعبة، وابن المبارك، وغندر، وطائفة غيرهم. مات ست وأربعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٣، تهذيب التهذيب ٨/ ١٦٦.

(١) سمرة بن جندب هو: ابن هلال الفزاري، من علماء الصحابة، حدث عنه ابنه سليمان، وأبو قلابة الجرمي، وعبد الله بن بريدة، وأبو رجاء العطاردي، والحسن البصري، وغيرهم. مات سنة ثمان وخمسين، وقيل: تسع وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٣، شذرات الذهب ١/ ٦٥.

(٢) هذا جزء من حديث طويل عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وأوله: قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: «**فيقص عليه من شاء الله أن يقص..**» أخرجه البخاري في كتاب (التعبير) باب (تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح) ٨/ ٨٤

(٣) انظر: التمهيد (١٨/ ٦٦-٦٨)، درء التعارض (٨/ ٣٧٩-٣٨٢)

(٤) في م، ط (الأول).

(٥) ساقطة من (م، ط).

(٦) ساقطة من (ط).

لكونهم ولدوا على الفطرة. فيكون مقصود مالك وابن المبارك أن حكم الأطفال على ما في آخر الحديث.

وأما قول محمد[١] : فإنه رأى الشريعة قد استقرت على أن ولد اليهودي والنصراني يتبع أبويه في الدين في أحكام الدنيا، فيحكم له بحكم الكفر في أنه لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثه المسلمون، ويجوز استرقاقهم. فلم يجز لأحد أن يحتج بهذا الحديث على أن حكم [الأطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم ألسنتهم.

وهذا حق، ولكن ظن أن][٢] الحديث اقتضى الحكم لهم في الدنيا بأحكام المؤمنين، فقال: هذا منسوخ، كان قبل الجهاد، لأنه بالجهاد أبيح استرقاق النساء والأطفال، والمؤمن لا يسترق، ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الأحكام الدنيوية أمر ما زال مشروعاً، وما زال الأطفال تبعاً لأبويهم في الأمور الدنيوية، والحديث لم يقصد بيان هذه الأحكام، وإنما قصد بيان ما ولد عليه الأطفال من الفطرة.

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل [إنه][٣] ولد على الفطرة، أو على الإسلام، أو على هذه الملة، أو خلق حنيفاً، فليس المراد به أنه حين يخرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل/ ٧٨]، ولكن فطرته موجبة مقتضية

(١) يعني محمد بن الحسن سبقت ترجمته ص١٤١٠ .

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن درء التعارض ٨/ ٣٨٣.

(٣) زيادة من (ط) ومن الدرء.

لدين الإسلام (لمعرفته)[١] ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته، وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض.

وليس المراد أيضاً مجرد قبول الفطرة لذلك، فإن هذا القبول (تغير)[٢] بتهويد الأبوين وتنصيرهما بحيث يخرجان الفطرة عن [قبولها][٣]، وإن سعيا بين بنيهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول.

وأيضاً فإن القبول ليس هو الإسلام. وليس هو هذه الملة، وليس هو الحنيفية.

وأيضاً فإنه شبه تغيير الفطرة بجدع، البهيمة الجمعاء، ومعلوم أنهم لم يغيروا قبوله، [ولو][٤] تغير القبول وزال لم تقم عليه الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، بل المراد [أن][٥] كل مولود، فإنه يولد على محبته لفاطره (وإخلاصه له)[٦] وإقراره [له][٧] بربوبيته وإذعانه[٨] له بالعبودية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره. كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه، وهذا من قوله تعالى: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه/ ٥٠]، وقوله

---

(١) في (ط) (لقروبه).

(٢) في الأصل (لا يتغير) والصواب ما ذكرته من (ط).

(٣) في الأصل (قبولهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (ولم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) زيادة من م، ط.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) زيادة من م، ط.

(٨) في (ط) (وادعائه).

تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى/ ٢، ٣]. فهو سبحانه خلق الحيوان مهتدياً إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره. ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئاً فشيئاً بحسب حاجته. ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة][1]، فهكذا ما ولد عليه من الفطرة، ولهذا شبهت الفطرة باللبن، بل كانت إياه في التأويل للرؤيا، ولما عرض على النبي ﷺ ليلة الإسراء اللبن والخمر أخذ اللبن، فقيل له: أخذت الفطرة، ولو أخذت الخمر لغوت أمتك[2].

فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره كمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها.

فصل

قال ابن عبد البر[3]: وقالت طائفة[4]: المراد بالفطرة في هذا الحديث: [الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة. يريد أنه خلق خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل (بخلقتها)[5] إلى معرفة [ربها][6]، قالوا: والفاطر

---

(١) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٨٢-٣٨٤)

(٢) جزء من حديث الإسراء والمعراج، أخرجه البخاري في كتاب (الأنبياء) باب (قول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ٤/ ١٢٥. ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ) ح (٢٦٤) ١/ ١٤٩ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) سبقت ترجمته ص١٧١ .

(٤) في التمهيد: (فقالت جماعة من أهل الفقه والنظر) .

(٥) في م، ط (بخلقها).

(٦) زيادة من (ط)، في التمهيد والدرء (ذلك).

هو الخالق، وأنكرت أن يكون المولود يفطر على إيمان أو كفر][1] .

قال شيخنا [صاحب هذا القول: إن أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها، فهذا ضعيف، فإن مجرد القدرة على ذلك لا يقتضي أن يكون حنيفاً، ولا أن يكون على الملة، ولا يحتاج أن يذكر [تغيير][2] أبويه لفطرته [حتى][3] يسأل عمن مات صغيراً، ولأن القدرة في الكبير أكمل منها في الصغير، وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان، فقالوا: إنهم أولاد المشركين قال: «أوَليس خياركم أولاد المشركين؟ ما من مولود إلا ويولد على الفطرة »، ولو أريد القدرة، لكان البالغون كذلك مع كونهم مشركين مستوجبين للقتل.

وإن أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع إرادتها، فالقدرة الكاملة مع الإرادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور، فدل على أنهم فطروا على القدرة على المعرفة وإرادتها، وذلك مستلزم للإيمان][4] .

فصل

قال أبو عمر: [وقال آخرون: معنى قوله « يولد على الفطرة » يعني البداءة التي ابتدأهم عليها. يريد أنه مولود على ما فطر الله عليه (خلقه)[5] من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من قبولهم [عن آبائهم][6] اعتقادهم.

---

(١) انظر: التمهيد بتصرف (١٨/ ٦٨، ٦٩)، درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٨٤، ٣٨٥)

(٢) في الأصل (بغير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (حين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) درء التعارض (٨/ ٣٨٥)

(٥) في م، ط (خلقته).

(٦) في (ط) قبلوهم غير إيمانهم.

قالوا: والفطرة في كلام العرب: البداءة (والفاطر)[1] المبتدئ، وكأنه قال: يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء، والسعادة وغير ذلك مما يصير إليه، وقد فطر عليه. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾[الأعراف/ ٢٩، ٣٠].

وروى بإسناده إلى ابن عباس[2] قال: لم أدر ما فاطر السماوات والأرض حتى [أتى][3] أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها[4] وذكر دعاء علي : «اللهم جبار القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها »[5]][6].

قال شيخنا: [حقيقة هذا القول أن كل مولود فإنه يولد على ما سبق في علم الله أنه صائر إليه. ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة.

فجميع البهائم مولودة على ما سبق في علم الله لها، والأشجار مخلوقة على ما سبق في علم الله، وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة.

وأيضاً فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله: « فأبواه يهودانه » معنى، فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها. وعلى هذا القول، فلا فرق بين التهويد

---

(١) في م، ط (الفاظ).

(٢) سبقت ترجمته ص١٤٢ .

(٣) في (ط) أتانا

(٤) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٨٣

(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ٧٩) من غير إسناد، حيث قال: (وذكروا ما يروى عن علي ... ثم ذكره).

(٦) انظر: التمهيد بتصرف (١٨/ ٧٨، ٧٩)، درء التعارض (٨/ ٣٨٦، ٣٨٧)

والتنصير، وبين (تلقين)[1] الإسلام وتعليمه، وبين (تعليم)[2] سائر الحرف والصنائع، فإن ذلك كله (داخل)[3] فيما سبق به (العلم)[4].

وأيضاً فتمثله ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه.

وأيضاً، فقوله: «على هذه الملة»، وقوله: «إني خلقت عبادي حنفاء» مخالف لهذا.

وأيضاً، فلا فرق بين حال الولادة، وسائر أحوال الإنسان، [فإنه][5] من حين كان جنيناً إلى ما لا نهاية له من أحواله على ما سبق في علم الله. فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بغير مخصص.

وقد ثبت في الصحيح أنه (قبل)[6] نفخ الروح فيه: «يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[7].

فلو قيل: كل مولود تنفخ فيه الروح على الفطرة، لكان أشبه بهذا المعنى،

---

(١) في (ط) (تلقي).

(٢) في (ط) (تعلم).

(٣) في م، ط (واحد).

(٤) في الأصل (العليم) والصواب ما أثبته من، ط، ومن الدرء.

(٥) في الأصل (فإن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) (قبل حين).

(٧) جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، رواه البخاري في صحيحه في كتاب (القدر) باب (في القدر) ٧/ ٢١٠. ومسلم في كتاب (القدر) باب (كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه) ح (٢٦٤٣) ٤/ ٢٠٣٦

مع أن النفخ هو بعد الكتابة][1] .

فصل

قال أبو عمر: [قال محمد بن نصر المروزي[2]: وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد[3] عن ابن المبارك أنه سئل عن هذا الحديث، فقال: يفسره قوله: « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

قال المروزي: وقد كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه. قال أبو عمر: وما رسمه مالك في « موطئه » وذكره في أبواب القدر فيه من الآثار [ما يدل][4] على أن مذهبه في ذلك نحو هذا[5]].[6]

قال شيخنا: [أئمة السنة مقصودهم أن الخلق صائرون إلى ما سبق في علم الله فيهم من إيمان وكفر، كما في الحديث الآخر: أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً[7]، والطبع الكتاب، أي كتب كافراً، كما في الحديث الصحيح: « فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » . ليس إذا كان الله كتبه كافراً يقتضي أنه حين الولادة كافر، بل يقتضي أنه لابد أن يكفر، وذلك الكفر هو التغيير، كما أن البهيمة التي ولدت جمعاء قد سبق في علمه أنها

---

(١) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٨٧، ٣٨٨)

(٢) سبقت ترجمته ص١٨٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص١٤١٠ .

(٤) في الأصل (يدل) والصواب ما أثبته من (ط)، ومن الدرء.

(٥) انظر: رواية (يحيى بن مالك) في الموطأ كتاب (القدر) باب (النهي عن القول في القدر) ح (٢) ٢/ ٨٩٨.

(٦) انظر: التمهيد ١٨/ ٧٩ ، درء التعارض (٨/ ٣٨٨، ٣٨٩)

(٧) سبق تخريجه انظر: ص٢٥٨ ، ١٢٨٧ .

تجدع كتب أنها مجدوعة بجدع يحدث لها بعد الولادة، ولا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة.

فصل

وكلام أحمد في أجوبة له أخر يدل على أن الفطرة عنده الإسلام، كما ذكر محمد بن نصر عنه أنه آخر قوليه، فإنه كان يقول: إن صبيان أهل الحرب إذا سُبُوا بدون الأبوين كانوا مسلمين، وإن كانوا معهما فهم على دينهما، فإن سُبُوا مع أحدهما ففيه عنه روايتان. وكان يحتج بالحديث][1].

قال الخلال[2] في الجامع[3]: (أخبرنا)[4] أبو بكر المروزي[5] (أن أبا)[6] عبدالله قال في سبي أهل الحرب: إنهم مسلمون إذا كانوا صغاراً، وإن كانوا

---

(١) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن هارون، أبوبكر، المعروف بالخلال، له التصانيف الدائرة، والكتب السائرة، التي منها: « الجامع » و « العلل » سمع من الحسن بن عرفة، وسعدان بن نصر، ويحيى بن أبي طالب، وأبي الحسن الميمون، وخلق كثير. وصحب أبا بكر المروزي، إلى أن مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر: طبقات الحنابلة ٢/ ١٢، الوافي بالوفيات (٨/ ٩٩)، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٧.

(٣) هو كتاب (مسائل الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني) ويبدأ الجزء الأول من كتاب (أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض ونحو ذلك).

(٤) في م، ط (أنبأنا).

(٥) أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي، الإمام، الثقة، الحافظ، صاحب الإمام أحمد وقاضي حمص. توفي سنة (٢٩٢هـ). انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٥٢، تهذيب التهذيب ١/ ٦٢.

(٦) في (ط) أنبأنا

مع أحد الأبوين. وكان يحتج بقول رسول الله ﷺ: «فأبواه يهودانه وينصرانه». قال: وأما أهل الثغر، فيقولون: إذا كان مع أبويه إنهم يجبرونه على الإسلام. قال: ونحن لا نذهب إلى هذا، قال النبي ﷺ: «فأبواه يهودانه وينصرانه»[(١)].

قال الخلال: [أنبأنا][(٢)] عبد الملك الميموني[(٣)] قال: سألت أبا عبد الله قبل الحبس عن الصغير يخرج من أرض الروم وليس معه أبواه، فقال: إن مات صلى عليه المسلمون. قلت: يكره على الإسلام؟ قال: إذا كانوا صغاراً يصلون عليهم أكره [أن يليه إلا هم، وحكمه حكمهم][(٤)].

قلت فإن [كان][(٥)] (معه)[(٦)] أبواه؟ قال: إذا كان معه أبواه أو أحدهما لم يكره، ودينه على دين أبويه. قلت: إلى أي شيء تذهب؟ إلى حديث النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه؟» قال: نعم. [قال][(٧)]: وعمر بن عبد العزيز[(٨)] فادى به فلم يرده إلى بلاد الروم إلا وحكمه حكمهم.

قلت: في الحديث كان معه أبواه، قال: لا، وليس ينبغي إلا أن يكون معه أبواه][(٩)].

---

(١) انظر: أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد ص (٣٠)، درء التعارض ٨/ ٣٩٠.

(٢) في أحكام أهل الملل (أخبرني).

(٣) سبقت ترجمته ص ١٣٨٩.

(٤) ما بينهما من (أحكام أهل الملل)، (الدرء).

(٥) زيادة من م، ط. و(أحكام أهل الملل)، و(الدرء).

(٦) في م، (بعد).

(٧) زيادة من (أحكام أهل الملل)، (الدرء).

(٨) سبقت ترجمته ص ١٠٧٠.

(٩) انظر: أحكام أهل الملل ص (٣٠، ٣١) باختلاف يسير. درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٩١.

[قال الخلال: ما رواه الميموني قول أول لأبي عبد الله، ولذلك نقل إسحاق بن منصور[١] أن أبا عبد الله قال: إذا لم يكن معه أبواه فهو مسلم، قلت: لا يجبرون على الإسلام إذا كان معه أبواه أو أحدهما؟ قال: نعم: قال الخلال: وقد روى هذه المسألة عن أبي عبد الله خلق، كلهم قال: إذا كان مع أبويه فهو مسلم. وهؤلاء النفر سمعوا من أبي عبد الله بعد الحبس، وبعضهم قبل وبعد. والذي أذهب إليه ما رواه الجماعة][٢] .

[قال الخلال: وحدثنا أبو بكر المروزي[٣] قال: قلت لأبي عبد الله: إني كنت بواسط[٤] فسألوني عن الذي يموت هو وامرأته ويدعان طفلين ولهما عم، ما تقول فيهما؟ فإنهم قد كتبوا إلى البصرة فيها، فقال: أكره أن أقول فيها برأي، دع حتى أنظر لعل (فيها)[٥] عمن تقدم. فلما كان بعد شهر عاودته. قال: نظرت فيها فإذا النبي ﷺ قال: «فأبواه يهودانه وينصرانه». وهذا ليس له أبوان. قلت : يجبر على الإسلام؟ قال : نعم. هؤلاء مسلمون لقول النبي ﷺ.

---

(١) إسحاق بن منصور: الإمام، الفقيه، الحافظ، الحجة، أبو يعقوب، إسحاق بن منصور بن بهرام، المروذي، سمع سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وغيرهم، وهو الذي دون عن الإمام أحمد المسائل في الفقه. وحدث عنه الجماعة سوى أبي داود، وأبو زرعة الرازي، وأبو بكر ابن خزيمة، وأبو العباس السراج وخلق سواهم. مات سنة إحدى وخمسين ومائتين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١١٣، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٥٨ .

(٢) انظر: أحكام أهل الملل بتصرف ص (٣٢)، درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٩٢.

(٣) سبق ترجمته ص١٤٢١ .

(٤) واسط: مدينة تقع بين البصرة والكوفة بالعراق، وسميت (واسط) لتوسطها بينهما، ويقال: إن الذي بناها الحجاج. وهناك أماكن أخرى تحمل هذا الاسم، قيل: عددها سبعة أواسط. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٤٧.

(٥) في م، ط (فيهما).

وكذلك نقل يعقوب بن [بختان[1]][2] قال: أبو عبد الله: [الذمي إذا مات أبواه][3] وهو صغير أجبر على الإسلام، وذكر الحديث «فأبواه يهودانه وينصرانه» .

ونقل عنه عبد الكريم بن الهيثم العاقولي[4] في المجوسيين يولد لهما ولد، فيقولان: هذا مسلم، فيمكث خمس سنين ثم يتوفى. قال: [ذاك][5] يدفنه المسلمون، قال النبي ﷺ: « فأبواه يهودانه وينصرانه » .

وقال عبد الله بن أحمد[6]: سألت أبي عن قوم يزوجون بناتهم من قوم

---

(١) في جميع النسخ (سحبان) والصواب ما أثبته من (أحكام أهل الملل) و(درء التعارض).

(٢) يعقوب بن إسحاق بن بختان، أبو يوسف، سمع مسلم بن إبراهيم، وإمامنا أحمد، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا، وجعفر الصندلي، وأحمد بن محمد بن أبي شيبة، وكان أحد الصالحين الثقات.انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٤١٥

(٣) في م، ط (إذا مات الذمي أبواه).

(٤) عبد الكريم بن الهيثم العاقولي: هو عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران، أبو يحيى القطان العاقولي، سمع مسلم بن إبراهيم الأزدي، وسليمان بن حرب، والفضل بن دكين وغيرهم. ومات بدير العاقول في شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين، وكان ثقة، ثبتاً، حدث عنه جماعة، منهم أبو بكر بن داود الفقيه. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢١٦ ، العبر ١/ ٤٠٠

(٥) في الأصل (ذلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء، وأحكام أهل الملل .

(٦) هو: الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ أبوعبدالرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي، الشيباني، المروزي، ثم البغدادي. روى عن أبيه شيئاً كثيراً، وعن شيبان بن فروخ، وحوثرة بن أشرس، =

على أنه ما كان من ذكر فهو للرجل المسلم، وما كان من أنثى فهي مشركة يهودية أو مجوسية أو نصرانية. فقال: يجبر هؤلاء من (أبى)[١] منهم على الإسلام؛ لأن آباءهم (مسلمون)[٢]؛ لحديث النبي ﷺ «فأبواه يهودانه وينصرانه» يردون كلهم إلى الإسلام][٣]

[ومثل هذا كثير في أجوبته يحتج بالحديث على (أن الطفل)[٤] إنما يصير كافراً بأبويه، فإذا لم يكن مع أبوين كافرين فهو مسلم. فلو لم تكن الفطرة الإسلام لم يكن بعدم أبويه يصير مسلماً. فإن الحديث إنما دل على أنه يولد على الفطرة. ونقل [عنه][٥] الميموني[٦] أن الفطرة هي الدين، وهي الفطرة الأولى][٧] .

[قال الخلال[٨]: أخبرني الميموني أنه قال لأبي عبد الله: « كل مولود يولد على الفطرة » يدخل عليه إذا كان أبواه. يعني أن يكون حكمه حكم ما كانوا صغاراً؟ فقال لي: نعم، ولكن يدخل عليك في هذا. فتناظرنا بما يدخل علي من هذا القول، وبما يكون بقوله: قلت لأبي عبد الله: فما تقول أنت فيها،

= وسويد بن سعيد وخلق كثير. وروى عنه النسائي وابن صاعد، وأبو عوانة الإسفراييني، والخضر بن المثنى الكندي ، وأبو بكر بن زياد وغيرهم . مات سنة تسعين ومائتين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٨٠، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٦ .

(١) في م، ط (آباؤهم).

(٢) في (ط) (مسلماً).

(٣) انظر: أحكام أهل الملل الصفحات (٢٣-٢٦)، درء التعارض (٨/ ٣٩٢-٣٩٤).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في الأصل (عنهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٦) سبقت ترجمته ص١٣٨٩ .

(٧) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٩٤

(٨) سبقت ترجمته ص١٤٢١ .

وإلى أي شيء تذهب؟ قال: (أيش)[١] أقول؟ أنا ما أدري أخبرك هي مسلمة كما ترى. ثم قال لي: والذي يقول: كل مولود يولد [على الفطرة][٢] ينظر أيضاً إلى الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها. قلت له: فما الفطرة الأولى؟ هي الدين. قال: نعم. فمن الناس من يحتج بالفطرة الأولى مع قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة». قلت لأبي عبد الله: فما تقول لأعرف قولك؟ قال: أقول إنه على الفطرة الأولى.][٣].

قال شيخنا : فجواب أحمد أنه على الفطرة الأولى. وقوله: إنها الدين يوافق القول بأنه على دين الإسلام.

فصل

[وأما جواب أحمد أنه على ما فطر (عليه)[٤] من شقاوة وسعادة الذي ذكر محمد بن نصر[٥] أنه كان يقول به ثم تركه[٦]، فقال الخلال: أخبرني محمد ابن يحيى [الكحال][٧][٨] أنه قال لأبي عبدالله: «كل مولود يولد على الفطرة» ما تفسيرها؟ قال: هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها شقي أو سعيد.

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) زيادة من (ط)، ومن الدرء.

(٣) انظر: أحكام أهل الملل بتصرف ص (١٥-١٦)، درء التعارض بتصرف ٨/ (٣٩٤-٣٩٥).

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) سبقت ترجمته ص١٨٤ .

(٦) انظر: التمهيد ص (٧٩)

(٧) في الأصل (اللحال) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) سبقت ترجمته ص١٣٩٠ .

وكذلك نقل عنه الفضل بن زياد[١] وحنبل[٢] وأبو الحارث[٣] أنهم سمعوا أبا عبد الله في هذه المسألة، قال: الفطرة التي فطر الله العباد عليها [من][٤] الشقاوة والسعادة.

وكذلك نقل عنه علي بن سعيد[٥] أنه سأل أبا عبد الله عن «كل مولود يولد على الفطرة» قال : (على)[٦] الشقاوة والسعادة. قال : يرجع إلى ما خلق.

وعن الحسن بن ثواب[٧] قال: سألت أبا عبد الله عن أولاد المشركين،

---

(١) هو: الفضل بن زياد، أبو العباس القطان البغدادي، كان من المقدمين عند أبي عبدالله، وكان يعرف قدره ويكرمه، وحدث عنه مسائل كثيرة، وحدث عن الفضل بن زياد، وجماعة منهم يعقوب بن سفيان الفسوي، والحسن بن أبي العنبر، وأحمد الأدمي، وجعفر الصندلي، وأحمد بن عطاء، وآخرين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٥١.

(٢) سبقت ترجمته ص١٤٠ .

(٣) هو: أحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ، كان أبو عبد الله يأنس به، وكان يقدمه، ويكرمه، وروى أبو الحارث عن أبي عبد الله مسائل كثيرة، وحدث عنه أبو بكر الخلال، ومحمد بن جعفر. انظر طبقات الحنابلة ١/ ٧٤

(٤) في الأصل (عن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) سبقت ترجمته ص١٣٩٠ .

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) الحسن بن ثواب: هو أبو علي الثعلبي المخرمي، سمع يزيد بن هارون، وعبد الرحمن بن عمرو بن جبلة البصري وإبراهيم بن حمزة المدني، وآخرين، وروى عنه عبدالله بن محمد ابن إسحاق المروذي، وجعفر بن عبدالله بن مجاشع، وإسماعيل الصفار، وأبوبكر الخلال، وقال: كان شيخاً جليل القدر، وكان له بأبي عبد الله أنس شديد. مات سنة ثمان وستين ومائتين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٣١.

قلت : إن ابن أبي شيبة أبا بكر[١] قال: هو على الفطرة حتى (يهوده)[٢] أبواه أو ينصرانه، فلم يعجبه شيء من هذا القول. وقال: كل مولود من أطفال المشركين على الفطرة، يولد على الفطرة التي خلق عليها من الشقاء والسعادة التي سبقت في أم الكتاب، أرجع ذلك إلى الأصل. هذا معنى «كل مولود يولد على الفطرة »[٣] .

فمن أصحابه من (جعل)[٤] هذا قولاً قديماً له ثم تركه[٥]، ومنهم من جعل المسألة على روايتين وأطلق، ومنهم من حكى عنه فيها ثلاث روايات الثالثة الوقف[٦].

فصل

قال شيخنا: والإجماع [والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على القول الذي رجحناه، وهو أنهم (ولدوا)[٧] على الفطرة، ثم صاروا إلى ما

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، إبراهيم بن خواستي العبسي، مولاهم، أبو بكر الحافظ، الكوفي، روى عن عبد الله بن إدريس، وابن المبارك، وشريك، وهيثم، وأبي بكر بن عياش، وغيرهم. روى عنه، البخاري، ومسلم، وأبو داوود، وابن ماجه، وآخرون. مات سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٢، سير أعلام النبلاء ١١/ ١٢٢

(٢) في (ط) (يهوداه).

(٣) انظر: أحكام أهل الملل بتصرف: الصفحات (١٥-١٧)، درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٩٥، ٣٩٦)

(٤) ساقطة من (م) وفي (ط) (قال).

(٥) انظر: أحكام أهل الملل ص (١٩).

(٦) انظر: أحكام أهل الملل ص (١٤).

(٧) ساقطة من (م)، (ط).

سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة، لا يدل على أنهم حين الولادة لم يكونوا على فطرة سليمة مقتضية للإيمان، ومستلزمة له لولا العارض][١].

[فروى ابن عبد البر بإسناده عن موسى بن عبيدة[٢]: سمعت محمد بن كعب القرظي[٣] في قوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [الأعراف/ ٢٩، ٣٠] قال: من ابتدأ الله خلقه على الهدى صَيَّره إلى الهدى، وإن عمل بعمل أهل الضلالة، ومن ابتدأ خلقه للضلالة صيَّره إلى الضلالة وإن عمل بعمل أهل الهدى[٤]. ابتدأ خلق إبليس على الضلالة، وعمل بعمل أهل السعادة مع الملائكة، ثم رده الله إلى ما ابتدأ خلقه عليه من الضلالة، قال: وكان من الكافرين.

---

(١) درء التعارض بتصرف ٨/ ٤١٠.

(٢) موسى بن عبيدة: هو موسى بن عبيدة الربذي. حدث عن نافع، ومحمد بن كعب القرظي. وعنه شعبة، وروح بن عبادة، وعبيد الله، وجماعة. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر: العبر ١/ ١٦٩ ، ميزان الاعتدال ٤/ ٢١٣ .

(٣) هو: محمد بن كعب بن سليم، الإمام، العلامة، الصادق، أبو حمزة، وقيل: أبوعبدالله، القرظي، المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة. حدث عن أبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة، ومعاوية، وزيد بن أرقم، وابن عباس، وغيرهم. وحدث عنه أخوه عثمان، ويزيد بن الهاد وأبو جعفر الخطمي، وأبو سبرة النخعي، والحكم بن عتيبة، وعاصم بن كليب، وخلق كثير. مات سنة ثمان ومائة، وقيل: سبع عشرة، وقيل: تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين ومائة. انظر: حلية الأولياء ٣/ ٢١٢، سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٥، شذرات الذهب ١/ ١٣٦.

(٤) في التمهيد، والدرء، قدم قوله: (ومن ابتدأ خلقه للضلالة) على قوله: (من ابتدأ الله خلقه على الهدى).

وابتدأ خلق السحرة على الهدى، وعملوا بعمل [أهل][1] الضلالة، ثم هداهم الله إلى الهدى والسعادة، وتوفاهم عليها مسلمين][2].

[فهذا المنقول عن محمد بن كعب يبين أن الذي ابتدأهم عليه هو ما كتب أنهم صائرون إليه، وأنهم قد يعملون قبل ذلك غيره، وأن من ابتدىء على الضلالة ـ أي كتب أن يموت ضالاً ـ فقد يكون قبل ذلك عاملاً بعمل أهل الهدى، وحينئذ فمن ولد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى لا يمنع أن يعرض لها ما يغيرها، فيصير إلى ما سبق به القدر. كما في الحديث الصحيح «**إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل (النار)[3] حتى ما يكون (بينه وبينها)[4] إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة[5]**»][6].

[وقال سعيد بن جبير[7] في قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) انظر: التمهيد (١٨/ ٨٠) درء التعارض ٨/ ٤١١ ، كما ذكره الطبري في تفسيره ١٢/ ٣٨٣ .

(٣) ساقطة من (م).

(٤) في (ط) (بينها وبينه).

(٥) الحديث متفق عليه. وهو من رواية ابن مسعود، وأوله: « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً.. » وقد سبق تخريجه.

(٦) انظر: درء التعارض ٨/ (٤١١، ٤١٢)

(٧) سبقت ترجمته انظر: ص١٨٦ .

[الأعراف/ ٢٩] قال: كما كتب عليكم تكونون، وقال مجاهد[١]: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ شقي وسعيد. وقال أيضاً: يبعث المسلم مسلماً والكافر كافراً. وقال أبو العالية[٢]: عادوا إلى علمه فيهم ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[٣].

قلت: هذا المعنى صحيح في نفسه، دل عليه القرآن والسنة، والآثار السلفية، وإجماع أهل السنة[٤]. وأما كونه هو المراد بالآية ففيه ما فيه، والذي يظهر من الآية: أن معناها معنى نظرائها وأمثالها من الآيات التي يحتج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالأولى، وعلى المعاد بالمبدأ. فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان[٥].

فقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج/ ٥]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية [يس/ ٧٨] وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى

---

(١) سبقت ترجمته انظر: ص١٩٠ .

(٢) أبو العالية: هو رفيع بن مهران، الإمام المقرىء الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، وسمع من عمر، وعلي، وأُبَيٍّ، وأبي ذر، وابن مسعود وعائشة وأبي موسى وغيرهم. مات في شوال سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين. وقيل: سنة ست ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١١٢، الحلية ٢/ ٢١٧، شذرات الذهب ١/ ١٠٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧

(٣) انظر: التمهيد ١٨/ ٨١، وذكره الطبري في تفسيره ١٢/ (٣٨٢، ٣٨٣)، درء التعارض ٨/ (٤١٢، ٤١٣)

(٤) درء التعارض ٨/ ٤١٣ .

(٥) هذا الذي رجحه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره. انظر: ١٢(٦٨٥-٣٨٨).

﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ [كَانَ عَلَقَةً][1] فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة/ ٣٦-٣٨]، إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة/ ٤٠].

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥-٨] أي على رجع الإنسان حياً بعد موته. هذا هو الصواب في معنى الآية[2].

يبقى أن يقال: فكيف يرتبط هذا بقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف/ ٣٠]؟

فيقال: هذا الذي أوجب لأصحاب ذلك القول ما تأولوا به الآية. ومن تأمل الآية علم أن (هذا)[3] القول أولى بها. ووجه الارتباط أن الآية تضمنت قواعد الدين علماً وعملاً واعتقاداً، فأمر سبحانه فيها بالقسط وهو (العدل)[4] هو حقيقة شرعه ودينه، وهو يتضمن التوحيد، فإنه أعدل العدل، والعدل في معاملة الخلق، والعدل في العبادة وهو الاقتصاد في السنة. ويتضمن الأمر بالإقبال على الله، وإقامة عبوديته في بيوته[5] ويتضمن الإخلاص له، وهو عبوديته وحده لا شريك له. فهذا ما فيها من العمل.

ثم أخبر بمبدئهم ومعادهم، فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته، فذلك

---

(١) لا توجد في الأصل.

(٢) رجح هذا القول الطبري في تفسيره كما نقل ابن كثير أن هذا قول الضحاك، واختيار ابن جرير الطبري. انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ (٧٨٥، ٧٨٦)

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) ساقطة من م، ط

(٥) في (ط) (ثبوته).

الإيمان بالمبدأ والمعاد. ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد، فقال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فتضمنت الآية الإيمان بالقدر والشرع والمبدأ والمعاد والأمر بالعدل والإخلاص.

ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر، ولم يطع هذا الأمر: (فإنه قد والى الشيطان)[1] دون ربه، وأنه على ضلال، وهو يحسب أنه على هدى. والله أعلم.

فصل

[وقال آخرون: معنى)[2] قوله: « كل مولود يولد على الفطرة » أن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان، فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم، فقال: ألست بربكم قالوا جميعاً بلى، فأما أهل السعادة فقالوا: بلى على معرفة له طوعاً (من)[3] قلوبهم، وأما أهل الشقاء فقالوا: بلى كرهاً غير طوع. قالوا: يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

قالوا : وكذلك قوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ (ٱلضَّلَٰلَةُ)[4] ﴾[الأعراف/ ٢٩، ٣٠].

قال محمد بن نصر المروزي[5] : سمعت إسحاق بن راهوية[6] يذهب إلى هذا المعنى. واحتج بقول أبي هريرة « اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى

---

(١) في (ط) (بأنه قدوا للشيطان).

(٢) في م، ط (يعني).

(٣) في الأصل (في) والصواب ما أثبته من باقي النسخ ومن (الدرء) و (التمهيد).

(٤) مكررة في الأصل.

(٥) سبقت ترجمته ص١٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص١٤٣٣ .

فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾» قال (إسحاق)[١]: يقول لا تبديل للخلقة التي جبل عليها ولد آدم كلهم. يعني من الكفر والإيمان والمعرفة والإنكار. واحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ (ذُرِّيَّتَهُمْ)[٢]﴾ الآية [الأعراف/ ١٧٢].

قال إسحاق: أجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد. واستنطقهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ [شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ][٣] إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف ١٧٢، ١٧٣].

وذكر حديث أبي بن كعب[٤] في قصة الغلام الذي قتله الخضر، قال: وكان الظاهر ما قال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف/ ٧٤].

فأعلم الله الخضر ما كان الغلام عليه [في][٥] الفطرة التي فطره عليها، وأنه لا تبديل لخلق الله، فأمر بقتله؛ لأنه كان قد طبع يوم (طبع)[٦] كافراً.

وفي صحيح البخاري أن ابن عباس[٧] كان يقرؤها: « وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين »[٨].

---

(١) في (ط) (الحق).

(٢) في جميع النسخ (ذرياتهم) والصواب ما أثبته.

(٣) في جميع النسخ (قال انظروا ألا تقولوا أنا ...) والصواب ما أثبته.

(٤) سبقت ترجمته ص١٦٦ .

(٥) في (ط) من.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) سبقت ترجمته ص١٤٢ .

(٨) سبق تخريجه .

قال إسحاق[١]: فلو ترك النبي ﷺ الناس ولم يبين (لهم)[٢] حكم الأطفال، لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين، لأنهم لا يدرون ما جبل كل واحد عليه (حين)[٣] أخرج من ظهر آدم. فبين النبي ﷺ حكم الأطفال في الدنيا (بأن)[٤] أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. يقول: أنتم لا تعلمون ما طبع عليه في الفطرة الأولى، ولكن حكم الطفل في الدنيا حكم أبويه، فاعرفوا ذلك بالأبوين، فمن كان صغيراً بين أبوين مسلمين ألحق بحكم الإسلام، وأما إيمان ذلك وكفره مما يصير إليه، فعلم ذلك إلى الله.

ويعلم ذلك فضَّل الله الخضرَ في علمه بهذا على موسى؛ إذ أطلعه الله عليه في ذلك الغلام، وخصه بذلك. قال: ولقد سئل ابن العباس عن وِلْدان المسلمين والمشركين، فقال: حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر. قال إسحاق: ألا ترى إلى قول عائشة[٥] حين مات صبي من الأنصار بين أبوين مسلمين: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة، فرد عليها النبي ﷺ وقال: **«مَهْ يا عائشة، وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلاً، وخلق النار، وخلق لها أهلاً»**[٦].

قال إسحاق: فهذا الأصل الذي يعتمد عليه أهل العلم.

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) مكررة في (م).

(٣) في م، ط (حتى).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) سبقت ترجمتها ص١٧٥ .

(٦) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (القدر) باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة) ح (٢٦٦٢).

وسئل حماد بن سلمة[١] عن قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» فقال: هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم][٢].

[قال ابن قتيبة[٣]: يريد حين مسح ظهر آدم، فاستخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر: ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢][٤].

قال شيخنا: أصل مقصود [الأئمة][٥] صحيح، وهو منع احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفي القدر، لكن لا يحتاج مع ذلك أن يفسر القرآن والحديث إلا بما هو مراد الله ورسوله، ويجب أن يتبع في ذلك ما دل عليه الدليل. وما ذكروه أن الله فطرهم على الكفر والإيمان والمعرفة والنكرة؛ إن أرادوا به أن الله سبق (في)[٦] علمه وقدره بأنهم سيؤمنون ويكفرون ويعرفون وينكرون، وأن ذلك كان بمشيئة الله وقدره وخلقه، فهذا حق ترده القدرية، فغلاتهم ينكرون العلم، وجميعهم ينكرون عموم خلقه ومشيئته وقدرته، وإن أرادوا أن هذه المعرفة والنكرة كانت موجودةً حين أخذ الميثاق، كما في ظاهر المنقول عن إسحاق، فهذا يتضمن شيئين: أحدهما أنهم حينئذ

---

(١) سبقت ترجمته ص١٨١.

(٢) انظر: التمهيد ١٨/ ٨٣-٩٣، درء التعارض ٨/ ٤١٣-٤١٧ .

(٣) سبقت ترجمته ص٣٦١ .

(٤) درء التعارض ٨/ ٤١٧ وقد عزاه لابن عبد البر ، ولم أجده في التمهيد، كما ذكر محقق (الدرء) أنه لم يجده.

(٥) في الأصل (الآية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) زيادة من (ط).

كانت المعرفة والإيمان موجوداً فيهم كما قال ذلك [طوائف][(١)] من السلف، وهو الذي حكى إسحاق الإجماع عليه. وفي تفسير الآية نزاع بين الأئمة، وكذلك في خلق الأرواح قبل الأجساد قولان معروفان[(٢)]، لكن المقصود هنا أن هذا إن كان حقاً، فهو توكيد [لكونهم ولدوا على تلك المعرفة والإقرار، فهذا لا يخالف ما دلت عليه الأحاديث][(٣)] من أنه يولد على الملة، وأن الله خلق خلقه حنفاء، بل هو (مريد)[(٤)] لذلك.

وأما قول القائل: إنهم في ذلك الإقرار انقسموا إلى مطيع وكافر، فهذا لم ينقل عن أحد من السلف فيما أعلم إلا عن السدي[(٥)] في تفسيره. قال: لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء، مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: ادخلوا النار ولا أبالي، وذلك قوله: وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ثم أخذ منهم الميثاق؛ فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقيه، فقال هو والملائكة: ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله بأنه ربه، وذلك قوله

---

(١) زيادة من م، ط، ودرء التعارض.

(٢) انظر في ذلك تفسير الطبري ١٣/ (٢٢٢-٢٥٠)

(٣) زيادة من م، ط، ودرء التعارض.

(٤) في م، ط، والدرء (مؤيد).

(٥) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

عز وجل: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ آل عمران/ ٨٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام/ ١٤٩] يعني [يوم][١] أخذ الميثاق)[٢][٣].

قال شيخنا: (ومثل)[٤] هذا الأثر لا يوثق به، فإن في تفسير السدي أشياء قد عرف بطلان بعضها. وهو ثقة في نفسه، وأحسن أحوال هذا وأمثاله أن يكون كالمراسيل إن كانت أخذت عن النبي ﷺ، فكيف إذا كان مأخوذاً عن أهل الكتاب. ولو لم يكن في هذا إلا معارضة لسائر الآثار التي تتضمن التسوية بين جميع الناس في الإقرار.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران/ ٨٣] فإنما هو في الإسلام الموجود منهم بعد خلقهم. لم يقل: إنهم حين العهد الأول أسلموا طوعاً وكرهاً. يدل على ذلك أن ذلك الإقرار الأول جعله الله (حجة عليهم)[٥] (عند من يثبته)[٦] ولو كان فيهم كاره لقال لم اقر طوعاً بل كرهاً، فلا يقوم به عليه حجة.

وأما احتجاج (إسحاق[٧] رحمه الله)[٨] بقول أبي هريرة: « اقرؤوا إن

---

(١) زيادة من م، ط، وتفسير الطبري، ودرء التعارض.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٣/ (٢٤٢، ٢٤٣).

(٣) انظر: درء التعارض ٨/ (٤١٧، ٤٢١، ٤٢٣).

(٤) في م، ط (وقيل).

(٥) في ط (عليهم حجة).

(٦) في ط (على من ينسه).

(٧) سبقت ترجمته .

(٨) في (م) (رحمه) وفي (ط) (احمد).

شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم/ ٣٠] فهذه الآية فيها قولان:

أحدهما : أن معناها النهي، كما تقدم عن ابن جرير أنه فسرها (بذلك)[١] فقال: أي: لا تبدلوا دين الله الذي فطر عليه عباده. وهذا قول غير واحد من المفسرين لم يذكروا غيره.

والثاني: ما قاله إسحاق، وهو إنها خبر على ظاهرها، وأن خلق الله لا يبدله أحد. وظاهر اللفظ (أنه)[٢] خبر، فلا يجعل نهياً بغير حجة. وهذا أصح، وحينئذ فيكون المراد أن ما جبلهم عليه من الفطرة لا يبدل، فلا يجبلون على غير الفطرة، لا يقع هذا أصلاً.

والمعنى: أن الخلق لا يتبدل، فيخلقون على غير الفطرة. ولم يرد بذلك أن الفطرة لا تتغير بعد الخلق، بل نفس الحديث يبين أنها تتغير، ولهذا شبهها بالبهيمة التي تولد جمعاء، ثم تجدع، ولا تولد بهيمة مخصية ولا مجدوعة، وقد قال تعالى عن الشيطان : ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ فالله أقدرُ الخلقَ على أن يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيئته وأما تبديل الخلق بأن يخلقوا على غير تلك الفطرة، فهذا لا يقدر عليه إلا الله والله لا يفعله، كما قال: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل: لا تغيير، فإن تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله، ولكن إذا غير بعد ذلك وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة (قد حصل بدله)[٣].

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

وأما قول القائل: لا تبديل للخلقة التي جبل عليها بنو آدم كلهم من كفر وإيمان، فإن عنى به (أن)[1] ما سبق به القدر من الكفر والإيمان وبالعكس ممتنع، ولا أنه غير مقدور، بل العبد قادر على ما أمره الله به من الإيمان، وعلى ترك ما نهاه عنه من الكفر، وعلى أن يبدل حسناته بالسيئات وسيئاته [بالحسنات][2] كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾[النمل/ ١١].

وهذا التبديل كله بقضاء الله وقدره، وهذا بخلاف ما فطروا عليه حين الولادة، فإن ذلك خلق الله الذي لا يقدر على تبديله غيره، وهو سبحانه لا يبدله، بخلاف تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس، فإنه يبدله كثيراً، والعبد قادر على تبديله بإقدار الرب له على ذلك.

ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم/ ٣٠].

فهذه فطرة محمودة، أمر الله بها نبيه، فكيف تنقسم إلى كفر وإيمان مع أمر الله تعالى بها؟ وقد تقدم[3] تفسير السلف: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: لدين الله، أو النهي عن الخصاء ونحوه. ولم يقل أحد منهم: إن المعنى: لا تبديل لأحوال العباد من كفر إلى إيمان وعكسه، فإن تبديل ذلك موجود، ومهما وقع كان هو الذي سبق به القدر. والرب تعالى عالم بما سيكون، لا يقع خلاف معلومة، فإذا وقع التبديل كان هو الذي علمه.

وأما قوله عن الغلام، إنه طبع يوم طبع كافراً، فالمراد به أنه كتب كذلك

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في الأصل (بالتوبة) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) انظر: ص١٠٤٥-١٠٤٧ .

وقدر وختم، فهو من طبع الكتاب، ولفظ الطبع لما صار يستعمله كثير من الناس في الطبيعة ـ التي هي بمعنى الجبلة والخلقة ـ ظن الظان أن هذا مراد الحديث.

وهذا الغلام الذي قتله الخضر ليس في القرآن ما يبين أنه كان غير بالغ ولا مكلف، بل قراءة ابن عباس تدل على أنه كان كافراً في الحال، وتسميته غلاماً لا تمنع أن يكون مكلفاً قريب عهد بالصغير، ويدل عليه أن موسى عليه السلام لم ينكر قتله لصغره، بل لكونه زاكياً ولم يقتل نفساً. لكن يقال: في الحديث الصحيح ما يدل على أنه كان غير بالغ من وجهين:

أحدهما: أنه قال : فمر بصبي يلعب مع الصبيان.

الثاني: أنه قال: ولو أدرك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، وهذا دليل على كونه لم يدرك بعد.

فيقال: الكلام على الآية على التقديرين. فإن كان بالغاً وقد كفر، فقد قتل على كفره الواقع بعد البلوغ ولا إشكال. وإن كان غير بالغ، فلعل تلك الشريعة كان فيها التكليف قبل الاحتلام عند قوة عقل الصبي وكمال تمييزه. وإن لم يكن التكليف قبل البلوغ بالشرائع واقعاً، فلا يمتنع وقوعه بالتوحيد ومعرفة الله، كما قال طوائف من أهل الكلام والفقه من أصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم.

وعلى هذا فيمكن أن يكون مكلفاً بالإيمان قبل البلوغ، وإن لم يكن مكلفاً بشرائعه. وكفر الصبي المميز (صحيح)[1] عند أكثر (العلماء)[2] فإذا ارتد

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (العلماء مؤاخذ به).

صار مرتداً، لكن لا يقتل حتى يبلغ.

فالغلام الذي قتله الخضر إما أن يكون كافراً بعد البلوغ فلا إشكال، وإما أن يكون غير بالغ، وهو مكلف في تلك الشريعة، فلا إشكال أيضاً، (وإما)[1] أن يكون مكلفاً بالتوحيد والمعرفة غير مكلف بالشرائع، فيجور قتله في تلك الشريعة. وإما أن لا يكون مكلفاً (أصلاً)[2] فقتل لئلا (يفتن)[3] أبويه عن دينهما، كما يقتل الصبي في ديننا إذا لم يندفع ضرره عن المسلمين إلا بالقتل، بل الصبي الذي يقاتل المسلمين يقتل، فقتل الصبي الكافر يجوز لدفع حياله الذي لا يندفع إلا بالقتل.

وأما قتل صبي لم يكفر بعد بين أبوين مؤمنين للعلم بأنه إذا بلغ كفر وفتن أبويه؛ فقد يقال: ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه، وأيضاً فإن الله لم يأمر أن يعاقب أحد بما يعلم أن يكون منه قبل أن يكون منه، ولا هو سبحانه يعاقب العباد على ما (هو)[4] يعلم أنهم سيفعلونه حتى يفعلوه][5].

[وقائل هذا القول يقول: إنه ليس في قصة الخضر شيء من الاطلاع على الغيب الذي لا يعلمه عموم الناس، وإنما فيها علمه بأسباب لم يكن علم بها موسى، مثل علمه بأن السفينة لمساكين [يعملون][6] وراءهم ملك ظالم، وهذا أمر يعلمه غيره.

---

(١) في (م) (وإن).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في (ط) (يفتتن).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٢٣-٤٢٩).

(٦) زيادة من م، ط.

وكذلك كون الجدار كان لغلامين يتيمين، وأن أباهما كان رجلاً صالحاً، وأن تحته كنزاً لهما [هذا][1]، مما يمكن أن يعلمه كثير من الناس.

وكذلك كفر الصبي مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه، لكن (لمحبتهما)[2] له لا ينكران عليه، أو لا يقبل منهما.

فإن كان الأمر على ذلك، فليس في الآية حجة على قولهم أصلاً، وإن (كان)[3] ذلك الغلام لم يكفر بعد، ولكن سبق في العلم أنه إذا بلغ كفر، فمن يقول هذا يقول: إن قتله دفعاً لشره، كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[نوح ٢٦، ٢٧].

وعلى هذا فلم يكن قبل قيام الكفر به كافراً، وقراءة ابن العباس: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ ظاهره أنه كان كافراً][4] .

فإن قيل: فهذا الغلام كان أبواه مؤمنين ، فلو كان مولوداً على فطرة الإسلام ظاهره وهو بين أبوين مسلمين، لكان مسلماً تبعاً لهما وبحكم [الفطرة][5] فكيف يقتل والحالة هذه؟

قيل: إن كان بالغاً فلا إشكال، وإن كان مميزاً وقد كفر فيصح كفره وردته

---

(١) من الدرء.

(٢) في م، ط (لحبهما).

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٢٩، ٤٣٠)

(٥) في الأصل (الكفرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

عند كثير من العلماء، وأن كان[١] لا يقتل حتى يبلغ عندهم[٢]. فلعل في تلك الشريعة يجوز قتل المميز الكافر، وإن (كان)[٣] صغيراً غير مميز، فيكون قتله خاصاً به؛ لأن الله أطلع الخضر على أنه لو بلغ (لاختار)[٤] غير دين الأبوين. وعلى هذا يدل قول ابن عباس لنجدة[٥] وقد سأله عن قتل صبيان الكفار، فقال: لئن علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم[٦].

فإن قيل: إذا كان مولوداً على الفطرة وأبواه مؤمنين، فمن [أين جاء][٧] الكفر؟

قيل: إنما قال النبي ﷺ ذلك على الغالب، وإلا فالكفر قد يأتيه من [قبل][٨] غير أبويه. فهذا الغلام إن كان كافراً في الحال، فقد جاء الكفر من غير جهة أبويه، وإن كان المراد أنه إذا بلغ سيكفر باختياره فلا إشكال.

فصل

[وإما تفسير قول النبي ﷺ: «فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» أنه أراد

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) انظر: درء التعارض ٨/ ٤٢٨

(٣) في (م) (كان غير).

(٤) في الأصل (الأحبار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) هو نجدة الحروري من الخوارج. انظر: درء التعارض ٨/ ٤٢٨، والتعليق على صحيح مسلم ٢/ ١٤٤٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (النساء الغازيات ... والنهي عن قتل صبيان الحرب) ح(١٨٠٩) ٢/ ١٤٤٣

(٧) في الأصل (ابن ماجه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) زيادة من م، ط.

به مجرد الإلحاق في أحكام الدنيا دون أن يكون أراد أنهما يغيران الفطرة، فهذه خلاف ما يدل عليه الحديث؛ فإنه شبه تكفير الأطفال بجدع البهائم تشبيهاً للتغيير.

وأيضاً فإنه ذكر هذا الحديث لما (قتلوا)[1] أولاد المشركين، فنهاهم عن قتلهم، وقال: **«أليس خياركم أولاد المشركين. كل مولود يولد على الفطرة»** فلو أراد أنه تابع لأبويه في الدنيا، لكان هذا حجة لهم، يقولون: هم كفار كآبائهم (فنقتلهم كآبائهم)[2] وكون الصغير يتبع (أباه)[3] في أحكام الدنيا هو لضرورة بقائه في الدنيا، فإنه لا بد له من مرب يربيه، وإنما يربيه أبواه، فكان تابعاً لهما ضرورة. ولهذا من سُبِيَ منفرداً عنهما صار تابعاً لسابيه عند جمهور العلماء كأبي حنيفة[4] والشافعي[5] وأحمد[6]

---

(١) في م، ط (قتل).

(٢) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٣) في الأصل (أبواه).

(٤) هو: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، مولاهم الكوفي، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام، وأحد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب. رأى أنس بن مالك، وروى عن عطاء بن أبي رباح، والشعبي وغيرهم. وحدث عنه خلق كثير، ذكر منهم أبوالحجاج في تهذيبه: إبراهيم بن طهمان عالم خراسان، وأبيض بن الأغر بن الصباح المنقري، وأسباط بن محمد، وإسحاق الأزرق. توفي سنة خمسين ومائة. انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٥، البداية والنهاية ١٠/ ١١٠، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠

(٥) سبقت ترجمته ص٣٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص١٤٠ .

والأوزاعي[1] وغيرهم؛ لكونه هو الذي يربيه.

وإذا سُبِيَ منفرداً عن أحدهما أو معهما، ففيه نزاع بين العلماء. واحتجاج الفقهاء كأحمد وغيره بهذا الحديث على أنه متى سُبِيَ منفرداً عن أبويه يصير مسلماً (لا)[2] يستلزم أن يكون المراد بتكفير الأبوين لهما مجرد لحاقه (بهما)[3] في الدين، ولكن وجه الحجة أنه إذا (ولد)[4] على الملة فإنما ينقله عنها الأبوان اللذان يغيرانه عن الفطرة، فمتى سباه المسلمون منفرداً عنهما لم يكن هناك من غير دينه، وهو مولود على الملة، الحنيفية فيصير مسلماً بالمقتضي السالم عن المعارض.

ولو كان الأبوان يجعلانه كافراً في نفس الأمر بدون تعليم وتلقين، لكان الصبي المسبي بمنزلة البالغ الكافر، ومعلوم أن البالغ الكافر إذا سباه المسلمون لم يصر مسلماً؛ لأنه صار كافراً حقيقة، فلو كان الصبي (التابع)[5] لأبويه كافراً حقيقةً لم ينتقل عن الكفر بالسباء، فعلم أنه كان يجري عليه حكم الكفر

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. حدث عن عطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر الباقر، وعمرو بن شعيب، ومكحول، وقتادة، والقاسم بن مخيمرة، وربيعة بن يزيد القصير، وغيرهم. وروى عنه ابن شهاب الزهري، ويحيى بن أبي كثير، وشعبة، والثوري، ويونس بن يزيد، وخلق كثير. توفي سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٨.

(٢) في م، ط (اذ).

(٣) في م، ط (لهما).

(٤) مكررة في م، ط.

(٥) في الأصل، م (البالغ) والصواب ما أثبته من (ط)، ومن الدرء.

في الدنيا تبعاً لأبويه (لا)[1] لأنه صار كافراً في نفس الأمر. يبين ذلك أنه لو سباه كفار ولم يكن معه أبواه، لم يصر مسلماً، فهو هنا كافر في حكم الدنيا وإن لم يكن أبواه هوداه ونصراه، فعلم أن المراد بالحديث أن الأبوين يلقّنانه الكفر، ويعلمانه إياه. وذكر النبي ﷺ الأبوين؛ لأنهما الأصل العام الغالب في تربية الأطفال. فإن كل طفل فلا بد له من أبوين، وهما اللذان يربيانه مع بقائهما وقدرتها.

ومما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر: « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فإما شاكراً وإما كفوراً »[2]. فجعله على الفطرة إلى أن يعقل ويميز، فحينئذ (يثبت)[3] له أحد الأمرين. ولو كان كافراً في الباطن بكفر الأبوين، لكان ذلك من حين يولد قبل أن يعرب عنه لسانه.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح: «إني خلقت عبادي حنفاء، (فاجتالتهم الشياطين)[4] وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطان»[5] صريح في أنهم خلقوا على الحنيفة، وأن الشياطين اجتالتهم وحرمت عليهم الحلال وأمرتهم بالشرك.

فلو كان الطفل يصير كافراً في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع أبويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر ويلقنه إياه لم تكن الشياطين هم الذين غيروهم عن الحنيفية وأمروهم بالشرك][6]

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في م، ط (يتبين).

(٤) في (ط) (فاختالهم الشيطان).

(٥) سبق تخريجه ص١١٣ .

(٦) انظر: درء التعارض ٨/ ٤٣٠-٤٣٢ .

فصل

[ومنشأ الاشتباه في هذه المسألة اشتباه أحكام الكفر في الدنيا بأحكام الكفر في الآخرة، فإن أولاد الكفار لما كان تجري عليهم أحكام الكفر في الدنيا؛ مثل ثبوت الولاية عليهم لآبائهم، وحضانتهم لهم، وتمكنهم من تعليمهم وتأديبهم، (والموارثة)(١) (بينهم)(٢) [واسترقاقهم](٣) وغير ذلك صار يظن أنهم كفار في نفس الأمر، كالذي تكلم بالكفر وعمل به.

ومن ها هنا قال محمد بن الحسن(٤) إن هذا الحديث، وهو قوله : « كل مولود يولد على الفطرة » [كان قبل أن تنزل الأحكام. فإذا عرف أن كونهم ولدوا على الفطرة](٥) لا ينافي أن يكونوا تبعاً لآبائهم في أحكام الدنيا، [وقد](٦) زالت الشبهة، وقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن يكتم إيمانه ولا يعلم المسلمون حاله، فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن مع المشركين، وهو في الآخرة من أهل الجنة، كما أن المنافقين في الدنيا تجري عليهم أحكام المسلمين، وهم في الدرك الأسفل من النار، فحكم الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا.

---

(١) في (ط) (الموازنة).

(٢) في (ط) (وبين وبينهم).

(٣) في الأصل (واسترقاهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) هو: محمد بن الحسن بن هارون بن بدينا، أبو جعفر الموصلي، سكن بغداد، وحدث بها عن إمامنا أحمد، وأحمد بن عبدة الضبي، وآخرين، روى عنه الخلال، وصاحبه عبدالعزيز، وإسماعيل الخطبي، وغيرهم. وسئل الدارقطني عنه، فقال: لا بأس به، ما علمت إلا خيراً. وتوفي ابن بدينا سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٨

(٥) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٦) زيادة من (ط).

وقوله : « كل مولود يولد على الفطرة » إنما أراد به الإخبار بالحقيقة التي خلقوا عليها، (وعليها)[١] الثواب والعقاب في الآخرة إذا عملوا بموجبها وسلمت عن المعارض. لم يرد به الإخبار بأحكام الدنيا، فإنه قد علم بالاضطرار من شرع الرسول عليه الصلاة والسلام أن أولاد الكفار تبع لآبائهم في أحكام الدنيا، وأن أولادهم لا ينزعون منهم إذا كانوا ذمة فإن كانوا محاربين استرقوا، ولم يتنازع المسلمون في ذلك، لكن تنازعوا في الطفل إذا مات أبواه أو أحدهما: هل يحكم بإسلامه؟ وعن أحمد في ذلك ثلاث روايات :

إحداهن : يحكم بإسلامه بموت الأبوين أو أحدهما، لقوله: فأبواه يهودانه وينصرانه، وهذا ليس معه أبواه، وهو على الفطرة، وهي الإسلام لما تقدم، فيكون مسلماً.[٢]

والثانية: لا يحكم بإسلامه بذلك؟[٣] وهذا قول الجمهور.

قال شيخنا: وهذا القول هو الصواب، بل هو إجماع قديم من السلف والخلف، بل هو ثابت بالسنة التي لا ريب فيها، فقد علم أن أهل الذمة كانوا على عهد رسول الله ﷺ بالمدينة ووادي القرى[٤] وخيبر[٥] ونجران، واليمن،

---

(١) في م، ط (على).

(٢) انظر: أحكام أهل الملل ص(١٩-٢٧).

(٣) المصدر السابق ص ٢٣

(٤) وادي القرى: واد بين المدينة والشام. من أعمال المدينة كثير القرى، فتحها النبي ﷺ سنة سبع عنوة، ثم صولحوا على الجزية. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٤٥) .

(٥) خيبر: الموضع المذكور في غزوات النبي ﷺ، وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على البلدة، وهي تشتمل على سبعة حصون ومزارع، ونخل كثير، فتحها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة، وقيل: ثمان. انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠٩-٤١٠)

وغير ذلك، وكان فيهم من يموت وله ولد صغير، ولم يحكم النبي بإسلام يتامى أهل الذمة ولا خلفاؤه، وأهل الذمة كانوا في زمانهم طبق الأرض بالشام، ومصر، والعراق، وخراسان، وفيهم من يتاماهم عدد كثير، ولم يحكموا بإسلام أحد منهم، فإن عقد الذمة اقتضى أن يتولى بعضهم بعضاً، فهم يتولون حضانة يتاماهم كما كان الأبوان يتولون تربيتهم. وأحمد يقول: إن الذمي إذا مات ورثه ابنه الطفل، مع قوله في إحدى الروايات: إنه يصير مسلماً[١] لأن أهل الذمة ما زال أولادهم يرثونهم ؛ لأن الإسلام حصل مع استحقاق الإرث لم يحصل قبله][٢]. ونص على أنه إذا مات الذمي عن حمل منه لم يرثه للحكم بإسلامه قبل وضعه، وكذلك لو كان الحمل من غيره، كما إذا (مات)[٣] وخلف امرأة ابنه أو أخيه حاملاً فأسلمت أمه قبل وضعه لم يرثه، لأنا حكمنا بإسلامه من حين أسلمت أمه، وكذلك هناك حكمنا بإسلامه من حين مات أبوه. وقد وافق الإمام أحمد الجمهور على أن الطفل إذا مات أبواه في دار الحرب لا يحكم بإسلامه. ولو كان موت الأبوين يجعله مسلماً بحكم الفطرة الأولى لم يفترق الحال بين دار الحرب ودار الإسلام، لوجود المقتضي للإسلام وهو الفطرة، وعدم المانع وهو الأبوان. وقد التزم بعض أصحابه الحكم بإسلامه، وهو باطل قطعاً، إذ من المعلوم بالضرورة أن أهل الحرب فيهم من بلغ يتيماً (كغيره)[٤] وأحكام الكفار المحاربين جارية عليهم.

---

(١) أحكام أهل الملل ص ٢٤ .

(٢) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٣٢-٤٣٤).

(٣) كرر في الأصل قوله (إذا مات الذمي عن حمل منه لم يرثه للحكم بإسلامه).

(٤) في م، ط (لغيره).

والرواية [الثالثة][(١)]: إن كفله أهل دينه، فهو باق على دين أبويه، وإن كفله المسلمون فهو مسلم.

نص عليه في رواية يعقوب بن بختان[(٢)] كما ذكره الخلال[(٣)] في جامعه عنه، قال: سئل أبو عبد الله عن جارية نصرانية لقوم، فولدت عندهم، ثم ماتت، ما يكون الولد؟ قال: إذا كفله المسلمون ولم يكن له من يكفله إلا هم، فهم مسلمون. قيل له: فإن مات بعد الأم بقليل؟ قال: يدفنه المسلمون[(٤)].

وقال في رواية أبي الحارث[(٥)] في جارية نصرانية لرجل مسلم (لها)[(٦)] زوج نصراني، فولدت عنده، وماتا عند المسلم، وبقي ولدهما عنده، ما يكون حكم هذا الصبي؟ قال: إذا كفله المسلمون فهو مسلم[(٧)].

وهذه الرواية، وإن لم يذكرها عامة الأصحاب وهي من جامع الخلال، فهي أصح الأقوال في هذه المسالة دليلاً، وهي التي نختارها، وبها تجتمع الأدلة. فإن الطفل يتبع مالكه وسابيه، فكذلك يتبع كافله (وحاضنه)[(٨)] فإنه لا يستقل بنفسه، بل لابد له ممن يتبعه ويكون معه. فتبعيته لحاضنه وكافله أولى من جعله كافراً بكون أبويه كافرين، وقد انقطعت تبعيته لهما، بخلاف ما

---

(١) في الأصل (الثانية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) سبقت ترجمته ص١٤٢٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص١٤٢١.

(٤) أحكام أهل الملل ص ٢٧ .

(٥) سبقت ترجمته ص١٤٢٧ .

(٦) مكررة في الأصل.

(٧) أحكام أهل الملل ص ٢٧

(٨) في (م) (حاضنته).

إذا كفله أهل دين الأبوين، فإنهم يقومون مقامهما، ولا أثر لفقد الأبوين إذا كفله جده وجدته أو غيرهما من أقاربه. فهذا القول أرجح في النظر، والله أعلم.

وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلماً، فإنا قد استوفيناها في كتابنا في أحكام أهل (الملل)[١][٢] بأدلتها واختلاف العلماء من السلف والخلف فيها، وذكر مأخذهم، وإنما المقصود ذكر الفطرة، وأنها هي الحنيفة، وأنها لا تنافي القدر السابق بالشقاوة. والله أعلم.

فصل

[قال أبو عمر: وقال آخرون في معنى قول النبي ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة** »: لم يرد رسول الله ﷺ الفطرة بذكر الفطرة ها هنا كفراً ولا إيماناً، ولا معرفة ولا إنكاراً، وإنما أراد كل مولود يولد على السلامة خلقة وطبعاً وبنيةً ليس معها كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا ميز. واحتجوا بقوله في الحديث: « **كما تنتج البهيمة (جمعاء)**[٣] - يعني سالمة - **هل تحسون فيها من جدعاء**»[٤] يعني مقطوعة الأذن. فمثل قلوب بني آدم بالبهائم؛ لأنها تولد كاملة الخلق لا يتبين فيها نقصان، ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها، فيقال: هذه السوائب[٥] وهذه

---

(١) في الأصل (الملك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) الكتاب مطبوع ومحقق في ثلاثة أجزاء بعنوان: أحكام أهل الذمة.

(٣) مكررة في (م).

(٤) سبق تخريجه انظر: ص٣٣٠.

(٥) السائبة: هي الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر أو نحوه، وقيل: هي التي تسيب لله، فلا قيد عليها ولا راع لها، وقيل هي أم البحيرة: كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت، فلم تركب، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً.

البحائر[١]. يقول: فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم حينئذ كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، كالبهائم السالمة، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم، وعصم الله أقلهم.

قالوا: ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية أمرهم ما انتقلوا عنه أبداً، فقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون.

قالوا: ويستحيل في العقول أن يكون الطفل في حال ولادته (يعقل)[٢] كفراً أو إيماناً، لأن الله أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، فمن لم يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار.

قال أبو عمر: هذا القول أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الولدان عليها. وذلك أن الفطرة: السلامة والاستقامة، بدليل قوله تعالى في حديث عياض بن حمار[٣]: «إني خلقت عبادي حنفاء»[٤] يعني: على استقامة وسلامة. وكأنه ـ والله أعلم ـ أراد الذين خلصوا من الآفات كلها والمعاصي والطاعات، فلا طاعة منهم ولا معصية إذا لم يعلموا بواحدة منهما.

ومن الحجة أيضاً في هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

---

(١) البحيرة: مأخوذة من البحر، وهو شق الأذن. قال ابن سيد الناس: البحيرة: هي التي خليت بلا راع، وقيل: هي التي يجعل درها للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس، وجعل شق أذنه علامة لذلك، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري (١١/ ١١٦-١٣٤)، الدين الخالص ص ١١٢، ١١٣، مختار الصحاح ص ٢٨٥.

(٢) في (ط) (يفعل).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) حديث قدسي سبق تخريجه ص١١٣.

[الطور/ ١٦، التحريم/ ٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر/ ٣٨] ومن لم يبلغ وقت العمل (لم)[١] (يرتهن)[٢] بشيء قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٣] [الإسراء/ ١٥].

قال شيخنا: [هذا القائل إن أراد بهذا القول أنهم خلقوا خالين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر، وهذا هو الذي يشعر به ظاهر الكلام، فهذا قول فاسد، لأنه حينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير والإسلام. وإنما ذلك بحسب الأسباب، فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام، علم أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل [غير][٤] حكم الكفر.

وأيضاً فإنه على هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة، ولا عطب، ولا استقامة، ولا زيغ، إذا نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة، وليس هو بأحدهما بأولى منه بالآخر، كما أن اللوح قبل الكتابة لا يثبت له حكم مدح ولا ذم، فما كان [قابلاً للممدوح والمذموم][٥] على السواء لم يستحق مدحاً ولا ذماً، والله تعالى يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (يبرهن).

(٣) انظر: التمهيد ١٨/ (٦٩-٧١)، درء التعارض ٨/ (٤٤٢-٤٤٤).

(٤) في (ط) (عن).

(٥) في (ط) (للمدح والذم).

عَلَيۡهَاۚ ﴾ [الروم/ ٣٠] فأمر بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها. فكيف لا تكون ممدوحة!!

وأيضاً فإن النبي ﷺ [شبهها][(١)] بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما طرأ عليها من الكفر بجدع الأنف والأذن، ومعلوم أن كمالهما محمود، ونقصهما مذموم، فكيف تكون قبل [النقص][(٢)] لا محمودة ولا مذمومة.

فصل

وإن كان المراد بهذا القول ما قاله طائفة من العلماء أن المراد أنهم ولدوا على الفطرة السليمة، التي لو تركت مع صحتها، لاختارت المعرفة على الإنكار والإيمان على الكفر، ولكن بما عرض لها من الفساد خرجت عن هذه الفطرة، فهذا القول [قد يقال: إنه لا يرد عليه ما يرد على القول][(٣)] الذي قبله فإن صاحبه يقول: في الفطرة قوة تميل بها إلى المعرفة والإيمان، كما في البدن السليم قوة يحب بها الأغذية النافعة، وبهذا كانت محمودة، وذم من (أفسدها)[(٤)].

لكن يقال: فهذه الفطرة التي فيها هذه القوة والقبول والاستعداد والصلاحية هل هي كافية في حصول المعرفة؟ أو تقف المعرفة على أدلة من خارج؟

فإن كانت المعرفة تقف على أدلة من خارج، أمكن أن توجد تارة وتعدم أخرى. ثم ذلك السبب يمتنع أن يكون موجباً للمعرفة [بنفسه، بل غايته أن

---

(١) في الأصل (شبههما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ ومن الدرء.

(٢) في الأصل (القبض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ ومن الدرء.

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٤) في الأصل (فسدها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

يكون معرِّفاً ومذكِّراً، فعند ذلك إن وجب حصول المعرفة][(١)] كانت واجبة الحصول عند وجود (تلك)[(٢)] الأسباب، وإلا فلا. وحينئذ فلا يكون فيها إلا قبول المعرفة والإيمان، وحينئذ فلا فرق فيها بين الإيمان والكفر والمعرفة والإنكار، إنما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له، لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج. وهذا هو القسم الأول الذي أبطلناه، وبينا أنه ليس في ذلك مدح للفطرة.

وأما إن كان فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها، وإن لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة (لزم حصول المعرفة)[(٣)] فيها (دون)[(٤)] ما نسمعه من الأدلة، سواء قيل: إن المعرفة ضرورية فيها، أو قيل: إنها تحصل بأسباب تنتظم في النفس، وإن لم يسمع كلام مستدل، فإن النفس قد يقوم بها من [النظر][(٥)] والاستدلال ما لا تحتاج معه إلى كلام الناس.

فإن كان كل مولود يولد على هذه الفطرة، لزم أن يكون المقتضي للمعرفة حاصلاً لكل مولود، وهو المطلوب. والمقتضي التام يستلزم مقتضاه، فتبين أن أحد الأمرين لازم إما لكون الفطرة مستلزمة للمعرفة، وإما استواء الأمرين بالنسبة إليها، وذلك ينفي مدحها.

(وتخليص)[(٦)] ذلك أن يقال: المعرفة والإيمان بالنسبة إليها ممكن بلا ريب،

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٢) في م، ط (ذلك).

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٤) من الدرء.

(٥) في الأصل (الفطرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٦) في الدرء (وتلخيص)

فإما أن تكون هي موجبة مستلزمة لذلك، وإما أن لا تكون مستلزمة له، فلا يكون واجباً لها.

فإن كان الثاني، لم يكن فرق بين الكفر والإيمان بالنسبة إليها، إذ كلاهما ممكن لها، فثبت أن المعرفة لازمة لها إلا أن يعارضها معارض.

فإن قيل: ليست موجبة مستلزمة للمعرفة، ولكن هيأ إليها الميل مع قبولها للنكرة.

قيل: فحينئذ إذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدمت تارة، وهي وحدها لا تحصلها، فلا تحصل إلا بشخص آخر كالأبوين، فيكون الإسلام والتهويد والتنصير والتمجيس.

ومعلوم أن هذه أنواع بعضها أبعد عن الفطرة من بعض، (كالتمجيس)[1]. فإن لم تكن الفطرة مقتضية للإسلام، صار نسبتها إلى ذلك كنسبة التهويد والتنصير إلى التمجيس، فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك (وأن يكون هذا لكون الفطرة)[2] لا تقتضي الرضاع إلا بسبب منفصل، وليس كذلك، بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن (يرتضع)[3] فكذلك هو مولود على أن يعرف الله، والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض.

وأيضاً فإن حب النفس لله وخضوعها له وإخلاصها له، مع الكفر به والشرك والإعراض عنه ونسيان ذكره، إما أن يكون نسبتهما إلى الفطرة

---

(١) في (ط) (التمجس).

(٢) في م، ط (ويكون هذا كمكون الفطرة).

(٣) في م، ط (يرضع).

يكون معرِّفاً ومذكِّراً، فعند ذلك إن وجب حصول المعرفة][1] كانت واجبة الحصول عند وجود (تلك)[2] الأسباب، وإلا فلا. وحينئذ فلا يكون فيها إلا قبول المعرفة والإيمان، وحينئذ فلا فرق فيها بين الإيمان والكفر والمعرفة والإنكار، إنما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له، لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج. وهذا هو القسم الأول الذي أبطلناه، وبينا أنه ليس في ذلك مدح للفطرة.

وأما إن كان فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها، وإن لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة (لزم حصول المعرفة)[3] فيها (دون)[4] ما نسمعه من الأدلة، سواء قيل: إن المعرفة ضرورية فيها، أو قيل: إنها تحصل بأسباب تنتظم في النفس، وإن لم يسمع كلام مستدل، فإن النفس قد يقوم بها من [النظر][5] والاستدلال ما لا تحتاج معه إلى كلام الناس.

فإن كان كل مولود يولد على هذه الفطرة، لزم أن يكون المقتضي للمعرفة حاصلاً لكل مولود، وهو المطلوب. والمقتضي التام يستلزم مقتضاه، فتبين أن أحد الأمرين لازم إما لكون الفطرة مستلزمة للمعرفة، وإما استواء الأمرين بالنسبة إليها، وذلك ينفي مدحها.

(وتخليص)[6] ذلك أن يقال: المعرفة والإيمان بالنسبة إليها ممكن بلا ريب،

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٢) في م، ط (ذلك).

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٤) من الدرء.

(٥) في الأصل (الفطرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٦) في الدرء (وتلخيص)

فإما أن تكون هي موجبة مستلزمة لذلك، وإما أن لا تكون مستلزمة له، فلا يكون واجباً لها.

فإن كان الثاني، لم يكن فرق بين الكفر والإيمان بالنسبة إليها، إذ كلاهما ممكن لها، فثبت أن المعرفة لازمة لها إلا أن يعارضها معارض.

فإن قيل: ليست موجبة مستلزمة للمعرفة، ولكن هيأ إليها الميل مع قبولها للنكرة.

قيل: فحينئذ إذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدمت تارة، وهي وحدها لا تحصلها، فلا تحصل إلا بشخص آخر كالأبوين، فيكون الإسلام والتهويد والتنصير والتمجيس.

ومعلوم أن هذه أنواع بعضها أبعد عن الفطرة من بعض، (كالتمجيس)[1]. فإن لم تكن الفطرة مقتضية للإسلام، صار نسبتها إلى ذلك كنسبة التهويد والتنصير إلى التمجيس، فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك (وأن يكون هذا لكون الفطرة)[2] لا تقتضي الرضاع إلا بسبب منفصل، وليس كذلك، بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن (يرتضع)[3] فكذلك هو مولود على أن يعرف الله، والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض.

وأيضاً فإن حب النفس لله وخضوعها له وإخلاصها له، مع الكفر به والشرك والإعراض عنه ونسيان ذكره، إما أن يكون نسبتهما إلى الفطرة

---

(١) في (ط) (التمجس).

(٢) في م، ط (ويكون هذا كمكون الفطرة).

(٣) في م، ط (يرضع).

سواءً، أو الفطرة مقتضية للأول دون الثاني، فإن كانا سواء لزم انتفاء المدح كما تقدم، (ولم)[١] يكن فرق بين دعائهما إلى (الكفر)[٢] ودعائهما إلى الإيمان، ويكون تمجيسها كتحنيفها، وقد عرف بطلان هذا.

وإن كان فيها مقتضٍ لهذا فإما أن يكون المقتضي مستلزماً لمقتضاه عنده عدم المعارض، وإما أن يكون متوقفاً على شخص خارج عنها. فإن كان الأول ثبت (أن)[٣] ذلك من لوازمها، وأنها مفطورة عليه لا يفقد إلا إذا فسدت الفطرة، وإن قدر أنه متوقف على شخص، فذلك الشخص هو الذي يجعلها حنيفية كما يجعلها مجوسية، وحينئذ فلا فرق بين هذا وهذا.

وإذا قيل: هي إلى الحنيفة (أميل)[٤] كان كما يقال: هي إلى غيرها أميل.

فتبين أن فيها قوة موجبة (لحب)[٥] الله، والذل له، وإخلاص الدين له، وأنها موجبة لمقتضاها إذا سلمت من المعارض، كما أن فيها قوة تقتضي شرب اللبن الذي فطرت على محبته وطلبه، ومما يبين هذا أن كل حركة إرادية، فإن الموجب لها قوة في المريد. فإذا أمكن في الإنسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين، كان فيه قوة تقتضي ذلك. إذ الأفعال الإرادية لا يكون سببها إلا من نفس الحي المريد الفاعل. ولا يشترط في إرادته إلا مجرد الشعور بالمراد، فما في النفوس من قوة المحبة له إذا شعرت به تقتضي حبه إذا لم يحصل [معارض][٦]. وهذا موجود في محبة الأطعمة والأشربة والنكاح

(١) في م، ط (وإن لم).
(٢) في الأصل (الفكر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٣) ساقطة من م، ط.
(٤) في (م) (مثل).
(٥) في الأصل (يحب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.
(٦) في الأصل (يعارض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

والعلم وغيرها.

وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والإخلاص والذل [له والخضوع وأن فيها قوة الشعور به، فيلزم قطعاً وجود المحبة له والتعظيم](١) والخضوع بالفعل لوجود المقتضي إذا سلم عن المعارض.

وتبين أن المعرفة والمحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل، وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك، كما لو خوطب الجائع أو الظمآن بوصف طعام، أو خوطب المغتلم(٢) بوصف النساء، فإن هذا مما يذكره ويحركه، ويثير شهوته الكامنة بالقوة في نفسه، لا أنه يحدث له تلك الإرادة والشهوة بعد أن لم تكن فيه، فيجعلها موجودة بعد أن كانت عدماً، فكذلك الأسباب الخارجة عن الفطرة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق ومحبته وتعظيمه والخضوع له، وإن كان ذلك مذكراً ومحركاً ومنبهاً، ومزيلاً للعارض المانع](٣) ولذلك سمى الله سبحانه ما كمل به موجبات الفطرة بذكّر أو ذكرى، وجعل رسوله مذكراً، فقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية/ ٢١] وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى/ ٩] وقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[غافر/ ١٣] وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر/ ٩] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق/ ٣٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر/ ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان/ ٥٨].

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٢) (غلم) الإنسان غلماً، وغلمة: اشتدت شهوته للجماع. فهو غَلِم، ومغليم. وهي غلمة ومِغليم. المعجم الوسيط ص (٦٦٠).

(٣) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٤٤-٤٥٠).

وهذا كثير في القرآن، يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما هو مركوز في فطرهم من معرفته، ومحبته، وتعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والإخلاص له، ومحبة شرعه الذي هو العدل المحض، وإيثاره على ما سواه.

فالفطر (مركوز)[١] فيها معرفته، ومحبته، والإخلاص له، والإقرار بشرعه وإيثاره على غيره. فهي تعرف ذلك، وتشعر به مجملاً، ومفصلاً بعض التفصيل. فجاءت الرسل تذكرها بذلك، وتنبهها عليه، وتفصِّله لها، وتبينه، وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة، المانعة من [اقتضائها][٢] أثرها.

وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل، فإنها أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإباحة طيب وتحريم خبيث، وأمر بعدل ونهي عن ظلم[٣]، وهذا كله مركوز في الفطرة، وكمال تفصيله وتبينه موقوف على الرسل.

(وهكذا)[٤] باب التوحيد وإثبات الصفات، فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه، ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلائق، خلافاً لمن قال من المتكلمين: إنه لم يقم دليل

---

(١) في الأصل (من مركوز).

(٢) في (ط) (اقتفائها).

(٣) قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

(٤) في الأصل (وهذا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

عقلي على تنزيهه عن النقائص، وإنما علم بالإجماع:

(فقبحاً)[1] لهاتيك العقول فإنها عقال على أصحابها ووبال

فليس في العقول أبين ولا أجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص، وجاءت الرسل (بالتذكير)[2] بهذه المعرفة وتفصيلها.

وكذلك في الفطر الإقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها، وجزائها بكسبها في غير هذه الدار وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا تعلم إلا بالرسل. وكذلك فيها معرفة العدل ومحبته وإيثاره، وأما تفصيل العدل الذي هو شرع الرب تعالى، فلا يعلم إلا بالرسل، فالرسل تذكر بما في الفطر وتفصله وتبينه، ولهذا كان العقل الصريح موافقاً للنقل الصحيح، والشرعة مطابقة للفطرة يتصادفان ولا يتعارضان، خلافاً لمن قال: إذا تعارض العقل والوحي، قدمنا العقل على الوحي[3].

فقبحاً لعقل ينقض الوحي حكمه ويشهد حقاً إنه هو كاذب

والمقصود أن الله فطر عباده على فطرة فيها الإقرار به، ومحبته، والإخلاص له، والإنابة إليه، وإجلاله وتعظيمه، وأن الشخص الخارج عنها لا يحدث فيها ذلك (ويجعله)[4] فيها بعد أن لم تكن، وإنما يذكرها بما فيها وينبهها عليه، ويحركها له، ويفصله لها، ويبينه، ويعرفها الأسباب المقوية

---

(١) في (ط) (قبحاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في م، ط (بالتذكرة).

(٣) ممن يقول بتقديم العقل على الوحي عند التعارض: الأشاعرة، وعلى رأسهم: الرازي، وأبو حامد الغزالي وغيرهم. انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ (٤، ٥).

(٤) في (ط) (ويجعلها).

(له)[١] والأسباب المعارضة له والمانعة من كماله. كما أن الشخص الخارج لا يجعل في الفطرة شهوة اللبن عند الرضاع والأكل والشرب والنكاح، وإنما يذكر النفس، ويحركها لما هو مركوز فيها بالقوة .

فصل

ومما يبين ذلك: [أن الإقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبته، والخضوع له، وإخلاص الدين له، لا يكون نافعاً، بل الإقرار به مع الإعراض عنه، وعن محبته وتعظيمه والخضوع له، أعظم استحقاقاً للعذاب، فلا بد أن يكون (في الفطرة)[٢] مقتض للعلم ومقتض للمحبة، والمحبة مشروطة بالعلم. فإن ما لا يشعر به الإنسان لا يحبه، والحب للمحبوبات لا يكون بسبب من خارج، بل هو جبلي فطري، وإذا كانت المحبة جبلية، فطرية، فشرطها ـ وهو المعرفة أيضاً ـ جبلي فطري، فلا بد أن يكون في الفطرة محبة الخالق مع الإقرار به. وهذا أصل الحنيفية [التي خلق الله خلقه عليها، وفطرته فطرهم عليها، فعلم أن الحنيفية][٣] من موجبات الفطرة ومقتضياتها، والحب لله، والخضوع له والإخلاص هو أصل أعمال الحنيفية، وذلك مستلزم للإقرار والمعرفة، ولازم اللازم لازم، وملزم الملزوم ملزوم، فالفطرة ملزومة لهذه الأحوال، وهذه الأحوال لازمة لها[٤]] .

فصل

فقد تبين دلالة [الكتاب، والسنة، والآثار، واتفاق السلف على أن الخلق مفطورون على دين الله، الذي هو معرفته، والإقرار به، ومحبته والخضوع له،

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (للفطرة).

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٤) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٥٠-٤٥١)

وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها، يجب حصوله فيها، إن لم يحصل ما يعارضه، ويقتضي حصول ضده، وأن حصول ذلك فيها لا يقف على وجود شرط، بل على انتفاء المانع، فإذا لم يوجد فهو لوجود منافيه، لا لعدم مقتضية. ولهذا لم يذكر النبي ﷺ لوجود الفطرة شرطاً، بل ذكر ما يمنع موجبها، حيث قال: «فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[1]][2] فحصول هذا التهويد والتنصير موقوف على أسباب خارجة عن الفطرة، وحصول الحنيفة والإخلاص ومعرفة الرب تعالى والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة، وإن توقف كماله وتفصيله على غيرها. وبالله التوفيق.

فصل

وقوله ﷺ فيما يروي عن ربه وتبارك تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[3] يتضمن أصلين عظيمين مقصودين لأنفسهما، ووسيلة تعين عليهما: أحدهما: عبادته وحده لا شريك له. والثاني (أنه)[4] إنما يعبد بما شرعه وأحبه وأمر به.

وهذان الأصلان هما المقصود الذي خلق له الخلق، فضدهما الشرك والبدع، فالمشرك يعبد مع الله غيره، وصاحب البدعة يتقرب إلى الله بما لم يأمر به، ولم يشرعه، ولا أحبه، وجعل سبحانه حل الطيبات مما يستعان به على ذلك ويتوسل به إليه.

---

(١) سبق تخريجه انظر: ص٣٣٠.

(٢) انظر: درء التعارض ٨/ ٤٥٤.

(٣) سبق تخريجه انظر: ص١١٣ .

(٤) ساقطة من م، ط.

فمدار الدين على هذين الأصلين[١] وهذه الوسيلة، فأخبر سبحانه أن الشياطين اقتطعت عباده عن هذا المقصود، وعن هذه الوسيلة، فأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطاناً، وهذا يتناول الإشراك بالمعبود الحق بأن يعبد معه غيره، والإشراك [بعبادته الحقة][٢] بأن يعبد بغير شرعه، وكثيراً ما يجتمع الشركان، فيعبد المشرك معه غيره بعبادة لم يشرع سبحانه أن يتعبد له بها، وقد ينفرد أحد المشركين، فيشرك به غيره في نفس العبادة [التي][٣] شرعها، أو يعبده وحده بعبادة شركية لم يشرعها أو يتوسل إلى عبادته بتحريم ما أحله.

وقد ذم الله سبحانه المشركين على هذين النوعين في كتابة في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما، يذكر فيها ذمهم على ما حرموه من المطاعم

---

(١) الأصلان هما: الإخلاص لله، والمتابعة للنبي ﷺ من أدلة الإخلاص:
قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة/ ٥]. وقال ﷺ في حديث عمر: «**إنما الأعمال النيات** ..» الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (كيف كان بدء الوحي) ١/ ٣، ومسلم في كتاب (الإمارة) باب (قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل في الغزو وغيره من الأعمال) ح (١٩٠٧) ٢/ ١٥١٥.
ومن أدلة المتابعة للنبي ﷺ قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر/ ٧].
وعن عائشة رضي الله عنها: قالت قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**» أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الصلح) باب (إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود)٣/ ١٦٧. ومسلم في كتاب (الأقضية) باب (نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) ح (١٧١٨) ٢/ ١٣٤٣.
(٢) في (الأصل) (بعبادة الحق) والأولى ما أثبته من (ط).
(٣) في الأصل (إلى أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

والملابس، وذمهم على ما أشركوا به من عبادة غيره، أو على ما ابتدعوه من عبادته بما لم يشرعه[(١)].

وفي المسند: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»[(٢)].

فهي حنيفية في التوحيد وعدم الشرك، سمحة في العمل، وعدم الآصار والأغلال (بتحريم كثير)[(٣)] من الطيبات الحلال[(٤)]. فيعبد سبحانه بما أحبه.

---

(١) مما ذكره الله في سورة الأنعام. قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٣٨، ١٣٩]
وفي سورة الأعراف قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٣٢، ٣٣].

(٢) رواه البخاري تعليقاً في كتاب (الإيمان) باب (الدين يسر) ١/ ١٥. ووصله أحمد في المسند ١/ ٢٣٦. قال الحافظ في فتح الباري (١/ ٩٣، ٩٤): (وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب، لأنه ليس على شرطه، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة، عن ابن عباس. وإسناده حسن، واستعمله المؤلف في الترجمة لكونه متقاصراً عن شرطه. وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر).

(٣) في (ط) (بتحريمهم).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٩٤): (والحنيفية ملة إبراهيم، والحنيف في اللغة: من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفاً لميله عن الباطل إلى الحق، لأن أصل =

ويستعان على عبادته بما أحله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[المؤمنون/ ٥١].

وهذا هو الذي فطر الله عليه خلقه، وهو محبوب لكل أحد، مستقر سنته في كل فطرة، فإنه يتضمن التوحيد، وإخلاص القصد، والحب لله وحده، وعبادته وحده بما يحب أن يعبد به، والأمر بالمعروف الذي تحبه القلوب، والنهي عن المنكر الذي تبغضه وتنفر منه، وتحليل الطيبات النافعة، وتحريم الخبائث الضارة.

فصل

وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ من أن كل مولود يولد على الفطرة الحنيفية هو الذي تقوم الأدلة العقلية على صحته، وأنه كما أخبر به الصادق المصدوق، ومن خالف ذلك فقد غلط، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقاً، وقد يحصل له منهما ما يكون باطلاً. [فإن][1] اعتقاداته قد تكون مطابقة لمعتقدها، وهي الحق، والخبر عنها يسمى صدقاً، وقد تكون غير مطابقة وهي الباطل. والخبر عنها يسمى كذباً.

والإرادات تنقسم إلى ما تكون نافعة له متضمنة لمصلحته، ومرادها هو الخير والحسن، وإلى ما (تكون)[2] ضارة له مخالفة لمصلحته، ومرادها هو الشر

= الحنف: الميل، والسمحة: السهلة، أي أنها مبنية على السهولة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج/ ٧٨].

(١) في الأصل (أو)، والصواب ما أثبته من الدرء.

(٢) في م، ط (هو).

والقبح، وإذا كان الإنسان تارة يكون معتقداً للحق مريداً للخير، وتارة يكون معتقداً للباطل مريداً للشر، فلا يخلو إما أن تكون نسبة نفسه (الناطقة)[1] إلى النوعين نسبةً واحدة، بحيث لا يكون فيها مرجحاً لأحدهما على الآخر، أو تكون نفسه مرجحة لأحد الأمرين على الآخر.

فإن كان الأول، لزم أن لا يوجد أحد النوعين إلا بمرجح منفصل عنه. فإذا قدر رجحان أحدهما ترجح هذا، والآخر ترجح هذا، فإما أن يتكافأ المرجحان أو يترجح أحدهما، فإن تكافآ لزم أن لا يحصل واحد منهما، وهو خلاف المعلوم بالضرورة.

فإنا نعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يعتقد الحق ويصدق، وأن يريد ما ينفعه، وعرض عليه أن يعتقد الباطل ويكذب، ويريد ما يضره، مال بفطرته إلى (الأول)[2] ونفر عن الثاني، فعلم أن فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة الخير.

وحينئذ فالإقرار بوجود فاطره وخالقه، ومعرفته، ومحبته، والإيمان به وتعظيمه، والإخلاص له، إما أن يكون من النوع الأول، أو الثاني، وحينئذ فيجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي محبته ومعرفته والإيمان به، والتوسل إليه بمحابة.

الوجه الثاني: أن عبادته وحده بما يحبه إما أن تكون أكمل للناس علماً وقصداً، أو الإشراك به أكمل، والثاني معلوم الفساد بالضرورة، فتعين الأول، وهو أن يكون في الفطرة مقتض يقتضي توحيده وتألهه وتعظيمه.

الوجه الثالث: أن الحنيفية التي هي دين الله ـ ولا دين له غيرها ـ إما أن

---

(١) في م، ط (الباطنة).

(٢) في م، ط (الأولى).

تكون مع غيرها من الأديان متماثلين، أو الحنيفية أرجح، أو تكون مرجوحة. والأول والثالث باطلان قطعاً، فوجب أن يكون في الفطرة مرجح يرجح الحنيفية، وامتنع أن يكون نسبتها ونسبة غيرها من الأديان إلى الفطرة سواء.

الوجه الرابع: أنه إذا [ثبت][١] أن في الفطرة قوة تقتضي طلب معرفة الحق، وإيثاره على ما سواه، وأن ذلك حاصل مركوز فيها من غير تعليم الأبوين ولا غيرهما. بل لو فرض أن الإنسان تربى وحده ثم عقل وميز، لوجد نفسه مائلة إلى ذلك، نافرةً [عن][٢] ضده، كما تجد الصبي عند أول تمييزه يعلم أن الحادث لا بد له من محدث، فهو يلتفت [إذا][٣] ضرب من خلفه لعلمه أن تلك الضربة لا بد لها من ضارب، فإذا شعر به بكى حتى يقتص له منه فيسكن، فلقد ركز في فطرته الإقرار بالصانع، وهو التوحيد، ومحبة القصاص، وهو العدل.

وإذا ثبت ذلك ثبت أن نفس الفطرة مقتضية لمعرفته سبحانه ومحبته وإجلاله وتعظيمه والخضوع له، من غير تعليم ولا دعاء إلى ذلك، وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثير منهم إلى سبب معين للطفرة مقو لها، وقد بينا أن هذا السبب لا يحدث في الفطرة ما لم يكن فيها، بل يعينها ويذكرها ويقويها، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، يدعون العباد إلى موجب هذه الفطرة.

فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها، استجابت لدعوة الرسل

---

(١) في الأصل (نذب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ولا بد بما فيها من [المقتضي][(١)] لذلك. كمن دعا جائعاً أو ظمآن إلى (طعام وشراب نافع ولذيذ][(٢)] لا تبعة فيه عليه ولا يكلفه ثمنه، فإنه ما لم يحصل هناك مانع، فإنه يجيبه ولا بد.

الوجه الخامس: أنا نعلم بالضرورة أن الطفل حين [ولادته][(٣)] ليس له معرفة بهذا الأمر ولا عنده إرادة له، ويعلم أنه كما حصل فيه قوة العلم والإرادة، حصل له من معرفته بربِّه ومحبته (له)[(٤)] ما يناسب قوة فطرته وضعفها، وهذا كما نشاهده في الأطفال من [محبة][(٥)] جلب المنافع ودفع المضار بحسب كمال التمييز وضعفه، فكلاهما أمر حاصل مع النشأة على التدريج شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى حده الذي ليس في الفطرة استعداد [أكبر][(٦)] منه، لكن قد يتفق لكثير من الفطر موانع متنوعة تحول بينها وبين مقتضاها وموجبها.

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن النفوس إذا حصل لها معلم وداع، حصل لها من العلم والإرادة بحسبه، ومن المعلوم أن كل نفس قابلة لمعرفة الحق وإرادة الخير. ومجرد التعليم لا يوجب تلك القابلية، فلولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، لم يحصل لها القبول، (فإن حصوله في المحل مشروط بقبوله له)[(٧)]، وذلك القبول هو كونه مهيأ له، مستعداً لحصوله فيه، وقد بينا أنه يمتنع

---

(١) في الأصل (القبض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (شراب وطعام لذيذ نافع).

(٣) في الأصل، م (ولادة) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) زيادة من م، ط.

(٦) في (ط) (لأكثر).

(٧) في (ط) (فإنه لحصوله في المحل شروط مقبولة له).

أن يكون سبب ذلك وضده إلى النفس سواء.

الوجه السابع: أنه من المعلوم مشاركة الإنسان لنوع الحيوان في الإحساس والحركة الإرادية[(١)] وجنس الشعور. وأن الحيوان البهيم قد يكون أقوى إحساساً وحياة وشعوراً من الإنسان، وليس بقابل لما الإنسان قابل له من معرفة الحق وإرادته دون غيره، فلولا قوة في الفطرة والنفس الناطقة اختص بها الإنسان دون الحيوان يقبل بها أن يعرف الحق ويريد الخير، لكان هو والحيوان في هذا العدم سواء.

وحينئذ يلزم أحد أمرين كلاهما ممتنع: إما كون الإنسان فاقداً لهذه المعرفة والإرادة كغيره من الحيوانات، أو تكون حاصلةً لها [كحصولها للإنسان. فلولا أن في الفطرة والنفس الناطقة قوة تقتضي ذلك لما حصل لها][(٢)]، ولو كان بغير قوة ومقتض منها لا يمكن حصوله للجمادات والحيوانات لكن فاطرها وبارئها خصها بهذه القوة والقابلية وفطرها عليها.

يوضحه الوجه الثامن: أنه لو كان السبب مجرد التعليم من غير قوة قابلة، لحصل ذلك في الجمادات والحيوانات؛ لأن السبب واحد، ولا قوة هناك (يهيىء)[(٣)] بها هذا المحل من غيره، فعلم أن حصول ذلك في محل دون محل هو لاختلاف القوابل والاستعدادات.

الوجه التاسع: أن حصول هذه المعرفة والإرادة في العدم المحض محال فلا بد من وجود المحل وحصوله في موجود غير قابل محال، بل لا بد من قبول المحل، وحصوله من غير مدد من الفاعل إلى القابل (بحال)[(٤)]، فلو قطع

---

(١) في الأصل (الإرادة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (يميزها) والصواب ما أثبته.

(٤) ساقطة من م، ط.

الفاعل إمداده لذلك المحل القابل لم يوجد ذلك (القبول)[١]، فلا بد من الإيجاد والإعداد والإمداد، فإذا استحال [وجود القبول من غير إيجاد المحل استحال][٢] وجوده من غير إعداده وإمداده، والخلاق العليم سبحانه هو الموجد المعد الممد.

الوجه العاشر: أنه من المعلوم أن النفس لا توجب بنفسها لنفسها حصول العلم والإرادة، بل لا بد فيها من قوة تقبل بها ذلك، لا تكون هي المعطية [لتلك][٣] القوة، وتلك القوة لا تتوقف على أخرى، وإلا لزم التسلسل الممتنع أو الدور الممتنع، وكلاهما ممتنع، فها هنا ثلاثة أمور:

أحدها: وجود قوة قابلة.

الثاني: أن تلك القوة ليست هي المعطية لها.

الثالث: أن تلك القوة لا تتوقف على قوة أخرى.

فحينئذ لزم أن يكون فاطرها وبارئها قد فطرها على تلك القوة، وأعدها بها لقبول ما خلقت له، وقد علم بالضرورة أن نسبة ذلك فيها إليها وضده ليس على السواء.

الوجه الحادي عشر: أنا لو فرضنا توقف هذه المعرفة والمحبة على سبب من خارج. أليس عند حصول ذلك السبب يوجد في الفطرة ترجيح ذلك ومحبته على ضده؟ فهذا الترجيح والمحبة (والإيثار أمر كوني في الفطرة)[٤].

الوجه الثاني عشر: أنا لو فرضنا أنه لم يحصل المفسد الخارج، ولا المصلح

---

(١) في م، ط (المقبول).

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (لذلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في (ط) (والأمر مركوز في الفطرة).

الخارج، لكانت الفطرة مقتضية لإرادة المصلح وإيثاره على ما سواه، وإذا كان المقتضي موجوداً والمانع مفقوداً، وجب حصول الأثر، فإنه لا يتخلف إلا لعدم مقتضيه، أو لوجود مانعه، فإذا كان المانع زائلاً حصل الأثر بالمقتضي السالم عن المعارض المقاوم.

الوجه الثالث عشر: أن السبب الذي في الفطرة لمعرفة الله ومحبته والإخلاص له إما أن يكون مستلزماً لذلك، وإما أن يكون مقتضياً بدون استلزام، أو يستحيل أن لا يكون له أثر البتة. وعلى التقديرين يترتب أثره عليه، إما وحده على التقدير الأول، وإما بانضمام أمر (خارج)[1] إليه على التقدير الثاني.

الوجه الرابع عشر: أن النفس الناطقة لا تخلو عن الشعور والإرادة، بل هذا (الخلو)[2] ممتنع فيها، فإن الشعور والإرادة من لوازم حقيقتها، فلا يتصور (أن تكون إلا شاعرة)[3] مريدة، ولا يجوز أن يقال: إنها قد تخلو في حق خالقها وفاطرها عن الشعور بوجوده وعن محبته وإرادته، فلا يكون إقرارها به ومحبته من لوازم ذاتها، هذا باطل قطعاً، فإن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها، وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها، فإنها حية، وكل حي شاعر متحرك بالإرادة.

وإذا كان ذلك، فلا بد لكل مريد (من)[4] مراد، والمراد إما أن يكون مراداً لنفسه أو لغيره، والمراد لغيره لا بد أن ينتهي إلى مراد لنفسه قطعاً للتسلسل

---

(١) في م، ط (آخر).

(٢) في (ط) (الخلف).

(٣) في (ط) (إلا أن تكون شاعرة).

(٤) زيادة من م، ط، ومن الدرء.

في العلل الغائية، فإنه محال كالتسلسل في العلل الفاعلة.

وإذا كان لا بد للإنسان من مراد لنفسه، فهو الله الذي لا إله إلا هو، الذي تألهه النفوس، وتحبه القلوب، وتعرفه الفطر، وتقربه العقول، وتشهد بأنه ربها ومليكها وفاطرها، فلا بد لكل أحد من إله يألهه، وصمد يصمد إليه، والعباد مفطورون على محبة الإله الحق، ومعلوم بالضرورة أنهم ليسوا مفطورين على تأله غيره. فإذاً إنما فطروا على تألهه وعبادته وحده، فلو خلوا وفطرهم لما عبدوا غيره، ولا تألهوا سواه.

يوضحه الوجه الخامس عشر: أنه يستحيل أنه تكون الفطر خالية عن التأله والمحبة، ويستحيل أن يكون فيها تأله غير الله، لوجوه:

منها: أن ذلك خلاف الواقع.

ومنها: أن ذلك المخلوق ليس أولى أن يكون إلهاً لكل الخلق من المخلوق الآخر.

ومنها: أن المشركين لم يتفقوا على إله واحد، بل كل طائفة تعبد ما تستحسنه.

ومنها: أن ذلك المخلوق إن كان ميتاً، فالحي أكمل منه، فيمتنع أن يكون الناس مفطورين على عبادة الميت، وإن كان حياً [فهو][1] أيضاً مريد، فله إله يألهه، وحينئذ فلزم الدور الممتنع، أو التسلسل الممتنع، فلا بد للخلق كلهم من إله (يألهونه)[2]، ولا يأله هو غيره، وهذا برهان قطعي ضروري.

فإن قلت: هذا يستلزم أنه لا بد لكل حي مخلوق من إله، ولكن لم يجوز أن يكون مطلوب النفس هو مطلق التأله والمألوه لا إلهاً معيناً، كما تقوله

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في (ط) (يألهوه).

طوائف الاتحادية[1]؟

قلت: هذا يتبين بالوجه السادس عشر: وهو أن المراد إما أن يراد لنوعه أو لعينه، فالأول كإرادة العطشان والجائع والعاري لنوع الشراب والطعام واللباس، فإنه إنما يريد النوع، وحيث أراد (العين)[2] فهو القدر المشترك بين أفراده][3]، وذلك القدر المشترك كلي لا وجود له في الخارج، فيستحيل أن يراد لذاته، إذ المراد لذاته لا يكون إلا معيناً، ويستحيل أن يوجد في اثنين؛ فإن إرادة كل واحد منهما لذاته تنافي إرادته لذاته؛ إذ المعنى بإرادته لذاته أنه وحده هو المراد لذاته الخاصة، وهذا يمنع أن يراد معه ثان لذاته.

وإذا عرف ذلك، فلو كان القدر المشترك بين أفراد النوع أو بين الاثنين هو المراد لذاته، لزم أن يكون ما يختص به [أحدها][4] ليس مراداً لذاته، وكذلك ما يختص به الآخر، والموجود في الخارج إنما هو الذات المختصة [لا الكلي][5] المشترك (فلو)[6] تعلق (التأله)[7] بالقدر المشترك، لم يكن للخلق في الخارج إله، ولكان إلههم أمراً ذهنياً وجوده في الأذهان لا في الأعيان. وهذا هو الذي تألهه طوائف أهل الوحدة والجهمية الذين أنكروا أن يكون الله تعالى خارج [العالم][8] ولا بداخله. فإن هذا إنما هو إله مفروض يفرضه

---

(١) سبق تعريفهم ص.

(٢) في (ط) (المعين).

(٣) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٥٥-٤٦٦).

(٤) في الأصل (أحدهما) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (كالكلي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) في (ط) (الثالثة).

(٨) في الأصل (العلم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

الذهن كما يفرض سائر الممتنعات (في)[1] (الخارج)[2] ويظنه واجب الوجود، وليس هو ممكن الوجود فضلاً عن وجوبه[3].

وبهذا يتبين أن الجهمية وإخوانهم من القائلين بوحدة الوجود ليس لهم إله معين في الخارج يألهونه ويعبدونه، بل هؤلاء ألهوا الوجود المطلق الكلي، وأولئك ألهوا المعدوم الممتنع وجوده.

(والرسل)[4] (وأتباعهم)[5] إلههم الله الذي لا إله إلا هو، الذي ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٤-٨].

هو الذي فطرت القلوب على محبته، والإقرار به، وإجلاله، وتعظيمه، وإثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن صفات النقائص والعيوب، وعلى أنه فوق سماواته، بائن من خلقه، تصعد إليه أعمالهم على تعاقب الأوقات، وترفع إليه أيديهم عند الرغبات، يخافونه من فوقهم/ ويرجون رحمته تنزل إليهم من عنده، فهِمَمُهُم صاعدة إلى عرشه، تطلب فوقه إلهاً علياً عظيماً قد استوى على عرشه واستولى على خلقه ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (الخارجة).

(٣) انظر: الصفدية ١/ (٢٦٣-٢٦٨)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ (٢٨٦-٣١٩).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في (ط) (أتباع الأنبياء).

ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة/ ٥-٦].

والمقصود أنه إذا لم يكن في (المعينات)[1] الخارجة عن الأذهان ما هو مراد لذاته، لم يكن فيها ما يستحق أن يألهه أحد، فضلاً عن أن يكون فيها ما يجب أن يألهه كل أحد، فتبين أنه لا بد من إله معين هو المحبوب المراد لذاته، ومن الممتنع أن يكون هذا غير فاطر السماوات [والأرض][2] وتبين أنه لو كان في السماوات والأرض إله غيره لفسدتا، وأن كل مولود يولد على محبته ومعرفته وإجلاله وتعظيمه، وهذا دليل مستقل كاف فيما نحن فيه، وبالله التوفيق.

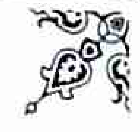
تـم بحمد الله .

* * *

---

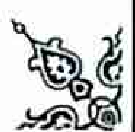
(١) في (ط) (الحسيات).

(٢) زيادة من م، ط.



الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار والأقوال
- فهرس الأعلام
- فهرس الفرق
- فهرس القبائل
- فهرس الكتب الواردة في النص
- فهرس الألفاظ الغريبة
- فهرس أبيات الشعر
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
الحمد لله رب العالمين	٢	الفاتحة	٦٠٤، ١١٣٥
إياك نعبد وإياك نستعين	٥	الفاتحة	٢١٣، ٢٣١، ٤٦٤
اهدنا الصراط المستقيم	٦	الفاتحة	٤٦٤، ٥٨٥، ٥٨٩، ١٣٢٧
صراط الذين أنعمت عليهم	٧	الفاتحة	٥٨٥، ١٣٢٧
ويقيمون الصلاة	٣	البقرة	٧٩٢
إن الذين كفروا .... ولهم عذاب عظيم	٦، ٧	البقرة	٥٨٣، ٥٩٧، ٦١٨
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً	١٠	البقرة	٣٣٥، ٦٠١، ٦٤٩، ٩٥٣
مثلهم كمثل الذي استوقد... محيط بالكافرين	١٧، ١٩	البقرة	٦٧٤
صم بكم عمي فهم	١٨، ١٧١	البقرة	٦٣٨، ٦٣٩
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم	٢٠	البقرة	٤٠٥
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون	٢١	البقرة	١٠٤٨
الذي جعل لكم الأرض....فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون	٢٢	البقرة	٢٥٨، ٣٧٠، ١٠٥٤
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	٢٣	البقرة	١٢١٠
يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين	٢٦	البقرة	٥٨١
يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً.... هم الخاسرون	٢٦، ٢٧	البقرة	٣٣٥
فسواهن سبع سماوات	٢٩	البقرة	٥١٩
وإذ قال ربك للملائكة إن جاعل في الأرض خليفة....إني أعلم ما لا تعلمون	٣٠	البقرة	١٧٦، ٢٠٤، ٢١٢، ٣٢٥، ٣٥٨، ٩٧٩، ١٠٠٢، ١٠٠٩، ١٠٧٣، ١١٢٤، ١٢٠٨، ١٢٣٣
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم	٣٢	البقرة	١٠٠٢
ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات....	٣٣	البقرة	١٠٠٢
هم فيها خالدون	٣٩	البقرة	١٢٧٨
خذوا ما آتيناكم بقوة	٦٣	البقرة	١٣٨٣

أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى	٢٨٢	البقرة	١٠٤٣
لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه .... قدير	٢٨٤	البقرة	١٠٣٤،١١٢٠، ١٣١٢
والله على كل شيء قدير	٢٨٤	البقرة	١٠٣٤ ،٤٦٨
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت	٢٨٦	البقرة	١٠٣٤ ،٧٥٠، ١٠٣٥
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا	٢٨٦	البقرة	١٠٣٥
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء	٦	آل عمران	٢٧٩
آمنا به كل من عند ربنا	٧	آل عمران	١٠٣٦ ،١٠٣٤
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	٨	آل عمران	٦٥٥ ،٥٨٩
شهد الله أنه لا إله إلا هو .... الله سريع الحساب	١٨، ١٩	آل عمران	١٣١١ ،٦٩٣
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ... قدير	٢٦	آل عمران	٩٣٨ ،٤٠٤، ١٣٢٧ ،٩٧٥، ١٣٨٣
والله على كل شيء قدير	٢٩	آل عمران	٤٦٨
إن الله اصطفى آدم ونوحاً .... سميع عليم	٣٣، ٣٤	آل عمران	٣٤٥
كذلك الله يفعل ما يشاء	٤٠	آل عمران	٤٠٠
ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً	٦٧	آل عمران	١٤٠٢
يا أهل الكتب لم تكفرون .... وأنتم تعلمون	٧٠، ٧١	آل عمران	٨٣٦
يا أهل الكتاب لِم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون	٧١	آل عمران	٩٥١
يختص برحمته من يشاء	٧٤	آل عمران	٤٠٥
وله أسلم من في السماوات طوعاً وكرهاً	٨٣	آل عمران	١٩٢ ،١٤٠، ١٤٣٣،١٤٣٨
كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ... الظالمين	٨٦	آل عمران	٥٨٦ ،٥٧٥
والله على كل شيء قدير	١٨٩	آل عمران	٤٦٨
ملة إبراهيم حنيفاً	٩٥	آل عمران	١٤٠٢
قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله ... شهداء	٩٩	آل عمران	٨٦٣
يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته	١٠٢	آل عمران	٥٩٢
واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ..... إخواناً	١٠٣	آل عمران	٤٨٢
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون	١٠٦، ١٠٧	آل عمران	١٢٦٤ ،١٩٧

وما قدروا الله حق قدره ..... شيء	٩١	الأنعام	١٣٠٨
فأنى تؤفكون	٩٥	الأنعام	٦٤٤
بديع السماوات والأرض	١٠١	الأنعام	٧٩٥
كذلك زينا لكل أمة عملهم ... يعملون	١٠٨	الأنعام	٦٧٠، ٩٤٦
وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون	١٠٩	الأنعام	٣٣٥
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا ... يعمهون	١١٠	الأنعام	٣٣٥، ٦٠٠، ٦٥٢، ٦٥٥، ٩٠٩، ٩١٤
وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً	١١٢	الأنعام	٢١٥، ٤٠٠، ١٠٣٨
ولو شاء ربك ما فعلوه	١١٢	الأنعام	٤٦٩
غروراً	١١٢	الأنعام	١٠٣٨
ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون	١١٣	الأنعام	١٠٢٨، ١٠٣٨
أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً ... منها	١٢٢	الأنعام	٦٧٣، ٦٨٨، ١٣٥٨
وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى ... رسالته	١٢٤	الأنعام	٣٣٨، ٣٤٥، ١٠٧٤
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ..... السماء	١٢٥	الأنعام	٣٣٤، ٤٣٥، ٥٨٠، ٦٤٧، ٦٨١
ومن يرد أن يضله....	١٢٥	الأنعام	١٣٢٤
ويوم يحشر ...النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله... عليم	١٢٨	الأنعام	١٢٦٠، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٧٦، ١٢٩٩
يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم...	١٣٠	الأنعام	١٢٦٣
إن يَشَأ يُذهِبكُمْ وَيَستَخلِفْ مِن بَعْدِكُم ما يَشَاء	١٣٣	الأنعام	٤٠٦
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً	١٣٦	الأنعام	٨٠٣
وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم	١٣٧	الأنعام	٩٤٦
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا	١٤٨	الأنعام	٢٢٧، ٣١٧، ٧٧٣، ٩٣٦

قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون	١٠١	يونس	٤٩٥
كتاب أحكمت آياته	١	هود	١٠٣٦
وهو الذي خلق السماوات والأرض	٧	هود	٣٥٧
فاعلموا أنما أنزل بعلم الله	١٤	هود	١٣٣٠
وأخبتوا إلى ربهم	٢٣	هود	٤٨٠
مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون	٢٤	هود	١٠٩٦
قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين	٣٣	هود	٤٠٠
ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم	٣٤	هود	٣٤٢، ٤٣٥
إن كان الله يريد أن يغويكم	٣٤	هود	١٣٢٤، ١٣٧٤
وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك	٣٦	هود	٣٣٦
احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين	٤٠	هود	٩٦٥
قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ... الخاسرين	٤٧	هود	٧٤٣
إني توكلت على الله ربي وربكم ... مستقيم	٥٦	هود	٦٠٢، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٣٥١
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب	٨٨	هود	٥٠٩
فمنهم شقي وسعيد	١٠٥	هود	٢٩٣
يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه.....ففي النار	١٠٥، ١٠٦	هود	١٢٧٠
يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا...... عطاء غير مجذوذ	١٠٥-١٠٦	هود	١٢٧٠
فأما الذين شقوا ففي النار	١٠٦	هود	١٢٧٢
فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها.... فعال لما يريد	١٠٦، ١٠٧	هود	١٢٦٠
فأما الذين شقوا ففي النار...غير مجذوذ	١٠٦-١٠٨	هود	١٢٦٤
خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك	١٠٧	هود	١٢٦٨، ١٢٧٠، ١٢٧٩
فعال لما يريد	١٠٧	هود	٤٣٤، ٨٠٤، ١٢٦٩، ١٢٩٩، ١٣٢٥، ١٣٧٤

وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ	١٠٨	هود	٤٠٣، ١٢٦٢، ١٢٦٥، ١٢٧٠، ١٢٩٩
إن الحسنات يذهبن السيئات	١١٤	هود	٩٠٢
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون	١١٧	هود	١٠٧٧، ١٣٧٨
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة	١١٨	هود	٤٠٠
فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون	١٢٣	هود	٢١٣
إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون	٢	يوسف	١٠٤٨
ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين	٢٢	يوسف	٩٠٩، ١٠٦١
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين	٢٤	يوسف	٧٠٣، ٩٠٩، ١٠٤٩
قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني..... إنه هو السميع العليم	٣٣، ٣٤	يوسف	٤٨٨
نصيب برحمتنا من نشاء	٥٦	يوسف	٤٠٥
نرفع درجات من نشاء	٧٦	يوسف	٤٠٥
قالوا تالله لقد ءاثرك الله علينا	٩١	يوسف	٧٩٧
ادخلوا مصر إن شاء الله ءامنين	٩٩	يوسف	٤٠٢
وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ... لطيف لما يشاء	١٠٠	يوسف	٣٥٢، ٤٠٥
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	١٠٣	يوسف	١٣٠١
فنجي من نشاء	١١٠	يوسف	٤٠٥
وفي الأرض قطع متجاورات وجنات.... يعقلون	٤	الرعد	١١٦٨
وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له	١١	الرعد	٤٣٥
هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً	١٢	الرعد	٤٩٢
وينشئ السحاب الثقال	١٢	الرعد	٧٩٨
قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار	١٦	الرعد	٦٧٤
يخافون	٢١	الرعد	٧٩٢
أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً	٣١	الرعد	٥٨٠، ٦١١
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة	٣١	الرعد	٩٠٣

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً	٧٨	النحل	٤٩٠، ١٤١٤
والله جعل لكم من بيوتكم سكناً... حين	٨٠	النحل	٤٧٠، ١٠٥٤
والله جعل لكم مما خلق ظلالاً..... بأسكم	٨١	النحل	٣٦٠، ٤٧٠، ١٠٥٤،١٠٧٢
يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها	٨٣	النحل	٣٦٠
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسقون	٨٨	النحل	١٠١٥
ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة	٨٩	النحل	٣٨٢، ١٠٤١
إن الله يأمر بالعدل والإحسان	٩٠	النحل	١٣٧٩
تفعلون	٩١	النحل	٧٩١
فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم	٩٨	النحل	٥٠٨
إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا ... والذين هم به مشركون	٩٩، ١٠٠	النحل	١٢٠٣
إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون	١٠٠	النحل	٥٠٢
قل نزله روح القدس من ربك ليثبت به الذين آمنوا	١٠٢	النحل	٩٦٤، ١٠٢٧
طبع الله على قلوبهم	١٠٨	النحل	٦٢٥
فأخذهم العذاب	١١٣	النحل	٩٦٤
واصبر وما صبرك إلا بالله	١٢٧	النحل	٥٠٩
سبحان الذي أسرى بعبده...	١	الإسراء	١٢١٠
فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد	٥	الإسراء	١٣٨٢
وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه	١٣	الإسراء	٢٥٨، ٤٩٦، ٤٩٧، ٦٣٤
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً	١٥	الإسراء	٥٧٧، ١٤٥٤
وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها	١٦	الإسراء	٣٤٢، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٤٣، ١٣٢٤، ١٣٧٤، ١٣٧٧
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد	١٨	الإسراء	٤٣٦
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	٢٣	الإسراء	١٣٧٤

ولا يشرك في حكمه أحداً	٢٦	الكهف	١٣٧٤
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً	٢٨	الكهف	٥١٠، ٦٤٦، ٧٧٠، ٩٤٥
ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله	٣٩	الكهف	٤٢٣
وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً	٥٤	الكهف	٢٢٨
وما منع الناس أن يؤمنوا	٥٥	الكهف	٧٧٠
إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ... وقراً	٥٧	الكهف	٥٨٤
وعلمناه من لدنا علماً	٦٥	الكهف	٨١٥
ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً	٦٩	الكهف	٤٠٢
أقتلت نفساً زكية بغير نفس	٧٤	الكهف	١٤٣٤
أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها	٧٩	الكهف	٨٧٥، ٩٣٧، ١٣٢٧
وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين	٨٠	الكهف	١٤٤٣
وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ... كنزهما	٨٢	الكهف	٩٣٧
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما	٨٢	الكهف	٤٣٤، ٤٩٢، ١٣٢٧
و آتيناه من كل شيء سبباً	٨٤	الكهف	١٠١٧
فأتبع سبباً	٨٥	الكهف	١٠١٩
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً....وكانوا لا يستطيعون سمعاً	١٠٠، ١٠١	الكهف	٦٢٦
الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري	١٠١	الكهف	٦٢٨
واجعله ربّ رضياً	٦	مريم	٤٧٦
وكان أمراً مقضياً	٢١	مريم	١٣٧٧
ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً	٨٣	مريم	٥٠١، ٥٠٥، ١٣٨٢
خلق الأرض والسموات العلى... لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى	٤ - ٨	طه	١٤٧٥
ولقد مننا عليك مرة أخرى	٣٧	طه	٤٨٤
لعله يتذكر أو يخشى	٤٤	طه	١٠٤٨
قال فمن ربكما يا موسى	٤٩	طه	٥٦٩

وهو الذي أرسل الرياح ... طهوراً	٤٨	الفرقان	١٣٨٢
إن عذابها كان غراماً	٦٥	الفرقان	١٢٦٦
فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات	٧٠	الفرقان	٩٠٢
وإن ربك لهو العزيز الرحيم	٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٩١، ١٧٥	الشعراء	١٠٦٦
فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم	٥٧، ٥٨	الشعراء	٤٩٠
الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني .... وإذا مرضت فهو يشفين	٧٨-٨٠	الشعراء	١٣٢٧
الذي خلقني فهو يهدين ...... يوم الدين	٧٨-٨٢	الشعراء	٧٤٣، ٩٣٧
فأخذهم العذاب	١٥٨	الشعراء	٩٦٤
ولو نزلناه على بعض الأعجمين........ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم	١٩٨ - ٢٠١	الشعراء	٤٩٩
وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين	٢٠٨، ٢٠٩	الشعراء	١٠٤١
يقيمون الصلاة	٣	النمل	٧٩٢
ويؤتون الزكاة	٣	النمل	٧٩٢
وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم	٦	النمل	١٠٦٤
إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء	١١	النمل	١٤٤٠
فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين	١٣	النمل	٨٦٢
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً	١٤	النمل	٣٧٠، ٥٧٥، ٨٦٢، ٩٥٠
علّمنا منطق الطير	١٦	النمل	٥٦٥
وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون	١٧	النمل	٥٣٠
يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم.... يشعرون	١٨	النمل	٥٢٩، ٥٣٠، ٥٦٥
رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت	١٩	النمل	٤٨٠
أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين	٢٢	النمل	٥٣٧، ٥٣٨
إني وجدت امرأة تملكهم	٢٣	النمل	٥٣٨
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله	٢٤	النمل	٥٣٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
الم ● أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا.... إن الله لغني عن العالمين	١ - ٦	العنكبوت	١٢١٦
من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم	٥	العنكبوت	١٢٢٠
ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين	٦	العنكبوت	١٢٢٠
بما كنتم تعملون	٨	العنكبوت	٨٠٤
قل سيروا في الأرض	٢٠	العنكبوت	٨١١
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء	٢١	العنكبوت	١١٢٠، ١٣١٢
وعاداً وثمود ... وزين لهم الشيطان أعمالهم ... مستبصرين	٣٨	العنكبوت	٣٧٠، ٨٦٣، ٩٥٠
فكلاً أخذنا بذنبه	٤٠	العنكبوت	٩٦٥
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء	٤٥	العنكبوت	٩٣٩
أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون	٥١	العنكبوت	١١٥
وقالوا لولا أنزل عليه ... لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون	٥٠، ٥١	العنكبوت	٣٨٦
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٦٩	العنكبوت	٩٠٧
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون... تظهرون	١٧، ١٨	الروم	١١٣٥
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي	١٩	الروم	١١٧٣
ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين	٢٢	الروم	١١٦٩
يريكم البرق خوفاً وطمعاً	٢٤	الروم	١٠٤٢
بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ... ناصرين	٢٩	الروم	٥٨٠
فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله	٣٠	الروم	١٣٨٧، ٣٩٦، ١٣٩٨، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٣٤، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٥
فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله.... ولا تكونوا من المشركين	٣٠، ٣١	الروم	١٣٨٧
قل سيروا في الأرض	٤٢	الروم	٨١١
فيبسطه في السماء كيف يشاء	٤٨	الروم	٤٠٥

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً	٧٠	الأحزاب	٥٩٢، ٦٠٠، ٩٠٩
يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم	٧١	الأحزاب	٦٠٠، ٩٠٩
ظلوماً جهولاً	٧٢	الأحزاب	١١٤٥
ليعذب الله المنافقين ... والمؤمنات	٧٣	الأحزاب	٧٢٣
الحمد لله الذي له ما في السموات ... الخبير	١	سبأ	١١٣٥
يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد	١٠	سبأ	٥٦٤
وقليل من عبادي الشكور	١٣	سبأ	١٣٠١
فلما قضينا عليه الموت	١٤	سبأ	١٣٧٤
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر	٣٦	سبأ	٢٧٩
ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة...... أكثرهم بهم مؤمنون	٤٠، ٤١	سبأ	٣٠٦
وحيل بينهم وبين ما يشتهون .... مريب	٥٤	سبأ	٩٥٣
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها..... الحكيم	٢	فاطر	١٣٤١
يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ... تؤفكون	٣	فاطر	٦٤٤، ٨٦٨
أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسناً ... حسرات	٨	فاطر	٥٨٠، ٦٧٠، ٩٤٦
فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء	٨	فاطر	١٣١٢
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل...	١٣	فاطر	١١٧٣
وما يستوي الأعمى والبصير... ولا الأموات	١٩-٢٢	فاطر	١٠٩٦
وما أنت بمسمع من في القبور	٢٢	فاطر	٦٧٣
إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨	فاطر	٣١٩، ٩٤٨، ٩٤٩
لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها	٣٦	فاطر	١٢٦٥
لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ❁ ....فهم لا يبصرون	٧- ٩	يس	٦٣٣
لقد حق القول .... أم لم تنذرهم لا يؤمنون	٧- ١٠	يس	٥٩٧
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً .... ومن خلفهم سداً	٨، ٩	يس	١٣٨٠
وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً	٩	يس	٦٣٧

إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم	١٢	يس	٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٢، ٧٩٧
إنا تطيرنا بكم	١٨	يس	٩٢٠
طائركم معكم	١٩	يس	٩٢١
أأتخذ من دونه آلهةً ... ينقذون	٢٣	يس	٤٣٦
والشمس تجري لمستقر لها....	٣٨	يس	٢٧٠
وآية لهم أنا حملنا ذريتهم ... ما يركبون	٤١، ٤٢	يس	٤٧٠
وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله..... إن أنتم إلا في ضلال مبين	٤٧	يس	٢١٤
ألم أعهد إليكم يا بني آدم	٦٠	يس	٣٠٦
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم	٦٦	يس	٤٠٥
إن هو إلا ذكر وقرآن مبين..... ويحق القول على الكافرين	٦٩، ٧٠	يس	١٠٣٨
لينذر من كان حياً	٧٠	يس	٦٧٣
وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه	٧٨	يس	٧٨
أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم	٨١	يس	٨٨٧
إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون	٨٢	يس	٤٣٥، ٧٦٨، ١٣٧٧
إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب	٦	الصافات	١٢٩٣
كأنهن بيض مكنون	٤٩	الصافات	٦٢٥
قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون	٩٥، ٩٦	الصافات	٤٧١
والله خلقكم وما تعملون	٩٦	الصافات	٦٩٧، ٦٩٨
ستجدني إن شاء الله من الصابرين	١٠٢	الصافات	٤٠١
ولقد مننا على موسى وهارون	١١٤	الصافات	٤٨٤
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ... الغالبون	١٧١، ١٧٣	الصافات	٣١٠
فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب .. فغفرنا له ذلك	٢٤، ٢٥	ص	٧٤٣
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ... النار	٢٧	ص	١٠٠١، ١٠٥٨
أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات..... كالفجار	٢٨	ص	١٠٦٠
ولقد فتنا سليمان ...... إنك أنت الوهاب	٣٤، ٣٥	ص	٧٤٤

ما منعك أن تسجد	٧٥	ص	٧٧٠
إن هذا لرزقنا ما له من نفاد	٥٤	ص	١٢٦٥
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم	١	الزمر	١٠٦٤
إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار	٣	الزمر	٣٣٥
إن تكفروا فإن الله غني عنكم	٧	الزمر	٧٧٧
ولا يرضى لعباده الكفر	٧	الزمر	٤٤٢، ١٣٦٦، ١٣٦٧
بما كنتم تعملون	٧	الزمر	٨٠٤
أمّن هو قانت ءاناء الليل ساجداً وقائماً ... يعلمون	٩	الزمر	٩٤٩، ١٠٩٦
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٩	الزمر	١٤٦١
تكسبون	٢٤	الزمر	٧٩١
أليس الله بكاف عبده ... ذي انتقام	٣٦، ٣٧	الزمر	٥٨١
قل أفرءيتم ما تدعون .... المتوكلون	٣٨	الزمر	٤٣٦، ١٣٤٠
الله يتوفى الأنفس حين موتها	٤٢	الزمر	٩٦٤
فإذا مس الإنسان ضر دعانا	٤٩	الزمر	١١٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧١
قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى.... وما هم بمعجزين	٥٠، ٥١	الزمر	١١٥، ٣٦٥، ٣٦٦
أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق	٥٢	الزمر	٢٧٩
أن تقول نفس يا حسرتي	٥٦	الزمر	١٠٤٣
أن تقول نفس يا حسرتي .... من المتقين	٥٦، ٥٧	الزمر	٥٧٧
أو تقول لو أن الله هداني	٥٧	الزمر	٩٣٦
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل	٦٢	الزمر	٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩
ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك ....بل الله فاعبد وكن من الشاكرين	٦٥، ٦٦	الزمر	٩٣١
وقضي بينهم بالحق	٦٩	الزمر	١٣٧٤
ووفيت كل نفس ما عملت	٧٠	الزمر	٨٦٩
طبتم فادخلوها خالدين	٧٣	الزمر	١٢٤٧

فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات	١٩	محمد	١٣٤٦
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات	١٩	محمد	٧٤٣
في قلوبهم مرض	٢٠، ٢٩	محمد	٣٥٣
أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم	٢٣	محمد	٦٣٨
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	محمد	٥٩٧، ٦١٥، ٦٢٥، ٦٣٧
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ...	٢٨	محمد	١٣٦٨
إنا فتحنا لك فتحاً مبينا	١	الفتح	٣٥٠
إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً .... ويهديك صراطاً مستقيماً	١، ٢	الفتح	٧٤٣
سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً	٢٣	الفتح	١٠٦١
وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ... عليهم	٢٤	الفتح	٤٨٣
فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ... عليماً	٢٦	الفتح	١٠٧٦
وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها	٢٦	الفتح	٤٩٢، ١٠٧٦، ١١٠٥
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.....فتحاً قريباً	٢٧	الفتح	٣٥٠، ٤٠٠
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	٢٨	الفتح	١٣٨٣
أشداء على الكفار رحماء بينهم	٢٩	الفتح	١٠٣٣
واعلموا أن فيكم رسول الله..... الراشدون	٧	الحجرات	٤٨١، ٩٣٩، ٩٤٦، ١٣٠٩
ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم .... فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم	٧، ٨	الحجرات	٩٣٣، ١١٠٥، ١٣٠٩
ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون	١١	الحجرات	٧٢٣
يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم ... صادقين	١٧	الحجرات	٤٨٤
أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها	٦	ق	١٠٤٢
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب	٨	ق	١٠٤٢
ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد	٩	ق	١٠١٤
وما أنا بظلام للعبيد	٢٩	ق	١٣٥٠

ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت	٣	الملك	٥١٩، ٩٩٢، ١٠٠٢، ١٠٦٧
وجعلناها رجوماً للشياطين	٥	الملك	١٢٣٦
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها...	٥	الملك	١٢٩٣
كلما ألقي فيها فوج .....إلا في ضلال كبير	٨، ٩	الملك	٥٧٨
وأسروا قولكم أو اجهروا به ... اللطيف الخبير	١٣، ١٤	الملك	٤٧٤
أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون	٣٥، ٣٦	القلم	١٠٦٠
فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية	١٠	الحاقة	١٠١٤
إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية	١١	الحاقة	٩٦٥
كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية	٢٤	الحاقة	١٠١٣
فلا أقسم بما تبصرون	٣٨	الحاقة	١١٧١
فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون	٣٨، ٣٩	الحاقة	٣٥٩
إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً	١٩-٢١	المعارج	٤٩٣
أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا إنا خلقناهم مما يعلمون	٣٨، ٣٩	المعارج	٣٥٩
والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً	١٧، ١٨	نوح	٤٩٠
رب لا تذر على الأرض ... ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً	٢٦، ٢٧	نوح	١٤٤٣
ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً	٢٧	نوح	١٢٨٨
وأنا لا ندري أشر أريد	١٠	الجن	٩٣٧
وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً	١٠	الجن	١٣٢٦
ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً	١٧	الجن	٣٩١
وأنه لما قام عبد الله يدعوه	١٩	الجن	١٢١٠
ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم... أبداً	٢٣	الجن	١٢٦٤
فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم	٢٧، ٢٨	الجن	١٠٢٧
إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً	١٥	المزمل	١٣٨٣

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً * لنخرج به حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً	١٤-١٦	النبأ	١٠١٤، ١٠٥٤
لابثين فيها أحقاباً	٢٣	النبأ	١٢٧٧
لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً	٢٤	النبأ	١٢٧٧
جزاءً وفاقاً	٢٦	النبأ	١٠١٣
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	٤٠	النازعات	٩٣٩
فلينظر الإنسان إلى طعامه	٢٤	عبس	١٠٥٤
أنا صببنا الماء صباً	٢٥	عبس	١٠٤٢
متاعاً لكم ولأنعامكم	٣٢	عبس	١٠٤٢
لمن شاء منكم أن يستقيم	٢٨	التكوير	٢٢٣، ٨٧٥
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين	٢٩	التكوير	٢٢٣
يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم	٦	الانفطار	٩٢٩
في أي صورة ما شاء ركبك	٨	الانفطار	٤٠٧
تفعلون	١٢	الانفطار	٧٩١
يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله	١٩	الانفطار	١٢١٢
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون	١٤	المطففين	٥٩٩، ٦٠٠، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٦٢
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم	١٥، ١٦	المطففين	٦٠١
لهم أجر غير ممنون	٢٥	الانشقاق	٤٨٤، ٤٨٧، ١٢٦٥
إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدىء ويعيد * وهو الغفور الودود	١٢- ١٤	البروج	١٢٥٧
فعال لما يريد	١٦	البروج	٣٤١، ٤٣٤، ٨٠٤، ١٣٢٥
بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ	٢١، ٢٢	البروج	٣٨٧
فلينظر الإنسان مما خلق... إنه على رجعه لقادر	٥-٨	الطارق	١٤٣٢
سبح اسم ربك الأعلى ... والذي قدر فهدى	١-٣	الأعلى	٥١٨
الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى	٢، ٣	الأعلى	١٤١٦
قدر فهدى	٣	الأعلى	٥٧٠

❁ ❁ ❁

فهرس الأحاديث

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا	-	٩١٠
يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني آدم أحد...	أبو أمامة	١٢٨١
يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست تحزن؟....	أبو بكر الصديق	١٢٥٠
يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق	أبو هريرة	١٤٥
يا أيها الناس توبوا إلى الله عز وجل..	الأغر المزني	١٤٥، ٧٣٢
يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم	أبو سعيد الخدري	٣٧٩، ٧٩٧
يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض..	أبو بكرة	٦٥٧، ١٣٣٥
يا ربي أعني ولا تعن علي	عبد الله بن عباس	٧٠٦، ٧٤٣
يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار	معاذ بن جبل	٧٠٩
يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أدعو به..	عائشة	٧٢٥
يا رسول الله إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت	أبو هريرة	١٤٤
يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي..	أبو بكر الصديق	٧٤٤
يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فقال: ضنَّ ربك..	لقيط بن عامر	٣٢٧
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	أبو ذر	٩١٩
يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته	أبو ذر	٤٢٢
يا غلام إني أعلمك كلمات..	عبد الله بن عباس	١٤٢
يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك	-	٥٩٠
يا معاذ والله إني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة	معاذ بن جبل	٧٠٦
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	-	٥٩٠
يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة...	عبد الله بن عمرو	٧٥٨
يد الله ملأى	أبو هريرة	٩٩٦
يدخل الملك على النطفة ..	حذيفة بن أسيد	٣٢٦
يقول الله عز وجل يوم القيامة عبدي مرضت فلم تعدني...	أبو هريرة	١٢٥٣
يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار	أبو هريرة	١٣٢٨
يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود..	أبو سعيد الخدري	٣٢٩

❋ ❋ ❋

فهرس الآثار والأقوال

الأثر	القائل	الصفحة
إن لكل شيء سادة، حتى للنمل سادة.	أبو موسى الأشعري	٥٣٣
إن الله سبحانه من العلوم ما لا يحصى	ابن أبي الدنيا	٦٥٩
إن الليل كله ناشئة	عكرمة، أبو مجلز، مجاهد، السدي، ابن الزبير، ابن عباس في رواية	٨٠١
إن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء ...	ابن عباس	٢٧٥
إن ناشئة الليل أوله	-	٧٩٩
(إن ينصركم الله فلا غالب لكم ...).	محمد بن إسحاق	٦٥٧
إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق	ابن عباس	٢٦٩
إنما سمي الجبار لأنه جبر الخلق على ما أراد ...	محمد بن كعب	٧٨٥، ٧٥٧
إنما يكون القيام ناشئة إذا تقدمه نوم	عائشة	٨٠٢
إنما يقال للشيء اللازم: هذا في عنق فلان ... في تفسير قوله تعالى : (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ...).	الزجاج	٤٩٨،٦٣٤
أنه أهل للهداية والنبوة. في تفسير قوله تعالى: (وكنا عالمين).	البغوي	٣٤٤
أنه علم منه أحوالاً بديعة.. في تفسير قوله تعالى: (وكنا به عالمين).	الزمخشري	٣٤٤
أنه لما وقع الطاعون الجارف أتى على أهل دار...	الجاحظ	٥٤٦
إني لأستغفر الله في اليوم والليلة اثني عشر ...	أبو هريرة	٧٣٠
أوتيته على شرف. في تفسير قوله تعالى: (إنما أوتيته على علم)	مجاهد	٣٦٤
إياك والحديث في الإسلام.	عبد الله بن مغفل	٧٩٣
إيتوني رجلاً من كنانة ... في تفسير قوله تعالى: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً).	عمر بن الخطاب	٦٨٢
أي : ضياعاً. في تفسير قوله تعالى: (وكان أمره فرطاً)	مجاهد	٦٤٧
أي عالمين بأنه موضع لإيتاء الرشد.	ابن الجوزي	٣٤٤

الأثر	القائل	الصفحة
توقدهم إيقاداً. في تفسير قوله تعالى: (تؤزهم أزاً).	ابن عباس	٥٠٤
ثلاث هي المنجيات: (الإخلاص وهو الفطرة هي المنجيات: (الإخلاص وهو الفطرة (فطرة الله التي فطر الناس عليها...) وهي الملة، والطاعة وهي العصمة)	معاذ بن جبل	١٤٠٥
الجبار: الذي جبر الخلق على ما أراد. في تفسير قوله تعالى: (الجبار المتكبر).	الزجاج	٧٥٧
الجبار في صفة الرب سبحانه الذي لا ينال ... في تفسير قوله تعالى (الجبار المتكبر).	ابن الأنباري	٧٥٧
الجبار من الناس: العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد	الزجاج	٧٥٥-٧٥٧
جعل فيها فجورها وتقواها. في تفسير قوله تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها).	ابن زيد	٤٧٣
جمعهم له يومئذ جمعاً. في تفسير قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم .....)	أبي بن كعب	١٦٧
الجهالة: العمد	مجاهد، عطاء	٩٤٨
جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً	الشعبي	١٢٨٠
حبسهم. في تفسير قوله تعالى (كره الله انبعاثهم فثبطهم)	ابن عباس	٦٦٣
حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله. في تفسير قوله تعالى: (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً).	الفراء	٦٣٣
حتى العجز والكيس. في تفسير قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر).	ابن عباس	٧٠١
الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه .. في تفسير قوله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل).	مجاهد	٦٠٥
الحسنة. الخصب، تنتج مواشيهم وأنعامهم.. في تفسير قوله تعالى: (وإن تصبهم حسنة ..).	السدي	٩٠٤
الحسنة ما فتح الله عليك يوم بدر ... في تفسير قوله تعالى :(ما أصابك من حسنة فمن الله).	ابن عباس	٤٠٩- ٩٢٨
الحسنة: النعمة، والسيئة: البلية. في تفسير قوله تعالى: (وإن تصبهم حسنة ...).	ابن قتيبة	٩٠٥
(حنفاء) قال: حجاجاً	الضحاك والسدي	١٤٠٢
(حنفاء) ... قال متبعين	مجاهد	١٤٠٢
(الحنيف) قالوا: المخلص	عدد من العلماء	١٤٠٢

الأثر	القائل	الصفحة
الحنيفية : حج البيت	الحسن البصري	١٤٠٢
حول احتجاج القدرية في أول حديث (كل مولود يولد على الفطرة) قال: احتجوا عليهم بآخره وهو قوله : (الله أعلم بما كانوا عاملين)	مالك بن أنس	١٣٩٢
حول الاختلاف في الأطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة قال: يفسره آخر الحديث قوله : (الله أعلم بما كانوا عاملين)	عبد الله بن المبارك	١٤٢١
حول قوله تعالى : (كما بدأكم تعودون) من ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بعمل أهل الضلالة... إلخ	محمد بن كعب القرظي	١٤٢٩
حول قوله تعالى: (كما بدأكم تعودون) قال: كما كتب عليكم تكونون	سعيد بن جبير	١٤٣٢
حول قوله تعالى: (كما بدأكم تعودون) قال: شقي وسعيد، وقال أيضاً : يُبعث المسلم مسلماً والكافر كافراً	مجاهد	١٤٣٢
حول قوله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة » قال: (على الشقاوة والسعادة)	الإمام أحمد	١٣٩٠
الخاشعين. في تفسير قوله تعالى : (وبشر المخبتين).	الأخفش	٦٧٩
الخاضعين. في تفسير قوله تعالى : (وبشر المخبتين).	ابن جرير	٦٨٠
خرج سليمان بن داود يستسقي ...	أبو الصديق الناجي	٥٣٤
خصمت ورب هذه...	ابن الزبعري	٣٠٤
خطب عمر بن الخطاب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه وعنده جاثليق	عبد الله بن الحارث	٥٩٤
خلق الله آدم ثم قال بيده..	عبد الله بن سلام	١٨٥
خلق الله الخلق قبضتين..	أبو بكر	١٩٣
خلق الإنسان مستوياً. في تفسير قوله تعالى: (الذي خلق فسوى)	الزجاج	٥١٨
خلق كل ذي روح فجمع خلقه وسواه ... في تفسير قوله تعالى : (الذي خلق فسوى).	الكلبي	٥١٨
خلق لكل دابة ما يصلح لها من الخلق. في تفسير قوله تعالى : (الذي خلق فسوى)	مقاتل	٥١٨
الدنيا كلها جهالة.	عكرمة	٩٤٨
الذي تكبر عن السيئات	قتادة	٩٨٢
الذي تكبر عن ظلم العباد	أبو إسحاق	٩٨٢

الأثر	القائل	الصفحة
الذي يجبر الناس ويقهرهم على ما يريد. في تفسير قوله تعالى (الجبار المتكبر)	السدي	٧٥٦
الذين يقولون : إن الله على كل شيء قدير. في تفسير قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).	ابن عباس	٣١٩
ران : غطى، يقال : ران على قلبه .. في تفسير قوله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم).	الزجاج	٦٣١
رأيت في الجاهلية قرداً وقردة زنيا.....	عمرو بن ميمون	٥٥١
رجل خالق، أي صانع، وهن الخالقات للنساء.	الليث	٧٩٥
الرين أن يسود القلب من الذنوب..	أبو معاذ النحوي	٦٣١
زاغت عن كل شيء ... في تفسير قوله تعالى: (وإذ زاغت الأبصار).	الفراء	٦٥٦
سألت أبا عبد الله عن أولاد المشركين	الحسن بن ثواب	١٤٢٧
سألت ابن الزبير وابن عباس عن ناشئة الليل ...	ابن أبي مليكة	٨٠٢
سألت أبي عن قوم يزوجون بناتهم من قوم على أنه ... إلخ	عبد الله بن الإمام أحمد	١٤٢٥
سألت أصحاب محمد ﷺ عن قوله تعالى : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ...)	أبو العالية	٩٤٧
ساروا بينكم يبغونكم العنت. في تفسير قوله تعالى : (ولأوضعوا خلالكم).	الكلبي	٦٦٥
سُئل أبو عبد الله عن كل مولود يولد على الفطرة؟ قال: على الشقاوة، والسعادة. قال: يرجع إلى ما خلق	علي سعيد	١٤٢٧
سُئل ابن عباس عن وِلدان المسلمين والمشركين؟ فقال: حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر	ابن عباس	١٤٣٥
سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء	ميمون بن مهران	٩٨٠
سبقت لهم السعادة في الذكر الأول. في تفسير قوله تعالى : (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق..).	ابن عباس	٣١١
سبيلاً وسنة. في تفسير قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)	ابن عباس	٥٨٢
سدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك الله يا محمد لطاعته وهو الدين حنيفاً مستقيماً لدينه . في تفسير (فأقم وجهك للدين حنيفاً)	ابن جرير الطبري	١٤٠٤

الأثر	القائل	الصفحة
سعادته وشقاؤه بعمله. في تفسير قوله تعالى: (وكل شيء ألزمناه طائره في عنقه).	قتادة	٤٩٦
سنة وسبيلاً. في تفسير قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)	ابن عباس	٥٨٣
شخصت. في قوله تعالى: (وإذ زاغت الأبصار ....).	قتادة، مقاتل	٦٥٦
صاروا فريقين .. في تفسير قوله تعالى: (يوم تبيض وجوه..)	أبو العالية	١٩٧
طائره: عمله وما قدر عليه .. في تفسير قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه).	ابن عباس، ابن جريج	٤٩٦
الطائر معناه عندهم العمل. في تفسير قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه).	الفراء	٤٩٧
طبع عليها. في تفسير قوله تعالى: (وجعلنا قلوبهم قاسية)	الحسن البصري	٦٧٧
عجزاً وجبنا. في تفسير قوله تعالى: (ما زادوكم إلا خبالاً).	ابن عباس	٦٦٤
عقوبة يا ابن آدم بذنبك. في تفسير قوله تعالى: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك).	قتادة	٩٢٩
على خبر علمه الله عندي في تفسير قوله تعالى: (إنما أوتيته على علم)	مقاتل	٣٦٤
على علم قد سبق عنده. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	ابن عباس	٣٣١
على علم من الله أني له أهل. في تفسير قوله تعالى: (إنما أوتيته على علم).	البغوي	٣٦٤
على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	ابن الجوزي	٣٣٣
على علمه فيه. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	سعيد بن جبير، مقاتل	٣٣١
على علم منه بعاقبة أمره. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	الثعلبي	٣٣٢
على قلوبنا غشاوة ... في تفسير قوله تعالى: (وقالوا قلوبنا غلف)	ابن عباس، قتادة، مجاهد	٦٢٨
علم ما يكون قبل أن يخلقه. في تفسير قوله تعالى: (أضله الله على علم).	ابن عباس	٣٣١
علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم. في تفسير قوله: (إني أعلم ما لا تعلمون).	مجاهد	٣٢٧
علم من إبليس المعصية....	مجاهد	٣٢٥
عليها غطاء فلا نفقه ما تقول. في تفسير قوله تعالى: (قلوبنا في أكنة).	مقاتل	٦٢٦
عن الإمام أحمد: في المجوسيين يولد لهما ولد يقولان هذا مسلم ... إلخ	عبد الكريم بن الهيثم العاقولي	١٤٢٤

الأثر	القائل	الصفحة
عن سبي أهل الحرب قال: أنهم مسلمون إذا كانوا صغاراً	أحمد بن حنبل	١٤٢٢
غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة، في تفسير قوله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).	مقاتل	٦٣٢
فاصبح قد رين به..	عمر بن الخطاب	٦٣١
فاضله الله على علم علمه منه. (في تفسير قوله تعالى :وأضله الله على علم).	المهدوي	٣٣٣
فترق للقرآن قلوبهم. في تفسير قوله تعالى: (فتخبت له قلوبهم).	الكلبي	٦٧٩
الفرط الأمر الذي يفرط فيه .. في تفسير قوله تعالى : (وكان أمره فرطاً).	الليث	٦٤٨
فرطاً: متروكاً في تفسير قوله تعالى: (وكان أمره فرطاً).	الفراء	٦٤٨
فطرة الله دين الله الإسلام	عكرمة- مجاهد- الحسن- إبراهيم- الضحاك-	١٣٩٨
الفطرة في كلام العرب: البداءة ، والفاطر المبتدئ	-	١٤١٨
الفطرة: هي الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها	الإمام أحمد	١٣٨٩
الفطرة: (هي الدين)	الإمام أحمد	١٣٨٩
فطرة الله قال: (الدين الإسلام)	مجاهد	١٤٠٥
فطرة الله التي فطر الناس عليها .. قال: الإسلام منذ خلقهم من آدم جميعاً يقرون بذلك	ابن يزيد	١٤٠٥
(فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال: لا تبديل للخلقة التي جبل عليها ولد آدم .. إلخ	إسحاق بن راهويه	١٤٣٤
فلو ترك النبي ﷺ الناس ولم يبين لهم حكم الأطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين...	إسحاق بن راهويه	١٤٣٥
فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل ... في تفسير قوله تعالى : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ..).	ابن عباس	٣٣٧
فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ليؤمنوا .. في تفسير قوله تعالى: (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ...)	مجاهد	٣٣٧

الأثر	القائل	الصفحة
في آذانهم صم عن استماع القرآن.. في تفسير قوله تعالى : (والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر...).	ابن عباس	٦٣٩
في أنها تبعث . في تفسير قوله تعالى : (أمم أمثالكم).	الزجاج	٥٦٥
في تفسير قوله : (فأتبع سبباً) قال: طريقاً	مجاهد	١٠١٩
في تفسير قوله تعالى: (أيحسب الإنسان أن يترك سدى...) قال: لا يؤمر ولا ينهى	الشافعي	١٣٠٦
في تفسير قوله تعالى: (إلا ما شاء ربك، وإلا ما شاء الله..) قال: أن الله جعل أمر هؤلاء في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيته.	ابن عباس	١٢٧٦
في تفسير قوله تعالى: (إن ربك فعال لما يريد) قال: انتهى القرآن كله إلى هذه الآية	أبو سعيد الخدري	١٢٦٩-١٢٩٩
في تفسير قوله تعالى: (خالدين فيها ما دامت السماوات...) قال: أمر الله النار أن تاكلهم	ابن عباس	١٢٧٩
في تفسير قوله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً) صبغة الله التي خلق الناس عليها	ابن جرير الطبري	١٤٠٤
في تفسير قوله تعالى: (قال النار مثواكم...) لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً	ابن عباس	١٢٧٦-١٢٩٩
في تفسير قوله تعالى: (لابثين فيها أحقاباً...) قال: سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة	السدي	١٢٧٧
في تفسير قوله تعالى: (لا تبديل لخلق الله) قالوا: لدين الله	عدد من العلماء	١٤٠٦
في تفسير قوله تعالى: (وتقطعت بهم الأسباب) قال: هي الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا بها إلى ثواب الله.	ابن يزيد	١٠٢١
في تفسير قوله تعالى: (.. وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها..) لما قال إلا هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا تخرج عن قبضته ...	ابن الأنباري	١٠٦٨
في تفسير قوله تعالى: (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) قال: هذه تقضي على كل آية في القرآن	أبي سعيد الخدري	١٢٦٠
في تفسير قوله تعالى: (من أجل ذلك كتبنا..) قال: يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً	الحسن البصري	١٠٤٧
في تفسير قوله تعالى: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) قال: من قتل نفساً	مجاهد	١٠٤٧

الأثر	القائل	الصفحة
واحدة يصلى النار بقتلها....		
في تفسير قوله تعالى: (وآتيناه من كل شيء سبباً) قال: علماً يوصله إلى حيث يريد	أبو إسحاق	١٠١٨
في تفسير قوله تعالى: (وآتيناه من كل شيء سبباً) قال: كل ما وصل شيئاً بشيء فهو سبب.	المبرد	١٠١٩
في تفسير قوله تعالى: (وتقطعت بهم الأسباب) قال: الأرحام	ابن عباس	١٠٢١
في تفسير قوله تعالى: (وضرب الله مثلاً رجلين..) قال: أخبر أنه وإن كانت قدرته تنالهم بما يشاء فهو لا يشاء إلا العدل...	أبو إسحاق	١٠٦٨
في تفسير قوله تعالى: (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) قال: إن الله يخوف الناس بما شاء من آياته..	قتادة	١٠٥٣
في تفسير قوله : (وآتيناه من كل شيء سبباً) قالوا: علماً يتسبب به إلى ما يريد...	قتادة – ابن زيد – ابن جريج – الضحاك	١٠١٨
في تفسير قوله : (وآتيناه من كل سبباً) قال: علماً...	ابن عباس	١٠١٨
في تفسير قوله تعالى: (وتقطعت بهم الأسباب) قال: أسباب المودة والواصلات التي كانت بينهم في الدنيا.	ابن عباس	١٠٢١
في قوله تعالى: (إلا ما شاء ربك ..) قال: الله أعلم بتبينه على ما وقعت	قتادة	١٢٩٩
في اللوح المحفوظ الذي عندنا. في تفسير قوله تعالى : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم).	ابن عباس	٣٨٧
قادرين على فعل ما نشاء. في تفسير قوله تعالى: (وكنا فاعلين)	الزجاج	٨٠٥
قاسية عن الإيمان. في تفسير قوله تعالى : (وجعلنا قلوبهم قاسية)	ابن عباس	٦٧٧
قال أبو عبد الله: الذمي إذا مات أبواه وهو صغير أجبر على الإسلام	يعقوب بن بختان	١٤٢٤
قال الميموني لأبي عبد الله : كل مولود يولد على الفطرة يدخل عليه إذا كان أبواه يعني أن يكون حكمه ما كانوا صغاراً...	الميموني	١٤٢٥
قال رجل للحسن – وأنا أسمع – : أرأيت ليلة القدر ...	ربيعة بت كلثوم	٢٦٩
قال: كان هذا القول من النبي ﷺ قبل أن يؤمر الناس بالجهاد. لما سئل عن تأويل حديث (الله أعلم بما كانوا عاملين)	محمد بن الحسن	١٤١٠
قدر خلق الذكر والأنثى من الدواب. في تفسير قوله تعالى: (والذي قدر فهدى).	ابن عباس، ومقاتل، الكلبي	٢٥٠

الأثر	القائل	الصفحة
القدر : قدر الله.	أحمد بن حنبل	٣١٨
قدر مدة الجنين في الرحم .. في تفسير قوله تعالى: (والذي قدر فهدى).	السدي	٢٥٠
قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للأنثى	عطاء	٢٥٠
قلت لأبي عبد الله : إني كنت بواسط فسألوني عن الذي يموت هو وامرأته ويدعان طفلين الخ	أبو بكر المروزي	١٤٢٣
قلت لأبي عبد الله : فما الفطرة الأولى؟ قال: هي الدين! قال: نعم	الميموني	١٤٢٦
قلوبنا أوعية للحكمة والعلم ... في تفسير قوله تعالى: (وقالوا : قلوبنا غلف).	ابن عباس، وعطية	٦٢٧
قولبنا في أكنة مثل الكناية .. في تفسير قوله تعالى : (وقالوا قولبنا في أكنة مما تدعونا إليه).	ابن عباس	٦٢٦
قلوبنا لا تفقه ولا نفهم ما تقول . في تفسير قوله تعالى : (وقالوا قلوبنا غلف).	--	٦٢٧
قيل لشيخ من قريش : من علمك هذا كله...	ابن الأعرابي	٥٥٥
كان في علمه أنه سيكون من تلك الخليفة .. في تفسير قوله تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة).	قتادة	٣٢٦
كانت بنو سلمة في ناحية المدينة .. في تفسير قوله تعالى : (أنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثارهم).	أبو سعيد الخدري	٣٧٩
كانت لهم أجسام وخلق عجيبة ليست لغيرهم. في تفسير قوله تعالى : (إن فيها قوماً جبارين).	قتادة	٧٥٤
كانوا قد بطروا نعمة الله إذا آتاهم	ابن عباس	٣٦٦
كتب عليهم قبل أن يعملوه. في تفسير قوله تعالى : (وكل شيء فعلوه في الزبر).	الشعبي	٣٩٢
كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن...	ابن عباس	٢٨٤
كثرت الذنوب والمعاصي منهم .. في تفسير قوله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم).	الفراء	٦٣١
كجعبة النبل. في تفسير قوله تعالى : (قلوبنا في أكنة).	مجاهد	٦٢٦
الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة	الأشعري	٧٨٩
كفى بخشية الله علماً ...	ابن مسعود	٩٤٩
كل شيء بقدر وضعك يدك على خدك.	ابن عمر	٦٩٩

الأثر	القائل	الصفحة
كل شيء فعلوه مكتوب عليهم .. في تفسير قوله تعالى : (وكل شيء فعلوه في الزبر).	عطاء ومقاتل	٣٩٢
كل شيء في غلف فهو أغلف .. في تفسير قوله تعلى: (وقالوا قلوبنا غلف).	أبو عبيدة معمر بن المثنى	٦٢٧
كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء ...	ابن مسعود	٦٣٣
كل من عصى الله فهو جاهل.	--	٧٧٦
كنا عند أبي عثمان النهدي فحمدنا الله عز وجل ...	أبو نعامة السعدي	١٩٨
لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره ...	عمر بن الخطاب	٣٤٩
لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره	أبو عثمان النهدي	٢٩٦
لأوضعوا خلالكم بالنميمة .. في تفسير قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم ...)	الحسن البصري	٦٦٤
(لا تبديل لخلق الله).. قالوا: هو الخصاء	عدد من العلماء	١٤٠٦-١٤٠٧
لا تكرهوا النقمات الواقعة	الحسن البصري	٣٥٠
لا نزيل عن الله صفة من صفاته ..	الإمام أحمد	٧٨١
لسنا بعلماء، إنما العالم من يخشى الله.	الشعبي	٩٤٩
لقد دخل أهلُ النار النارَ وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً...	الحسن البصري	١١٣٥
لقد دخل أهلُ النار النارَ وإن قلوبهم لتحمده...	الحسن البصري	١٢٤٠
لما أخرج الله آدم من الجنة .. في تفسير قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم).	ابن عباس، وابن مسعود	١٩١
لما أخرج لله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه ذرية .... إلخ.	السدي	١٤٣٧
لما غلت أيديهم إلى أعناقهم ... في تفسير قوله تعالى : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون).	الأزهري	٦٣٦
لما قال: (هو آخذ بناصيتها) كان في معنى لا يخرج عنه قبضته	ابن الأنباري	٦٠٣
لما نزلت (إنكم وما تعبدون من دون...) قال المشركون	ابن عباس	٣٠١
لم أسمع فعالاً من أفعل إلا في حرفين وهما جبار من أجبر، ودراك من أدرك	الفراء	٧٥٤

الأثر	القائل	الصفحة
ما أقوام هذه الأمة؟	معاذ بن جبل	١٤٠٦
ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة ..	يحيى بن سعيد	٧٠١
ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه البهائم ... في تفسير قوله تعالى: (إلا أمم أمثالكم).	سفيان بن عيينة	٥٦٦
مالت أبصارهم إلا من النظر إليه. في تفسير قوله تعالى: (وإذ زاغت الأبصار ...).	الكلبي	٦٥٦
ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه	ابن مسعود	٣٨٣
ما تنزل بأحد من المسلمين نازلة إلا في كتاب الله ...	الشافعي	٣٨٤
ما خطا رجل خطوة إلا كتبت له حسنة ..	مسروق	٣٨٢
ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن.	سراقة بن جعشم	٢٩٥
ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل جل جلاله	الفضيل بن عياض	١١٩٤
ما من مولود يولد إلا في عنقه ورقة .. في تفسير قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه).	مجاهد	٢٥٨
المتعظم عن كل سوء	مقاتل	٩٨٢
المتواضعين. في تفسير قوله تعالى: (وبشر المخبتين).	ابن عباس	٦٧٩
المرض : إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها ...	المنذري	٦٥١
المساكن والأنعام وسرابيل الثياب. في تفسير قوله تعالى : (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).	مجاهد	٣٦١
مسح ربك تعالى ظهر آدم ...	ابن عباس	١٩٩
المشيئة : إرادة الله.	الشافعي	٤١٣
المطمئين. في تفسير قوله تعالى : (وبشر المخبتين).	مجاهد	٦٧٩
معنى ختم الله وطبع في اللغة واحد.	الزجاج	٦٢٥
المعنى : سلك الشرك في قلوب المكذبين ... في تفسير قوله تعالى: (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين..).	ابن عباس	٤٩٩
معنى قوله يولد على الفطرة يعني: البداءة التي ابتدأهم عليها.	ابن عبد البر	١٤١٧
معنى نصيبهم من الكتاب ما أخبر الله عز وجل من جزائهم. في تفسير قوله تعالى: (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب).	الزجاج	٣٩١
معنى هدى : هداية الذكر لإتيان الأنثى .. في تفسير قوله تعالى: (والذي قدر فهدى).	صاحب النظم	٢٥٠

الصفحة	القائل	الأثر
١٠٢١	ابن زيد	هي الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا بها إلى ثواب الله
٨٠٠	ابن قتية	هي آناء الليل وساعاته ..
٦٣٥	ابن قتية	هي تحريم الله سبحانه عليهم كثيراً .. في تفسير قوله تعالى: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).
٣٩١	الإمام أحمد	(هي التي فطر الناس عليها شقي أو سعيد) حول معنى الفطرة
٦٣٥	الحسن البصري	هي الشدائد التي كانت في العبادة .. في تفسير قوله تعالى : (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).
٤٩٧	الأزهري	والأصل في هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذرته في تفسير قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه).
٦٢٥	الأزهري	وأصله التغطية، وختم البذر في الأرض إذا غطاه.
٢٩٧	بعض السلف	والله ما أحب أن يجعل أمري إلي......
٥٥٤	أبو جعفر الباقر	والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام .. في تفسير قوله تعالى: (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً).
٩٠٤	أبو العالية	(وإن تصبهم حسنة) هذا في السراء، (وإن تصبهم سيئة) هذا في الضراء
٦٦٣	مقاتل	وأوحى إلى قلوبهم اقعدوا ما القاعدين في تفسير قوله تعالى: (كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين)
٤٨٠	الزجاج	وتأويله في اللغة : كفني عن الأشياء إلا نفس شكر نعمتك .. في تفسير قوله تعالى : (رب أوزعني أشكر نعمتك ...).
٦٦٦	مجاهد وابن زيد والكلبي	وفيكم عيون ينقلبون إليهم ما يسمعون منكم .. في تفسير قوله تعالى: (وفيكم سماعون لهم).
٦٦٦	ابن إسحاق	وفيكم قوم أهل محبة لهم .. في تفسير قوله تعالى:(وفيكم سماعون لهم).
٦٦٦	قتادة	وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم .. في تفسير قوله تعالى: (وفيكم سماعون لهم).
٤٩٦	محمد بن جرير الطبري	وكل إنسان ألزمناه ما قضي له أنه عامله .. في تفسير قوله تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ...).
٥٠٥	الزجاج	والمختار أنهم أرسلوا عليهم.

الأثر	القائل	الصفحة
ومعنى الإرسال ها هنا : التسليط في تفسير قوله تعال: (ألم تعلم أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ...).	الزجاج	٥٠٢
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم حتى يرجعوا .. في تفسير قوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ...).	ابن عباس	٦٥٢
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الإيمان .. في تفسير قوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ...).	ابن جرير الطبري	٦٥٣
وهذا التفسير جائز لأنا نرى الذكر من الحيوان ... في تفسير قوله تعالى: (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	الزجاج	٥٧٠
يا أبا سعيد أخبرني عن قول الله عز وجل : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ...).	عبد المؤمن بن عبيد الله	١٤٧
يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة ...	داود عليه السلام	٣٦٨
يا رب هلا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر	موسى عليه السلام	١١٠٧-١١٣٧
يجعل صدره شيقاً حرجاً. في تفسير قوله تعالى: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً).	ابن عباس	٦٨٢
يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم).	ابن عباس	٣٣١
يريد أضعفوا شجعانكم ... في تفسير قوله تعالى : (ولأوضعوا خلالكم).	ابن عباس	٦٦٤
يريد امنعها. في تفسير قوله تعالى : (واشدد على قلوبهم)	ابن عباس	٦٤١
يريد حين مسح ظهر آدم فاستخرج منهم ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر (وأشهدهم على أنفسهم...) حول معنى الفطرة...	ابن قتيبة	١٤٣٦
يريد خذلهم وكسلهم عن الخروج .. في تفسير قوله تعالى : (كره الله انبعاثهم فثبطهم).	ابن عباس	٦٦٣
يريد على قلوب هؤلاء فقال في تفسيرقوله تعالى: (أم على قلوب أقفالها).	ابن عباس	٦٣٧
يريد ما سبق عليهم في علمي .. في تفسير قوله تعالى: (وإنه في أم الكتب لدينا لعلي حكيم).	ابن عباس	٣٨٩

الأثر	القائل	الصفحة
يريد من عندي في تفسير قوله تعالى: (ليقولن هذا لي).	ابن عباس	٣٦٩
يصلى على كل مولود يتوفى وإن كان لاغية...	الزهري	١٣٩٦
يصنعون، ويصنع الله والله خير الصانعين في تفسير قوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين)	مجاهد	٧٩٥
يعرفون أن النعم من الله ولكن يقولون ... في تفسير قوله تعالى : (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).	الفراء وابن قتيبة	٣٦١
يعرفوني يوحدوني ويسبحوني .. في تفسير قوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين).	ابن عباس	٥٦٤
يعني أنا أحق بهذا. في تفسير تعالى : (ليقولن هذا لي).	مقاتل	٣٦٩
يعني به اللوح المحفوظ في تفسير قوله تعالى: (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	الكلبي	٥٧٣
يعنى الطبع على القلب في تفسير قوله تعالى: (أم على قلوب أقفالها).	مقاتل	٦٣٨
يقال : ركست الشيء وأركسته.	أبو عبيد	٦٦١
يقدر الله في ليلة القدر أمر السنة.	مقاتل	٢٧٠
يقدر الله أمر السنة كلها في ليلة القدر	أبو عبد الرحمن السلمي	٢٧٠
يقول الله تعالى: هو أحسن خلقاً من الذين يخلقون التماثيل في تفسير قوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين).	مقاتل	٧٩٥
يقول إن نسخته في أصل الكتاب .. في تفسير قوله تعالى : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم).	مقاتل	٣٨٧
يقول جل ذكره لنبيه: وما لنفس خلقتها .. في تفسير قوله تعالى : (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله).	محمد بن جرير الطبري	٤٩٤
يقول: مرجعهم إليّ فأجازيهم .. في تفسير قوله تعالى: (إن ربي على صراط مستقيم).	الفراء	٦٠٤
يقول تعالى: يا محمد قل لهؤلاء المشركين السائلين الآيات .. في تفسير قوله تعالى: (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)	محمد بن جرير الطبري	٤٩٥

* * *

فهرس الأعلام

* * *

الفرق

* * *

فهرس القبائل

* * *

فهرس الكتب الواردة في النص

* * *

فهرس الألفاظ الغريبة

* * *

فهرس أبيات الشعر

مطلع البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
فلو أني بليت	المدان	-	١٢٨
لهان عليَّ	ابتلاني	-	١٢٨
إن كنت أبصرتني	ثعبانا	الأسدي	٥٤٩
إذا هبط الحجاج	فشفاها	ليلى الأخيلية	٦٥٠
من أجلك	ترضى	-	١١٩٦
راحت لأربعك	-	-	٦٥١

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلي محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء ٠ت ٤٥٨هـ). تحقيق محمد النجدي، ط الأولى ١٤١٠هـ، نشر مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.
- ابن قيم الجوزية، حياته، آثاره، موارده، للدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد.
  - ١٤٠٠هـ مطابع دار الهلال، الرياض.
  - ١٤١٢هـ، نشر دار العاصمة بالرياض.
- ابن القيم من آثاره العلمية لأحمد ماهر البقري. نشر دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٤هـ.
- ابن قيم الجوزية، لمحمد مسلم الغنيمي. ط الأولى ١٣٩٧هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- ابن قيم الجوزية وجهوده في الدرس اللغوي. للدكتور طاهر حمودة. نشر دار الجامعات المصرية، لابن قيم الجوزية.
- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن قيم الجوزية. تحقيق د/ عواد عبدالله المعتق. ط الأولى ١٤٠٨هـ. طبع بمطابع الفرزدق بالرياض.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩). تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط الأولى سنة ١٤٠٨هـ. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أدب الكاتب لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم ت (٢٧٩هـ) تحقيق محمد الدالي، ط الأولى ١٤٠٢هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ). ط الثانية ١٣٧٩هـ، نشر المكتبة السلفية ومطبعتها بالقاهرة.
- الأذكار للنووي، محيي الدين، أبي زكريا يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦ هـ). تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، نشر دار الملاح دمشق.
- الأربعين في أصول الدين. للغزالي، أبي حامد، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ). ط الأولى ١٤٠٩هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ). نشر علم الكتب، بيروت.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب. لابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣ هـ).
  - مصورة عن ط الأولى المطبوعة سنة ١٣٢٨هـ. نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
  - طبعة مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، تحقيق علي البجاوي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ). نشر دار الفكر

بيروت سنة ١٤٠٩هـ.

- الإسلام والحضارة الغربية. لمحمد كرد علي (ت ١٣٢٧هـ). ط الثانية، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠م.
- الأسماء والصفات. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تعليق محمد زاهد الكوثري، ط الأولى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإرشادات والتنبيهات لابن سينا، الحسين بن عبدالله (ت ٤٢٨ هـ). تحقيق سليمان دنيا، ط الثالثة ١٣٨٨هـ، نشر دار المعارف، القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ). مصورة عن الطبعة المطبوعة سنة ١٣٢٨هـ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- اصطلاحات ابن عربي، محمد بن علي بن محمد (ت ٦٣٨ هـ). مطبوع بذيل كتاب التعريفات للجرجاني، نشر مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٨٥م.
- أصول الدين، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
- أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- الأضداد للأصمعي. عبدالملك بن قريب (ت ٢١٦ هت). تحقيق أوغست هفنز، طبع في بيروت سنة ١٩١٣هـ.
- أضواء البيان للشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٣هـ.
- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي، أبي بكر محمد بن موسى (ت٥٨٤هـ). تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، ط الثانية ١٤١٠هـ، نشر جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، الباكستان.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. لفخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ). مراجعة علي سامي النشار، نشر دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٢هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).تحقيق أحمد الكاتب، ط الأولى ١٤٠١هـ، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- إعراب القرآن. للنحاس أبي جعفر، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ). تحقيق د/ زهير زاهد، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.
- الأعلام. لخير الدين الزركلي. (ت ١٣٩٦هـ). نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة ١٩٨٠م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية. مراجعة طه عبدالرؤوف سعد، نشر دار الجيل، بيروت.

- إغاثة اللهفان لابن القيم

  - دار التراث، القاهرة ١٣٨١هـ.

  - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة بيروت.

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، طبعة بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر. مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية.

- الأمالي. لأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

- أنباء الغمر بأنباء العمر. لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). تحقيق حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده لا يجوز الجهل به. لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ). تعليق محمد زاهد الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

- إيثار الحق على الخلق لابن الوزير، محمد بن المرتضى اليماني، طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. لإسماعيل بن محمد البغدادي (ت١٣٣٩هـ) تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي ط/ الثالثة، في طهران ١٣٧٨هـ.

- الإيمان لابن أبي شيبة أبي بكر عبدالله بن محمد. (ت ٢٣٥ هـ). تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الأرقم بالكويت.

- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة.

- البحر لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

- بداية المجتهد. للقاضي أبي الوليد، محمد بن أحمد بن رشد. (ت ٥٩٥هـ). ط الثالثة ١٣٧٩هـ، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

- البداية والنهاية لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ).

  - نشر مكتبة دار المعارف، بيروت، ط الثالثة ١٩٧٨م.

  - طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، محمد بن علي، (ت١٢٥٠هـ).

  - طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة، ط الأولى ١٣٤٨هـ.

  - طبعة دار المعرفة بيروت.

- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. للسكسكي، عباس بن منصور (ت ٦٨٣هـ). تحقيق د/ بسام العموش، ط الأولى، ١٤٠٨هـ نشر مكتبة المنار بالأردن.

- البسيط لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ). (مخطوط). جزء منه محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣. وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف).
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم
  - بتصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة، السعودية، مكة المكرمة ١٣٩٢هـ.
  - جزء آخر محفوظ بمكتبة شستربتي في بريطانيا تحت رقم ٥١٥٠٥. وتوجد صورته بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت الرقم نفسه.
  - جزء آخر محفوظ بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا تحت رقم ٩٣. وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ٢٢٥ / ف.
- البعث. لأبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ). تحقيق محمد السعيد زغلول، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- بغية المرتاد. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ موسى الدرويش. ط الأولى ١٤٠٨هـ. نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. للسيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي بمصر.
- بيان تلبيس الجهمية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تصحيح الشيخ محمد بن قاسم، ط الأولى (١٣٩١ هـ). طبع بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة.
- البيان في غريب إعراب القرآن. لابن الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ). تحقيق د/ طه عبدالحميد، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٠هـ.
- تاج العروس للزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ). نشر دار ليبيا في بنغازي، طبع دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ.
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطرز والأول. لمحمد صديق خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ). تصحيح عبدالحكيم شرف الدين، ط الثانية ١٣٨٢هـ، طبع المطبعة الهندية في بومباي.
- تاريخ بغداد. للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ التراث العربي. للدكتور فؤاد سزكين. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، ترجمة دكتور محمود فهمي حجازي ودكتور فهمي أبو الفضل نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.
- تاريخ الثقات. للعجلي، أحمد بن عبدالله بن صالح، (ت ٢٦١هـ). ط الأولى، ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

• تاريخ جرجان. للسهمي، حمزة بن يوسف (ت ٤٢٧هـ). ط الثالثة، ١٤٠٠هـ نشر عالم الكتب، بيروت.
• تاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.
• تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير الطبري، أبي جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). تحقيق محمد إبراهيم، ط الرابعة، نشر دار المعارف بمصر.
• التاريخ الصغير. للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٩هـ). تحقيق محمد زايد، نشر دار الوعي بحلب.
• التاريخ الكبير. للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ). نشر المكتبة الإسلامية بتركيا.
• تأويل مختلف الحديث. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
• تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
• تأويل مشكل القرآن. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ). شرح أحمد صقر، ط الثانية ١٣٩٣ هـ، نشر دار التراث بالقاهرة.
• التبصير في الدين. لطاهر بن محمد الإسفرائيني (ت ٤٧١هـ). نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٧٤هـ.
• تبصير المنتبه بتحرير المشتبه. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). تحقيق علي البخاري، نشر المكتبة العلمية، بيروت.
• تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري. لابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ).
- نشر مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧هـ).
- دار الكتاب العربي، بيروت عني بنشرة: القدسي ١٣٩٩هـ.
• تجريد أسماء الصحابة. للذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). تصحيح صالحة شرف الدين، نشر شرف الدين الكتبي، الهند.
• تجريد التمهيد. لابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
• تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. للمزي، جمال الدين، أبي الحجاج، يوسف بن عبدالرحمن (ت ٧٤٢ هـ). تحقيق عبدالصمد شرف الدين، ط الأولى، نشر الدار القيمة بالهند.
• تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. للسيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ). تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط الثانية ١٣٩٩هـ، نشر دار إحياء السنة النبوية، بيروت.
• التدمرية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد عودة السعوي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.
• تذكرة الحفاظ. لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ). نشر دار إحياء التراث العربي.

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق فواز أحمد. طبع دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ترتيب المدارك. للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ). تحقيق محمد تاويت الطنجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
- الترغيب والترهيب. للمنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ). نشر مكتبة شباب الأزهر بمصر.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- التعريفات للجرجاني علي بن محمد. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- التعليق على الموطأ في حاشية كتاب الموطأ ضمن الكتب الستة، طبع دار الدعوة.
- تفسير ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ). - تحقيق د/ أحمد الزهراني، ط الأولى، ١٤٠٨هـ. - نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ودار طيبة بالرياض ودار ابن القيم بالدمام.
- تفسير أبي السعود، لأبي السعود بن محمد، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، ١٤٠١هـ.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل
- تفسير سفيان بن عيينة. (ت ١٩٨هـ). - جمع وتحقيق أحمد محايري، ط الأولى ١٤٠٣هـ. نشر المكتب الإسلامي، دمشق.
- تفسير الطبري = جامع البيان
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني. (ت ٢١١هـ). تحقيق د/ مصطفى مسلم، نشر دار الرشد بالرياض.
- تفسير غريب القرآن. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ). تحقيق أحمد صقر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم. (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ).
  - نشر دار المعرفة، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.
  - طبع دار الفكر ١٤٠٨هـ.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن محمد، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، طبع دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. لابن حجر العسقلاني. (ت٨٥٢هـ). نشر دار الكتب الإسلامية بلاهور في الباكستان.
- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. للقاضي أبي بكر الباقلاني، محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ). تحقيق عماد الدين حيدر، ط الأولى ١٤٠٧هـ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

- التمهيد، لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله، تحقيق محمد بوخبزة وسعيد أحمد، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية.
- تنبيه الأخيار على عدم فناء النار لسليمان بن ناصر العلوان، مطبعة السفير، الرياض.
- تهذيب الآثار. لابن جرير الطبري. (ت ٣١٠هـ). تخريج محمود شاكر، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الطبعة الأولى، طبع مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. لأبي الحجاج المزي. (ت ٧٤٢هـ). تحقيق د. بشار معروف، ط الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- تهذيب اللغة لأبي منصور، محمد بن احمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ).

  - تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مراجعة محمد علي النجار، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.
  - تحقيق احمد البردوني، القاهرة ١٣٨٤هـ وما بعدها.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة. لابن عراق، أبي الحسن بن علي بن محمد (ت ٩٦٣هـ). ط الثانية ١٤٠١هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- التوحيد لابن خزيمة، أبي بكر محمد بن إسحاق، (ت ٣١١هـ). تحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان، الطبعة الأولى. نشر مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٠٨هـ.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لشرح قصيدة الإمام ابن القيم، للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، لمرعي بن يوسف الحنبلي. اعتنى به خليل السبيعي، مطبعة دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، (ت ٤٤٤هـ). ط الثانية، ١٤٠٤هـ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- الثقات لابن حبان، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ). ط الأولى، ١٤٠١هـ نشر دائرة العثمانية، بالهند.
- ثلاثة مجالس من أمالي الحافظ ابن مردوية، أحمد بن موسى (ت ٤١٠هـ). تحقيق د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط الأولى، ١٤١٠هـ، نشر دار علوم الحديث، بدبا في الفجيرة بدولة الإمارات العربية المتحدة.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري).

  - نشر دار المعرفة بمصر تحقيق محمود وأحمد شاكر.
  - نشر دار الفكر، بيروت سنة ١٤٠٥هـ.
  - طبعة دار المعارف بمصر، بتحقيق الشيخ محمود شاكر.

- جامع الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ). تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦هـ.
- جامع الرسائل. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد رشاد سالم، ط الثانية ١٤٠٥هـ، نشر مطبعة المدني بالقاهرة.
- جامع العلوم والحكم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب، نشر دار الباز، طبع دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ).
  - ط الأولى، ١٤٠٨هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
  - نشر دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧هـ مصورة عن طبعة دار الكتب.
- الجامع لشعب الإيمان للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد طبع الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- الجرح والتعديل. لعبدالرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ). ط الأولى ١٣٧٣هـ، نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في الهند.
- جلاء العينين للألوسي، نعمان خير الدين، دار الكتب العلمية، بيروت دار الباز للنشر والتوزيع.
- جمهرة أشعار العرب. لمحمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠هـ). تحقيق محمد علي الهاشمي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- جمهرة أنساب العرب. لابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ).
- ط الأولى، ١٣٨٢هـ نشر دار المعارف بمصر.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، نشر دار الباز.
- حاشية كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، لعبد الرحمن بن محمد القاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. لأبي القاسم التيمي. (ت. ٥٣٥هـ). تحقيق محمد أبو رحيم، ط الأولى ١٤١١هـ، نشر دار الراية بالرياض.
- حسن المحاضرة. للسيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين الدميري، محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ). نشر دار الفكر، بيروت.

- الحيدة. لعبدالعزيز الكناني. (ت ٢٤٠هـ). ط الأولى ١٣٩٩هـ، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة.
- الحيوان. للجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). تحقيق عبدالسلام هارون، ط الثانية، نشر مطبعة البابي الحلبي بمصر.
- حزانة الأدب للبغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ).
  - تحقيق عبدالسلام هارون ط، الثانية ١٩٧٩م، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
  - طبعة مطبعة بولاق بمصر سنة ١٢٩٩هـ.
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال. للخزرجي، أحمد بن عبدالله (ت بعد سنة ٩٢٣هـ). ط الثانية، ١٣٩١هـ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- خلق أفعال العباد. للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ). تخريج بدر البدر، ط الأولى، نشر الدار السلفية بالكويت.
- الدارس في تاريخ المدارس. للنعيمي، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ). تحقيق جعفر الحسيني، نشر المجمع العليم بدمشق ١٣٦٨هـ.
- دائرة المعارف، لفريد وجدي.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٦هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي وبهامشه القرآن العظيم مع تفسير ابن عباس، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). ط الأولى ١٤٠٣هـ، نشر دار الفكر، بيروت.
- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن بالهند سنة ١٣٥٠هـ.
- الدعوات الكبير. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٩هـ، نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت.
- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها على العالم الإسلامي، للدكتور محمد بن عبد الله السلمان، طبع وكالة الفرقان، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- دلائل النبوة. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان أبي العتاهية، إسماعيل بن قاسم بن سويد، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ.
- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس (ت ٧ هـ).

- نشر دار صادر، بيروت.
- شرح وتعليق د/ محمد محمد حسين، نشر مكتبة الآداب بالجماميز بمصر.

- ديوان امرئ القيس. (ت ٨٠ ق هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف بمصر.
- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ.
- ديوان الحطيئة، جرول بن أوس، تحقيق نعمان طه، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ نشر مكتبة البابي الحلبي بمصر.
- ديوان ذي الرمة، غيلان بن عقبة (ت ١١٧هـ). تحقيق د/ عبدالقدوس أبو صالح، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٢هـ.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ.
- ديوان العجاج، عبدالله بن رؤبة (ت نحو سنة ٩٠هـ). طبع لينسج سنة ١٩٠٣هـ.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣هـ). نشر دار صادر، بيروت.
- ديوان الفرزدق، همام بن غالب (ت ١١٠هـ). شرح علي فاعور، ط الأولى ١٤٠٧هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان لبيد بن ربيعة. (ت ٤١هـ). نشر دار صادر بيروت، ١٣٨٦هـ.
- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث. لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي. (ت ١١٤٣هـ) نشر ناصر خسرو، إيران.
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ). نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، سنة ١٣٧٤هـ.
- الرد على بشر المريسي. للدارمي، عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠هـ). تصحيح محمد الفقي، مصورة عن الطبعة الأولى المطبوعة في سنة ١٣٥٨هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرد على الجهمية. لابن منده، محمد بن إسحاق (ت ٣٩٥هـ). تحقيق د/ علي فقيهي، ط الأولى، ١٤٠١هـ.
- الرد على الجهمية. للدارمي، عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠هـ). تحقيق محمد الفقي، ط الأولى سنة ١٣٥٨هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرد على من قال بفناء الجنة والنار، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله السمهري، نشر دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- الرسالة. للإمام الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ). تحقيق أحمد شاكر، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة.
- الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبدالوهاب، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

• رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للإمام الصنعاني محمد بن إسماعيل تحقيق محمد بن ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
• الروح. لابن قيم الجوزية.
- نشر مكتبة صبيح بالقاهرة، ط الثانية ١٣٧٦هـ.
- طبعة أخرى بتحقيق د/ بسام العموش، نشر دار ابن تيمية بالرياض سنة ١٤٠٦هـ.
• ١٢٥ - الرضا عن الله بقضائه. لابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١هـ). تحقيق ضياء الحسن السلفي، ط الأولى، ١٤١٠هـ. نشر الدار السلفية في بومباي بالهند.
• الروض الندي. لأحمد بن عبدالله البعلي. (ت ١١٨٩هـ). نشر المكتبة السلفية بالقاهرة.
• روضة المحبين. لابن قيم الجوزية. تقديم أحمد عبيد، طبع مطبعة السعادة بمصر.
- نشر المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٧٥هـ.
- طبعة أخرى، بتحقيق د/ سيد الجميلي، ط الثالثة ١٤١٢هـ. نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
• روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت ـ نشر عباس أحمد الباز، المروة – مكة المكرمة.
• روضة الناظر وجنة المناظر. لابن قدامة، عبدالله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ). تحقيق د/ عبدالعزيز السعيد. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
• زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي)، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ). ط الثالثة، ١٤٠٤هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
• زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر.
- ط الثالثة ١٣٩٢هـ، نشر دار الفكر، بيروت.
- تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٤٠٥هـ.
• الزهد للإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.
- مخطوط محفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (١١٣١) وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١١٠٥/ ف).
- طبعة دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.
• الزهد. لعبدالله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ). تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
• الزهد. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق عامر حيدر، ط الأولى، ١٤٠٨هـ. نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
• سلسلة الأحاديث الصحيحة. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

- ط الثانية ١٤٠٤هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

- مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٥هـ.

- السنة للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ). نشر دار إحياء التراث، بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

- سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني مطبوع ضمن الكتب الستة، نشر دار الدعوة.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ). المطبوع مع شرحه عون المعبود، تحقيق محمد عثمان، ط الثانية سنة ١٣٨٨هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

- سنن أبي داوود سليمان بن الأشعث، ضمن الكتب الستة، دار الدعوة.

- سنن البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). ط الأولى سنة ١٣٤٤هـ، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند.

- سنن الترمذي، لأبي عيسى بن عيسى، مطبوع ضمن الكتب الستة، نشر دار الدعوة.

- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ). نشر حديث أكاديمي، بالباكستان سنة ١٤٠٤هـ

- سنن النسائي (المجتبى) لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

- السنة، للإمام أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت ٢٨٧هـ). تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط الأولى سنة ١٤٠٠هـ نشر المكتب الإسلامي بيروت.

- السنة. للخلال، أبي بكر ، أحمد بن محمد هارون، (ت ٣٤١هـ).

- تحقيق د/ عطية الزهراني، ط الأولى ١٤١٠هـ، نشر دار الراية بالرياض.

- نشر دار ابن القيم بالدمام.

- طبعة أخرى راجعها محمد السعيد زغلول، ط الأولى ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ).

- نشر المكتب التجاري، بيروت.

- نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

- شرح الإرشاد. لأبي القاسم الأنصاري، سليمان بن ناصر. (ت ٥١١هـ). مخطوط، توجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ٤٢٥ / ف، ولم يشر فيها إلى مكان وجود الأصل.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة السنة لأبي القاسم اللالكائي (ت ٤١٨هـ). تحقيق د/ أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة بالرياض.
- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد تعليق أحمد بن الحسين تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.
- شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري، دار الفكر.
- شرح ديوان زهير، صنعه (ثعلب) (ت ٢٩١هـ). تحقيق د/ فخرالدين قباوة، ط الأولى ١٤٠٢هـ نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- شرح ديوان المتنبي. لعبدالرحمن البرقوقي (ت ١٣٦٣هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- شرح السنة للبغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- شرح صحيح مسلم للنووي، محيي الدين، أبي زكريا بن شرف (ت ٦٧٦هـ). نشر دار الفكر، بيروت.
- شرح الطحاوية. لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٣هـ). تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط الأولى سنة ١٣٩٢هـ. نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- شرح علل الترمذي. لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ). تحقيق نورالدين عتر، ط الأولى ١٣٩٨هـ. نشر دار الملاح، دمشق.
- شرح القصائد التسع لأبي جعفر النحاس. تحقيق أحمد خطاب.
- شرح القصيدة النونية المسماة الكافية في الانتصار الفرقة الناجية لابن القيم، محمد بن أبي بكر. شرح وتحقيق الدكتور محمد خليل هراس، مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة.
- شرح معاني الآثار. للطحاوي، أبي جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ). تحقيق محمد زهري النجار، ط الأولى ١٣٩٩هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المنهج. لزكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ). مطبوع مع حاشية سليمان الجمل، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- شرح نونية ابن القيم.
  - لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩هـ). ط الثانية ١٣٩٢هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
  - للشيخ محمد خليل الهراس، مطبعة الإمام بالقاهرة.
- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة، محمد بن عبيد الله تحقيق وتعليق رضا بن نعسان معطي ١٤٠٤هـ طبع دار التوفيق النموذجية الأزهر، نشر المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- الشريعة للآجري، أبي بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ). تحقيق محمد حامد الفقي، ط الأولى سنة ١٤٠٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- شعب الإيمان. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق د/ عبدالعلي حامد، ط الأولى ١٤٠٦هـ، نشر الدار السلفية بالهند.
- الشعر والشعراء. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).
  - تصحيح أبى فراس محمد بدر الدين النعساني. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٢٢هـ.
  - تحقيق الدكتور مفيد قميحة، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع دار الباز.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية، تصحيح محمد بدر النعساني الحلبي الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ توزيع مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- الصحاح. لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ). تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط الثالثة ١٤٠٤هـ، نشر دار العلم للملايين، بيروت.
- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ). نشر المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا سنة ١٩٨١هـ.
- صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ). تحقيق د/ محمد الأعظمي، ط الثانية ١٤٠١هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط الثالثة ١٤٠٢هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح الكلم الطيب لابن تيمية، تحقيق الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ.
- صحيح مسلم. للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ). نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة سنة ١٤٠٠هـ.
- صحيح الوابل الصيب لابن القيم، تحقيق سليم الهلالي، طبعة دار الجوزي، الدمام الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
- الصفات. للدارقطني، أبي الحسن علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ). تحقيق د/ علي الفقيهي، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- الصفدية، لابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، الرياض.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. لابن قيم الجوزية. تحقيق د/ علي الدخيل الله، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر دار العاصمة بالرياض.

- الضعفاء الصغير للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ). تحقيق بوران الضناوي، ط الأولى، ١٤٠٤هـ. نشر عالم الكتب، بيروت.
- الضعفاء الكبير. للعقيلي، أبي جعفر محمد بن عمرو (ت ٣١١هـ). تحقيق د/ عبدالمعطي قلعجي، ط الأولى، ١٤٠٤هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الضعفاء والمتروكين للنسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). تحقيق بوران الضناوي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ضعيف الجامع الصغير. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط الثانية ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- الضوء اللامع للسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، نشر دار مكتبة الحياة بيروت.
- الضوء المنير على التفسير لابن القيم. جمع علي بن حمد الصالحي نشر مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام، الرياض.
- طبقات الحفاظ. للسيوطي جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). ط الأولى ١٤٠٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات الحنابلة. للقاضي أبي الحسين، محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ). نشر دار المعرفة، بيروت.
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ). نشر دائرة العثمانية بالهند، سنة ١٣٩٨هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبع دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.
- طبقات الشعراء لابن قتيبة الدينوري أبي محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ توزيع دار الباز.
- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي. (ت ٢٣٢هـ). شرح محمود شاكر، طبع مطبعة المدني بالقاهرة.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع، طبع دار بيروت، ١٣٩٨هـ.
- طبقات المفسرين. للداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ). تحقيق علي محمد عمر، ط الأولى ١٣٩٢هـ، نشر مكتبة وهبه بالقاهرة.
- طبقات المفسرين. للسيوطي (ت ٩١١هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات النحويين واللغويين. لمحمد بن الحسن الزبيدي. (ت ٣٧٩هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى، ١٣٧٣هـ، نشر محمد الخانجي بمصر.
- العبر في خبر من غبر. لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
  - تحقيق فؤاد سيد، طبع حكومة الكويت سنة ١٩٦١م.

- تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

- العدة في أصول الفقه. للقاضي أبي يعلي، محمد بن الحسين الفراء البغدادي، (ت٤٥٨هـ). تحقيق د/ أحمد سير مباركي، ط الأولى ١٤٠٠هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العزلة. لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ). تحقيق ياسين السواس، ط الثانية ١٤١٠هـ، نشر دار ابن كثير، دمشق.
- العظمة. لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ). تحقيق د/ رضا الله المباركفوري، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ. نشر دار العاصمة بالرياض.
- العلل للدارقطني، أبي الحسن عي بن عمر (ت ٣٨٥هـ). تحقيق د/ محفوظ الرحمن السلفي، ط الأولى ١٤٠٥هـ. نشر دار طيبة بالرياض.
- علل الحديث. لابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ). نشر دار السلام بحلب، مصورة عن طبعة القاهرة سنة ١٣٤٣هـ.
- العلل ومعرفة الرجال. للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ). تحقيق د/ طلعت قوج، د/ إسماعيل جراح. نشر المكتبة الإسلامية، إستانبول بتركيا، سنة ١٩٨٧م.
- عمل اليوم والليلة. لابن السني أبي بكر أحمد بن محمد (ت ٣٦٤هـ). تحقيق عبدالرحمن كوثر البرني، نشر دار القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن في بيروت.
- عمل اليوم والليلة. للنسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). تحقيق د/ فاروق حماده، ط الثانية ١٤٠٦هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عن المعبود شرح سنن ابي داود. لأبي داود، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، ط الثانية ١٣٨٩هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي، نشر مكتبة الرياض الحديثة.
- العقيدة النظامية من الأركان الإسلامية. للإمام الجويني، عبدالملك بن عبدالله (ت٤٧٨هـ). تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط الأولى ١٣٩٨هـ.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح بن عبد الله العبود، طبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ.
- العين. للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ).
- غاية المرام في علم الكلام للآمدي.
- غريب الحديث. لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ). تحقيق د/ عبدالكريم العزباوي، نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢هـ.
- غريب الحديث. لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ).

• الغنية في أصول الدين. لأبي سعيد النيسابوري. تحقيق عماد الدين حيدر، ط الأولى ١٤٠٦هـ ونشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
• فتاوي ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي. نشر وتوزيع دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
• فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني. تصحيح سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة.
• فتح القدير (تفسير الشوكاني) لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).
- نشر دار المعرفة، بيروت.
- طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.
- والطبعة الجديدة المأخوذة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، نشر المكتبة التجاري، مكة المكرمة.
• الفرج بعد الشدة. لابن أبي الدنيا.تحقيق عماد فره، نشر مكتبة الصحابة بطنطا في مصر سنة ١٤٠٥ هـ.
• الفرق بين الفرق. لعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ).
- ط الرابعة، ١٤٠٠هـ، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- تحقيق محمد محيي الدبن عبد الحميد، طبع دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز، عباس أحمد، مكة المكرمة.
• الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق زهير الشاويش. ط الرابعة ١٤٠٨هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
• الفصل في الملل والأهواء، لابن حزم أبي محمد، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ). نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ.
• الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبي محمد، علي بن أحمد بن حزم الظاهري. وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، للإمام أبي الفتح، محمد بن عبد الكريم. طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.
• فضائح الباطنية. لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ). تحقيق عبدالرحمن بدوي، نشر الدار القومية للنشر بالقاهرة، ١٣٨٣هـ.
• فضل الإسلام على الحضارة الغربية. لمونتجومري وات. نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، ط الثانية ١٤٠٦هـ، نشر دار الشروق.
• فضيلة الشكر لله على نعمه. لأبي بكر محمد بن جعفر السامري. المعروف بالخرائطي (ت ٣٢٧هـ). تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط الأولى ١٤٠٢هـ، نشر دار الفكر، بيروت.

- فوات الوفيات والذيل عليها. لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). تحقيق د/ إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت.
- الفهرست لابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، طبعة تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين، طهران، مهرسته ١٣٥٠هـ.
- الفوائد، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق محمد بن عثمان الخشت. الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. للشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ). تحقيق عبدالرحمن المعلمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبدالرءوف المناوي (ت ١٠٣١هـ). نشر دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩١هـ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). ط الثانية، سنة ١٤٠٧هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- القدر. لابن وهب، عبدالله بن مسلم القرشي (ت ١٩٧هـ). تحقيق د/ عبدالعزيز العثيم، ط الأولى ١٤٠٦هـ، نشر دار السلطان.
- القدر للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) تحقيق أحمد الصمعاني، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة، مقدمة لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- القدر. للفريابي، أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن. (ت ٣٠١هـ). تحقيق جمال الذهبي. رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة، مقدمة لقسم الحديث بكلية أصول الدين بالرياض.
- القضاء والقدر لشيخ الإسلام بن تيمية أحمد بن عبد الحليم، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- الكافي في علم الدين. للكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩) نشر المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٨٥هـ.
- الكامل في التاريخ. لعز الدين بن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ). نشر دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٨٦هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال. لابن عدي، أحمد بن عبدالله (ت ٣٦٥). ط الأولى ١٤٠٤هـ نشر دار الفكر، بيروت.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد محمد بن يزيد، نشر مكتبة المعارف بيروت.
- كتاب التفسير من السنن الكبرى. للنسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). تحقيق صبري الشافعي وسيد الجليمي ط الأولى ١٤١٠هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

- الكشاف للزمخشري. محمود بن عمر (ت ٥٣٨). نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٥هـ.
- كشف الأستار عن زوائد البزار. لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ). تحقيق د. حبيب الرحمن الأعظمي. ط الأولى ١٤٠٤هـ نشر مؤسسة الرسالة بيروت.
- كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوبة لشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه ابن القيم للدكتور اليماني علي بن علي جابر، دار طيبة، مكة، الطبعة الأولى.
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة. لأبي الفضائل اليماني محمد بن مالك (ت نحو سنة ٤٧٠ هـ). تحقيق د. محمد زينهم عزب، ط الأولى ١٤٠٦هـ نشر دار الصحوة بمصر.
- كشف الخفاء للعجلوني، إسماعيل بن محمد، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي، حلب، ودار التراث في القاهرة.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمصطفى عبدالله الشهير بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ). نشر مكتبة المثنى ببغداد.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن. لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري (ت٤٢٧هـ). مخطوط محفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم (١٠٥) تفسير، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ٣٣٨/ ف.
- الكلام على مسألة السماع. لابن قيم الجوزية.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ). تصحيح بكر حياتي وصفوت السقا. نشر مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٦هـ.
- الكنى والأسماء. للدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠هـ). ط الثانية ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية بيروت.
- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. للسيوطي (ت ٩١١هـ).
- اللباب في تهذيب الإنسان. لعز الدين بن الأثير الجزري، ، (ت ٦٣٠هـ). نشر دار صادر بيروت.
- لسان العرب. لجمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ). نشر دار صادر بيروت سنة ١٣٧٥هـ.
- لسان الميزان. لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). نشر دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٣١هـ.
- لمع الأدلة للإمام الجويني عبدالملك بن عبدالله. (ت ٤٧٨هـ). تحقيق فوقية حسين محمود. ط الثانية ١٤٠٧هـ عالم الكتب، بيروت.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني، محمد بن أحمد، نشر مؤسسة الخافقين، دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- المباحث المشرقية. للفخر الرازي. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. ط الأولى ١٤١٠هـ نشر دار الكتاب العربي بيروت.

- ٢٢٩- المبسوط في القراءات العشر. لأبي بكر بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ). تحقيق سبيع حاكمي. ط الثانية ١٤٠٨هـ نشر دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- مجاز القرآن. لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ). تحقيق د. محمد فؤاد سزكين. نشر مكتبة الخانجي بمصر.
- المجالسة وجواهر العلم لأحمد بن مروان المالكي (ت ٣٣٣هـ). مصور عن مخطوطة محفوظ أصلها بمكتبة طوب قابوسراي في استانبول بتركيا. نشر معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت بألمانيا وأصدره د/ فؤاد سزكين سنة ١٤٠٧هـ.
- مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري. لابن فورك محمد بن الحسن، (ت ٤٠٤هـ). تحقيق دانيال جيمارية، نشر دار المشرق، بيروت.
- مجمع البيان في تفسير القرآن. لأبي علي الطبرسي. نشر دار مكتبة الحياة ببيروت.
- مجمع الزوائد. للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ). ط الثالثة ١٤٠٢هـ. نشر دار الكتاب العربي بيروت.
- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. ط الأولى ١٣٩٨هـ.
- مجموعة الرسائل المنيرية لعدد من العلماء، نشر وتصحيح إدارة الطباعة المنيرية بمصر، توزيع مكتبة طيبة، الرياض.
- مجموعة الرسائل لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، طبع إحياء دار التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. للفخر الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د/ حسين أتاي. ط الأولى ١٤١١هـ. نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة.
- المحيط بالتكليف. للقاضي عبدالجبار بن أحمد (ت ٤١٥هـ). تحقيق عمر السيد عزمي، مراجعة د/ أحمد فؤاد الأهواني. نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- مختار الصحاح، للرازي محمد بن أبي بكر، طبعة مدققة، مكتبة لبنان ١٩٩٦م.
- المختار وشرحه الاختيار. لابن مودود الموصلي. ط الأولى نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بالقاهرة.
- مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، تحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي، طبع دار المعرفة بيروت.
- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، محمد بن أبي بكر. اختصره محمد بن الموصلي. طبع مكتبة الرياض الحديثة.
- المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء عماد الدين بن إسماعيل. نشر دار الكتاب اللبناني بيروت.
- مختصر القدوري. لأبي الحسين أحمد بن محمد القدوري. (ت ٤٢٨هـ).

- مختصر كتاب قيام الليل. (الذي ألفه محمد بن نصر) لأحمد بن علي المقريزي. ط الأولى ١٤٠٢هـ، نشر حديث أكاديمي بالباكستان.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن قيم الجوزية. تحقيق محمد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- مراتب الإجماع لابن حزم الظاهري، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ، دار الآفاق الجديدة بيروت.
- المراسيل. لعبدالرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم). تعليق أحمد عصام الكاتب، ط الأولى، ١٤٠٣هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسائل الإمام أحمد لأبي داود، سليمان بن الأشعث، (ت ٢٧٥هـ). نشر دار المعرفة، بيروت.
- مسائل الإمام أحمد. لابن هانئ، إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٧٥هـ). تحقيق زهير الشاويش، ط الأولى ١٤٠٠هـ. نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- المسائل الخمسون في أصول الدين. للفخر الرازي، محمد بن عمر. (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، ط الأول ١٩٨٩هـ، نشر المكتب الثقافي بالقاهرة.
- المستدرك على الصحيحين. لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم. (ت ٤٠٥هـ).
  - نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
  - مكتبة المعارف، الرياض.
- المستدرك على معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر. للشيخ محمود شكري الألوسي (ت ١٢٧٠هـ). تحقيق د/ عبدالله الجبوري، نشر دار العلوم بالرياض ١٤٠٢هـ.
- مسند أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق (ت ٣١٦ه). نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٦٢هـ.
- مسند أبي يعلي الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧هـ). تحقيق حسين أسد، ط الأولى ١٤٠٤هـ، نشر المأمون للتراث بدمشق.
- مسند الإمام أحمد. (ت ٢٤١هـ).
  - ط الرابعة ١٤٠٣هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
  - ط دار المعارف بمصر، سنة ١٣٧٢هـ، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.
  - مطبوع ضمن الكتب الستة، نشر دار الدعوة.
- مسند إسحاق بن راهوية. (ت ٢٣٨هـ). تحقيق د/ عبدالغفور البلوشي، ط الأولى ١٤١٣هـ. توزيع مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة.
- مسند الحميدي، أبي بكر عبدالله بن الزبير (ت ٢١٩هـ). تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الإعظمي، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

- مسند الشهاب. لمحمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ). تحقيق حمدي السلفي، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مسند الطيالسي، أبي داود سليمان بن داود الجارود (ت ٢٠٤هـ). ط الأولى سنة ١٣٢١هـ، نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند.
- مشارق الأنوار على صحاح الأخبار. للقاضي عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ). نشر المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة.
- مشاهير علماء الأمصار. لابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- مشكاة المصابيح. لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي. (ت بعد سنة ٧٣٧هـ). تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ط الثانية سنة ١٣٩٩هـ.
- مشكل إعراب القرآن. لمكي بن أبي طالب القيسي. (ت ٤٣٧هـ). تحقيق د/ حاتم الضامن، ط الثانية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مشكل الآثار. للطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. لأحمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ). نشر المكتبة العلمية، بيروت.
- المصنف. لابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ). تحقيق مختار الندوي، نشر الدار السلفية بالهند، ط الأولى سنة ١٤٠٢هـ.
- المصنف. لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ). تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط الثانية، ١٤٠٣ هـ. نشر المجلس العلمي بالهند.
- المطالب العالية لزوائد المسانيد الثمانية. لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.
- المطالب العالية من العلم الإلهي. للفخر الرازي، محمد بن عمر. (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ط الأولى ١٤٠٧هـ. نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- معارج القبول للشيخ حافظ أحمد الحكمي من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ).
  - تحقيق خالد العك، ومروان سوار، ط الثانية ١٤٠٧هـ. نشر دار المعرفة، بيروت.
  - تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ نشر دار طيبة، الرياض.
  - طبعة المنار بمصر، سنة ١٣٤٧هـ.
- معالم السنن لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ). المطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، تحقيق

الشيخ أحمد شاكر ومحمد الفقي. نشر دار المعرفة، بيروت.

- معاني القرآن وإعرابه. لأبي إسحاق الزجاج. (ت ٣١١هـ). تحقيق د/ عبدالجليل شلبي، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر عالم الكتاب، بيروت.
- معاني القرآن. للفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ). تحقيق د/ عبدالفتاح شلبي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
- معاني القرآن الكريم. لأبي جعفر النحاس، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ). تحقيق محمد الصابوني، ط الأولى ١٤١٠هـ نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- المعجم الأوسط. للطبراني، أبي القاسم، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ). تحقيق د/ محمد الطحان، ط الأولى سنة ١٤٠٦هـ. نشر مكتبة المعارف بالرياض.
- معجم البلدان. لياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ). نشر دار صادر، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ.
- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرين. لعبدالرحمن عفيف. نشر دار العلوم بالرياض ١٤٠٣هـ.
- المعجم الصغير. للطبراني (ت ٣٦٠هـ). ط الأولى ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- معجم قبائل العرب. لعمر كحالة. ط الخامسة سنة ١٤٠٥هـ. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المعجم الكبير. للطبراني (٣٦٠هـ). تحقيق حمدي السلفي. ط الأولى نشر وزارة الأوقاف العراقية.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ترتيب مجموعة من المستشرقين. نشره الدكتور أ.ي. ونسنك (أستاذ العربية بجامعة ليدن) تولت نشره مكتبة بريل في مدينة ليدن بهولندا سنة ١٩٣٦هـ.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (ت ٣٩٥هـ). تحقيق عبدالسلام هارون. نشر دار الكتب العلمية بإيران.
- معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. طبعة مطبعة الترقي بدمشق.
- معجم المؤلفين لعدم رضا كحالة، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- المعجم الوسيط، طبع دار المعارف بمصر، نشر وتوزيع دار الدعوة، استنبول.
- معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة لابن القيسراني، محمد بن طاهر المقدسي، (ت٥٠٧هـ). ط الأولى ١٤٠٦هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- المعرفة والتاريخ. للفسوي، يعقوب بن سفيان. (ت ٢٧٧هـ). تحقيق د/ أكرم العمري. طبع مطبعة الإرشاد في بغداد.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لتخريج ما في الأحياء من الأخبار. بذيل (إحياء علوم الدين) للعلاقة العراقي، زين الدين أبي الفضل، طبع دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل. للقاضي عبدالجبار بن أحمد. (ت ٤١٥هـ). تحقيق توفيق الطويل وسعيد زياد. ط الأولى نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر سلسلة تراثنا.

- المغني. لابن قدامة، عبدالله بن أحمد. (ت ٦٢٠هـ). تحقيق د/ عبدالله التركي، د/ عبدالفتاح الحلو. ط الأولى ١٤١١هـ، نشر دار هجر بالقاهرة.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ). تحقيق د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله. ط الخامسة ١٩٧٩هـ، نشر دار الفكر، بيروت.
- المغني في ضبط أسماء الرجال. لمحمد طاهر الهندي. (٩٨٦هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- مفتاح دار السعادة. لابن قيم الجوزية.
  - نشر زكريا علي يوسف، طبع مطبعة الإمام بالقاهرة.
  - طبع دار الفكر بدمشق، ١٤٠٢هـ توزيع دار نجد.
- المقاصد الحسنة للإمام السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، تصحيح وتعليق عبد الله عبد اللطيف وعبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل. تصحيح هلموت ريتر، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة.
- الملل والنحل للشهرستاني الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم. طبع دار المعرفة، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ.
- منادمة الأطلال. لعبدالقادر بن بدران. (ت ١٣٤٦هـ). ط الثانية ١٣٧٩هـ. نشر المكتب الإسلامي، دمشق.
- منازل السائرين. للهروي، أبى إسماعيل عبدالله بن محمد، (ت ٤٨١هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية. تعليق عبدالرحمن دمشقية. ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر دار طيبة بالرياض.
- مناقب الإمام أحمد. لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي. (ت ٥٩٧هـ). تحقيق د/ عبدالله التركي، ط الأولى ١٣٩٩هـ. نشر مكتبة الخانجي بمصر.
- منال الطالب في شرح أطوال الغرائب. لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات، المبارك بن محمد. (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د/ محمود الطناحي. نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- المنجد في اللغة والأعلام. ط التاسعة والعشرون، نشر دار المشرق، بيروت.
- المنتخب. لعبد بن حميد (ت ٢٤٩هـ). تحقيق مصطفى شلباية، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة.
- المنتظم لابن الجوزي. أبي الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ). ط الأولى، نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في الهند سنة ١٣٥٧هـ.

- المنتقى من السنن المسندة. لابن الجارود (ت ٣٠٧هـ). نشر دار الكتب الإسلامية، لاهور، الباكستان.
- المنتقى من المعجم الكبير. للطبراني. مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع تحت رقم (٧١).
- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود. ترتيب أحمد البنا الشهير بالساعاتي. ط الثانية، ١٤٠٠هـ، نشر المكتبة الإسلامية، بيروت.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد رشاد سالم. ط الأولى ١٤٠٦هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- المنهج الأحمد في تراجم الإمام أحمد. لعبدالرحمن العليمي. (ت ٩٢٨هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ط الثانية ١٤٠٤هـ نشر عالم الكتب بيروت.
- الموافقات في أصول الشريعة ، للشاطبي، إبراهيم بن موسى، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- المواقف في علم الكلام. للقاضي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجي (ت ٧٥٦هـ).
  - نشر عالم الكتب، بيروت.
  - عالم الكتب، بيروت، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة ومكتبة سعد الدين بدمشق.
- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الموسوعة الفلسفية. تأليف د/ عبدالمنعم الحفني. ط الأولى نشر دار ابن زيدون، بيروت.
- الموضوعات. لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ). تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. ط الثانية ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب، بيروت.
- موطأ الإمام مالك. تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. طبع دار الشعب بمصر.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، توزيع عباس أحمد الباز.
- نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية من هفوات، لمحمد سعيد رمضان. للدكتور صالح بن فوزان الفوزان.
- نقد مراتب الإجماع مع (مراتب الإجماع لابن حزم) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ، بيروت.
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. لابن الخطيب حفيد المقري. (ت ١٠٤١هـ). تحقيق إحسان عبدالقدوس. نشر دار صادر، بيروت، سنة ١٣٨٨هـ.
- النكت الظراف. لابن حجر العسقلاني المطبوع من تحفة الأشراف للمزي. تحقيق عبدالصمد شرف الدين، ط الأولى. نشر الدار القيمة بالهند.
- النكت والعيون (تفسير الماردي) مراجعة سيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم. ط الأولى ١٤١٢هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- نهاية العقول للرازي. تحقيق محمود محمد شاكر. طبعة دار الفكر ١٤٠٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير. تحقيق محمود الطناحي. نشر المكتبة الإسلامية.
- الوابل الصيب لابن القيم، مكتبة المؤيد، الطائف ١٣٩٣هـ.
- الوافي بالوفيات. للصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٩٤هـ). ط الثانية ١٣٩٤هـ بعناية س. ديدرينغ نشر دار فرانز شتاينر بفيسبادن.
- الوافي بالوفيات للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الطبعة الثانية ١٤٠١هـ بعناية هلموت ريتر دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن.
- الوسيط لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ).

- جزء منه بتحقيق أحمد الطريقي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة، مقدمة لقسم التفسير بكلية أصول الدين بالرياض.

- جزء آخر، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة مقدمة للقسم نفسه من حمد البدر

* * *

فهرس الموضوعات

* * *

الفقير إلى عفو ربه أحمد أبو زيد كامل

